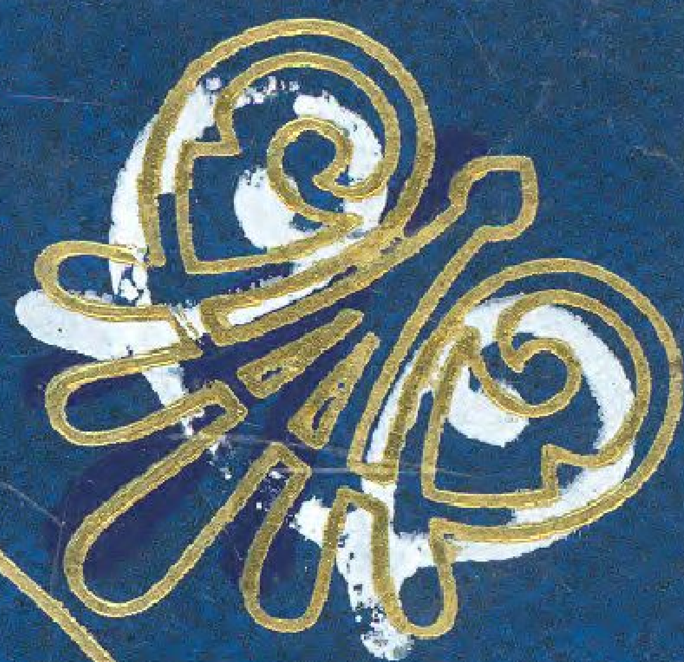



تفسير

البيضاوى

٢

للإمام البيضاوى






بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير البيضاوي

المسمى

أنوار التنزيل وأسرار التأويل

تأليف

إمام المحققين وقدوة المدققين

القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله

ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي

المتوفي ٧٩١ هجرية

تحقيق

أ.د. حمزة النشرتي

الشيخ / عبد الحفيظ فرغلي

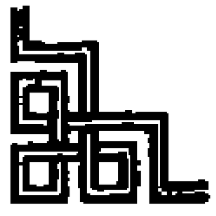
أ.د. عبد الحميد مصطفى

المجلد الثاني

١٤١٨هـ

الآيات من ٧٨ : ٨٠

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩) مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠) ﴾



لا مفر من الموت

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ﴾ قرئ بالرفع علي حذف الفاء كما في قوله :

مَنْ يَفْعَلِ الحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا .

أو على أنه كلام مبتدأ ، وأينما متصل بلا تظلمون . ﴿ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ في قصور أو حصون مرتفعة ، والبروج في الأصل بيوت على أطراف القصور ، من تبرجت المرأة إذا ظهرت . وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفاً لها بوصف فاعلها كقولهم : قصيدة شاعرة ، ومشيدة من شاد القصر إذا رفعه . ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ ﴾ كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية، وهما المراد في الآية أي : وإن تصبهم نعمة كخصب نسبوها إلى الله سبحانه وتعالى ، وإن تصبهم بلية كقحط ضافوها إليك وقالوا إن هي إلا بشؤمك كما قالت اليهود : منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها . ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ أي يبسط ويقبض حسب إرادته . ﴿ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ يوعظون به ، وهو القرآن فإنهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل من عند الله سبحانه وتعالى ، أو حديثا ما كبهائم لا أفهام

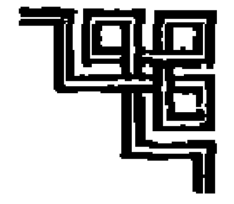
لها أو حادثًا من صروف الزمان فيتفكرون فيه فيعلمون أن القابض والباسط هو الله سبحانه وتعالى .

﴿ **مَا أَصَابَكَ** ﴾ يا إنسان . ﴿ **مِنْ حَسَنَةٍ** ﴾ من نعمة . ﴿ **فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ أي تفضلاً منه . فإن كل ما يفعله الإنسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود ، فكيف يقتضي غيره ، ولذلك قال ﷺ : « **ما يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله تعالى . قيل ولا أنت قال : ولا أنا** ». ﴿ **وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ** ﴾ من بلية . ﴿ **فَمِن نَّفْسِكَ** ﴾ لأنها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي ، وهو لا ينافي قوله سبحانه وتعالى ﴿ **قل كل من عند الله** ﴾ فإن الكل منه إيجاداً وإيصالاً غير أن الحسنة إحسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : « ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله أكثر ». والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة . ﴿ **وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً** ﴾ حال قصد بها التأكيد إن علق الجار بالفعل والتعميم إن علق بها أي رسولاً للناس جميعًا كقوله تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ** ﴾ (١) ويجوز نصبه على المصدر كقوله : ولا خَارِجًا مِنْ فِيَّ زُورِ كلام . ﴿ **وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً** ﴾ على رسالتك بنصب المعجزات .

﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ لأنه عليه الصلاة والسلام في الحقيقة مبلغ ، والآمر هو الله سبحانه وتعالى . روى (أنه عليه الصلاة والسلام قال : « **من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله** » فقال المنافقون : لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ، ما يريد إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربًا) فنزلت . ﴿ **وَمَن تَوَلَّىٰ** ﴾ عن طاعته . ﴿ **فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** ﴾ تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها ، إنما عيك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف .

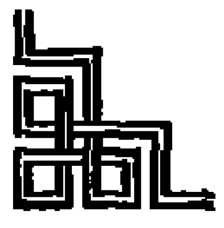
---

(١) سبأ ٢٨



الآيات من ٨١ : ٨٣

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنـــدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (٨١) أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٣) ﴾



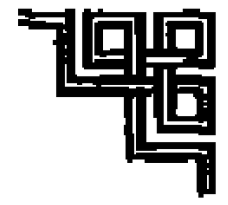
﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ إذا أمرتهم بأمر . ﴿ طَاعَةٌ ﴾ أى أمرنا طاعة أو منا طاعة ، وأصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات . ﴿ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ ﴾ خرجوا . ﴿ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾ أى زورت خلاف ما قلتَ لها ، أو ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة ، والتبييت إما من البيتوتة لأن الأمور تدبر بالليل ، أو من بيت الشعر ، أو البيت المبنى لأنه يُسَوَّى ويُدَبر . وقرأ أبو عمرو وحمزة بيت طائفة بالإدغام لقربهما فى المخرج . ﴿ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ يثبته فى صحائفهم للمجازاة ، أو فى جملة ما يوحى إليك لتطلع على أسرارهم . ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ قلل المبالاة بهم أو تجاف عنهم . ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ فى الأمور كلها سيما فى شأنهم . ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم .

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ يتأملون فى معانيه ويتبصرون ما فيه ، وأصل التدبر النظر فى أدبار الشىء . ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ ﴾ أى ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار . ﴿ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ من تناقض المعنى وتفاوت النظم ، وكان بعضه فصيحًا وبعضه ركيكًا ، وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ، ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض ، وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض ، على ما دل عليه الإستقراء لنقصان القوة البشرية .

ولعل ذكره ها هنا للتنبية على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الأحوال في الحكم والمصالح .

التحذير من إفشاء الأسرار وبث الشائعات

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ ﴾ مما يوجب الأمن أو الخوف . ﴿ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ أفشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ﷺ ، أو أخبرهم الرسول ﷺ بما أوحي إليه من وعد بالظفر ، أو تخويف من الكفرة أذاعوا به لعدم حزمهم فكانت إذاعتهم مفسدة . والباء مزيدة أو لتضمن الإذاعة معنى التحدث . ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ ﴾ أى ولو ردوا ذلك الخبر . ﴿ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ إلى رأيه ورأى كبار أصحابه البصراء بالأمور ، أو الأمراء . ﴿ لَعَلِمَهُ ﴾ لعلم ما أخبروا به على أى وجه يذكر. ﴿ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ يستخرجون تدابيره بتجاربهم وأنظارهم . وقيل كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالاً على المسلمين ، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا أنه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبوطنه من الرسول وأولى الأمر أي : يستخرجون علمه من جهتهم ، وأصل الاستنباط إخراج النبط : وهو الماء ، يخرج من البئر أول مايحفر . ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ بإرسال الرسول وإنزال الكتاب . ﴿ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ﴾ والكفر والضلال . ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أى إلا قليلاً منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به إلى الحق والصواب، وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل. أو إلا اتباعًا قليلاً على الندور



الآيات من ٨٤ : ٨٨

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً (٨٤) مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا (٨٥) وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٨٦) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (٨٨) ﴾

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أن تثبطوا وتركوك وحدك . ﴿ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ ﴾ إلا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم ، فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فإن الله ناصرك لا الجنود . روى (أنه ﷺ دعا الناس فى بدر الصغرى (١) إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت . فخرج ﷺ وما معه إلا سبعون لم يلو على أحد) . وقرئ لا تكلف بالجزم ، ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل أى لا نكلفك إلا فعل نفسك ، لا أنا لا نكلف أحداً إلا نفسك لقوله : ﴿ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ على القتال إذ ما عليك فى شأنهم إلا التحريض ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني قريشًا ، وقد فعل بأن القي فى قلوبهم الرعب حتي رجعوا . ﴿ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا ﴾ من قريش . ﴿ وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴾ تعذيبًا منهم ،وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه .

﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً ﴾ راعى حق مسلم ودفع بها عنه ضرًا أو جلب إليه نفعًا ابتغاء لوجه الله تعالى ، ومنها الدعاء لمسلم قال عليه الصلاة والسلام :

---

(١) وتسمى غزوة بدر الآخرة وكانت فى شعبان سنة أربع ، راجع قصتها فى سيرة ابن هشام حـ ٣ صـ ١٥٢

«من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك»(١) ﴿ يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ وهو ثواب الشفاعة والتسبب إلي الخير الواقع بها . ﴿ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً ﴾ يريد بها محرماً . ﴿ يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ نصيب من وزرها مساوٍ لها في القدر ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ مقتدراً من أقات علي الشيء إذا قدر قال :

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ الضِّغْنَ عَنْهُ　　　وَكُنْتُ عَلَي مَسَاءَتِه مُقِيتا (٢)

أو شهيداً حافظاً ، واشتقاقه من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه .

وجوب رد التحية بمثلها أو بأحسن منها

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ الجمهور علي أنه في السلام ، ويدل علي وجوب الجواب إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله، فإن قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية وإما برد مثله لما روي « **أن رجلا قال لرسول الله ﷺ : السلام عليك ، فقال : وعليك السلام ورحمة الله ، وقال آخر : السلام عليك ورحمة الله فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، وقال آخر : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله تعالي وتلا الآية : فقال ﷺ : إنك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله** (٣) وذلك لاستجماعه أقسام المطالب السالمة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل ، او للترديد بين أن يحيي المسلم ببعض التحية وبين أن يحيي بتمامها ، وهذا الوجوب علي الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة ، وقراءة القرآن ، وفي الحمام ، وعند قضاء الحاجة ونحوها ،

---

(١) رواه السيوطى فى الجامع الصغير حـ ٢ صـ ١٧٧ بمثله وعزاه إلى مسلم وأبى داود . من حديث أبى الدرداء .

(٢) قاله الزبير بن عبد المطلب . والضغن : الحقد ، والإقاتة : الاقتدار
وروى فى قافيته : أقيت بالفعل المضارع ، ويؤكد هذه الرواية ماجاء بعده :

يبيت الليل مرتفقا ثقيلا　　　على فرش الفتاة وما أبيت

(٣) رواه الطبرانى والطبرى مسندا إلى سلمان رضى الله عنه . وله رواية أخرى إلى ابن عباس رضى الله عنهما .

والتحية في الأصل مصدر حياك الله علي الإخبار من الحياة ، ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ، ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام ، وقيل المراد بالتحية العطية وواجب الثواب أو الرد علي المتهب ، وهو قول قديم للشافعي رضي الله تعالي عنه ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ يحاسبكم علي التحية وغيرها .

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ مبتدأ وخبر ، أو او مبتدأ والخبر ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ أي الله ، والله ليحشرنكم من قبوركم إلي يوم القيامة ، او مفضين إليه أو في يوم القيامة ، ولا إله إلا هو اعتراض ، والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور أو للحساب . ﴿ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم ، او صفة للمصدر . ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ إنكار أن يكون أحد أكثر صدقاً منه ، فإنه لايتطرق الكذب إلي خبره بوجه لأنه نقص وهو علي الله محال .

الاختلاف في أمر المنافقين

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ ﴾ فما لكم تفرقتم في أمر المنافقين ﴿ فِئَتَيْنِ ﴾ أي فرقتين ولم تتفقوا علي كفرهم ، وذلك أن ناسا منهم استأذنوا رسول الله ﷺ في الخروج إلي البدو لاجتواء المدينة ، فلما خرجوا لم يزالوا رحلين مرحلة مرحلة حتي لحقوا بالمشركين ، فاختلف المسلمون في إسلامهم ، وقيل : نزلت في المتخلفين يوم أحد ، أو في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق إلي الوطن ، أو قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة ، وفئتين حال عاملها لكم كقولك : مالك قائما . وفي المنافقين حال من فئتين أي متفرقتين فيهم ، او من الضمير أي فما لكم تفترقون فيهم ، ومعني الافتراق مستفاد من فئتين ، ﴿ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾ ردهم إلي حكم الكفرة ، أو نكسهم بأن صيرهم للنار ، وأصل الركس رد الشيء مقلوباً ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴾ أن تجعلوه من المهتدين . ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ إلي الهدي .

الآيات من ٨٩ : ٩٢

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٨٩) إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً (٩٠) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (٩١) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢) ﴾

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا ﴾ تمنوا أن تكفروا ككفرهم . ﴿ فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ فتكونون معهم سواء في الضلال ، وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز . ﴿ فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتتحققوا إيمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لأغراض الدنيا ، وسبيل الله ما أمر بسلوكه . ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ عن الإيمان الظاهر بالهجرة او عن إظهار الإيمان . ﴿ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ كسائر الكفرة . ﴿ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ أي جانبوهم رأساً ولاتقبلوا منهم ولاية ولانصرة .

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أي : إلا الذين يتصلون وينتهون إلي قوم عاهدوكم ، ويفارقون محاربتكم ، والقوم هم خزاعة . وقيل : هم الأسلميون فإنه عليه الصلاة والسلام وادع وقت خروجه إلي مكة هلال بن عويمر الأسلمي علي أن لايعينه ولا يعين عليه ، ومن لجأ إليه فله من الجوار مثل ماله . وقيل : بنو بكر بن زيد مناة

﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ ﴾ عطف علي الصلة ، أي أو الذين جاءوكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم ، استثني من المأمور بأخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين ، أو أتي الرسول ﷺ وكف عن قتال الفريقين ، أو علي صفة قوم وكأنه قيل: إلا الذين يصلون إلي قوم معاهدين ، أو قوم كافين عن القتال لكم وعليكم ، والأول أظهر لقوله فإن اعتزلوكم ، وقرئ بغير العاطف علي أنه صفة بعد صفة أو بيان ليصلون أو استئناف ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ حال بإضمار قد ويدل عليه أنه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدروهم ، أو بيان لجاءوكم وقيل صفة لمحذوف أي جاءوكم قوماً حصرت صدروهم ، وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله ﷺ غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض . ﴿ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ﴾ أي عن أن أو لأن أو كراهة أن يقاتلوكم ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ بأن قوي قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم . ﴿ فَلَقَاتَلُوكُمْ ﴾ ولم يكفوا عنكم . ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ﴾ فإن لم يتعرضوا لكم . ﴿ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ﴾ الاستسلام والانقياد . ﴿ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً ﴾ فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم .

﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ﴾ هم أسد وغطفان ، وقيل بنو عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا . ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ ﴾ دعوا إلي الكفر وإلي قتال المسلمين

﴿ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب . ﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ﴾ وينبذوا إليكم العهد . ﴿ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ ﴾ عن قتالكم ﴿ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ حيث تمكنتم منهم فإن

مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض . ﴿ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عدواتهم ووضوح كفرهم وغدرهم ، او تسلطاً ظاهراً حيث أذناً لكم في قتلهم .

دية قتل المؤمن خطأ

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ﴾ وماصح له وليس من شأنه . ﴿ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا ﴾ بغير حق . ﴿ إِلَّا خَطَأً ﴾ فإنه علي عرضته ، ونصبه علي الحال أو المفعول له أي : لايقتله في شيء من الأحوال إلا حال الخطأ ، أو لايقتله لعلة إلا للخطأ أو علي أنه صفة مصدر محذوف أي إلا قتلا خطأ ، وقيل ما كان نفي في معني النهي ، والاستثناء منقطع أي لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر ، والخطأ مالايضامه القصد إلي الفعل او الشخص او لايقصد به زهوق الروح غالباً ، أولا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه ، أو يكون فعل غير المكلف ، وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة ، والآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبى جهل من الأم ، لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله . ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ أي فعليه أو فواجبه تحرير رقبة ، والتحرير الإعتاق ، والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لأكرم موضع منه ، سمي به لأن الكرم في الأحرار واللؤم في العبيد ، والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس ، ﴿ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة ﴿ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴾ مؤداة إلي ورثته يقتسمونها كسائر المواريث ، لقول ضحاك بن سفيان الكلابي « كتب إلي رسول الله ﷺ يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها » وهي علي العاقلة فإن لم تكن فعلي بيت المال ، فإن لم يكن ففي ماله ، ﴿ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ﴾ إلا أن يتصدقوا عليه بالدية ، سمي العفو عنها صدقة حثاً عليه وتنبيهاً علي فضله ، وعن النبي ﷺ ، « **كل معروف صدقة** » وهو متعلق بعليه ، أو بمسلمة أي تجب الدية عليه أو يسلمها إلي أهله إلا حال تصدقهم عليه ، أو زمانه فهو في محل النصب علي الحال من القاتل أو الأهل أو الظرف . ﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ أي فإن كان المؤمن المقتول من قوم كفار

محاربين ، أو في تضاعيفهم ولم يعلم إيمانه فعلي قاتله الكفارة دون الدية لأهله إذ لاوراثة بينه وبينهم ولأنهم محاربون . ﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ أي وإن كان من قوم كفرة معاهدين ، أو أهل الذمة فحكمه حكم المسلمين في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما إذا كان المقتول معاهداً ، أو كان له وارث مسلم . ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ رقبة بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها . ﴿ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ فعليه أو فالواجب عليه صيام شهرين متتابعين . ﴿ تَوْبَةً ﴾ نصب علي المفعول له أي شرع ذلك توبة ، من تاب الله عليه إذا قيل توبته ، أو علي المصدر أي وتاب الله عليكم توبة أو الحال بحذف مضاف أي فعليه صيام شهرين ذا توبة .﴿ مِّنَ اللَّهِ﴾ صفتها .﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً ﴾ بحاله . ﴿ حَكِيماً ﴾ فيما أمر في شأنه .

الآيات من ٩٣ : ٩٤

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤) ﴾

تغليظ قتل المؤمن عمداً

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ لما فيه من التهديد العظيم . قال ابن عباس رضي الله عنه « لاتقبل توبة قاتل المؤمن عمداً » . ولعله أراد به التشديد إذ روي عنه خلافه، والجمهور علي أنه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالي ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾(١) ونحوه وهو عندنا إما مخصوص

(١) طه ٨٢

بالمستحيل له كما ذكره عكرمة وغيره ، ويؤيده أنه نزل في مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشاماً قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يدفعوا إليه ديته فدفعوا إليه ثم حمل علي مسلم فقتله ورجع إلي مكة مرتداً ، أو المراد بالخلود المكث الطويل فإن الدلائل متظاهرة علي أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ سافرتم وذهبتم للغزو ، ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ فاطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه ، وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين هنا ، وفي الحجرات من التثبت ، ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ ﴾ لمن حياكم بتحية الإسلام ، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الألف أي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام أيضا . ﴿ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ وإنما فعلت ذلك متعوذاً ، وقرئ مؤمناً بالفتح أي مبذولاً له الأمان ، ﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاذ ، وهو حال من الضمير تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم علي العجلة وترك التثبت . ﴿ ﴿ فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ﴾ لكم ﴿ كَثِيرَةٌ ﴾ تغنيكم عن قتل أمثاله لماله . ﴿ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي أول ما دخلتم في الإسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم وأموالكم من غير أن يعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم . ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة في الدين . ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ وافعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل الله بكم ، ولا تبادروا إلي قتلهم ظناً بأنهم دخلوا فيه اتقاء وخوفاً ، فإن إبقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم . وتكريره تأكيد لتعظيم الأمر وترتيب الحكم علي ما ذكر من حالهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ عالماً به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه .

سبب نزول هذه الآية

روي « أن سرية رسول الله ﷺ غزت أهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة بإسلامه ، فلما رأي الخيل ألجأ غنمه إلي عاقول من الجبل وصعد ، فلما تلاحقوا به وكبروا كبر ونزل وقال : لاإله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله

أسامة واستاق غنمه » وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فأراد قتله فقال : لاإله إلا الله . فقتله وقال : ود لو فر بأهله وماله ، وفيه دليل علي صحة إيمان المكره وأن المجتهد قد يخطئ وأن خطأه مغتفر .

الآيات من : ٩٥ : ٩٨

﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦) إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) ﴾

﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ ﴾ عن الحرب . ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ في موضع الحال من القاعدين أو من الضمير الذي فيه . ﴿ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ ﴾ بالرفع صفة للقاعدون لأنه لم يقصد به قوم بأعيانهم أو بدل منه ، وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب علي الحال أو الاستثناء ، وقرئ بالجر علي أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه ، وعن زيد بن ثابت أنها نزلت ولم يكن فيها غير أولي الضرر فقال ابن أم مكتوم : وكيف وأنا أعمي فغشي رسول الله ﷺ في مجلسه الوحي ، فوقعت فخذه علي فخذي حتي خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال اكتب ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ ﴾ ﴿ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ أي لامساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة ، وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته . ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون علي

التقييد السابق ، ودرجة نصب بنزع الخافض أي بدرجة او علي المصدر لأنه تضمن معني التفضيل ووقع موقع المرة منه ، او الحال بمعني ذوي درجة ﴿ وَكُلاًّ ﴾ من القاعدين والمجاهدين ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ المثوبة الحسني وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم ، وإنما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب . ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ نصب علي المصدر لأن فضل بمعني أجر ، او المفعول الثاني له لتضمنه معني الإعطاء كأنه قيل : وأعطاهم زيادة علي القاعدين أجراً عظيماً .

﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾ كل واحد منها بدل من أجراً ، ويجوز أن ينتصب درجات علي المصدر كقولك : ضربته أسواطاً ، وأجراً علي الحال عنها تقدمت عليها لأنها نكرة ، ومغفرة ورحمة علي المصدر بإضمار عليهما كرر تفضيل المجاهدين ، وبالغ فيه إجمالاً وتفضيلاً تعظيماً للجهاد وترغيباً فيه ، وقيل : الأول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر ، والثاني ما جعل لهم في الآخرة ، وقيل المراد بالدرجة الأولي ارتفاع منزلتهم عند الله سبحانه وتعالي ، وبالدرجات منازلهم في الجنة ، وقيل القاعدون الأول هم الأضراء والقاعدون الثاني هم الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم ، وقيل المجاهدون الأولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله ﷺ « **رجعنا من الجهاد الأصغر إلي الجهاد الأكبر** » ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴾ لما عسي أن يفرط منهم . ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بما وعد لهم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ يحتمل الماضي والمضارع ، وقرئ توفتهم وتوفاهم علي مضارع بمعني أن الله يوفي الملائكة أنفسهم يتوفونها أي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ، ﴿ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فإنها نزلت في أناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة ، ﴿ قَالُوا ﴾ أي الملائكة توبيخاً لهم . ﴿ فِيمَ كُنتُمْ ﴾ في أي شيء كنتم من أمر دينكم . ﴿ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة ، أو عن إظهار الدين وإعلاء كلمة الله . ﴿ قَالُوا ﴾ أي الملائكة تكذيباً لهم أو تبكيتاً . ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ

اللَّه وَاسعَةً فَتُهَاجرُوا فيهَا ﴾ إلي قطر آخر كما فعل المهاجرون إلي المدينة والحبشة . ﴿ **فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ** ﴾ لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار ، وهو خبر إن والفاء فيه لتضمن الاسم معني الشرط ، وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة بإضمار قد أو الخبر قالوا والعائد محذوف أي قالوا لهم ، وهو جملة معطوفة علي الجملة التي قبلها مستنتجة منها . ﴿ **وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ مصيرهم نار جهنم .

وجوب الهجرة من الأرض التي لايتمكن فيها المسلم من عبادة ربه :

وفي الآية دليل علي وجوب الهجرة من موضع لايتمكن الرجل فيه من إقامة دينه ، وعن النبي ﷺ **« من فر بدينه من أرض إلي أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة ، وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام »** .

﴿ **إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ** ﴾ استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والإشارة إليه ، وذكر الولد إن أريد به المماليك فظاهر ، وإن أريد به الصبيان فللمبالغة في الأمر والإشعار بأنهم علي صدد وجوب الهجرة ، فإنهم إذا بلغوا وقدروا علي الهجرة فلا محيص لهم عنها وأن قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متي أمكنت . ﴿ **لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً** ﴾ صفة للمستضعفين إذ لا توقيت فيه ، أو حال منه أو من المستكن فيه ، واستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة وما تتوقف عليه ، واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه أو بدليل .

الآيتان من ٩٩ : ١٠٠

﴿ **فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠)** ﴾

﴿ **فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ** ﴾ ذكر بكلمة الإطماع ولفظ العفو

إيذاناً بأن ترك الهجرة أمر خطير حتي إن المضطر من حقه أن لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه . ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ .

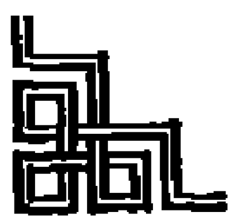
﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا ﴾ متحولاً من الرغام وهو التراب ، وقيل طريق يراغم قومه بسلوكه أي يفارقهم علي رغم، أنوفهم وهو أيضاً من الرغام ، ﴿ وَسَعَةً ﴾ في الرزق وإظهار الدين . ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ ﴾ وقرئ يدركه بالرفع علي أنه خبر مبتدأ محذوف أي ثم هو يدركه وبالنصب علي إضمار أن كقوله :

سَأَتْرُكُ مَنْزِلي بِبَني تَميمٍ ... وأَلْحَقُ بالحِجَازِ فَأَسْتَرِيحا(١)

﴿ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الوقوع والوجوب متقاربان والمعني : ثبت أجره عند الله تعالي ثبوت الأمر الواجب ، والآية الكريمة نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه علي سرير متوجهاً إلي المدينة ، فلما بلغ التنعيم أشرف علي الموت فصفق بيمينه علي شماله فقال : اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك علي ما بايع عليه رسولك ﷺ فمات .

الآيتان من ١٠١ : ١٠٢

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا (١٠١) وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢) ﴾



(١) ذكره الزمخشري في الكشاف وقال المعلق : هو للمغيرة بن حنين الحنظلي ، والرواية فيه : سأترك منزلي لبني تميم . .

قصر الصلاة وصلاة الخوف

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ سافرتم . ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاَةِ ﴾ بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل علي جوازه دون وجوبه ، ويؤيده أنه ﷺ أتم في السفر (١) وأن عائشة رضي الله تعالي عنها اعتمرت مع رسول الله ﷺ وقالت : يارسول الله قصرتُ وأتممتُ ، وصمتُ وأفطرتُ . فقال : أحسنت ياعائشة . (٢) .

وأوجبه أبو حنيفة لقول عمر رضي الله تعالي عنه : صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر علي لسان نبيكم ﷺ ، ولقول عائشة رضي الله تعالي عن أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر (٣) فظاهرهما يخالف الآية الكريمة فإن صحا فالأول مؤول بأنه كالتام في الصحة والإجراء ، والثاني لاينفي جواز الزيادة فلا حاجة إلي تأويل الآية ، بأنهم ألفوا الأربع فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن ركعتي السفر قصر ونقصان ، فسمي الإتيان بهما قصراً علي ظنهم ، ونفي الجناح فيه لتطيب به نفوسهم ، وأقل سفر تقصر فيه أربعة بُرُد عندنا وستة عند أبي حنيفة .

قرئ تقصروا من أقصر بمعني قصر ومن الصلاة صفة محذوف أي : شيئا من الصلاة عند سيويه ، ومفعول تقصروا بزيادة عند الأخفش . ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا . ﴾ شريطة باعتبار الغالب في ذلك الوقت ، ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تعالي ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ (٤) وقد

---

(١) أخرجه الشافعى ، وابن أبى شيبة ، والبزار ، والدار قطنى والبيهقى ، قال الدارقطنى : إسناده صحيح .

(٢) أخرجه النسائى فى سننه من حديث عبد الرحمن بن الأسود عن عائشة وحسنه .

(٣) متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها .

(٤) البقرة ٢٢٩

تظاهرت السنن علي جوازه أيضاً في حال الأمن . وقرئ من الصلاة أن يفتنكم بغير إن خفتم بمعني كراهة أن يفتنكم : وهو القتال والتعرض بما يكره .

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾ تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول ﷺ لفضل الجماعة ، وعامة الفقهاء علي أنه تعالي علم الرسول ﷺ كيفيتها ليأتم به الأئمة بعده فإنهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره ، ﴿ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ﴾ فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الأخري تجاه العدو . ﴿ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ أي المصلون حزماً وقيل الضمير للطائفة الأخري ، وذكر الطائفة الأولي يدل عليهم . ﴿ فَإِذَا سَجَدُوا ﴾ يعني المصلين ، ﴿ فَلْيَكُونُوا ﴾ أي غير المصلين ، ﴿ مِن وَرَائِكُمْ ﴾ يحرسونكم يعني النبي ﷺ ومن يصلي معه ، فغلب المخاطب علي الغائب ﴿ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا ﴾ لاشتغالهم بالحراسة . ﴿ فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ ﴾ ظاهره يدل علي أن الإمام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله رسول الله ﷺ ببطن نخل (١) وإن أريد به أن يصلي بكل ركعة إن كانت الصلاة ركعتين فكيفيته أن يصلي بالأولي ركعة وينتظر قائماً حتي يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا إلي وجه العدو ، وتأتي الأخري فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظر قاعداً حتي يتموا صلاتهم ويسلموا بهم كما فعله رسول الله ﷺ بذات الرقاع .

وقال أبو حنيفة رضي الله تعالي عنه : يصلي بالأولي ركعة ثم تذهب هذه وتقف بإزاء العدو وتأتي الأخري فتصلي معه ركعة ، ويتم صلاته ثم تعود إلي وجه العدو ، وتأتي الأولي فتؤدي الركعة الثانيهة بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تعود وتأتي الأخري فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها . ﴿ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ جعل الحذر آلة يتحصن بها المغازي فجمع بينه وبين الأسلحة في وجوب الأخذ ونظيره قوله تعالي ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾(٢)

---

(١) كان ذلك في غزوة ذات الرقاع سنة أربع ، وبطن نخل منزل من منازل بنى ثعلبه من المدينة على مرحلتين ، وقيل : موضع بنجد من أرض عسفان

سيره ابن هشام حـ ٣ صـ ١٤٧

(٢) الحشر ٩

﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ تمنوا أن ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة ، وهو بيان ما لأجله أمروا بأخذ الحذر والسلاح ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ﴾ رخصة لهم في وضعها إذا ثقل عليهم أخذها بسبب مطر أو مرض ، وهذا مما يؤيد أن الأمر بالأخذ للوجوب دون الاستحباب ﴿ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ أمرهم مع ذلك بأخذ الحذر كي لا يهجم عليهم العدو ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ وعد للمؤمنين بالنصر علي الكفار بعد الأمر بالحزم لتقوي قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم ، بل لأن الواجب أن يحافظوا في الأمور علي مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا علي الله سبحانه وتعالي .

الآيات من ١٠٣ : ١٠٩

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (١٠٣) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤) إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (١٠٩) ﴾

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ ﴾ أديتم وفرغتم منها . ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا

﴿ وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ فداوموا علي الذكر في جميع الأحوال ، أو إذا أردتم أداء الصلاة واشتد الخوف فأدوها كيفما أمكن ، قياماً مسايفين ومقارعين ، وقعوداً مرامين وعلي جنوبكم مثخنين ﴿ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ ﴾ سكنت قلوبكم من الخوف ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ ﴾ فعدلوا واحفظوا أركانها وشرائطها وائتوا بها تامة . ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ﴾ فرضاً محدود الأوقات لايجوز إخراجها عن أوقاتها في شئ من الأحوال ، وهذا دليل علي أن المراد بالذكر الصلاة وأنها واجبة الأداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة ، وتعليل للأمر بالإيتاء بها كيفما أمكن وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالي لايصلي المحارب حتي يطمئن .

﴿ وَلاَ تَهِنُوا ﴾ ولاتضعفوا ﴿ فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ﴾ في طلب الكفار بالقتال ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ ﴾ إلزام لهم وتقريع علي التواني فيه ، بأن ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم ، وهم يرجون من الله بسببه من إظهار الدين واستحقاق الثروات ما لا يرجو عدوهم ، فينبغي أن يكونوا أرغب منهم في الحرب وأصبر عليها ، وقرئ أن تكونوا بالفتح بمعني ولاتهنوا لأن تكونوا تألمون ، ويكون قوله فإنهم يألمون علة للنهي عن الوهن لأجله ، والآية نزلت في بدر الصغري ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً ﴾ بأعمالكم وضمائركم ﴿ حَكِيماً ﴾فيما يأمر وينهي .

قصة طعمة بن أبيرق

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ نزلت في طعمة بن أبيرق من بني ظفر ، سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق ، فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي ، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد ، وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتي انتهي إلي منزل اليهودي فأخذوها ، فقال دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر : انطلقوا بنا إلي رسول الله ﷺ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا : إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ﷺأن يفعل ﴿ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ بما عرفك الله وأوحي به إليك وليس من الرؤية

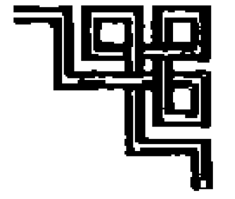
بمعني العلم وإلا لاستدعي ثلاثة مفاعيل ﴿ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ ﴾ أي لأجلهم والذب عنهم ﴿ خَصِيماً ﴾ للبراء.

﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ﴾ مما همت به . ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ لمن يستغفر

﴿ وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ يخونونها فإن وبال خيانتهم يعود عليها ، أو جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلماً عليها ، والضمير لطعمة وأمثاله أو له ولقومه فإنهم شاركوه في الإثم حيث شهدوا علي براءته وخاصموا عنه ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا ﴾ مبالغاً في الخيانة مصراً عليها ﴿أَثِيماً﴾ منهمكاً فيها . روي : أن طعمة هرب إلي مكة وارتد ونقب حائطاً بها ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله.

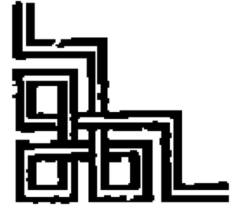
﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ ﴾ يستترون منهم حياء وخوفاً ﴿ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ﴾ ولايستحيون منه وهو أحق بأن يستحيا ويخاف منه . ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ لايخفي عليه سرهم فلا طريق معه إلا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه . ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ ﴾ يدبرون ويزورون . ﴿ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ من رمي البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ . لايفوت عنه شئ .

﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ ﴾ مبتدأ وخبر . ﴿ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ جملة مبينة لوقوع أولاء خبراً أو صلة عند من يجعله موصولاً . ﴿ فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾ محامياً يحميهم من عذاب الله .



الآيات من ١١٠ : ١١٣

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً (١١٠) وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١١١) وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً (١١٢) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً (١١٣) ﴾.



﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً ﴾قبيحاً يسوء به غيره ﴿ أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ﴾ بما يختص به ولا يتعداه ، وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك ، وبالظلم الشرك ، وقيل : الصغيرة والكبيرة ، ﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ﴾ بالتوبة ﴿ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً ﴾ لذنوبه . ﴿ رَّحِيماً ﴾ متفضلاً عليه ، وفيه حث لطعمة وقومه علي التوبة والاستغفار .

﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ فلايتعداه وباله كقوله تعالي : ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (١) ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته .

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً ﴾ صغيرة أو مالا عمد فيه . ﴿ أَوْ إِثْماً ﴾ كبيرة أو ما كان عن عمد ﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً ﴾ كما رمي طعمة زيدا ، ووحد الضمير لمكان أو ﴿ فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾بسبب رمي البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ، ولذلك سوي بينهما وإن كان مقترف أحدهما دون مقترف الآخر .

﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ ﴾ بإعلام ما هم عليه بالوحي ، والضمير لرسول الله ﷺ ﴿ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي من بني ظفر . ﴿ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال ، والجملة جواب لولا وليس القصد فيه إلي نفي همهم بل إلي نفي تأثيره فيه . ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ ﴾

---

(١) الإسراء ٧

لأنه ما أزلك عن الحق وعاد وباله عليهم . ﴿ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ﴾ فإن الله سبحانه وتعالي عصمك وماخطر ببالك كان اعتماداً منك علي ظاهر الأمر لاميلاً في الحكم ، ومن شئ في موضع النصب علي المصدر أي شئ من الضرر . ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ من خفيات الأمور ، او من أمور الدين والأحكام . ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ إذ لا فضل أعظم من النبوة .

الآيات من ١١٤ : ١١٨

﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (١١٤) وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً (١١٦) إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً (١١٨) ﴾ .

﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ ﴾ من متناجيهم كقوله تعالي ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ ﴾(١) أو من تناجيهم فقوله : ﴿ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ علي حذف مضاف أي إلا نجوي من أمر أو علي الانقطاع بمعني ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير ، والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولاينكره العقل . وفسرها هنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به . ﴿ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ أو إصلاح ذات البين . ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ بني الكلام علي الأمر ورتب الجزاء علي الفعل ليدل علي أنه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم ، وأن العمدة والغرض هو

---

(١) الاسراء ٤٧

الفعل واعتبار الأمر من حيث إنه وصلة إليه ، وقيد الفعل بأن يقول لطلب مرضاة الله سبحانه وتعالي ، لأن الأعمال بالنيات وأن كل من فعل خيراً رياء وسمعة لم يستحق به من الله أجراً . ووصف الأجر بالعظم تنبيهاً علي حقارة ما فات في جنبه من أعراض الدنيا. وقرأ حمزة وأبو عمرو يؤتيه بالياء.

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾ يخالفه ، من الشق فإن كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر ، ﴿ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ ﴾ ظهر له الحق بالوقوف علي المعجزات . ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ نجعله والياً لما تولي من الضلال ، ونخل بينه وبين ما اختاره . ﴿ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ﴾ وندخله فيها . وقرئ بفتح النون من صلاة . ﴿ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ جهنم ، والآية تدل علي حرمة مخالفة الإجماع ، لأنه سبحانه وتعالي رتب الوعيد الشديد علي المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين ، وذلك إما لحرمة كل واحد منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما ، والثاني باطل إذ يقبح أن يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد ، وكذا الثالث لأن المشاقة محرمة ضم إليها غيرها أو لم يضم ، وإذا كان اتباع غير سبيلهم محرماً كان اتباع سبيلهم واجباً . لأن ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم ، وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الأفهام إلي مبادئ الأحكام .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ كرره للتأكيد ، أو لقصة طعمة ، وقيل جاء شيخ إلي رسول الله ﷺ وقال : إني شيخ منهك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه ولياً ، ولم أوقع المعاصي جرأة ، وماتوهمت طرفة عين أني أعجز الله هرباً ، وإني لنادم تائب فما تري حالي عند الله سبحانه وتعالي . فنزلت ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة ، وإنما ذكر في الآية الأولي فقد افتري لأنها متصلة بقصة أهل الكتاب ، ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوي التبني علي الله سبحانه وتعالي .

﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا ﴾ يعني اللات والعزي ومناة ونحوها ، كان

لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه أنثي بني فلان وذلك إما لتأنيث أسمائها كما قال :

وَمَا ذَكَرٌ فَإِنْ يَسْمَنْ فَأُنْثَى شَدِيد الأزم (١) لَيْسَ لَهُ ضُرُوسٌ

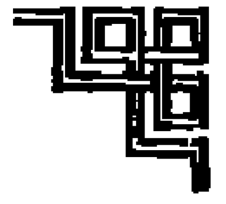
فإنه عني القراد وهو ما كان صغيراً سمي قراداً فإذا كبر سمي حلمة ، أو لأنها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث إنها ضاهت الإناث لانفعاً لها ، ولعله سبحانه وتعالي ذكرها بهذا الاسم تنبيها علي أنهم يعبدون ما يسمونه إناثاً لأنه ينفعل ولايفعل ، ومن حق المعبود أن يكون فاعلاً غير منفعل ليكون دليلا علي تناهي جهلهم وفرط حماقتهم .

وقيل : المراد الملائكة لقولهم : الملائكة بنات الله ، سبحانه وتعالي ، وهو جمع أنثي كرباب وربي وقرئ أنثى علي التوحيد وأنثا علي أنه جمع أنيث كخبث وخبيث، ووثنا بالتخفيف ووثنا بالتثقيل وهو جمع وثن كأسد وأسد وأثنا وأثنا بهما علي قلب الواو لضمها همزة .

﴿ وَإِن يَدْعُونَ ﴾ وإن يعبدون بعبادتها . ﴿ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيداً ﴾ لأنه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها ، فكأن طاعته في ذلك عبادة له ، والمارد والمريد الذي لايعلق بخير ، وأصل التركيب للملابسة . ومنه صرح ممرد وغلام أمرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها .

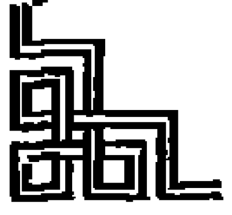
﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ ﴾ صفة ثانية للشيطان . ﴿ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ﴾ عطف عليه أي شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنة الله ، وهذا القول الدال علي فرط عداوته للناس .

(١) الأزم : شدة العض بالفم كله وقيل بالأنياب ، والأنياب هي الأوازم .



الآيات من ١١٩ : ١٢٢

﴿ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (١٢٠) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً (١٢٢) ﴾ .



وقد برهن سبحانه وتعالي أولاً علي أن الشرك ضلال في الغاية علي سبيل التعليل ، بأن ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلاً اختيارياً . وذلك ينافي الألوهية غاية المنافاة ، فإن الإله ينبغي أن يكورن فاعلاً غير منفعل ، ثم استدل عليه بأنه عبادة الشيطان وهي أفظع الضلال لثلاثة أوجه ، الأول : أنه مريد منهمك في الضلال لايعلق بشئ من الخير والهدي ، فتكون طاعته ضلالاً بعيداً عن الهدي ، والثاني : أنه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوي الضلال واللعن ، والثالث : أنه في غاية العداوة والسعي في إهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلاً عن عبادته والمفروض المقطوع أي نصيباً قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء .

﴿ وَلأُضِلَّنَّهُمْ ﴾ عن الحق . ﴿ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ الأماني الباطلة كطول الحياة وأن لابعث ولاعقاب . ﴿ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ ﴾ يشقونها لتحريم ما أحل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب ، وإشارة إلي تحريم ما أحل ونقص كل ما خلق كاملاً بالفعل أو القوة . ﴿ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ عن وجهه وصورته أو صفته ، ويندرج فهي ما قيل من فقء عين الحامي ، وخصاء العبيد ، والوشم ، والوشر واللواط والسحق ، ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر ، وتغيير فطرة الله تعالي التي هي الإسلام ، واستعمال الجوارح والقوي فيما لايعود علي النفس كمالاً ولايوجب لها من الله سبحانه وتعالي زلفي ، وعموم

اللفظ يمنع الخصاء مطلقاً لكن الفقهاء خَصُّوا (١) في خصاء البهائم للحاجة . والجمل الأربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقاً أو أتاه فعلاً . ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ بإيثاره ما يدعو إليه علي ما أمر الله به ومجاوزته عن طاعة الله سبحانه وتعالي إلي طاعته . ﴿ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ إذا ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار .

﴿ يَعِدُهُمْ ﴾ مالا ينجزه . ﴿ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ مالا ينالون . ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد إما بالخواطر الفاسدة ، أو بلسان أوليائه .

﴿ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ معدلاً ومهرباً من حاص يحيص إذا عدل وعنها حال منه ، وليس صلة له لأنه اسم مكان وإن جعل مصدراً فلا يعمل أيضاً فيما قبله .

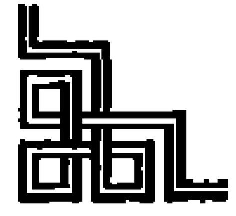
﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ﴾ أي وعده وعداً وحق ذلك حقاً ، فالأول مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة الإسمية التي قبله وعد ، والثاني مؤكد لغيره ويجوز أن ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ، ووعد الله بقوله سندخلهم لأنه بمعني.نعدهم إدخالهم وحقاً علي أنه حال من المصدر . ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ جملة مؤكدة بليغة ، والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ، والمبالغة في توكيده ترغيباً للعباد في تحصيله .

---

(١) خصوا : استثنوا

الآيات من ١٢٣ : ١٢٦

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً (١٢٥) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا (١٢٦) ﴾



﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ أي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بأمانيكم أيها المسلمون ، ولا بأماني أهل الكتاب ، وإنما ينال بالإيمان والعمل الصالح ، وقيل : ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل . روي « أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا ، فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولي بالله منكم ، وقال المسلمون : نحن أولي منكم نبينا خاتم النبيين ، وكتابنا يقضي علي الكتب المتقدمة » فنزلت .

وقيل : الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم أي : ليس الأمر بأماني المشركين ، وهو قولهم لاجنة ولانار ، وقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيراً منهم وأحسن حالاً ، ولا أماني أهل الكتاب وهو قولهم ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾[١] وقولهم ﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾[٢] ثم قرر ذلك وقال : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ عاجلاً أو آجلاً لما روي « أنها لما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه : فمن ينجو مع هذا يارسول الله فقال ﷺ : أما تحزن أما تمرض أما يصيبك الأراء ؟ قال : بلي يارسول الله قال : هو ذاك » ﴿ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ ولا يجد لنفسه إذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه .

---

(١) البقرة ١١١ (٢) البقرة ٨٠

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ ﴾ بعضها أو شيئا منها فإن كل أحد لايتمكن من كلها وليس مكلفاً بها . ﴿ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ في موضع الحال من المستكن في يعمل ، ومن للبيان أو من الصالحات أي كائنة من ذكر أو أنثي ومن للابتداء . ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور وتنبيها علي أنه لا اعتداد به دونه فيه . ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾ بنقص شئ من الثواب وإذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري أن لا يزاد عقاب العاصي ، لأن المجازي أرحم الراحمين ، ولذلك اقتصر علي ذكره عقيب الثواب ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر يدخلون الجنة هنا وفي غافر ومريم بضم الياء وفتح الخاء، والباقون بفتح الياء وضم الخاء.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ أخلص نفسه لله لايعرف لها رباً سواه ، وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه علي أن ذلك منتهي ما تبلغه القوة البشرية . ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ آت بالحسنات تارك للسيئات . ﴿ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الموافقة لدين الإسلام المتفق علي صحتها . ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلا عن سائر الأديان ، وهو حال من المتبع أو من الملة أو إبراهيم .

من أسباب تلقيب إبراهيم بالخليل

﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله ، وإنما أعاد ذكره ولم يضمر تفخيما لشأنه وتنصيصاً علي أنه الممدوح ، والخلة من الخلال فإنه ود تخلل النفس وخالطها . وقيل من الخلل فإن كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر ، أو من الخل وهو الطريق في الرمل فإنهما يترافقان في الطريقة ، أو من الخلة بمعني الخصلة فإنهما يتوافقان في الخصال ، . والجملة استئناف جئ بها للترغيب في اتباع ملته ﷺ والإيذان بأنه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر ، روي « أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام بعث إلي خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله : لو كان إبراهيم يريد لنفسه لفعلت ، ولكن يريد للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس ، فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا إبراهيم ساءه الخبر ، فغلبته عيناه فنام وقامت سارة إلي غرارة منها فأخرجت حواري (١) واختبزت ،

(١) حوارى : دقيق أبيض خالص

فاستيقظ إبراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال : من أين لكم هذا ؟ فقالت : من خليلك المصري ، فقال : بل هو من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا » .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ خلقاً وملكاً يختار منهما من يشاء وما يشاء ، وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته علي أهل السموات والأرض ، وكمال قدرته علي مجازاتهم علي الأعمال . ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً ﴾ إحاطة علم وقدرة فكان عالماً بأعمالهم فيجازيهم علي خيرها وشرها .

الآيات من ١٢٧ : ١٢٨

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً (١٢٧) وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً (١٢٨) ﴾

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ في ميراثهن إذ سبب نزوله « أن عيينة بن حصن أتي النبي ﷺ فقال : أخبرنا أنك تعطي الابنة النصف والأخت النصف ، وإنما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال ﷺ : كذلك أمرت » ﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ يبين لكم حكمه فيهن والإفتاء تبيين المبهم . ﴿ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ عطف علي اسم الله تعالي ، أو ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الإفتاء مسنداً إلي الله سبحانه وتعالي وإلي ما في القرآن من قوله تعالي ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ ﴾ (١) ونحوه ، والفعل الواحد ينسب إلي

---

(١) النساء ١١

فاعلين مختلفين باعتبارين مختلفين ، ونظيره أغناني زيد وعطاؤه ، أو استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم علي أن ما يتلي عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره ، والمراد به اللوح المحفوظ ، ويجوز أن ينصب علي معني ويبين لكم ما يملي عليكم أو يخفض علي القسم كأنه قيل : وأقسم بما يتلي عليكم في الكتاب ، ولايجوز عطفه علي المجرور في فيهن لاختلاله لفظاً ومعني ﴿ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ ﴾ صلة يتلي إن عطف الموصول علي ما قبله أي يتلي عليكم في شأنهن وإلا فبدل من فيهن ، أو صلة أخري ليفتيكم علي معني الله يفتيكم فيهن بسبب يتامي النساء كما تقول : كلمتك اليوم في زيد ، وهذه الإضافة بمعني من لأنها إضافة الشئ إلي جنسه ، وقرئ بيامي بياءين علي أنه أيامي فقلبت همزته ياء ﴿ اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾ أي فرض لهن من الميراث . ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ في أن تنكحوهن أو عن أن تنكحوهن ، فإن أولياء اليتامي كانوا يرغبون فيهن إن كن جميلات ويأكلون ما لهن ، وإلا كانوا يعضلوهن طمعاً في ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف ، وليس فيه دليل علي جواز تزويج اليتيمة إذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها ، ﴿ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ ﴾ عطف علي يتامي النساء والعرب ماكانوا يورثونهم كما لايورثون النساء ﴿ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ﴾ أيضا عطف عليه أي ويفتيكم أو ما يتلي في أن تقوموا ، هذا إذا جعلت في يتامي صلة لأحدهما فإن جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفاً فيهن ، ويجوز أن ينصب وأن تقوموا بإضمار فعل أي : ويأمركم أن تقوموا ، وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم ، أو للقوام بالنصفة في شأنهم ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ وعد لمن آثر الخير في ذلك .

في أمر الخلع

﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا ﴾ توقعت منه لما ظهر لها من المخايل ، وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر . ﴿ نُشُوزًا ﴾ تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها كراهة لها ومنعاً لحقوقها . ﴿ أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ بأن يقل مجالستها ومحادثتها . ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ أن يتصالحا بأن تحط له ، بعض المهر ، أو

القسم ، أو تهب له شيئا تستميله به . وقرأ الكوفيون أن يصلحا من أصلح بين المتنازعين ، وعلى هذا جاز أن ينتصب صالحاً علي المفعول به ، وبينهما ظرف أو حال منه أو علي المصدر كما في القراءة الأولي والمفعول بينهما أو هو محذوف ، وقرئ يصلحا من أصلح بمعني اصطلح ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ من الفرقة أو سوء العشرة أو من الخصومة ، ولايجوز أن يراد به التفضيل بل بيان أنه من الخيور كما أن الخصومة من الشرور ، وهو اعتراض وكذا قوله ﴿ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾ ولذلك اغتفر عدم مجانستهما ، والأول للترغيب في المصالحة ، والثاني لتمهيد العذر في المماسكة ، ومعني إحضار الأنفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه، فلا تكاد المرأة تسمح بالإعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بأن يمسكها ويقوم بحقها علي ما ينبغي إذا كرهها أو أحب غيرها ﴿ وَإِن تُحْسِنُوا ﴾ في العشرة ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ النشوز والإعراض ونقص الحق . ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ من الإحسان والخصومة . ﴿ خَبِيراً ﴾ عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه ، أقام كونه عالماً بأعمالهم مقام إثابته إياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط إقامة للسبب مقام المسبب .

الآيات من ١٢٩ : ١٣٣

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً (١٢٩) وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً (١٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً (١٣١) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٣٢) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً (١٣٣) ﴾

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾ لأن العدل أن لايقع ميل البتة وهو متعذر فلذلك كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : هذا قسمي

فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك . ﴿ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ أي على تحري ذلك وبالغتم فيه . ﴿ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ ﴾ بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها ، فإن ما لايدرك كله لايترك جله . ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ التي ليست ذات بعل ولامطلقة ، وعن النبي ﷺ «من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل» ﴿ وَإِن تُصْلِحُوا ﴾ ما كنتم تفسدون من أمورهن ﴿ وَتَتَّقُوا ﴾ فيم يستقبل من الزمان ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ يغفر لكم ما مضي من ميلكم .

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا ﴾ وقرئ وإن يتفارقا أي وإن يفارق كل منهما صاحبه ، ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلاً ﴾ منهما عن الآخر ببدل أو سلوة ، ﴿ مِّن سَعَتِهِ ﴾ غناه وقدرته ﴿ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾ مقتدراً متقنا في أفعاله وأحكامه .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ تنبيه على كمال سعته وقدرته . ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يعني اليهود والنصارى ، ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا أو بأتوا ومساق الآية لتأكيد الأمر بالإخلاص . ﴿ وَإِيَّاكُمْ ﴾ عطف على الذين ﴿ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بأن اتقوا الله، ويجوز أن تكون أن مفسرة لأن التوصية في معني القول . ﴿ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ علي إرادة القول أي : وقلنا لهم ولكم أن تكفروا فإن الله مالك الملك كله لايتضرر بكفركم ومعاصيكم ، كما لاينتفع بشكركم وتقواكم ، وإنما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً ﴾ عن الخلق وعبادتهم . ﴿ حَمِيداً﴾ في ذاته حمد وإن لم يحمد .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ ذكره ثالثاً للدلالة علي كونه غنياً حميداً ، فإن جميع المخلوقات تدل بحاجتها علي غناه وبما أفاض عليها من الوجود وأنواع الخصائص والكمالات علي كونه حميداً . ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلا ﴾ راجع إلي قوله يغن الله كلا من سعته فإنه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك .

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ يفنكم ، ومفعول يشأ محذوف دل عليه

الجواب، ﴿ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ﴾ ويوجد قوماً آخرين أو خلقاً آخرين مكان الإنس. ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ﴾ من الإعدام والإيجاد . ﴿ قَدِيراً ﴾ بليغ القدرة لا يعجزه مراد ، وهذا أيضا تقرير لغناه وقدرته ، وتهديد لمن كفر به وخالف أمره ، وقيل : هو خطاب لمن عادي رسول الله ﷺ من العرب ومعناه معني قوله تعالي ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ﴾ (١) لما روي : أنه لما نزلت ضرب رسول الله ﷺ يده علي ظهر سلمان وقال : إنهم قوم هذا .

الآيات من ١٣٤ : ١٣٦

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً (١٣٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً (١٣٦) ﴾ .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ كالمجاهد يجاهد للغنيمة . ﴿ فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ فما له يطلب أخسهما فليطلبهما كمن يقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، أو ليطلب الأشرف منهما ، فإن من جاهد خالصاً لله سبحانه وتعالي لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ، ما هي في جنبه كلا شئ ، أو فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلاً مايريده كقوله تعالي ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ (٢) الآية ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيراً ﴾ عالماً بالأغراض فيجازي كلا بحسب قصده .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ مواظبين علي العدل

---

(١) التوبة ٣٩ (٢) الشورى ٢٠

مجتهدين في إقامته . ﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله سبحانه وتعالي ، وهو خبر ثان أو حال . ﴿ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾ ولو كانت الشهادة علي أنفسكم بأن تقروا عليها ، لأن الشهادة بيان للحق سواء كان عليه أو علي غيره . ﴿ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ ولو علي والديكم وأقاربكم . ﴿ إِن يَكُنْ ﴾ أي المشهود عليه أو كل واحد منه ومن المشهود له . ﴿ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً ﴾ فلا تمتنعوا عن إقامة الشهادة ، أو لاتجوروا فيها ميلاً أو ترحماً ﴿ فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحاً لما شرعها ، وهو علة الجواب أقيمت مقامه والضمير في بهما راجع لما دل عليه المذكور ، وهو جنسا الغني والفقيرلا إليه وإلا لوحد ، ويشهد عليه أنه قرئ فالله أولي بهم . ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾ لأن تعدلوا عن الحق أو كراهة أن تعدلوا من العدل . ﴿ وَإِن تَلْوُوا ﴾ ألسنتكم عن شهادة الحق ، أو حكومة العدل ، قرأه نافع وابن كثير وأبو بكر وأبو عمر وعاصم والكسائي بإسكان اللام وبعدها واوان الأولي مضمومة ، والثانية ساكنة ، وقرأ حمزة وابن عامر وإن تلوا بمعني وإن وليتم إقامة الشهادة فأديتموها . ﴿ أَوْ تُعْرِضُوا ﴾ عن أدائها . ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ فيجازيكم عليه .

من أسباب النزول

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ خطاب لمسلمين ، أو للمنافقين ، أو لمؤمني أهل الكتاب إذ روي : أن ابن سلام وأصحابه قالوا يا رسول الله : إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسي والتوراة وعزير ونكفر بما سواه . فنزلت ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ اثبتوا علي الإيمان بذلك وداوموا عليه ، أو آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم ، أو آمنوا إيماناً عاماً يعم الكتب والرسل ، فإن الإيمان بالبعض كلا إيمان والكتاب الأول القرآن والثاني الجنس ، وقرأ نافع والكوفيون : الذي نزل والذي أنزل بفتح النون والهمزة والزاي ، والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي . ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أي ومن يكفر بشئ من ذلك ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾ عن المقصد بحيث لايكاد يعود إلي طريقه .

من ١٣٧ : ١٤٠

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧) بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يعني اليهود آمنوا بموسي ﷺ ﴿ ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ حين عبدوا العجل . ﴿ ثُمَّ آمَنُوا ﴾ بعد عوده إليهم ﴿ ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ بعيسي ﷺ . ﴿ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا ﴾ بمحمد ﷺ ، أو قوماً تكرر منهم الارتداد ثم اصروا علي الكفر وازدادوا تمادياً في الغي . ﴿ لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ إذ يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا علي الإيمان ، فإن قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا أنهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم ، وخبر كان في أمثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل : لم يكن الله مريداً ليغفر لهم .

﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ يدل علي أن الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخري ثم ازدادوا بالإصرار علي النفاق وإفساد الأمر علي المؤمنين ، ووضع بشر مكان أنذر تهكم بهم .

﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ في محل النصب، أو الرفع علي الذم بمعني أريد الذين أو هم الذين . ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ ﴾ أيتعززون بموالاتهم . ﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ لايتعزز إلا من أعزه الله ، وقد كتب العزة لأوليائه فقال ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ولا يؤبه بعزة غيرهم بالإضافة إليهم .

(١) المنافقون ٨

النهي عن مجالسة المستهزئين بالدين :

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ يعني القرآن وقرأ عاصم نزل وقرأ الباقون نزل علي البناء للمفعول والقائم مقام فاعله . ﴿ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّه ﴾ وهي المخففة والمعني أنه إذا سمعتم . ﴿ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ﴾ حالان من الآيات جئ بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله ﴿ فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من يجالسه هازئاً معانداً غير مرجو ، ويؤيده الغاية ، وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ (١) الآية ، والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها . ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ في الإثم لأنكم قادرون علي الإعراض عنهم والإنكار عليهم ، أو الكفر إن رضيتم بذلك ، أو لأن الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار كانوا منافقين ، ويدل عليه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ يعني القاعدين والمقعود معهم ، وإذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ، ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وإفراد مثلهم ، لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة إلي الجمع، وقرئ بالفتح علي البناء لإضافته إلي مبني كقوله تعالي ﴿ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾(٢)

الآية رقم ١٤١

﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (١٤١) ﴾

﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ﴾ ينتظرون وقوع أمر بكم ، وهو بدل من الذين

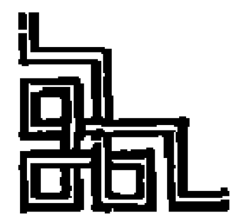
---

(١) الانعام ٦٨ (٢) الذاريات ٢٣

يتخذون ، أو صفة للمنافقين والكافرين أو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ خبره . ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ مظاهرين لكم فاسهموا لنا مما غنمتم ﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ ﴾ من الحرب فإنها سجال . ﴿ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ﴾ أي قالوا للكفرة : ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم ، والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس أن يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت علي الأصل . ﴿ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بأن خذلناهم بتخيل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فأشركونا فيما أصبتم ، وإنما سمي ظفر المسلمين فتحاً وظفر الكافرين نصيباً لخسة حظهم ، فإنه مقصور علي أمر دنيوي سريع الزوال . ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ حينئذ أو في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة ، واحتج به أصحابنا علي فساد شراء الكافر المسلم ، والحنفية علي حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لأنه لاينفي أن يكون إذا عاد إلي الإيمان قبل مضي العدة .

الآيات من ١٤٢ : ١٤٥

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢) مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (١٤٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٤٤) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (١٤٥) ﴾



من أوصاف المنافقين :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ سبق الكلام فيه أول سورة البقرة . ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ ﴾ متثاقلين كالمكره علي الفعل ، وقرئ كسالي بالفتح وهما جمعا كسلان . ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ ﴾ ليخالوهم مؤمنين ، المراءاة مفاعلة بمعني التفعيل كنعم وناعم أو للمقابلة فإن المرائي يري من

يرائيه عمله وهو يريه استحسانه .

﴿ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلا ﴾ إذ المرائي لايفعل إلا بحضرة من يرائيه ، وهو أقل أحواله أو لأن ذكرهم باللسان قلبل بالإضافة إلي الذكر بالقلب ، وقيل : المراد بالذكر الصلاة . وقيل الذكر فيها فإنهم لايذكرون فيها غير التكبير والتسليم

﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ حال من واو يراؤون كقوله : ولا يذكرون أي يراؤونهم أي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين أو واو يذكرون أو منصوب علي الذم، والمعني : مرددين بين الإيمان والكفر من الذبذبة وهي جعل الشئ مضطرباً وأصله الذي بمعني الطرد ، وقرئ بكسر الذال بمعني يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو يتذبذبون كقولهم : صلصل بمعني تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعني أخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة ، ﴿ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ ﴾ لا منسوبين إلي المؤمنين ولا إلي الكافرين ، أو لا صائرين إلي أحد الفريقين بالكلية . ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ إلي الحق والصواب ، ونظيره قوله تعالي ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (١) .

النهي عن موالاة الكفار

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنه صنيع المنافقين ودينهم فلاتتشبهوا بهم . ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً ﴾ حجة بينة فإن موالاتهم دليل علي النفاق أو سلطانا يسلط عليكم عقابه .

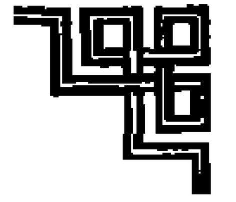
﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ وهو الطبقة التي في قعر جهنم ، وإنما كان كذلك لأنهم أخبث الكفرة إذ ضموا إلي الكفر استهزاء بالإسلام وخداعاً للمسلمين ، وأما قوله ﷺ **« ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلي وزعم أنه مسلم : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان »** (٢) ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ ، وإنما سميت طبقاتها

---

(١) النور ٤٠

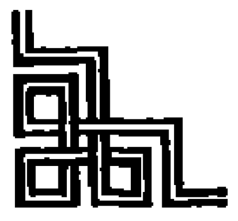
(٢) رواه السيوطى فى الجامع الصغير حـ ١ صـ ١٤١ من حديث أنس

السبع دركات لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض ، وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهي لغة كالسطر والسطر والتحريك أوجه لأنه يجمع علي إدراك . ﴿ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾ يخرجهم منه .



الآيات ١٤٦ : ١٥١

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً (١٤٦) مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً (١٤٧) لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً (١٤٨) إِن تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيراً (١٤٩) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً (١٥١) ﴾ .



﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا ﴾ عن النفاق . ﴿ وَأَصْلَحُوا ﴾ ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق . ﴿ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ ﴾ وثقوا به أو تمسكوا بدينه . ﴿ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ لايريدون بطاعتهم إلا وجهه سبحانه وتعالي . ﴿ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ومن عدادهم في الدارين . ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ فيساهمونهم فيه .

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ﴾ أيتشفي به غيظاً أو يدفع به ضرراً أو يستجلب به نفعاً وهو الغني المتعالي عن النفع والضر ، وإنما يعاقب المصر بكفره لأن إصراره عليه كسوء مزاج يؤدي إلي مرض فإذا أزاله بالإيمان والشكر ونفي نفسه عنه ــ تخلص من تبعته ، وإنما قدم الشكر لأن الناظر يدرك النعمة أولاً فيشكر شكراً مبهماً ، ثم يمعن النظر حتي يعرف المنعم فيؤمن به ، ﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً ﴾ مثيباً يقبل اليسير ويعطي الجزيل. ﴿عَلِيماً﴾ بحق شكركم وإيمانكم .

متي تصح المجاهرة بالسوء:

﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾ إلا جهر من ظلم بالدعاء علي الظالم والتظلم منه . وروي أن رجلاً ضاف قوماً فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه ، فنزلت وقرئ من ظلم علي البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعاً أي ولكن الظالم يفعل مالايحبه الله . ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا ﴾ لكلام المظلوم . ﴿ عَلِيمًا ﴾ بالظالم (١)

﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا ﴾ طاعة وبرا . ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ أو تفعلوه سراً . ﴿ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ ﴾ لكم المؤاخذة عليه ، وهو المقصود وذكر إبداء الخير وإخفائه تشبيب له ، ولذلك رتب عليه قوله ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ أي يكثر

---

(١) جاء فى تعليق المنتخب من التفسير على هذه الآية :

تمنع القوانين الوضعية أى إنسان أن يجاهر بفاحش القول أو سيئه ، يوجهه إلى آخر والعلة فى ذلك لدى تلك القوانين هى حماية أسماع الناس من أن تتأذى من مثل هذا الجهر ، وحماية أخلاقهم من أن تندس إليها تلك القبائح لأن فى ذلك أذى لمن وجه إليه هذا السوء ، ويقول القرآن الكريم فى ذلك « لايحب الله الجهر بالسوء » ولو انتهت الآية عند لفظ السوء بأن كانت لايحب الله الجهر بالسوء لشملت أيضا جريمة الفعل الفاضح العلنى ، ومثلها أن يكشف الإنسان عن عورته فى مكان عام ، أو أن يكشف ثياب امرأة لتظهر عورتها ، لكن تحديد السوء هنا بأنه من القول امتنع معه السوء من الفعل ، وهذا الفعل الفاضح العلنى وهذه الجريمة منصوص عليها فى آية أخرى هى الآية التاسعة عشرة من سورة النور « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة » سيجيء الكلام عن هذه الآية فى مناسبة أخرى .

ومما اصطلحت عليه أحدث القوانين الوضعية فى جرائم كثيرة منها السب والقذف اعتبار القاذف معذورا إذا مابتدره غيره بالسب والقذف فاهتاج فرد سبابب وقذفا بقذف، وقد نصت الآية فى بقية لها على عذر من الأعذار القانونية . أما الآية كاملة فهى « لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » وهذا الاستثناء ظلم أن يجهر بالسوء مادام غير باغ ولا عادٍ

– راجع التعليق كاملا فى المنتخب من التفسير صـ١٢٨–

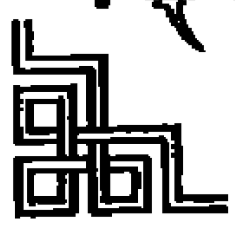
العفو عن العصاة مع كمال قدرته علي الانتقام فأنتم أولي بذلك ، وهو حث للمظلوم علي العفو بعدما رخص له في الانتظار حملاً علي مكارم الأخلاق .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله . ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾ نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم . ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾ طريقاً وسطاً بين الإيمان والكفر ، ولا واسطة : إذ الحق لايختلف فإن الإيمان بالله سبحانه وتعالي لايتم إلا بالإيماان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلاً أو إجمالاً ، فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال الله تعالي ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ ﴾(١) .

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ هم الكاملون في الكفر لاعبرة بإيمانهم هذا .﴿ حَقًّا ﴾ مصدر مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين بمعني : هم الذين كفروا كفراً حقاً أي يقيناً محققاً . ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ .

الآيات من ١٥٢ : ١٥٥

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٥٢) يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٥٣) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤) فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٥٥) ﴾ .



﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ أضدادهم

(١) يونس ٣٢

ومقابلوهم ، وإنما دخل بين علي أحد وهو يقتضي متعدداً لعمومه من حيث إنه وقع في سياق النفي . ﴿ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة علي أنه كائن لامحالة وإن تأخر . وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء علي تلوين الخطاب . ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ عليهم بتضعيف حسناتهم .

تعنت اليهود في أسئلتهم

﴿ يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ نزلت في أحبار اليهود قالوا : إن كنت صادقاً فائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتي به موسى عليه السلام ، وقيل : كتاباً محرراً بخط سماوي علي ألواح كما كانت التوراة ، أو كتاباً نعاينه حين ينزل ، أو كتاباً إلينا بأعياننا بأنك رسول الله . ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ ﴾ جواب شرط مقدر أي : إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسي عليه السلام أكبر منه ، وهذا السؤال وإن كان من آبائهم أسند إليهم لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم ، والمعني إن عرقهم راسخ في ذلك وأن ما اقترحوه عليك ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم . ﴿ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ عياناً أرناه نره جهرة . أو مجاهرين معاينين له . ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ نار جاءت من قبل السماء فأهلكتهم . ﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾ بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم ، ما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لايقتضي امتناع الرؤية مطلقاً . ﴿ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ هذه الجناية الثانية التي اقترفها أيضاً أوائلهم ، والبينات المعجزات ، ولايجوز حملها علي التوراة إذ لم تأتهم بعد . ﴿ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾تسلطاً ظاهراً عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم .

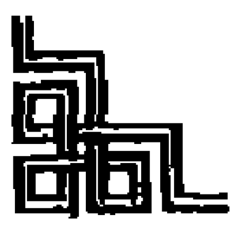
﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ ﴾ بسبب ميثاقهم ليقبلوه . ﴿ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ علي لسان موسي والطور مظل عليهم . ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ﴾ علي لسان داود عليه السلام ، ويحتمل أن يراد علي لسان موسي حين ظلل الجبل عليهم ، فإنه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ

به في زمن داود عليه الصلاة والسلام ، وقرأ ورش عن نافع لاتعدوا علي أن أصله لاتتعدوا فأدغمت التاء في الدال ، وقرأ قالون بإخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالإسكان . ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ علي ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ ﴾ أي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم، ومامزيده للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ، ويجوز أن تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض، وماعطف عليه إلي قوله فبظلم لابمادل عليه قوله ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا ﴾ مثل لايؤمنون لأنه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف علي المجرور فلا يعمل في جاره ، ﴿ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ بالقرآن أو بما جاء في كتابهم ، ﴿ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ اوعية للعلوم ، أو في أكنة مما تدعونا إليه . ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ فجعلها محجوبة عن العلم ، أو خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر في المواعظ ، ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منهم كعبد الله بن سلام ، أو إيماناً قليلاً إذ لاعبرة به لنقصانه .

الآيات من ١٥٦ : ١٥٨

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾ .



افتراؤهم علي عيسي وأمه

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ ﴾ بعيسي عليه السلام ، وهو معطوف علي بكفرهم لأنه من أسباب الطبع ، أو علي قوله ﴿ فبما نقضهم ﴾ ويجوز أن يعطف مجموع هذا وما عطف عليه مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر إيذاناً بتكرر كفرهم ، فإنهم كفروا بموسي ثم بعيسي ثم بمحمد ﷺ ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا

عَظِيماً ﴾ يعني نسبتها إلي الزنا . ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ أي بزعمه ويحتمل أنهم قالوه استهزاء ، ونظيره أن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وأن يكون استئنافاً من الله سبحانه وتعالي بمدحه ، أو وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح . ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ .

ماجاء من الأخبار في قصة الصلب

روي « أن رهطاً من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالي قردة وخنازير ، فاجتمعت اليهود علي قتله فأخبره الله تعالي بأنه يرفعه إلي السماء ، فقال لأصحابه : أيكم يرضي أن يلقي عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة ، فقام رجل منهم فألقي الله عليه شبهه فقتل وصلب . وقيل : « كان رجلاً ينافقه فخرج ليدل عليه ، فألقي الله عليه شبهه فأخذ وصلب وقتل » وقيل « دخل طيطانوس اليهودي بيتاً كان هو فيه فلم يجده ، وألقي الله عليه شبهه فلما خرج ظن أنه عيسي فأخذ وصلب » .

وأمثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة ، وإنما ذمهم الله سبحانه وتعالي بما دل عليه الكلام من جراءتهم علي الله سبحانه وتعالي ، وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات الباهرة ، وتبجحهم به لا بقولهم هذا علي حسب حسبانهم، وشبه مسند إلي الجار والمجرور كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسي والمقتول أو في الأمر علي قول من قال : لم يقتل أحد ولكن أرجف بقتله فشاع بين الناس ، أو إلي ضمير المقتول لدلالة إنا قتلنا علي أن ثم قتيلاً . ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ في شأن عيسي عليه السلام، فإنه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود : إنه كان كاذباً فقتلناه حقاً ، وتردد آخرون فقال بعضهم: إن كان هذا عيسي فأين صاحبنا ، وقال بعضهم : الوجه وجه عيسي والبدن بدن صاحبنا ، وقال من سمع منه أن الله سبحانه وتعالي يرفعني إلي السماء : أنه رفع إلي السماء . وقال قوم : صلب الناسوت (١) وصعد اللاهوت . ﴿ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ لفي تردد ، والشك كما يطلق علي مالا يترجح أحد طرفيه يطلق علي مطلق التردد ، وعلي ما يقابل العلم ولذلك أكده

(١) الناسوت : الجسم واللاهوت الروح

بقوله : ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ استثناء منقطع أي لكنهم يتبعون الظن ، ويجوز أن يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن إليه النفس جزماً كان أو غيره فيتصل الاستثناء . ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ قتلاً يقيناً كما زعموا بقولهم إنا قتلنا المسيح ، أو متيقنين . وقيل معناه ماعلموه يقيناً كقول الشاعر :

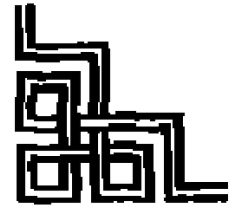
كَذَاكَ تُخْبِرُ عَنْهَا العَالِمَاتُ بِهَا وَقَدْ قَتَلْتُ بِعِلْمِي ذلِكُمْ يَقِيناً

من قولهم قتلت الشئ علماً ونحرته علماً إذا أردت أن تبالغ في علمك .

﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ وإنكار لقتله وإثبات لرفعه . ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ﴾ لايغلب علي ما يريده . ﴿ حَكِيمًا ﴾ فيما دبره لعيسي عليه السلام .

الآيات من ١٥٩ : ١٦٢

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩) فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢) ﴾ .



إيمان لاينفع

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ أي وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ، فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لأحد ويعود إليه الضمير الثاني ، والأول لعيسي عليه السلام، والمعني ما من اليهود والنصاري أحد إلا ليؤمنن بأن عيسي عبد الله ورسوله قبل أن يموت ولو حين أن تزهق روحه ولاينفعه إيمانه ، ويؤيد ذلك أنه قرئ إلا ليؤمنُن به قبل موتهم بضم النون لأن أحداً في معني الجمع ، وهذا كالوعيد لهم والتحريض علي معالجة الإيمان به قبل أن يضطروا إليه ولم ينفعهم إيمانهم .

ما قيل في نزول عيسي

وقيل الضمير ان لعيسي عليه السلام والمعني : أنه إذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعاً . روي : أنه عليه الصلاة والسلام ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقي أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به ، حتي تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام، وتقع الأمنة حتي ترتع الأسود مع الإبل ، والنمور مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، وتلعب الصبيان بالحيات ، ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفي ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ، ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ فيشهد علي اليهود بالتكذيب وعلي النصاري بأنهم دعوه ابن الله .

تحريم الطيبات بسبب الظلم علي اليهود

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾ أي فبأي ظلم منهم . ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ يعني ما ذكره في قوله وعلي الذين هادوا حرمنا . ﴿ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً ﴾ ناساً كثيراً أو صدا كثيراً .

﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ﴾ كان الربا محرماً عليهم كما هو محرم علينا ، وفيه دليل علي دلالة النهي علي التحريم . ﴿ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة . ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ دون من تاب وآمن .

﴿ لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه . ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي منهم أو من المهاجرين والأنصار . ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ خبر المبتدأ ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ ﴾ نصب علي المدح إن جعل يؤمنون الخبر لأولئك ، أو عطف علي ما أنزل إليك والمراد بهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي : يؤمنون بالكتب والأنبياء وقرئ بالرفع عطفاً علي الراسخون أو علي الضمير في يؤمنون أوعلي أنه مبتدأ والخبر أولئك سنؤتيهم ﴿ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ رفعه لأحد الأوجه المذكورة . ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ قدم عليه الإيمان بالأنبياء والكتب ومايصدقه من اتباع الشرائع

لأنه المقصود بالآية . ﴿أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على جمعهم بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء.

الآيات من ١٦٣ : ١٦٨

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨)﴾ .

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ جواب لأهل الكتاب عن اقتراحهم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ، و احتجاج عليهم بأن أمره في الوحي كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيماً لهم ، فإن إبراهيم أول أولي العزم منهم وعيسى آخرهم ، والباقين أشرف الأنبياء ومشاهيرهم ، ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ وقرأ حمزة زبوراً بالضم وهو جمع زبر . بمعنى مزبور .

﴿وَرُسُلًا﴾ نصب بمضمر دل عليه أوحينا إليك كأرسلنا أو فسره : ﴿قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل هذه السورة أو اليوم . ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم ، وقد فضل الله محمداً بأن أعطاه ما أعطى كل واحد منهم .

حجة الرسل علي الناس

﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ نصب علي المدح أو بإضمار أرسلنا ، أو علي الحال ويكون رسلاً موطئاً لما بعده كقولك مررت بزيد رجلاً صالحاً ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ فيقولون لولا أرسلت إلينا رسولاً فينبهنا ويعلمنا مالم نكن نعلم ، وفيه تنبيه علي أن بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلي الناس ضرورة لقصور الكل عن إدراك جزئيات المصالح والأكثر عن إدراك كلياتها ، واللام متعلقة بأرسلنا أو بقوله مبشرين ومنذرين ، وحجة اسم كان وخبره للناس أو علي الله والآخر حال، ولايجوز تعلقه بحجة لأنه مصدر وبعد ظرف لها أو صفة ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً ﴾ لايغلب فيما يريد . ﴿ حَكِيماً ﴾ فيما دبر من أمر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والإعجاز.

﴿ لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ ﴾ استدراك عن مفهوم ما قبله فكأنه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله إنا أوحينا إليك قال : إنهم لايشهدون ولكن الله يشهد ، أو أنهم أنكروه ولكن الله يثبته ويقرره ﴿ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾ من القرآن المعجز الدال علي نبوتك . روي أنه لما نزل إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك فنزلت .﴿ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ أنزله متلبساً بعلمه الخاص به ، وهو العلم بتأليفه علي نظم يعجز عنه كل بليغ ، أو بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه ، أو بعلمه الذي يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم ، فالجار والمجرور علي الأولين حال من الفاعل وعلي الثالث حال من المفعول ، والجملة كالتفسير لما قبلها . ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ أيضاً بنبوتك . وفيه تنبيه علي أنهم يودون أن يعلموا صحة دعوي النبوة علي وجه يستغني عن النظر والتأمل ، وهذا النوع من خواص الملك ولاسبيل للإنسان إلي العلم بأمثال ذلك سوي الفكر والنظر ، فلو أتي هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا . ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ أي وكفي بما أقام من الحجج علي صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيداً ﴾ لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال ولأن المضل يكون أغرق في الضلال وأبعد من الانقلاع عنه .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا ﴾ محمداً عليه الصلاة والسلام بإنكار نبوته ، أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم أو بأعم من ذلك ، والآية تدل علي أن الكفار مخاطبون بالفروع إذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم ﴿ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ .

الآيات من ١٦٩ : ١٧٣

﴿ إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٧٣) ﴾ .

﴿ إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ لجري حكمه السابق ووعده المحتوم علي أن من مات علي كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة ﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ لايصعب عليه ولا يستعظمه .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ لما قرر أمر النبوة وبين الطريق الموصل إلي العلم بها ووعيد من أنكرها ، خاطب الناس عامة بالدعوة وإلزام الحجة والوعد بالإجابة والوعيد علي الرد . ﴿ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ أي إيماناً خيراً لكم أو ائتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم عليه ، وقيل تقديره يكن الإيمان خيراً

لكم ومنعه البصريون لأن كان لا يحذف مع اسمه إلا فيما لابد منه ولأنه يؤدي إلي شرط وجوابه .

﴿ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ يعني وإن تكفروا فهو غني عنكم لايتضرر بكفركم كما لاينتفع بإيمانكم ، ونبه علي غناه بقوله ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ وهو يعم ما اشتملتا عليه وماركبتا منه ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً ﴾ بأحوالهم ﴿ حَكِيماً ﴾ فيما دبر لهم .

النهي عن الغلو في الدين

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ الخطاب للفريقين ، غلت اليهود في حط عيسي عليه الصلاة والسلام حتي رموه بأنه ولد من غير رشدة ، والنصاري في رفعه حتي اتخذوه إلهاً ، وقيل الخطاب للنصاري خاصة فإنه أوفق لقوله ﴿ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾ يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد ، ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ أوصلها إليها وحصلها فيها . ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجري الأصل والمادة له . وقيل سمي روحاً لأنه كان يحيي الأموات أو القلوب . ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ ﴾ أي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ، ويشهد عليه قوله تعالي ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ (١) أو الله ثلاثة إن صح أنهم يقولون الله ثلاثة أقانيم الأب والابن وروح القدس ، ويريدون بالأب الذات ، وبالابن العلم وبروح القدس الحياة . ﴿ انتَهُوا ﴾ عن التثليث . ﴿ خَيْراً لَّكُمْ ﴾ نصبه كما سبق ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ أي واحد بالذات لاتعدد فيه بوجه ما . ﴿ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ أي أسبحه تسبيحاً من أن يكون له ولد فإنه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق إليه فناء . ﴿ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ ملكاً وخلقاً لايماثله شئ من ذلك فيتخذه ولداً . ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ تنبيه علي غناه عن الولد فإن الحاجة إليه ليكون وكيلاً لأبيه والله سبحانه وتعالي قائم بحفظ الأشياء كاف في ذلك مستغن عمن

(١) المائدة ١١٦

يخلقه أو يعينه .

المسيح عبد الله والملائكة عباد الله

﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ ﴾ لن يأنف ، من نكفت الدمع إذا نحيته بأصبعك كيلا يري أثره عليك . ﴿ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾ من أن يكون عبداً له فإن عبوديته شرف يتباهي به ، وإنما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره . روي « أن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ : لم تعيب صاحبنا ؟ قال رسول الله ﷺ « **ومن صاحبكم ؟ قالوا : عيسي عليه الصلاة والسلام ، قال عليه السلام : وأي شئ أقول . قالوا : تقول إنه عبد الله ورسوله ، قال إنه ليس بعار أن يكون عبد الله ، قالوا : بلي** » فنزلت ﴿ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ عطف علي المسيح أي ولايستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيدا لله ، واحتج به من زعم فضل الملائكة علي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقال مساقه لرد قول النصاري في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف أعلي درجة من المعطوف عليه حتي يكون عدم استنكافهم كدليل علي عدم استنكافه ، وجوابه أن الآية للرد علي عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وإن سلم اختصاصها بالنصاري فلعله أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك : أصبح الأمير لايخالفه رئيس ولا مرءوس ، وإن أراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون (١) الذين هم حول العرش ، أو من أعلي منهم رتبة من الملائكة علي المسيح من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لايستلزم فضل أحد الجنسين علي الآخر مطلقاً والنزاع فيه ﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ ﴾ ومن يرتفع عنها ، والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وإنما يستعمل من حيث الاستحقاق بخلاف التكبر فإنه قد يكون بالاستحقاق . ﴿ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ فيجازيهم .

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوي

(١) الكروبيون : هم الملائكة الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومن في طبقتهم — تفسير الكشاف .

الكلام ، وكأنه قال فسيحشرهم إليه جميعاً يوم يحشر العباد للمجازاة ، أو لمجازاتهم فإن إثابة مقابلهم والإحسان إليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة .

الآيات من ١٧٤ : ١٧٦

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً (١٧٥) يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦) ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ﴾ عني بالبرهان المعجزات بالنور القرآن ، أي قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة ، وقيل : البرهان الدين أو رسول الله ﷺ أو القرآن .

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾ في ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه لاقضاء لحق واجب . ﴿ وَفَضْلٍ ﴾ إحسان زائد عليه . ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ ﴾ إلي الله سبحانه وتعالي . وقيل إلي الموعود ﴿ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً ﴾ هو الإسلام والطاعة في الدنيا ، وطريق الجنة في الآخرة .

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ أي في الكلالة حذفت لدلالة الجواب عليه . روي « أن جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله ﷺ فقال : إني كلالة فكيف أصنع في مالي » فنزلت وهي آخر ما نزل من الأحكام .

﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ سبق تفسيرها في أول السورة . ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾ ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر ، وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن في هلك ، والواو في وله يحتمل الحال والعطف ، والمراد بالأخت الأخت من الأبوين أو الأب لأنه جعل

أخوها عصبة وابن الأم لايكون عصبة ، والولد علي ظاهره فإن الأخت وإن ورثت مع البنت عند عامة العلماء ـ غير ابن عباس رضي الله تعالي عنهما ـ لكنها لاترث النصف . ﴿ وَهُوَ يَرِثُهَا ﴾ أي والمرء يرث إن كان الأمر بالعكس . ﴿ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ﴾ ذكراً كان أو أنثي إن أريد بيرثها يرث جميع مالها ، وإلا فالمراد به الذكر إذ البنت لاتحجب الأخ ، والآية كما لم تدل علي سقوط الإخوة بغير الولد لم تدل علي عدم سقوطهم به وقد دلت السنة علي أنهم لا يرثون مع الأب وكذا مفهوم قوله ﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ ﴾ إن فسرت بالميت . ﴿ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ﴾ الضمير لمن يرث بالأخوة وتثنيته محمولة علي المعني ، وفائدة الإخبار عنه باثنتين التنبيه علي أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما . ﴿ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ أصله وإن كانوا إخوة وأخوات فغلب المذكر ، ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ﴾ أي يبين الله لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه ، أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا (١) وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات .

من فضائل سورة النساء

عن النبي ﷺ : « **من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق علي كل مؤمن ومؤمنة، وورث ميراثا وأعطي من الأجر كمن اشتري محرراً ، وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالي من الذين يتجاوز عنهم** » (٢) .

---

(١) وبينت السنة أن الأكثر من الأختين كذلك مع آية المواريث التي ذكرت أن الأكثر من بنتين يأخذن الثلثين ، فبالأولى الأكثر من الأختين ، لأن البنات أقرب إلى المتوفى ، ويلاحظ أن القوانين الأوربية المشتقة من القانون الروماني لا تورث الإخوة ولا الأخوات ولا أولادهم ، وفوق ذلك تعطى المالك الحق فى حرمان كل ورثته . وقد منع ذلك الإسلام فلم يعط المورث حقا إلا فى الثلث ولايزيد عليه . . المنتخب من التفسير

(٢) ذكره الزمخشرى فى تفسيره ، ولم يسنده . وسكت ابن حجر عن التعليق عليه فى أحاديث الكشاف .

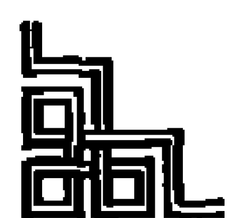
(٥) سورة المائدة مدنية
وآياتها عشرون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيتان من ١ : ٢



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢) ﴾.



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾(١) الوفاء هو القيام بمقتضي العهد وكذلك الإيفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة :

قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْداً لِجَارِهِمُ ... شَدُّوا العِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الكَرَبَا (٢)

---

(١) الوفاء بالعقود يدخل فيه مايتعاقده الناس فيما بينهم ، والعقد أصلا يكون بين طرفين ، وفيه معنى الاستيثاق والشد ، بخلاف عهد يكون من طرف واحد ، ويدخل فى الأخير الالتزام بالإرادة المنفردة – وبهذا سبق القرآن الكريم القوانين الوضعية .

والآية عامة فى الوفاء بالعقود وجامعة ، لأن العقد فى الإسلام شريعة المتعاقدين ، وأى مشرع وضعى لايمكن أن يأتى بأتم وأشمل وأدق وأوضح من هذه الآية ، أو بما يماثلها فى ضرورة الوفاء بالعقود .

– المنتخب من التفسير صـ ١٤٣ –

(٢) هذا البيت من شعر الحطيئة

وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ، ولعل المراد بالعقود مايعم العقود التي عقدها الله سبحانه وتعالي علي عباده وألزمها إياهم من التكاليف ، ومايعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به ، او يحسن إن حملنا الأمر علي المشترك بين الوجوب والندب .

﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ ﴾ تفصيل للعقود ، والبهيمة كل حي لايميز ، وقيل كل ذات أربع ، وإضافتها إلي الأنعام للبيان كقولك : ثوب خز . ومعناه البهيمة من الأنعام ، وهي الأزواج الثمانية وألحق بها الظباء وبقر الوحش ، وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الأنعام في الاجترار وعدم الأنياب ، وإضافتها إلي الأنعام لملابسة الشبه . ﴿ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ إلا محرم ما يتلي عليكم كقوله تعالي ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾(١) أو إلا مايتلي عليكم تحريمه . ﴿ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ ﴾ حال من الضمير في لكم . وقيل من واو ﴿ أوفوا ﴾ وقيل استثناء وفيه والصيد يحتمل المصدر والمفعول ﴿ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ من تحليل أو تحريم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ يعني مناسك الحج ، جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعاراً سمي به أعمال الحج ومواقفه لأنها علامات الحج وأعلام النسك . وقيل دين الله لقوله سبحانه وتعالي ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾(٢) أي دينه . وقيل فرائضه التي حدها لعباده . ﴿ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾ بالقتال فيه أو بالنسئ . ﴿ وَلا الْهَدْيَ ﴾ ما أهدي إلي الكعبة ، جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج . ﴿ وَلا الْقَلائِدَ ﴾ أي ذوات القلائد من الهدي، وعطفها علي الهدي للاختصاص فإنها أشرف الهدي ، أو القلائد أنفسها والنهي عن إحلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ، ونظيره قوله

والعناج – على وزن كتاب – حبل يشد فى أسفل الدلو ، والكرب على وزن سبب – حبل يشد فى طرف العرقوة والعناج ليربطهما .

والبيت كناية عن شدة الوثاق .

(١) المائدة ٣ (٢) الحج ٣٢

تعالي ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾(١) والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل أو لحاء شجر أو غيرهما ليعلم به أنه هدي فلايتعرض له . ﴿ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾ قاصدين لزيارته ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ﴾ أن يثيبهم ويرضي عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له ، لأنه عامل والمختار أن اسم الفاعل الموصوف لايعمل ، وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه علي المانع له . وقيل معناه يبتغون من الله رزقاً بالتجارة ورضواناً بزعمهم إذ روي أن الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يتعرضوا لهم بسبب أنه كان فيهم الحطيم بن شريح بن ضبيعة ، وكان قد استاق سرح المدينة وعلي هذا فالآية منسوخة ، وقرئ تبتغون علي خطاب المؤمنين .

﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ إذن في الاصطياد بعد زوال الإحرام ولايلزم من إرادة الإباحة ههنا من الأمر دلالة الأمر الآتي بعد الحظر علي الإباحة مطلقاً . وقرئ بكسر الفاء علي إلقاء حركة الوصل عليها وهو ضعيف جداً . وقرئ أحللتم يقال حل المحرم وأحل . ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ ولايحملنكم او لا يكسبنكم . ﴿ شَنَآنُ قَوْمٍ ﴾ شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر أضيف إلي المفعول أو الفاعل ، وقرأ ابن عامر وإسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو أيضا مصدر كليان أو نعت بمعني : بغيض قوم وفعلان في النعت أكثر كعطشان وسكران . ﴿ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ لأن صدوكم عنه عام الحديبية . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة علي أنه شرط معترض أغني عن جوابه لايجرمنكم . ﴿ أَن تَعْتَدُوا ﴾ بالانتقام ، وهو ثاني مفعولي يجرمنكم فإنه يعدي إلي واحد وإلي اثنين ككسب ، ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي إلي مفعول بالهمزة إلي مفعولين . ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ علي العفو والإغضاء ومتابعة الأمر ومجانبة الهوي . ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ للتشفي والانتقام ، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ فانتقامه أشد .

---

(١) النور ٣١

الآيات من ٣ : ٥

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤) الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥) ﴾ .

تحريم بعض الأشياء :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ بيان ما يتلي عليكم ، والميتة مافارقه الروح من غير تذكية . ﴿ وَالدَّمُ ﴾ أي الدم المسفوح لقوله تعالي ﴿ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾(١)

(١) الأنعام ١٤٥

* الإعجاز العلمى

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ﴾

حول هذه الآية وماورد فيها من محرمات يقول الدكتور / محمد كمال عبد العزيز

وكان أهل الجاهلية يصبونه في الأمعاء ويشوونها ، ﴿ولَحْمُ الْخِنزِيرِ ومَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ به﴾ أي رفع الصوت لغير الله به كقولهم : باسم اللات والعزي عند ذبحه . ﴿والْمُنْخَنِقَةُ﴾ أي التي ماتت بالخنق . ﴿والْموْقُوذَةُ﴾ المضروبة بنحو خشب . أو حجر حتي تموت من وقذته إذا ضربته . ﴿والْمُتَرَدِّيَةُ﴾ التي تردت من علو أو في بئر فماتت . ﴿والنَّطِيحَةُ﴾ التي نطحتها أخري فماتت بالنطح والتاء فيها للنقل . ﴿ومَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ وما أكل منه السبع فمات ، وهو يدل علي أن جوارح الصيد إذا أكلت مما اصطادته لم تحل . ﴿إلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك . وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع .

* الإعجاز العلمي

المدرس بكلية الطب ـ جامعة الأزهر فى كتابه لماذا حرم الله هذه الأشياء .

لحم الخنزير :

* الخنزير بذاته منفر للطبع النظيف القويم .

* حرمه الله منذ الأمد الطويل ، ليكشف علم الناس منذ قليل أن فى لحمه ودمه وأمعائه دودة شديدة الخطورة وهى الدودة الشريطة (Tinea Soleam) التى تعيش فى فضلات الخنزير على هيئة أكياس ، والتى إذا أكلها الإنسان فى لحم الخنزير غير المطهو جيداً تنمو اليرقات الموجودة فى هذه الأكياس ، وتصبح دودة كاملة تسكن فى أمعاء الإنسان ، ويبلغ طولها عند تمام نموها من مترين إلى ثلاثة أمتار ، ثم تضع هذه الديدان بيضها فى الأمعاء لتخرج مع البراز ليأكلها الخنزير ، ثم يفقس البيض فى معدة الخنزير وتنطلق منه اليرقات لتسكن فى عضلاته على شكل أكياس تصيب الإنسان إذا أكل لحم خنزير لم يتم طهوه جيداً ، وإذا دخلت البويضات إلى معدة الإنسان نتيجة تلوث طعامه بالبراز المحتوى على هذه البويضات عن طريق طباخ أو خادم أو بائع للمأكولات – وخصوصاً التى لاتطبخ – فعند وصول هذه البويضات إلى المعدة يهضم جدار البويضة وتنطلق اليرقة لتثقب جدار المعدة وتصل إلى الدورة الدموية وعن طريقها إلى أى جزء من الجسم وأخطرها القلب والمخ .

والذكاة في الشرع لقطع الحلقوم والمرئ بمحدد (١) ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ النصب واحد الأنصاب وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة ، وقيل هي الأصنام وعلي بمعني اللام أو علي أصلها بتقدير وماذبح مسمي علي الأصنام ، وقيل هو جمع والواحد نصاب .

(١) بمحدد : بآلة حادة هى السكين .

* الإعجاز العلمى

*** وهناك نوع آخر من اليرقات تلك التى تعيش فى أكياس داخل عضلات الخنزير وهى أكياس الدودة (الترنخيا) Trichinella spiralis ويصاب بها الإنسان إذا أكل لحم خنزير غير مطهو .**

فعندما تصل الأكياس الموجودة فى لحم الخنزير إلى معدة الإنسان ، ويتم الهضم تنطلق اليرقات لتخرق جدار المعدة وتصل إلى الدورة الدموية ومنها إلى أجزاء الجسم المختلفة .

فالأكياس التى تصل إلى العضلات ينشأ عنها آلام روماتزمية شديدة ، وقد تكون هذه عضلات اللسان ، أو الحنجرة ، أو عضلات الصدر ، أو الفكين أو الأذرع أو الأرجل ، أو عضلات البطين .

*** وقد يقول بعضهم إن وسائل الطهو الحديثة قد تقدمت ، فلم تعد هذه الديدان وبويضاتها مصدر خطر ، لأن إبادتها مضمونة بالحرارة العالية التى توفرها وسائل الطهو الحديثة . وينسى هؤلاء الناس أن علمهم قد احتاج إلى قرون طويلة ليكتشف آفة واحدة أو آفتين . فمن ذا الذى يجزم بأنه ليس هناك آفات أخرى فى لحم الخنزير لم يكشف بعد عنها ؟**

*** وقد يقول قائل : إن هناك دودة أخرى مشابهة لتلك التى تصيب الخنزير ولكنها تصيب البقر وتسمى « تينا ساجيناتا » (T. saginata) ، ولكن الفرق بين هذه وتلك أن الدودة التى تصيب الخنزير تتخذ من الخنزير عائلاً وسيطاً لها ولا تستطيع أن تستكمل بقية دورة حياتها إلا فى الإنسان الذى يعتبر عائلاً نهائياً لها .**

معني الاستقسام بالأزلام :

﴿ وأَن تَستَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ﴾ أي وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام ، وذلك أنهم إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح ، مكتوب علي أحدها ، أمرني ربي ، وعلي الآخر : نهاني ربي . والثالث غفل . فإن خرج الآمر مضوا علي ذلك وإن

* الإعجاز العلمي

* أما الدودة التي تصيب لحم البقر فهي تتخذ من البقر عائلاً وسيطاً ونهائياً فلا تحتاج إلى جسم الإنسان لكى تتم فيه دورة حياتها فوجودها فى جسم الإنسان محكوم عليها فيه بالفشل والفناء .

ووجود أكياس هذه الدودة فى أمعاء الإنسان إنما جاء عن طريقة عرضية وغير سليمة من تناول لحوم بقرية غير مطهوة طهواً جيداً .

* أفلا تستحق الشريعة التى سبقت هذا العلم البشرى بعشرات القرون أن نثق بها، وندع كلمة الفصل لها ، نحرم ماحرمت ، ، ونحلل ماحللت وهى من لدن حكيم خبير .

* والذى يستوجب التفكير فى حكمة الله تعالى فى تحريم لحم الخنزير أن هذه الأكياس لايعرف لها علاج حتى الآن . وأن الوقاية منها خير سبيل لتجنبها .

* ولحم الخنزير عسر الهضم لكثرة مايحتويه من المواد الدهنية مما ينشأ عنها حالات مرضية مختلفة مثل تصلب الشرايين ، وارتفاع ضغط الدم ، والذبحة الصدرية ، والتهاب المفاصل .

* والخنزير من الحيوانات التى تأكل كل شيء حتى البراز والميتة .

* ومن طباع الخنزير أن الذكر لايغار على أنثاه بعكس الحيوانات الأخرى ، وقد وجد أن هذا الطبع ينتقل أيضا إلى الذين يأكلون لحم الخنزير .

وقد أثبت ذلك عملياً الإمام محمد عبده فى إحدى رحلاته إلى فرنسا حيث سئل عن سبب تحريم الخنزير فى شريعة الإسلام ، فأمر بإحضار كبش ونعجة فى حجرة واحدة وتركهما فترة حتى استأنس كل منهما للآخر ، وصارت بينهما علاقة جنسية ، ثم أدخل عليهما كبشاً غريباً حاول أن ينال من أنثى الكبش الأول فلم يستطع لتناطح هذا الكبش معه وذوده عن أنثاه ، ثم قام الإمام محمد عبده بإعادة نفس التجربة مع خنزير ذكر

خرج الناهي تجنبوا عنه وإن خرج الغفل أجلوها ثانياً ، فمعني الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون مالم يقسم لهم بالأزلام وقيل : هو استقسام الجزور بالأقداح علي الأنصباء المعلومة وواحد الأزلام زلم كجمل وزلم كصرد .

﴿ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ إشارة إلي الاستقسام ، وكونه فسقاً لأنه دخول في علم

* الإعجاز العلمى

دخل ليمارس العلاقة الجنسية مع أنثى أمام ذكرها الأول الذى لم يمانع إطلاقاً ولم يعترض على اعتداء ذكر غريب على أنثاه التى كانت معه ، وهنا التفت الإمام محمد عبده إلى سائليه قائلاً : هكذا من يأكل لحم الخنزير إنما يورث فيه الخسة والبلادة وعدم الغيرة . أى أنهم يكتسبون صفات الخنزير وسلوكه نحو زوجته .

أرى كل قوم يحفظون حريمهم ... وليس لأصحاب الخنزير حريم

* وأيا كانت العلة ، فنحن نسلم بأن اختيار الله لابد من ورائه حكمة ، ولابد فيه مصلحة ، وسواء علمنا أم جهلنا ، فإن هذا لايؤثر فى الأمر شيئاً ، ولاينقص من وجوب الطاعة والتنفيذ ، مع الرضى والقبول ، فالإيمان لا يتحقق فى قلب مالم يحتكم إلى شريعة الله ، ثم لايجد فى صدره حرجاً منها ويسلم بها تسليماً .

الميتة والدم :

– والميتة تأباها النفس السليمة ، وكذلك الدم .

– والميتة محرمة إلا السمك والجراد . والدم محرم إلا الكبد والطحال .

* والحيوان الميت يكون جسمه مرعى خصباً للميكروبات ، ومنها الميكروبات المرضية التى تسبب أمراضاً فاتكة للإنسان ، ومنها ماينتج سموماً تؤذى الإنسان ، ولاتفسد هذه السموم بالطهى ، وتسبب تسمماً للإنسان إذا أكلها حتى بعد طهوها .

* والدم هو بيئة خصبة لنمو الميكروبات وتكاثرها ، حتى إن علماء البكتريا إذا أرادوا زرع واستكثار ميكروب معين قاموا بتغذية الوسط الذى يزرع فيه بالدم .

– ووجود الدم فى جسم الحيوان الميت يساعد على نمو الميكروبات فى الجسم وسرعة فساد اللحم .

– ووجود الدم بكثرة فى أمعاء الإنسان يساعد على تكوين مركبات نوشادرية تؤثر

الغيب وضلال باعتقاد أن ذلك طريق إليه ، وافتراء علي الله سبحانه وتعالي إن أريد بربي الله ، وجهالة وشرك إن أريد به الصنم أو الميسر المحرم أو إلي تناول ما حرم عليهم . ﴿ الْيَوْمَ ﴾ لم يرد به يوماً بعينه وإنما أراد الزمان الحاضر ومايتصل به من الأزمنة الآتية ، وقيل أراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة في عرفة

*** الإعجاز العلمى**

على المخ ، وتحدث تغيرات مرضية قد تصل إلى حد الغيبوبة وفقدان الوعى ، وهذا مايحدث نتيجة ابتلاع الإنسان لكميات كثيرة من دمه نتيجة نزيف من المرىء أو المعدة أو الأمعاء .

*** لذلك يجب ذكاة الحيوان بعد ذبحه ، بالتخلص من الدم الذى فى جسمه ، والتسمية عليه قبل ذبحه حتى يصير أكله حلالاً .**

تحريم المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع :

من الثابت علميا أن الكائن الحى إذا اختنق أى منع دخول الأوكسجين إلى رئتيه فإنه تتراكم فى الجسم مادة ثانى أكسيد الكربون السامة ، كما تتراكم جميع الإفرازات السامة التى تخرج عادة مع النفس فى عملية الزفير وهذه المواد إذا احتبست عادت لتمتص فى الجسم ، وتحدث التسمم فى كل أنسجته ومن ثم تؤدى إلى الوفاة هذا بالنسبة للمنخنقة .

أما بالنسبة « للموقوذة » وهى الحيوان الذى يضرب ضربا يؤدى إلى الموت « والمتردية » ، « والنطيحة » هو الحيوان الذى يموت فى حادث مثل سقوطه من مكان عال أو عن حادث سيارة أو خلافه .

فهذه لحومها تفسد لتلف أنسجتها ، واحتوائها على الكثير من المواد السامه نتيجة احتقان الدم فيها وماينتج ذلك من تكاثر الجراثيم بها .

أما بالنسبة لتحريم ما أكل السبع فمن وراء ذلك حكمة حيث ثبت طبيا أن هذه الحيوانات البرية قد تكون مصابة بمرض يظهر فى فمها أو لعابها وتبقى أثارة على اللحم فتؤذى من يأكل منه وتمرضه .

إن كل هذه المعلومات الطبية لم تظهر إلا فى عهد قريب وهذا هو الإعجاز القرآنى

حجة الوداع ﴿ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ ﴾ أي من إبطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها أو من أن يغلبوكم عليه ، ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾ أن يظهروا عليكم . ﴿ وَاخْشَوْنِ ﴾ وأخلصوا الخشية لي . ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ بالنصر والإظهار علي الأديان كلها ، أو بالتنصيص علي قواعد العقائد والتوقيف علي أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ بالهداية والتوفيق أو بإكمال الدين أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية . ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ اخترته لكم ديناً من بين الأديان وهو الدين عند الله لاغير . ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ ﴾ متصل بذكر المحرمات ومابينهما اعتراض لما يوجب التجنب عنها ، وهو أن تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المرضي والمعني : فمن اضطر إلي تناول شئ من هذه المحرمات . ﴿ فِي مَخْمَصَةٍ ﴾ مجاعة . ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾ غير مائل له ومنحرف إليه بأن يأكلها تلذذا أو مجاوزاً حد الرخصة كقوله ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ (١) ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لايؤاخذه بأكله .

حل الطيبات

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ لما تضمن السؤال معني القول أوقع علي الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وإنما قال لهم ولم يقل لنا علي الحكاية ، لأن يسألونك

---

(١) الأنعام ١٤٥

* الإعجاز العلمى

= فى تحريم هذه المحرمات وقت التنزيل .

* وسواء وصل العلم البشرى إلى حكمة هذا التحريم أو لم يصل ، فقد قرر العلم الإلهى أن هذه المطاعم ليست طيبة ، وهذا وحده يكفى . فالله لايحرم إلا الخبائث ، وما يؤذى الحياة البشرية سواء علم الناس بهذا الأذى أم جهلوه .

وهل علم الناس كل مايؤذى ومايفيد ؟ !

بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في أمثاله ، والمسؤول ما أحل لهم من المطاعم كأنهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما أحل لهم . ﴿ **قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ** ﴾ مالم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب ، أو مالم يدل نص ولاقياس علي حرمته . ﴿ **وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ** ﴾ عطف علي الطيبات إن جعلت ما موصولة علي تقدير وصيد ما علمتم ، وجملة شرطية إن جعلت شرطاً وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد. علي أهلها من سباع ذوات الأربع والطير . ﴿ **مُكَلِّبِينَ** ﴾ معلمين إياه الصيد ، والمكلب مؤدب الجوارح ومضربها بالصيد مشتق من الكلب ، لأن التأديب يكون أكثر فيه وآثر ، أو لأن كل سبع يسمي كلباً لقوله ﷺ « **اللهم سلط عليه كلباً من كلابك** » وانتصابه علي الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم . ﴿ **تُعَلِّمُونَهُنَّ** ﴾ حال ثانية أو استئناف . ﴿ **مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ** ﴾من الحيل وطرق التأديب ، فإن العلم بها إلهام من الله تعالي أو مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه سبحانه وتعالي ، أو مما علمكم الله أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه ، وأن ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولايأكل منه . ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ** ﴾ وهو مالم تأكل منه لقوله ﷺ لعدي بن حاتم « **وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك علي نفسه** » (١) وإليه ذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم: لايشترط ذلك في سباع الطير لأن تأديبها إلي هذا الحد متعذر ، وقال آخرون لايشترط مطلقاً ﴿ **وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ** ﴾ الضمير لما علمتم والمعني : سموا عليه عند إرساله أو لما أمسكن بمعني سموا عليه إذا أدركتم ذكاته ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ في محرماته . ﴿ **إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ فيؤاخذكم بما جل ودق .

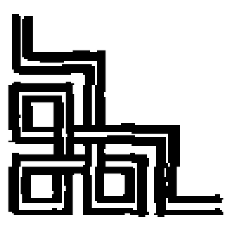
﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ** ﴾ يتناول الذبائح وغيرها ، ويعم الذين أوتوا الكتاب اليهود والنصاري ، واستثني علي رضي الله تعالي عنه نصاري بني تغلب وقال : ليسوا علي النصرانية ، ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر ، ولايلحق بهم المجوس في ذلك وإن ألحقوا بهم في التقرير

(١) ذكره الزمخشري في تفسيره ، وعلق الحافظ ابن حجر بقوله : لم أجده .

علي الجزية لقوله ﷺ «سنوا بهم سنة أهل الكتاب ، غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم» ﴿ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾فلا عليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك . ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أي الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث علي ماهو الأولي . ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ وإن كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات . ﴿ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ مهورهن وتقييد الحل بإيتائها لتأكيد وجوبها والحث علي ماهو الأولي ، وقيل المراد بإيتائها التزامها . ﴿ مُحْصِنِينَ ﴾ أعفاء بالنكاح . ﴿ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾غير مجاهرين بالزنا . ﴿ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾ مسرين به . والخدن الصديق يقع علي الذكروالأنثي . ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ يريد بالإيمان شرائع الإسلام وبالكفر إنكاره والامتناع عنه .

الآية ٦

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) ﴾



من تيسيرات الإسلام

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ ﴾ أي إذا أردتم القيام كقوله تعالي ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١) عبر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها للإيجاز والتنبيه علي أن من أراد العبادة ينبغي أنْ

---

(١) النحل ٩٨

يبادر إليها ، بحيث لاينفك عن الإرادة ، أو إذا قصدتم الصلاة لأن التوجه إلي الشئ والقيام إليه قصد له ، وظاهر الآية يوجب الوضوء علي كل قائم إلي الصلاة وإن لم يكن محدثاً ، والإجماع علي خلافه لما روي « **أنه ﷺ صلي الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله تعالي عنه : صنعت شيئاً لم تكن تصنعه فقال عمداً فعلته** » فقيل مطلق أريد به التقييد ، والمعني إذا قمتم إلي الصلاة محدثين ، وقيل الأمر فيه للندب . وقيل كان ذلك أول الأمر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله ﷺ : « **المائدة من آخر القرآن نزولاً فأحلوا حلالها وحرموا حرامها** » . ﴿ **فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ** ﴾ أمروا الماء عليها ولاحاجة إلي الدلك خلافاً لمالك . ﴿ **وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾ الجمهور علي دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل : إلي بمعني مع كقوله تعالي ﴿ **وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ** ﴾(١) أو متعلقة بمحذوف تقديره : وأيديكم مضافة إلي المرافق ، ولو كان كذلك لم يبق لمعني التحديد ولا لذكره مزيد فائدة ، لأن مطلق اليد يشتمل عليها ، وقيل : إلي تفيد الغاية مطلقاً وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وإنما يعلم من خارج ولم يكن في الآية ، وكانت الأيدي متناولة لها فحكم بدخلوها احتياطا وقيل إلي من حيث أنها تفيد الغاية تقتضي خروجها وإلا لم تكن غاية لقوله تعالي ﴿ **فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ** ﴾(٢) وقوله تعالي ﴿ **ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾(٣) لكن لما لم تتميز الغاية هاهنا عن ذي الغاية وجب إدخالها احتياطاً . ﴿ **وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ** ﴾ الباء مزيدة وقيل للتبعيض ، فإنه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ، ووجهه أن يقال إنها تدل علي تضمين الفعل معني الإلصاق فكأنه قيل: وألصقوا المسح برءوسكم ، وذلك لايقتضي الاستيعاب بخلاف مالو قيل : وأمسحوا رءوسكم فإنه كقوله ﴿ **فاغسلوا وجوهكم** ﴾ واختلف العلماء في قدر الواجب فأوجب الشافعي رضي الله تعالي عنه : أقل ما يقع عليه الاسم أخذاً باليقين ، وأبو حنيفة رضي الله تعالي عنه : مسح ربع الرأس ، لأنه ﷺ مسح علي ناصيته وهو قريب من الربع ، ومالك رضي الله تعالي عنه: مسح كله أخذاً بالاحتياط . ﴿ **وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى**

---

(١) هود ٥٢ (٢) البقرة ٢٨٠ (٣) البقرة ١٨٧ .

﴿ الْكَعْبَيْنِ ﴾ نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب عطفاً علي وجوهكم ويؤيده : السنة الشائعة ، وعمل الصحابة وقول أكثر الأئمة ، والتحديد ، إذ المسح لم يحد ، وجره الباقون علي الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالي ﴿ عذاب يوم أليم ﴾ (١) ﴿ وحور عين ﴾ (٢) بالجر في قراءة حمزة والكسائي، وقولهم جحر ضب خرب ، وللنحاة باب في ذلك ، وفائدته التنبيه علي أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلاً يقرب من المسح ، وفي الفصل بينه وبين أخويه إيماء علي وجوب الترتيب ، وقرئ بالرفع علي وأرجلكم مغسولة ، ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ فاغتسلوا . ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾ سبق تفسيره ، ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان أنواع الطهارة . ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ أي ما يريد الأمر بالطهارة للصلاة أو الأمر بالتيمم تضييقا عليكم . ﴿ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ لينظفكم ، أو ليطهركم عن الذنوب فإن الوضوء تكفير للذنوب ، أو ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهير بالماء ، فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة ، وقيل مزيدة والمعني ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج حتي لايرخص لكم في التيمم ، ولكن يريد أن يطهركم وهو ضعيف لأن أن لاتقدر بعد المزيدة ، ﴿ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ ليتم بشرعه ماهو مطهرة لأبدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين ، أو ليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نعمته .

ما تشتمل عليه الآية من أمور

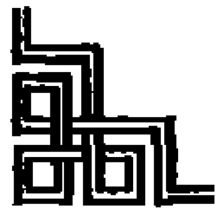
والآية مشتملة علي سبعة أمور كلها مثني : طهارتان أصل وبدل، والأصل اثنان مستوعب وغير مستوعب ، وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود ، وأن آلتهما مائع وجامد ، وموجبهما حدث أصغر وأكبر ، وأن المبيح للعدول إلي البدل مرض أو سفر ، وأن الموعود عليهما

(١) هود ٢٦ (٢) الواقعة ٢٢ .

تطهير الذنوب وإتمام النعمة.(١)

الآيات من ٧ : ١١

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) ﴾.



نعمة الإسلام

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ بالإسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره . ﴿ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ يعني الميثاق الذي أخذه علي المسلمين حين بايعهم رسول الله ﷺ علي السمع والطاعة في العسر واليسر .

---

(١) فى الطهارة الإسلامية معنيان : أحدهما التوجه القلبي إلى الله والاستعداد لذلك ، وعقد العزم على الوقوف أمامه طاهر النفس مخلصاً وخالصاً له .

وثانيهما : النظافة الحسية بالوضوء ، وفى ذلك غسل الأعضاء الظاهرة المعرضة للأوساخ، والوضوء يتكرر ، وقد يصل تكراره إلي خمس مرات فى اليوم بالاغتسال فى حال الاتصال بزوجته ، وفى حال الحيض والنفاس ، وفى الوضوء والغسل وقاية من الأتربة الحاملة لجراثيم الأمراض ، ومد الجسم بنشاط فى حركة الدم فى الشعيرات الموجودة على ظاهر الجسم وتخفيف حدة توتر الأعصاب ، ولذلك قال النبى ﷺ : « إذا غضبت فتوضأ » .

والتيمم فيه المعنى الأول وهو التوجه القلبى إلى الله تعالى بالاستعداد لذلك وعقد العزم على الوقوف أمامه طاهر النفس مخلصا وخالصا .

والمنشط والمكره ، أو ميثاق ليلة العقبة أو بيعة الرضون . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في إنساء نعمته ونقض ميثاقه . ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾أي بخفيَّاتها فيجازيكم عليها فضلاً عن جليات أعمالكم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ عداه بعلي لتضمنه معني الحمل ، والمعني لايحملنكم شدة بغضكم للمشركين علي ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب مالا يحل، كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفياً مما في قلوبكم . ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ أي العدل أقرب للتقوي ، صرح لهم بالأمر بالعدل وبين أنه بمكان من التقوي بعدما نهاهم عن الجور وبين أنه مقتضي الهوي، وإذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين ، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فيجازيكم به ، وتكرير هذا الحكم إما لاختلاف السبب كما قيل إن الأولي نزلت في المشركين وهذه في اليهود ، أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في إطفاء ثائرة الغيظ ، ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾إنما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فإنه استئناف يبينه ، وقيل الجملة في موضع المفعول فإنَّ الوعد ضرب من القول وكأنه قال: وعدهم هذا القول .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ هذا من عادته تعالي ، أن يتبع حال أحد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة ، وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ روي « أن المشركين رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه بعسفان ، قاموا إلي الظهر معاً فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم ، وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلي العصر ، فرد الله عليهم كيدهم بأن أنزل عليهم صلاة الخوف » والآية إشارة إلي ذلك وقيل إشارة إلي ما روي « أنه ﷺ أتي قريظة ومعه الخلفاء الأربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري يحسبهما مشركين ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم اجلس حتي نطعمك

ونقرضك فأجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش إلي رحي عظيمة يطرحها عليه ، فأمسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج » وقيل : « نزل رسول الله ﷺ منزلاً وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه ، فجاء أعرابي فسل سيفه وقال : من يمنعك مني ؟ فقال : الله فأسقطه جبريل من يده ، فأخذه الرسول ﷺ وقال : من يمنعك مني فقال لا أحد أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » فنزلت ﴿ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ بالقتل والإهلاك ، يقال بسط إليه يده إذا بطش به وبسط إليه لسانه إذا شتمه . ﴿ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ منعها أن تمد إليكم ورد مضرتها عنكم . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فإنه الكافي لإيصال الخير ودفع الشر .

الآيات من ١٢ : ١٤

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢) فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤) ﴾ .

أخذ الميثاق علي بني إسرائيل ونقضهم له

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ شاهداً من كل سبط ينقب عن أحوال قومه ويفتش عنها ، أو كفيلاً يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به . روي أن بني إسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر ، أمرهم الله

سبحانه وتعالي بالمسير إلي أريحاء من أرض الشام ، وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال : إني كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها فإني ناصركم ، وأمر موسي ﷺ أن يأخذ من كل سبط كفيلاً عليهم بالوفاء بما أمروا به ، فأخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون الأخبار ، ونهاهم أن يحدثوا قومهم ، فرأوا أجراماً عظيمة وبأساً شديداً فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم ونكث الميثاق إلا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ، ويوشع بن نون من سبط إفراييم بن يوسف ﴿ **وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ** ﴾ بالنصرة ﴿ **لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ** ﴾ أي نصرتموهم وقويتموهم وأصله الذب ومنه التعزير . ﴿ **وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا** ﴾ بالإنفاق في سبيل الخير وقرضاً يحتمل المصدر والمفعول . ﴿ **لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** ﴾ جواب للقسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط . ﴿ **وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ** ﴾ بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم . ﴿ **مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾ ضلالاً لاشبهة فيه ولاعذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك ، إذ قد يمكن أن يكون له شبهة ويتوهم له معذرة .

﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ** ﴾ طردناهم من رحمتنا ، أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية . ﴿ **وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً** ﴾ لاتنفعل عن الآيات والنذر . وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي إما مبالغة قاسية أو بمعني رديئة من قولهم درهم قسي إذا كان مغشوشاً . وهو أيضاً من القسوة فإن المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية بإتباع القاف للسين . ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ** ﴾ استئناف لبيان قسوة قلوبهم ، فإنه لاقسوة أشد من تغيير كلام الله سبحانه وتعالي والافتراء عليه ، ويجوز أن يكون حالاً من مفعول لعناهم لامن القلوب إذ لاضمير له فيه . ﴿ **وَنَسُوا حَظًّا** ﴾ وتركوا نصيباً وافياً . ﴿ **مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ** ﴾ من التوراة ، أو من اتباع محمد ﷺ ، والمعني أنهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما أنزل عليهم فلم ينالوه ، وقيل معناه أنهم حرفوها فزلت بشؤمه أشياء منها عن حفظهم ، لما روي أن ابن مسعود قال : قد ينسي المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية . ﴿ **وَلَا**

تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ خيانة منهم ، أو فرقة خائنة أو خائن والتاء للمبالغة والمعنى أن الخيانة والغدر من عاداتهم وعادة أسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ ﴾ لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم ، وقيل استثناء من قوله ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾ إن تابوا وآمنوا أو عاهدوا والتزموا الجزية وقيل : مطلق نسخ بآية السيف . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ تعليل للأمر بالصفح وحث عليه وتنبيه علي أن العفو عن الكافر الخائن إحسان فضلا عن العفو عن غيره .

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ﴾ اي وأخذنا من النصاري ميثاقهم كما أخذنا ممن قبلهم ، وقيل تقديره ومن الذين قالوا إنا نصاري قوم أخذنا ، وإنما قال قالوا إنا نصاري ليدل علي أنهم سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله سبحانه وتعالي . ﴿ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا ﴾ فألزمنا من غري بالشئ إذا لصق به . ﴿ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ بين فرق النصاري ، وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية ، أو بينهم وبين اليهود . ﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ بالجزاء والعقاب .

الآيات من ١٥ : ١٨

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨) ﴾ .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ يعني اليهود والنصاري ،ووحد الكتاب لأنه للجنس . ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ كنعت محمد ﷺ وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسي عليه السلام بأحمد ﷺ في الإنجيل . ﴿ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ مما تخفونه لايخبر به إذا لم يضطر إليه أمر ديني ، أو عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه . ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ يعني القرآن فإنه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الإعجاز . وقيل يريد بالنور محمداً ﷺ .

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ ﴾ وحد الضمير لأن المراد بهما واحد ، أو لأنهما كواحد في الحكم . ﴿ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ ﴾ من اتبع رضاه بالإيمان منهم . ﴿ سُبُلَ السَّلامِ ﴾ طرق السلامة من العذاب ، أو سبل الله . ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ من أنواع الكفر إلي الإسلام . ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ بإرادته أو توفيقه . ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ طريق هو أقرب الطرق إلي الله سبحانه وتعالي ومؤد إليه لامحالة .

كفر القائلين بأن المسيح هو الله

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ هم الذين قالوا بالاتحاد منهم ، وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتاً وقالوا لاإله إلا واحد لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم توضيحاً لجهلهم وتفضيحاً لمعتقدهم .﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ﴾ فمن يمنع من قدرته وإرادته شيئاً . ﴿ إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ﴾ عيسي ﴿ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ احتج بذلك علي فساد عقولهم وتقريره : أن المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الألوهية . ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ إزاحة لما عرض لهم من الشبهة في أمره ،والمعني أنه سبحانه وتعالي قادر علي الإطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السموات والأرض ، ومن أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كآدم

وكثير من الحيوانات ، ومن أصل يجانسه إما من ذكر وحده كما خلق حواء أو من أنثي وحدها كعيسي ، أو منهما كسائر الناس .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ أشياع ابنيه عزيرا والمسيح كما قيل لأشياع ابن الزبير الحبيبون أو المقربون عنده قرب الأولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران . ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ أي فإن صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فإن من كان بهذا المنصب لايفعل ما يوجب تعذيبه ، وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ واعترفتم بأنه سيعذبكم بالنار أياماً معدودات . ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ ممن خلقه الله تعالي . ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ وهم من آمن به وبرسله . ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ وهم من كفر ، والمعني أنه يعاملكم معاملة سائر الناس لامزية لكم عنده . ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ كلها سواء في كونها خلقاً وملكاً له . ﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ فيجازي المحسن بإحسانه والمسئ بإساءته .

الآيات من ١٩ : ٢٢

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) ﴾ .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾ أي الدين ، وحذف لظهوره، أو ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز أن لا يقدر مفعول علي معني يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال أي جاءكم رسولنا مبيناً لكم . ﴿ عَلَىٰ

فَتْرَةٍ مِّنَ الـرُّسُلِ ﴾ متعلق بجاءكم أي جاءكم علي حين فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي . أو يبين حال من الضمير فيه . ﴿ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ ﴾ كراهة أن تقولوا ذلك وتعذروا به . ﴿ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ متعلق بمحذوف أي لاتعتذروا بـ ﴿ ما جاءنا ﴾ فقد جاءكم . ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .فيقدر علي الإرسال تتري كما فعل بين موسي وعيسي عليهما الصلاة والسلام ، إذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبي ، وعلي الإرسال علي فترة كما فعل بين عيسي ومحمد عليهما الصلاة والسلام كان بينهما ستمائة أو خمسمائة وتسع وستون سنة وأربعة . . .

عصيان بني إسرائيل لموسي

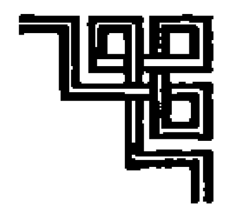
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ ﴾ فأرشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء . ﴿ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ أي وجعل منكم أو فيكم ، وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الأنبياء بعد فرعون حتي قتلوا يحيي وهموا بقتل عيسي ، وقيل : لما كانوا مملوكين في أيدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لأنفسهم وأمورهم سماهم ملوكاً . ﴿ وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ من فلق البحر ، وتظليل الغمام ، وإنزال المن والسلوي ونحوها مما آتاهم الله ، وقيل : المراد بالعالمين عالمي زمانهم .

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾ أرض بيت المقدس سميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومسكن المؤمنين . وقيل : الطور وماحوله . وقيل : دمشق وفلسطين وبعض الأردن ، وقيل الشام ﴿ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ قسمها لكم أو كتب في اللوح أنها تكون مسكناً لكم ، ولكن إن آمنتم وأطعتم لقوله لهم بعدما عصوا ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ (١) ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ ﴾ ولاترجعوا مدبرين خوفاً من الجبابرة، قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا : ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأساً ينصرف بنا إلي مصر ،

(١) المائدة : ٢٦ .

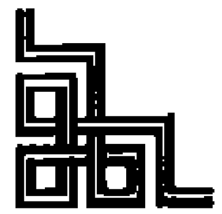
أو لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق علي الله سبحانه وتعالي ﴿ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِين ﴾ ثواب الدارين ، ويجوز في فتنقلبوا الجزم علي العطف والنصب علي الجواب .

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ متغلبين لا تتأتي مقاومتهم ، والجبار فعال من جبره علي الأمر بمعني أجبره وهو الذي يجبر الناس علي مايريده . ﴿ وإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ إذ لاطاقة لنا بهم .



الآيات من ٢٣ : ٢٨

﴿ قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) ﴾ .



﴿ قَالَ رَجُلانِ ﴾ كالب ويوشع ﴿ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ أي يخافون الله سبحانه وتعالي ويتقونه . وقيل كان رجلان من الجبابرة أسلما وسارا إلي موسي عليه الصلاة والسلام ، فعلي هذا الواو لبني إسرائيل والراجع إلي الموصول محذوف أي من الذين يخافونهم بنو إسرائيل ، ويشهد له أنه قرئ الذين يخافون بالضم أي المخوفين ، وعلي المعني الأول يكون هذا من الإخافة أي من الذين يخوفون من الله عز وجل بالتذكير أو يخوفهم الوعيد . ﴿ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾

بالإيمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلان أو اعتراض . ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾ باب قريتهم أي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الأصحار . ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم أجسامهم ، ولأنهم أجسام لاقلوب فيها . ويجوز أن يكون علمهما بذلك من إخبار موسي عليه الصلاة والسلام وقوله ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَكُم ﴾(١) أو مما علما من عادة الله سبحانه وتعالي في نصرة رسله ، وما عهدا من صنعه لموسي عليه الصلاة والسلام في قهر أعدائه . ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي مؤمنين به ومصدقين بوعده .

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا ﴾ نفوا دخولهم علي التأكيد والتأبيد . ﴿ مَّا دَامُوا فِيهَا ﴾ بدل البعض .

﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما ، وقيل تقديره اذهب أنت وربك يعينك .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي ﴾ قاله شكوي بثه وحزنه إلي الله سبحانه وتعالي لما خالفه قومه وأيس منهم ، ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون عليه السلام والرجلان المذكوران وإن كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ، ويجوز أن يراد بأخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ، ويحتمل نصبه عطفاً علي نفسي ، أو علي اسم إن ورفعه عطفاً علي الضمير في لاأملك ، أو علي محمل إن واسمها وجره عند الكوفيين عطفاً علي الضمير في نفسه . ﴿ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ بأن تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه ، أو بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم .

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا ﴾ فإن الأرض المقدسة ، ﴿ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ لايدخلونها ولايملكونها بسبب عصيانهم . ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ عامل الظرف إما محرمة فيكون التحريم موقتاً غير مؤبد فلايخالف ظاهر قوله ﴿ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُم ﴾(١) ويؤيد ذلك ماروي : أن موسي عليه الصلاة والسلام سار

(١) المائدة : ٢١ .

بعده بمن بقي من بني إسرائيل ففتح أريحاء ، وأقام بها ماشاء الله ثم قبض وقيل : إنه قبض في التيه ولما احتضر أخبرهم بأن يوشع بعده نبي وأن الله سبحانه وتعالي أمره بقتال الجبابرة ، فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني إسرائيل ، وإما يتيهون أي يسيرون فيها متحيرين لايرون طريقاً فيكون التحريم مطلقاً ، وقد قيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وإنما قاتل الجبابرة أولادهم ، روي : أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح إلي المساء ، فإذا هم بحيث ارتحلوا عنه ، وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضئ لهم ، وكان طعامهم المن والسلوي وماؤهم من الحجر الذي يحملونه ، والأكثر علي أن موسي وهارون كانا معهم في التيه إلا أنه كان ذلك روحاً لهما في درجتهما ، وعقوبة لهم ، وأنهما ماتا فيه مات هارون ، وموسي بعده بسنة ، ثم دخل يوشع أريحاء بعد ثلاثة أشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع . ﴿ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ خاطب به موسي عليه الصلاة والسلام لما ندم علي الدعاء عليهم وبين أنهم أحقاء بذلك لفسقهم .

قصة قابيل وهابيل

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ ﴾ قابيل وهابيل ، أوحي الله سبحانه وتعالي إلي آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر ، فسخط منه قابيل لأن توأمته كانت أجمل ، فقال لهما آدم : قربا قرباناً فمن أيكما قُبل تزوجها ، فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته ، فازداد قابيل سخطاً وفعل ما فعل . وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وأنهما رجلان من بني إسرائيل ولذلك قال ﴿ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١) ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ صفة مصدر محذوف أي تلاوة ملتبسة بالحق ، أو حال من الضمير في اتلِ ، أو من نبأ أي ملتبساً بالصدق موافقاً لما في كتب الأولين ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾ ظرف لنبأ ، أو حال منه ، أو بدل علي حذف مضاف أي واتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت ، والقربان اسم ما يتقرب به إلي الله سبحانه وتعالي من ذبيحة أو غيرها ، كما أن الحلوان اسم ما يحلي به أي يعطي ، وهو في الأصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره إذ قرب كل واحد منهما

(١) المائدة : ٣٢

قرباناً. قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب أردأ قمح عنده ، وهابيل صاحب ضرع وقرب جملاً سميناً . ﴿ فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ﴾ لأنه سخط حكم الله سبحانه وتعالي ولم يخلص النية في قربانه وقصد إلي أخس ماعنده . ﴿ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ ﴾ توعده بالقتل لفرط الحسد له علي تقبل قربانه ولذلك . ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ في جوابه أي إنما أتيت من قبل نفسك بترك التقوي لا من قبلي فلم تقتلني ، وفيه إشارة إلي أن الحاسد ينبغي أن يري حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً ، لا في إزالة حظه فإن ذلك مما يضره ولاينفعه ، وأن الطاعة لاتقبل إلا من مؤمن متق .

﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ قيل : كان هابيل أقوي منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفاً من الله سبحانه وتعالي لأن الدفع لم يبح بعد ، أو تحرياً لما هو الأفضل قال عليه الصلاة والسلام : « **كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل** » وإنما قال ﴿ ما أنا بباسط ﴾ في جواب ﴿لئن بسطت ﴾ للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأساً ، والتحرز من أن يوصف به ويطلق عليه ولذلك أكد النفي بالباء .

الآيات من ٢٩ : ٣٢

﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢) ﴾

﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ

الظَّالمينَ ﴾ تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة ، والمعني إنما أستسلم لك إرادة أن تحمل إثمي لو بسطت إليك يدي ، وإثمك ببسطك يدك إلي ونحوه المستبان ماقالا فعلي البادئ ما لم يعتد المظلوم ، وقيل معني بإثمي قتلي ، وبإثمك الذي لم يتقبل من أجله قربانك ، وكلاهما في موضع الحال أي ترجع ملتبساً بالإثمين حاملاً لهما ، ولعله لم يرد معصية أخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام إلي أن ذلك إن كان لامحالة واقفاً فأريد أن يكون لك لا لي . فالمراد بالذات أن لايكون له لا أن يكون لأخيه ويجوز أن يكون المراد بالإثم عقوبته وإرادة عقاب العاصي جائزة .

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيـهِ ﴾ فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع إذا اتسع ، وقرئ فطاوعت علي أنه فاعل بمعني فعل ، أو علي أن قتل أخيه كأنه دعاها إلي الإقدام عليه فطاوعته ، وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله . ﴿ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ دينا ودنيا ، إذ بقى مدة عمره مطروداً محزوناً . قيل : قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل : بالبصرة في موضع المسجد الأعظم ﴿ فَبَعَثَ الـلَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ روي أنه لما قتله تحير في أمره ولم يدر ما يصنع به إذ كان أول ميت من بني آدم ، فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ، فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة ، والضمير في ليري ، لله سبحانه وتعالي ، أو للغراب ، وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يري ، والمراد بسوأة أخيه جسده الميت فإنه مما يستقبح أن يري . ﴿ قَالَ يَا وَيْلَتَى ﴾ كلمة جزع وتحسر والألف فيها بدل من ياء المتكلم . والمعني ياويلتي احضري فهذا أوانك ، والويل والويلة الهلكة . ﴿ أَعَجَزْتَ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ﴾ لا أهتدي إلي مثل ما أهتدي إليه ، وقوله : فأواري عطف علي أكون وليس جواب الاستفهام إذ ليس المعني ههنا لو عجزت لواريت ، وقرئ بالسكون علي فأنا أواري أو علي تسكين المنصوب تخفيفاً . ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ علي قتله لما كابد فيه من التحير في أمره وحمله علي رقبته سنة أو أكثر علي ما قيل ، وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري أبويه منه ، إذ روي أنه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن أخيه فقال ماكنت عليه وكيلاً فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك

وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لايضحك وعدم الظفر بما فعله من أجله .

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ بسببه قضينا عليهم ، وأجل في الأصل مصدر أجل شراً إذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم ، من جراك فعلته ، أي من أن جررته أي جنيته ، ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ، ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا أي ابتداء الكتب ونشؤه من أجل ذلك ﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ أي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص . ﴿ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ ﴾ أو بغير فساد فيها كالشرك أو قطع الطريق . ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ من حيث أنه هتك حرمة الدماء وسن القتل ، وجرأ الناس عليه ، أو من حيث أن قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استجلاب غضب الله سبحانه وتعالي والعذاب العظيم . ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ أي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل ، أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعاً ، والمقصود منه تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ترهيباً عن التعرض لها وترغيباً في المحاماة عليها . ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ أي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل أمثال تلك الجناية ، وأرسلنا إليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيداً للأمر وتجديداً للعهد كي يتحاموا عنها وكثير منهم يسرفون في الأرض بالقتل ولايبالون به ، وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والإسراف التباعد عن حد الاعتدال في الأمر (١) .

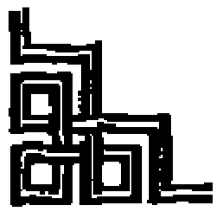
---

(١) فى هذه الآية الكريمة ما يدل على أن الاعتداء علي النفس الواحدة بالقتل اعتداء على المجتمع وهو يبرر كون الدعوة عن حق المجتمع يباشرها عنه النائب العام ووكلاؤه ، أو أية سلطة تقيمها الدولة لهذه الوظيفة فى ا لتشريعات الحديثة . وهذا هو المقابل لحق الله تعالى فى التشريع الإسلامى .

فالتشريع فى هذه المسألة له حق السبق ، ومن أحسن إلى فرد بإنقاذ حياته من الهلاك فقد أحسن إلى المجتمع . فالآية بما اشتملت عليه من معنيين تؤكد أن الإسلام يرعى القواعد في المجتمع الصالح وقواعد التعاون بين الأفراد والمجتمعات وفي هذا كله محافظة على الأمن والسلام والتعاون بين الأفراد والجماعات . المنتخب من التفسير ص ١٧١

الآيات من ٣٣ : ٣٧

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾.



عقاب الحرابة :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي يحاربون أولياءهما وهم المسلمون ، جعل محاربتهم محاربتهما تعظيماً . وأصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق ، وقيل المكابرة باللصوصية وإن كانت في مصر .

﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ أي مفسدين ، ويجوز نصبه علي العلة أو المصدر لأن سعيهم كان فساداً فكأنه قيل : ويفسدون في الأرض فساداً . ﴿ أَن يُقَتَّلُوا ﴾ أي قصاصاً من غير صلب إن أفردوا القتل . ﴿ أَوْ يُصَلَّبُوا ﴾ أي يصلبوا مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال ، وللفقهاء خلاف في أنه يقتل ويصلب أو يصلب حياً ويترك أو يطعن حتي يموت ، ﴿ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾ تقطع أيديهم اليمني وأرجلهم اليسري إن أخذوا المال ولم يقتلوا . ﴿ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ ينفوا من بلد إلي بلد بحيث لايتمكنون من القرار في موضع إن اقتصروا علي الإخافة وفسر أبو حنيفة النفي بالحبس ، وأو في الآية علي هذا للتفصيل ، وقيل : إنه للتخيير والإمام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ﴿ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ﴾ ذل وفضيحة . ﴿ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴾ لعظم ذنوبهم (١)

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ استثناء مخصوص بما هو حق الله سبحانه وتعالي ويدل عليه قوله تعالي ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أما القتل قصاصاً فإلي الأولياء يسقط بالتوبة وجوبه لاجوازه ، وتقييد التوبة بالتقدم علي القدرة يدل علي أنها بعد القدرة لاتسقط الحد وإن أسقطت العذاب، وأن الآية في قطاع المسلمين لأن توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ أي ما تتوسلون به إلي ثوابه والزلفي منه من فعل الطاعات وترك المعاصي ، من وسل إلي كذا إذا تقرب إليه وفي الحديث «الوسيلة منزلة في الجنة » ﴿ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ ﴾ بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة . ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ بالوصول إلي الله سبحانه وتعالي والفوز بكرامته .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ ﴾ من صنوف الأموال . ﴿ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ ﴾ ليجعلوه فدية لأنفسهم . ﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ . واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو ، إذ التقدير لو ثبت أن لهم ما في الأرض ، وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان إما لإجرائه مجري اسم الإشارة في نحو قوله تعالي ﴿ عوان بين ذلك ﴾ (٢) أو لأن الواو في ومثله بمعني مع . ﴿ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ﴾ جواب ، ولو بما في حيزه خبر إن والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وأنه لاسبيل لهم إلي الخلاص منه . ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ تصريح بالمقصود منه ، وكذلك قوله

﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾

---

(١) وفى هذه الآية وفى الآية رقم ٣٨ نص على عقوبات لم تراع فيها إلا المصلحة ومنع الإجرام ، وأن هذه العقوبات من شأنها لو طبقت على وجهها الصحيح أن تقطع الجرائم، وتحيل المجتمع إلى مجتمع ترفرف عليه السعادة والأمن والهناء والسلام . ـ المرجع السابق .

(٢) البقرة : ٦٨ .

وقرئ يخرجوا من أخرج وإنما قال ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ﴾ بدل ومايخرجون للمبالغة .

الآيات من ٣٨ : ٤١

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) ﴾ .

عقوبة السارق :

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ جملتان عند سيبويه إذ التقدير فيما يتلي عليكم السارق والسارقة أي حكمهما ، وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معني الشرط إذ المعني : والذي سرق والتي سرقت ، وقرئ بالنصب وهو المختار في أمثاله لأن الإنشاء لايقع خبراً إلا بإضمار وتأويل . والسرقة أخذ مال الغير في خفية وإنما توجب القطع إذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار أو ما يساويه لقوله ﷺ « القطع في ربع دينار فصاعداً »(١) وللعلماء خلاف في ذلك لأحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح ، والمراد بالأيدي الأيمان ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه

---

(١) رواه ابن كثير فى تفسيره بلفظ : « تقطع يد السارق فى ربع دينار فصاعدا » وبلفظ : « لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا » وقال رواه الشيخان فى كتاب الحدود ـ البخارى ص ٨ ص ٢٠٠ ومسلم جـ ٥ ص ١١٢ .

أيمانهما ، ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثني كما في قوله تعالي ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾(١) اكتفاء بتثنية المضاف إليه ، واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج إلي أن المقطع هو المنكب ، والجمهور علي أنه الرسغ لأنه ﷺ أتي بسارق فأمر بقطع يمينه منه . ﴿ جزاء بما كسبا نكالاً من الله ﴾ منصوبان علي المفعول له أو المصدر ودل علي فعلهما فاقطعوا ﴿ والله عزيز حكيم ﴾ .

﴿ فمن تاب ﴾ من السراق . ﴿ من بعد ظلمه ﴾ أي بعد سرقته . ﴿ وأصلح ﴾ أمره بالتقصي عن التبعات والعزم علي أن لايعود إليها . ﴿ فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ﴾ يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة . وأما القطع فلا يسقط بها عند الأكثرين لأن فيه حق المسروق منه .

﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ﴾ الخطاب للنبي ﷺ أو لكل أحد ﴿ يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله علىٰ كل شيء قدير ﴾ قدم التعذيب علي المغفرة إيتاء علي ترتيب ما سبق ، أو لأن استحقاق التعذيب مقدم أو لأن المراد به القطع وهو في الدنيا .

وعيد للمنافقين واليهود

﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ أي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعاً أي في إظهاره إذا وجدوا منه فرصة . ﴿ من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ أي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو تحتمل الحال والعطف . ﴿ ومن الذين هادوا ﴾ عطف علي من الذين قالوا ﴿ سماعون للكذب ﴾ خبر محذوف أي هم سماعون ، والضمير للفريقين ، أو للذين يسارعون ويجوز أن يكون مبتدأ ومن الذين خبره أي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب ، إما مزيدة للتأكيد أو لتضمين السماع معني القبول اي : قابلون لما تفتريه الأحبار ، أو للعلة والمفعول محذوف أي :

(١) التحريم : ٤ .

سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه . ﴿ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ أي لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبراً وإفراطاً في البغضاء ، والمعني علي الوجهين أي مصغون لهم قابلون كلامهم ، أو سماعون منك لأجلهم والإنهاء إليهم ، ويجوز أن تتعلق اللام بالكذب لأن سماعون الثاني مكرر للتأكيد أي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين .

تحريف اليهود الكلم عن مواضعه

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها ، إما لفظاً : بإهماله أو تغيير وضعه ، وإما معني : بحمله علي غير المراد وإجرائه في غير مورده ، والجملة صفة أخري لقوم أو صفة لسماعون أو حال من الضمير فيه أو استئناف لا موضع له ، أو في موضع الرفع خبراً لمحذوف أي هم يحرفون وكذلك . ﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ﴾ أي إن أوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به ، ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ ﴾ بل أفتاكم محمد بخلافه . ﴿ فَاحْذَرُوا ﴾ أي احذروا قبول ما أفتاكم به . روي « **أن شريفاً من خيبر زني بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما ، فأرسلوا مع رهط منهم إلي بني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ عنه وقالوا : إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا ، فأمرهم بالرجم فأبوا عنه ، فجعل ابن صوريا حكماً بينه وبينهم ، وقال له : أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسي ، ورفع فوقكم الطور ، وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم علي من أحصن ، قال : نعم فوثبوا عليه فقال : خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب ، فأمر رسول الله ﷺ بالزانيين فرجما عند باب المسجد** » (١)

﴿ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ ﴾ ضلالته أو فضيحته . ﴿ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ فلن تستطيع به من الله شيئاً في دفعها . ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ من الكفر وهو كما تري نص علي فساد قول المعتزلة ، ﴿ لَهُمْ

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في المغازى من حديث أبى هريرة .

﴿ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ هوان بالجزية والخوف من المؤمنين . ﴿ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وهو الخلود في النار ، والضمير للذين هادوا إن استأنفت بقوله ومن الذين وإلا فللفريقين .

الآيات من ٤٢ : ٤٦

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) ﴾

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ كرره للتأكيد . ﴿ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ أي الحرام كالرشا من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة . ﴿ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ تخيير لرسول الله ﷺ إذا تحاكموا إليه بين الحكم والإعراض ولهذا قيل: لو تحاكم كتابيان إلي القاضي لم يجب عليه الحكم، وهو قول للشافعي والأصح وجوبه إذا كان المترافعان أو أحدهما ذمياً لأنا التزمنا الذب عنم ودفع الظلم منهم ، والآية ليست في أهل الذمة، وعند أبي حنيفة يجب

مطلقاً . ﴿ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ﴾بأن يعادوك لإعراضك عنهم فإن الله سبحانه وتعالي يعصمك من الناس . ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾ أي بالعدل الذي أمر الله به . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ فيحفظهم ويعظم شأنهم.

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴾ تعجيب من تحكيمهم من لايؤمنون به ، والحال أن الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم ، وتنبيه علي أنهم ماقصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع، وإنما طلبوا به مايكون أهون عليهم وإن لم يكن حكم الله تعالي في زعمهم ، ﴿ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴾ حال من التوراة إن رفعتها بالظرف ، وإن جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظاً كموماة ودوداة ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم ، وهو عطف علي يحكمونك داخل في حكم التعجيب . ﴿ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾بكتابهم لإعراضهم عنه أولاً وعما يوافقه ثانياً ، أو بك وبه .

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى ﴾ يهدي إلي الحق . ﴿ وَنُورٌ ﴾يكشف عما استبهم من الأحكام . ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ ﴾ يعني أنبياء بني إسرائيل ، أو موسي ومن بعده إن قلنا شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينسخ ، وبهذه الآية تمسك القائل به . ﴿ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ صفة أجريت علي النبيين مدحاً لهم وتنويهاً بشأن المسلمين ، وتعريضاً باليهود وأنهم بمعزل عن دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واقتفاء هديهم . ﴿ لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ متعلق بأنزل ، أو بيحكم أي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل علي أن النبيين أنبياؤهم . ﴿ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ﴾ زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة أنبيائهم عطف علي النبيون . ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ ﴾ بسبب أمر الله إياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف، والراجع إلي ما محذوف ومن للتبيين ﴿ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾رقباء لايتركون أن يغير ، أو شهداء يبينون ما يخفي منه كما فعل ابن صوريا . ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ نهي للحكام أن يخشوا غير الله في حكومتهم

ويداهنوا فيها خشية ظالم أو مراقبة كبير . ﴿ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ﴾ ولاتستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها ﴿ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾هو الرشوة والجاه ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ مستهيناً به منكراً له . ﴿ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ لاستهانتهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره ، ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون، فكفرهم لإنكاره ، وظلمهم بالحكم علي خلافه، وفسقهم بالخروج عنه ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت إلي الامتناع عن الحكم به ملائمة لها ، أو لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم ، والظالمون في اليهود ، والفاسقون في النصاري .

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ وفرضنا علي اليهود ، ﴿ فِيهَا ﴾ في التوراة ﴿ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ ﴿ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ ﴾ رفعها الكسائى علي أنها جمل معطوفة علي أن ومافي حيزها باعتبار المعني وكأنه قيل: وكتبنا عليهم النفس بالنفس ، والعين بالعين ، فإن الكتابة والقراءة تقعان علي الجمل كالقول ، أو مستأنفة ومعناها : وكذلك العين مفقوءة بالعين ، والأنف مجدوعة بالأنف ، والأذن مصلومة بالأذن ، والسن مقلوعة بالسن ، أو علي أن المرفوع منها معطوف علي المستكن في قوله بالنفس ، وإنما ساغ لأنه في الأصل مفصول عنه بالطرف ، والجار والمجرور حال مبينة للمعني ، وقرأنافع والأذن بالأذن وفي أذنيه بإسكان الذال حيث وقع . ﴿ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾أي ذات قصاص، وقرأه الكسائى أيضاً بالرفع ووافقه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر علي أنه إجمال للحكم بعد التفصيل . ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ ﴾ من المستحقين . ﴿ بِهِ ﴾ ﴿ فَهُوَ ﴾ فالتصدق . ﴿ كَفَّارَةٌ لَّهُ ﴾ للمتصدق يكفر الله به ذنوبه ، وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له أي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لاينقص منها شئ . ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ من القصاص وغيره . ﴿ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم ﴾ أي وأتبعناهم علي آثارهم ، فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه ، والضمير للنبيون . ﴿ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ مفعول ثان عدي إليه الفعل بالباء ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ ﴾ وقرئ بفتح

الهمزة . ﴿ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ في موضع النصب بالحال ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ عطف عليه وكذا قوله : ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ويجوز نصبهما علي المفعول له عطفاً علي محذوف أو تعلقاً به وعطف .

الآيات من ٤٧ : ٤٩

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّه مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) ﴾ .

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ عليه في قراءة حمزة ، وعلي الأول اللام متعلقة بمحذوف أي وآتيناه ليحكم ،وقرئ وأن ليحكم علي أنَّ أنْ موصولة بالأمر كقولك : أمرتك بأن قم أي وأمرنا بأن ليحكم . ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون ﴾ عن حكمه ، أو عن الإيمان إن كان مستهيناً به ، الآية تدل علي أن الإنجيل مشتمل علي الأحكام وأن اليهوديةمنسوخة ببعثة عيسي عليه الصلاة والسلام ، وأنه كان مستقلا بالشرع وحمله علي وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر .

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ أي القرآن . ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ من جنس الكتب المنزلة ، فاللام الأولي للعهد والثانية للجنس ، ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ورقيباً علي سائر الكتب يحفظه علي التغيير ويشهد له بالصحة

والثبات ، وقرئ علي بنية المفعول أي من هو عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله سبحانه وتعالي ، او الحفاظ في كل عصر . ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ أي بما أنزل الله إليك . ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ بالانحراف عنه إلي ما يشتهونه فعن صلة للاتتبع لتضمنه معني لاتنحرف ، أو حال من فاعله أي لاتتبع أهواءهم مائلا عما جاءك . ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ ﴾ أيها الناس . ﴿ شِرْعَةً ﴾ شريعة وهي الطريق إلي الماء شبه بها الدين لأنه طريق إلي ما هو سبب الحياة الأبدية ، وقرئ بفتح الشين . ﴿ وَمِنْهَاجًا ﴾ وطريقاً واضحاً في الدين من نهج الأمر إذا وضح ، واستدل به علي أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ جماعة متفقة علي دين واحد في جميع الأعصار من غير نسخ وتحويل ، ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب، وقيل المعني لو شاء الله اجتماعكم علي الإسلام لأجبركم عليه . ﴿ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن ، هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضي الحكمة الإلهيية ، أم تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ فابتدروها انتهازاً للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم ، ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ استئناف فيه تعليل الأمر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين . ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر .

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ عطف علي الكتاب أي أنزلنا إليك الكتاب والحكم ، أو علي الحق أي أنزلناه بالحق وبان احكم ، ويجوز أن يكون جملة بتقدير وأمرنا أن احكم . ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ أي أن يضلوك ويصرفوك عنه ، وأن بصلته بدل من هم بدل الاشتمال أي احذر فتنتهم ، أو مفعول له أي احذرهم مخافة أن يفتنوك، روي « أن أحبارالیهود قالوا : اذهبوا بنا إلي محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فقالوا: يامحمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ، إن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك ، فأبي رسول الله ﷺ »(١) فنزلت ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ عن الحكم المنزل وأرادوا غيره .

(١) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف .

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ يعني ذنب التولي عن حكم الله سبحانه وتعالي ، فعبر عنه بذلك تنبيهاً علي أن لهم ذنوباً كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها (١) وفيه دلالة علي التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد :

أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضُ النُّفُوسِ حِمَامُهَا (٢)

﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ لمتمردون في الكفر معتدون فيه .

الآيات من ٥٠ : ٥٣

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) ﴾ .

ميل المنافقين واليهود إلي حكم الجاهلية

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ الذي هو الميل والمداهنة في الحكم ، والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوي ، وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا إلي رسول الله ﷺ أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل

---

(١) فى هذه الآية دلالة على أن القرآن الكريم يقرر مبدأ إقليمية القانون بمعنى أن التشريع الإسلامى يطبق على جميع القاطنين بها ، ومبدأ الإقليمية هذا لم يستقر فى عالم التشريع الوضعى إلا حديثا . ـ المنتخب من التفسير ص ١٥٥ ـ .

(٢) هذا شطر بيت من معلقة لبيد بن ربيعة وصدره هو :

تراك أمكنه إذا لم أرضها ....

بين القتلي ، وقرئ برفع الحكم علي أنه مبتدأ ويبغون خبره ، والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله تعالي ﴿ أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴾(١) واستضعف ذلك في غير الشعر ، وقرئ أفحكم الجاهلية أي يبغون حاكماً كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء علي قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون . ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أى عندهم ، واللام للبيان كما في قوله تعالي ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾(٢) أي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتدبرون الأمور ويتحققون الأشياء بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكماً من الله سبحانه وتعالي .

النهي عن موالاة اليهود والنصاري

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾ فلا تعتمدوا عليهم ولاتعاشروهم معاشرة الأحباب ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾إيماء علي علة النهي ، أي فإنهم متفقون علي خلافكم يوالي بعضهم بعضاً لاتحادهم في الدين وإجماعهم علي مضادتكم . ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ أي ومن والاهم منكم فإنه من جملتكم ، وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة والسلام : لا تتراءي ناراهما ، أو لأن الموالي لهم كانوا منافقين ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار أو المؤمنين بموالاة أعدائهم .

﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ يعني ابن أبي وأضرابه . ﴿ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾ أي في موالاتهم ومعاونتهم ﴿ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ يعتذرون بأنهم يخافون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار .

من أسباب النزول

روي « أن عبادة بن الصامت رضي الله تعالي عنه قال لرسول الله ﷺ : إن لي موالي من اليهود كثيراً عددهم ، وإني أبرأ إلي الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله

---

(١) الفرقان : ٤١ .   (٢) يوسف : ٢٣ .

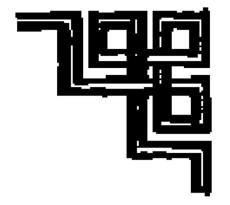
ورسوله ، فقال ابن أبي : إني رجل أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية موالي » فنزلت « ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ لرسول الله ﷺ علي أعدائه وإظهار المسلمين . ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ ﴾ يقطع شأفة اليهود من القتل والإجلاء ، أو الأمر بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم . ﴿ فَيُصْبِحُوا ﴾ أي هؤلاء المنافقون . ﴿ عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ علي ما استنبطوه من الكفر والشك في أمر الرسول ﷺ ، فضلاً عما أظهروه مما أشعر علي نفاقهم .

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي علي أنه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعاً بغير واو علي أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ ، وبالنصب قراءة أبي عمرو ويعقوب عطفاً علي أن يأتي باعتبار المعني ، وكأنه قال : عسي أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا ، أو يجعله بدلاً من اسم الله تعالي داخلاً في اسم عسي مغنياً عن الخبر بما تضمنه من الحدث ، أو علي الفتح بمعني عسي الله أن يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فإن الإتيان بما يوجبه كالإتيان به . ﴿ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾ يقول المؤمنون بعضهم لبعض تعجباً من حال المنافقين وتبجحاً بما من الله سبحانه وتعالي عليهم من الإخلاص أو يقولونه لليهود ، فإن المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكي الله تعالي عنهم ﴿ وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾(١)

وجهد الأيمان أغلظها ، وهو في الأصل مصدر ونصبه علي الحال علي تقدير وأقسموا بالله يجهدون جهد أيمانهم ، فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة أو علي المصدر لأنه بمعني أقسموا . ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ إما من جملة المقول أو من قول الله سبحانه وتعالي شهادة لهم بحبوط أعمالهم ، وفيه معني التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم .

---

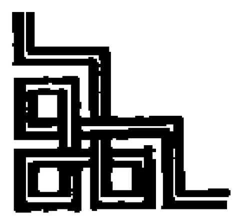
(١) الحشر : ١١ .



الآيات من ٥٤ : ٥٧

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧) ﴾ .

الإخبار عن الردة قبل وقوعها



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾ قرأه علي الأصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الإمام ، والباقون بالإدغام وهذا من الكائنات التي أخبر الله تعالي عنها قبل وقوعها ، وقد ارتد من العرب في أواخر عهد رسول الله ﷺ ثلاث فرق : بنو مدلج وكان رئيسهم ذا الخمار الأسود العنسي ، تنبأ باليمن واستولي علي بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله ﷺ من غدها وأخبر الرسول ﷺ في تلك الليلة فسر المسلمون وأتي الخبر في أواخر ربيع الأول ، وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة تنبأ وكتب إلي رسول الله ﷺ : من مسيلمة رسول الله إلي محمد رسول الله ﷺ أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك ، فأجاب من محمد رسول الله ﷺ إلي مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، فحاربه أبو بكر رضي الله تعالي عنه بجند من المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة ، وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله ﷺ خالداً فهرب بعد القتال إلي الشام ثم أسلم وحسن إسلامه ، وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه سبع : فزارة قوم عُيينة بن حصن ، وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل ، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة ، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة

مسيلمة (١) وكندة قوم الأشعث بن قيس ، وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفي الله أمرهم علي يده ، وفي إمرة عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلي الشام .

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ قيل هم أهل اليمن لما روي « أنه ﷺ أشار إلي موسي الأشعري وقال : هم قوم هذا » . وقيل : الفرس لأنه ﷺ سئل عنهم فضرب يده علي عاتق سلمان وقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة ، وثلاثة آلاف من أفناء الناس والراجع إلي من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالي للعباد إرادة الهدي والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ، ومحبة العباد له إرادة طاعته والتحرز عن معاصيه ، ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ عاطفين عليهم متذللين لهم ، جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل ، واستعماله مع علي إما لتضمنه معني العطف والحنو أو للتنبيه علي أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم علي المؤمنين خاضعون لهم أو للمقابلة ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ شداد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه ، وقرئ بالنصب علي الحال ، ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ صفة أخري لقوم ، أو حال من الضمير في أعزة .

﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ عطف علي يجاهدون بمعني أنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه ، أو حال بمعني انهم مجاهدون حالهم خلاف حال المنافقين ، فإنهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة أوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم ، واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ، ﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلي ما تقدم من الأوصاف .

﴿ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ يمنحه ويوفق له ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾ كثير الفضل ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بمن هو أهله .

---

(١) فى مسيلمة وسجاح قال الشاعر ابو العلاء المعرى:

أمّت سجاحٌ ووالاها مسيلمة كذابةٌ فى بنى الدنيا وكذابُ .

وجوب تولي الله ورسوله والمؤمنين

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لما نهي عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها ، وإنما قال وليكم الله ولم يقل أولياؤكم للتنبيه علي أن الولاية لله سبحانه وتعالي علي الأصالة ولرسوله ﷺ وللمؤمنين علي التبع . ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ صفة للذين آمنوا فإنه جري مجري الاسم ، أو بدل منه ويجوز نصبه ورفعه علي المدح . ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ متخشعون في صلاتهم وزكاتهم ، وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون ، أو يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصاً علي الإحسان ومسارعة إليه ، وإنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته ، فطرح له خاتمه ، واستدل بها الشيعة علي إمامته زاعمين أن المراد بالولي المتولي للأمور والمستحق للتصرف فيها ، والظاهر ما ذكرناه مع أن حمل الجمع علي الواحد أيضاً خلاف الظاهر وإن صح أنه نزل فيه فلعله جئ بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه، وعلي هذا يكون دليلا علي أن الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها وأن صدقة التطوع تسمي زكاة .

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ومن يتخذهم أولياء . ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ أي فإنهم الغالبون ، ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيهاً عليه فكأنه قيل: ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويهاً بذكرهم وتعظيماً لشأنهم وتشريفاً لهم بهذا الاسم ، وتعريضاً لمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان ، وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حَزَبهمْ.

من خبث المنافقين

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ﴾ نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث أظهرا الإسلام ثم نافقا ، وكان رجال من المسلمين يوادونهما . وقد رتب النهي عن موالاتهم علي اتخاذهم دينهم هزواً ولعباً إيماء إلي العلة وتنبيهاً علي أن من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة والبغضاء ، وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار علي قراءة من جره وهم أبو عمرو والكسائي

ويعقوب ، والكفار وإن عم أهل الكتاب يطلق علي المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ، ومن نصبه عطفه علي الذين اتخذوا علي أن النهي عن موالاة من ليس علي الحق رأساً سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوي وحرفه عن الصواب كأهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين .﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بترك المناهي ، ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ لأن الإيمان حقاً يقتضي ذلك ، وقيل إن كنتم مؤمنين بوعده ووعيده .

الآيات من ٥٨ : ٦٠

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (٥٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) ﴾ .

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ أي اتخذوا الصلاة ، أو المناداة وفيه دليل علي أن الأذان مشروع للصلاة ، روي : أن نصرانياً بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله ، قال : أحرق الله الكاذب ، فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطاير شررها في البيت فأحرقه وأهله ، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ فإن السفه يؤدي إلي الجهل بالحق والهزؤ به ، والعقل يمنع منه .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا ﴾ هل تنكرون منا وتعيبون ، يقال نقم منه كذا إذا أنكره وانتقم إذا كافأه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهي لغة ، ﴿ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ ﴾ الإيمان بالكتب المنزلة كلها . ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾عطف علي أن آمنا وكان المستثني لازم الأمرين وهو المخالفة أي : ما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا الإيمان وأنتم خارجون منه، أو كان الأصل واعتقاد أن أكثركم فاسقون فحذف المضاف ، أو علي ما أي : وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون ، أو علي علة

محذوفة والتقدير هل تنقمون منا إلا أن آمنا لقلة إنصافكم وفسقكم ، أو نصب بإضمار فعل يدل عليه هل تنقمون أي : ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو رفع علي الابتداء والخبر محذوف أي : وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الإنصاف ، والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله ﷺ عمن يؤمن به فقال ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ إلي قوله ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(١) فقالوا حين سمعوا ذكر عيسي : لا نعلم ديناً شراً من دينكم. ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ أي من ذلك المنقوم . ﴿مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ جزاء ثابتاً عند الله سبحانه وتعالي ، والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ها هنا موضعها علي طريقة قوله :

تَحِيَّةُ بَيْنِهِم ضَرْبٌ وَجِيع(٢)

ونصبها علي التمييز عن بشر . ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ بدل من بشر علي حذف مضاف أي بشر من أهل ذلك من لعنه الله ، أو بشر من ذلك دين من لعنه الله ، أو خبر محذوف أي هو من لعنة الله وهم اليهود أبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ، ومسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت ، وبعضهم خنازير وهم كفار أهل مائدة عيسي عليه الصلاة والسلام ، وقيل كلا المسخين في أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير . ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ عطف علي صلة من وكذا عبد الطاغوت علي البناء للمفعول ، ورفع الطاغوت وعبد بمعني صار معبوداً فيكون الراجع محذوفاً أي فيهم أو بينهم ، ومن قرأ وعابد الطاغوت أو عبد علي أنه نعت كفطن ويقظ أو عبدة أو عبد الطاغوت علي أنه جمع كخدم أو أن أصله عبدة فحذف التاء

---

(١) البقرة : ١٣٦ .

(٢) سبق الحديث عن هذا الشطر ، وصدره

وخيلٌ قد دلفت لها بخيل .

راجع تفسير الآية رقم ١٠ من سورة البقرة .

للإضافة عطفه علي القردة ، ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه علي من ، والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله تعالي ﴿ أُولَئِكَ ﴾ أي الملعونون . ﴿ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ جعل مكانهم شراً ليكون أبلغ في الدلالة علي شرارتهم ، وقيل مكاناً منصرفاً ، ﴿ وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ قصد الطريق المتوسط بين غلو النصاري وقدح اليهود ، والمراد من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقاً لا بالإضافة إلي المؤمنين في الشرارة والضلالة .

الآيات من ٦١ :٦٥

﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١) وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣) وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) ﴾ .

﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ﴾ نزلت في يهود نافقوا رسول الله ﷺ أو في عامة المنافقين . ﴿ وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ﴾ أي يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك ، والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا ، وقد إن دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح أن يقع حالاً أفادت أيضاً لما فيها من التوقع أن أمارة النفاق كانت لائحة عليهم ، وكان الرسول ﷺ يظنه ولذلك قال : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ أي من الكفر ، وفيه وعيد لهم

مسارعة اليهود في الإثم والعدوان

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ ﴾ أي من اليهود أو من المنافقين ، ﴿ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ ﴾ أي الحرام وقيل الكذب لقوله ﴿ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ ﴾(١) ﴿ وَالْعُدْوَانِ ﴾ الظلم أو مجاوزة الحد في المعاصي ، وقيل الإثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدي إلي غيرهم ، ﴿ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾أي الحرام خصه بالذكر للمبالغة ، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ لبئس شيئاً عملوه .

﴿ لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ تحضيض لعلمائهم علي النهي عن ذلك فإن لولا إذا دخل علي الماضي أفاد التوبيخ وإذا دخل علي المستقبل أفاد التحضيض . ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ أبلغ من قوله لبئس ماكانوا يعملون من حيث إن الصنع عمل الإنسان بعد تدرب فيه وتروٍ وتحري إجادة ، ولذلك ذم به خواصهم ولأن ترك الحسنة أقبح من مواقعة المعصية، لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديراً بأبلغ الذم .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ أي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولاقصد فيه إلي إثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لايتصور ذلك كقوله :

جَادَ الحِمي بَسَطَ اليدينِ بِوَابِلٍ   شَكَرَتْ نَدَاهُ تلاعُهُ وَوِهادُهُ (٢)

ونظيره من المجازات المركبة: شابت لمة الليل ، وقيل معناه إنه فقير لقوله تعالي ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾(٣) ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ دعاء عليهم بالبخل والنكد أو بالفقر والمسكنة ، أو بغل الأيدي حقيقة يغلون أساري في الدنيا ومسحوبين إلي النار في الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الأصل كقولك : سبني سَبَّ الله دابره ، ﴿بَلْ

---

(١) المائدة : ٦٣ .

(٢) جاد الحمى : الضمير فى جاد يعود على المطر وهو الموصوف بأنه بسط اليدين والوابل: الكثير المتتابع ، والتلاع : الأماكن المرتفعة ، والوهاد : الأماكن المنخفضة .

(٣) آل عمران : ١٨١ .

﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ثني اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه تعالي وإثباتاً لغاية الجود ، فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيديه ، وتنبيهاً علي منح الدنيا والآخرة وعلي مايعطي للاستدراج ومايعطي للإكرام . ﴿ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ تأكيد لذلك أي هو مختار في إنفاقه يوسع تارة ويضيق أخري علي حسب مشيئته ومقتضي حكمته لاعلي تعاقب سعة وضيق في ذات يد ، ولايجوز جعله حالاً من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولأنها مضاف إليها ، ولامن اليدين إذ لا ضمير لهما فيه ولا ضمير لذلك ، والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء فإنه قال ذلك لما كف الله عن اليهود مابسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمداً ﷺ وأشرك فيه الآخرون لأنهم رضوا بقوله ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ أي هم طاغون كافرون ويزدادون طغياناً وكفراً بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضاً من تناول الغذاء الصالح للأصحاء ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ كلما أرادوا حرب الرسول ﷺ وإثارة شر عليه ردهم الله سبحانه وتعالي بأن أوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم ، أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا فإنهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ، ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس ، ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين ، وللحرب صلة أوقدوا أو صفة ناراً ، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ أي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد وإثارة الحروب والفتن وهتك المحارم . ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ فلايجازيهم إلا شراً .

الإيمان يفتح أبواب الرزق

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا ﴾ بمحمد ﷺ وبما جاء به . ﴿ وَاتَّقَوْا﴾ ما عددنا من معاصيهم ونحوه ﴿ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها . ﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ وجعلناهم داخلين فيها ، وفيه تنبيه علي عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم ، وأن الإسلام يجب ماقبله ، وإن جل وأن الكتابي لايدخل الجنة ما لم يسلم .

الآيات من ٦٦ : ٦٩

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩) ﴾ .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾ بإذاعة ما فيهما من نعت محمد ﷺ والقيام بأحكامها ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ يعني سائر الكتب المنزلة فإنها من حيث إنهم مكلفون بالإيمان بها كالمنزل إليهم ، أو القرآن ﴿ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات من السماء والأرض ، أو يكثر ثمرة الأشجار وغلة الزروع ، أو يرزقهم الجنان اليانعة الثمار ، فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ماتساقط علي الأرض بين بذلك إنما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ، ولو أنهم آمنوا وأقاموا ما أمروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين ، ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ عادلة غير غالية ولا مقصرة ، وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته . ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ أي بئس ما يعملونه ، وفيه معني التعجب أي ما أسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والإعراض عنه والإفراط في العداوة .

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ جميع ما أنزل إليك غير مراقب أحداً ولاخائف مكروهاً ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ ﴾ وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك . ﴿ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ فما أديت شيئاً منها ، لأن كتمان بعضها يضيع

ما أدي منها كترك بعض أركان الصلاة، فإن غرض الدعوة ينتفض به ، أو فكأنك ما بلغت شيئاً منها كقوله ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (١) من حيث أن كتمان البعض والكل سواء في الشفاعة واستجلاب العقاب ، وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء. ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ عدة وضمان من الله سبحانه وتعالي بعصمة روحه ﷺ من تعرض الأعادي وإزاحة لمعاذيره . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ لايمكنهم مما يريدون بك ، وعن النبي ﷺ : « **بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعاً فأوحي الله تعالي إليّ إن لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت** » وعن أنس رضي الله تعالي عنه، كان رسول الله ﷺ يحرس حتي نزلت ، فأخرج رأسه من قبة أدم فقال : انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس ، وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما أنزل ولعل المراد به تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد ، وقصد بإنزاله إطلاعهم عليه فإن من الأسرار الإلهية ما يحرم إفشاؤه .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ أي دين يعتد به ويصح أن يسمي شيئاً لأنه باطل . ﴿ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ومن إقامتها الإيمان بمحمد ﷺ والإذعان لحكمه ، فإن الكتب الإلهية بأسرها آمرة بالإيمان بمن صدقه والمعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له ، والمراد إقامة أصولها ومالم ينسخ من فروعها ، ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه إليهم ، فإن ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ ﴾ سبق تفسيره في سورة البقرة (٢) والصابئون رفع علي الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن والتقدير : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصاري حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله :

فإني وقيارٌ بها لغريبُ (٣)

---

(١) المائدة : ٣٢ . (٢) راجع الآية ٦٢ من سورة البقرة .

(٣) هذا عجز بيت لضابئ البرجمى ، وهو بتمامه

وقوله :

وَإِلا فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنتُمْ بُغَاةٌ مَا بَقِينا في شِقَاقِ(١)

أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك ، وهو كاعتراض دل به علي أنه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الأديان كلها يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح ، كان غيرهم أولي بذلك ويجوز أن يكون والنصاري معطوفاً عليه ومن آمن خبرهما وخبر إن مقدر دل عليه ما بعده كقوله :

نَحْنُ بِماَ عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِماَ عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ(٢)

ولايجوز عطفه علي محل إن واسمها فإنه مشروط بالفراغ من الخبر ، إذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر إن معاً فيجتمع عليه عاملان ، ولاعلي الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ، ولأنه يوجب كون الصابئين هوداً وقيل إن بمعني نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء ،وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو .

﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ في محل الرفع بالابتداء وخبره ﴿ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ والجملة خبر إن أو خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف ، أي : من آمن منهم ، أو النصب علي البدل من اسم إن وماعطف عليه ، وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبأ بإبدال الهمزة ألفاً ، أو من صبوت لأنهم صبوا إلي اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعاً ولاعقلاً .

فمن يك أمسى بالمدينة رحله إني وقيار بها لغريب

والبيت من شواهد الكتاب جـ ١ ص ٣٨ .

(١) البيت لبشر بن أبي حازم الأسدى يخاطب بنى طيئ ويتوعدهم بما صنعوا بآل بدر حلفاء بنى أسد . ـ من تعليق محققي الكشاف ـ .

(٢) البيت لقيس بن الخطيم ، وهو من شواهد الكتاب جـ ١ ص ٣٨ .

الآيات من ٧٠ : ٧٤

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠) وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) ﴾

نقض اليهود مواثيقهم :

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً ﴾ ليذكروهم وليبينوا لهم أمر دينهم . ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ ﴾ بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف . ﴿ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ جواب الشرط والجملة صفة رسلاً والراجع محذوف أي رسول منهم ، وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف ، وإنما جيء بيقتلون موضع قتلوا علي حكاية الحال الماضية استحضاراً لها واستفظاعاً للقتل وتنبيهاً علي أن ذلك من ديدنهم ماضياً ومستقبلاً ومحافظة علي رءوس الآي.

﴿ وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي وحسب بنو إسرائيل أن لايصيبهم بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب لاتكون بالرفع علي أن أن هي المخففة من الثقيلة ، وأصله أنه لاتكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن فصار : أن لاتكون وإدخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم ، وأن أو بما في حيزها ساد مسد

مفعوليه . ﴿ فَعَمُوا ﴾ عن الدين أو الدلائل والهدي . ﴿ وَصَمُّوا ﴾ عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ، ﴿ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي ثم تابوا فتاب الله عليهم . ﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا ﴾ كرة أخري ، وقرئ بالضم فيهما علي أن الله تعالي أعماهم وأصمهم أي رماهم بالعمي والصمم ، وهو قليل واللغة الفاشية أعمي وأصم ، ﴿ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾ بدل من الضمير ، أو فاعل والواو علامة الجمع كقولهم: أكلوني البراغيث ، أو خبر مبتدأ محذوف أي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لأن تقديم الخبر في مثله ممتنع . ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ فيجازيهم علي وفق أعمالهم .

براءة المسيح ممن اعتبروه إلها :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ أي إني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم . ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾ أي في عبادته أو فيما يختص به من الصفات والأفعال ، ﴿ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فإنها دار الموحدين . ﴿ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ فإنها المعدة للمشركين ، ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾أي ومالهم أحد ينصرهم من النار ، فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً علي أنهم ظلموا بالإشراك وعدلوا عن طريق الحق ، وهو يحتمل أن يكون من تمام كلام عيسي عليه الصلاة والسلام وأن يكون من كلام الله تعالي نبه به علي أنهم قالوا ذلك تعظيماً لعيسي عليه السلام ، وتقرباً إليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره .

كفر الذين يقولون بالتثليث

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ أي أحد ثلاثة ، وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالأقانيم الثلاثة وماسبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد . ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث إنه مبدئ جميع الموجودات إلا إله واحد ، موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق . ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا

يَقُولُونَ ﴾ ولم يوحدوا . ﴿ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي ليمسن الذين بقوا منهم علي الكفر ، أو ليمسن الذين كفروا من النصاري ، وضعه موضع ليمسنهم تكريراً للشهادة علي كفرهم وتنبيهاً علي أن العذاب علي من دام علي الكفر ولم ينقلع عنه فلذلك عقبه بقوله :

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾ أي أفلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والأقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد . ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . يغفر لهم ويمنحهم من فضله إن تابوا، وفي هذا الاستفهام تعجيب من إصرارهم .

الآيات من ٧٥ : ٨١

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) ﴾ .

المسيح بشر كغيره من الرسل

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ أي ما هو إلا رسول كالرسل قبله خصه الله سبحانه وتعالي بالآيات كما خصهم بها ، فإن إحياء الموتي علي يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعي علي يد موسي عليه

السلام وهو أعجب ، وإن خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب . ﴿ وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق ، أو يصدقن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ﴿ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ﴾ ويفتقران إليه افتقارالحيوانات ، بين أولاً أقصي مالهما من الكمال ودل علي أنه لايوجب لهما ألوهية لأن كثيراً من الناس يشاركهما في مثله ، ثم نبه علي نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي أن يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ، ثم عجب لمن يدعي الربوبية لهما مع أمثال هذه الأدلة الظاهرة فقال ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين أي إن بياننا للآيات عجب وإعراضهم عنها أعجب .

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا ﴾ يعني عيسي عليه الصلاة والسلام ، وهو وإن ملك ذلك بتمليك الله سبحانه وتعالي إياه لايملكه من ذاته ولايملك مثل مايضر الله تعالي به من البلايا والمصائب ، وما ينفع به من الصحة والسعة وإنما قال ما نظراً إلي ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأساً ، وتنبيهاً علي أنه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الألوهية ،وإنما قدم الضر لأن التحرز عنه أهم من تحري النفع . ﴿ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ بالأقوال والعقائد فيجازي عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ أي غلوا باطلاً فترفعوا عيسي عليه الصلاة والسلام إلي أن تدعوا له الألوهية ، أو تضعوه فتزعموا أنه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصاري خاصة ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ ﴾ يعني أسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد ﷺ في شريعتهم . ﴿ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ ممن شايعهم علي بدعهم وضلالهم . ﴿ وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ عن قصد السبيل الذي هو الإسلام بعد مبعثه ﷺ لما كذبوه وبغوا عليه ، وقيل الأول إشارة إلي ضلالهم عن مقتضي العقل والثاني إشارة إلي ضلالهم عما جاء به الشرع .

لعن الذين لايأمرون بالمعروف ولاينهون عن المنكر

﴿ لُعِنَ الَّذِيـنَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيـلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ أي لعنهم الله في الزبور والإنجيل علي لسانهما ، وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت لعنهم الله تعالي علي لسان داود فمسخهم الله تعالي قردة وأصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسي عليه الصلاة والسلام ولعنهم فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل . ﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ أي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم .

﴿ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنـكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ أي لاينهي بعضهم بعضاً عن معاودة منكر فعلوه ، أو عن مثل منكر فعلوه ، أو عن منكرا أرادوا فعله وتهيئوا له ، أو لاينتهون عنه من قولهم تناهي عن الأمر وانتهي عنه إذا امتنع ، ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم .

﴿ تَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ ﴾ من أهل الكتاب . ﴿ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يوالون المشركين بغضاً لرسول الله ﷺ والمؤمنين . ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ أي لبئس شيئاً قدموه ليردوا عليه يوم القيامة . ﴿ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ هو المخصوص بالذم ، والمعني موجب سخط الله والخلود في العذاب ، أو علة الذم والمخصوص محذوف أي لبئس شيئاً ذلك لأنه كسبهم السخط والخلود .

﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ ﴾ يعني نبيهم وإن كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا عليه السلام . ﴿ وَمَا أُنـزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ إذ الإيمان يمنع ذلك . ﴿ وَلَكِنَّ كَثِيـراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ خارجون عن دينهم أو متمردون في نفاقهم .

الآيات من ٨٢ : ٨٨

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

أقرب الناس مودة للذين آمنوا النصاري

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوي ، وركونهم إلي التقليد وبعدهم عن التحقيق ، وتمرنهم علي تكذيب الأنبياء ومعاداتهم . ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ﴾ للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم علي الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل وإليه أشار بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن قبول الحق إذا فهموه ، أو يتواضعون ولايتكبرون كاليهود ، وفيه دليل علي أن التواضع والإقبال علي العلم والعمل والإعراض عن الشهوات محمود وإن كانت من كافر .

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ عطف علي لايستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلي

قبول الحق وعدم تأبيهم عنه ، والفيض انصباب عن امتلاء ، فوضع موضع الامتلاء للمبالغة ، أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها . ﴿ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ من الأولي للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا ، أو للتبعيض بأنه بعض الحق ، والمعني أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا عرفوا كله ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا ﴾ بذلك أو بمحمد . ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ من الذين شهدوا بأنه حق، أو بنبوته ، أو من أمته الذين هم شهداء علي الأمم يوم القيامة.

﴿ وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ استفهام إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين ، والدخول في مداخلهم أو جواب سائل قال لم آمنتم؟ ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معني الفعل ، أي أي شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله ، أي بوحدانيته فإنهم كانوا مثلثين ، أو بكتابه ورسوله فإن الإيمان بهما إيمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيماً ، ونطمع عطف علي نؤمن أو خبر محذوف ، والواو للحال أي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الأولي مقيداً بها أو نؤمن .

﴿ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا ﴾ أي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان أي معتقده ، ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الذين أحسنوا النظر والعمل ، أو الذين اعتادوا الإحسان في الأمور والآيات الأربع . روي « أنها نزلت في النجاشي وأصحابه بعث إليه الرسول ﷺ بكتابه فقرأه ، ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأحضر الرهبان والقسيسين ، فأمر جعفراً أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن » وقيل نزلت في ثلاثين أو سبعين رجلاً من قومه وفدوا علي رسول الله ﷺ فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ عطف التكذيب بآيات الله علي الكفر ، وهو ضرب منه لأن القصد إلي بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعاً بين الترغيب والترهيب .

النهي عن تحريم ما أحل الله

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ أي ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما قبله مدح النصاري علي ترهبهم والحث علي كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الإفراط في ذلك والاعتداء عما حد الله سبحانه وتعالي بجعل الحلال حراماً فقال: ﴿ **وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ ويجوز أن يراد به ولا تعتدوا حدود ما أحل الله لكم إلي ما حرم عليكم ، فتكون الآية ناهية عن تحريم ما أحل وتحليل ما حرم داعية إلي القصد بينهما روي « أن رسول الله ﷺ وصف القيامة لأصحابه يوماً وبالغ في إنذارهم ، فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا علي أن لا يزالوا صائمين قائمين، وأن لاينامواعلي الفرش ولاياكلوا اللحم والودك ، ولايقربوا النساء والطيب ، ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيخوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : **إني لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا ، وقوموا وناموا ، فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر ، وآكل اللحم والدسم ، وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني** »(١) فنزلت.

﴿ **وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا** ﴾ أي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله ، فيكون حلالاً مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لأنه نكرة ، ويجوز أن تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ، ويجوز أن تكون مفعولا وحلالاً حال من الموصول ، أو العائد المحذوف ، أو صفة لمصدر محذوف وعلي الوجوه لو لم يقع الرزق علي الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة . ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ** ﴾.

---

(١) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول بدون إسناد ، ورواه الطبرى فى تفسيره من طريق السدى عند تفسير هذه الآية .

الآيات من ٨٩ : ٩٣

﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٩٢) لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣) ﴾.

كفارة اليمين

﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل : لا والله وبلي والله ، وإليه ذهب الشافعي رضي الله تعالي عنه ، وقيل الحلف علي ما يظن أنه كذلك ولم يكن ، وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالي وفي أيمانكم صلة يؤاخذكم أو اللغو لأنه مصدر أو حال منه . ﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ ﴾ بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد والنية ، والمعني ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم أو بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به ، وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف ، وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعني فعل ﴿ فَكَفَّارَتُهُ ﴾ فكفارة نكثه أي الفعلة التي تذهب إثمه وتستره ، واستدل بظاهره علي جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافاً للحنفية لقوله ﷺ « من حلف علي يمين ورأي غيرها خيراً منها

فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير » ﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ من أقصده في النوع أو القدر ، وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ، وما محله النصب لأنه صفة مفعول محذوف تقديره: أن تطعموا عشرة مساكين طعاماً من أوسط ما تطعمون ، أو الرفع علي البدل من إطعام ، وأهلون كأرضون ، وقرئ أهاليكم بسكون الياء علي لغة من يسكنها في الأحوال الثلاث كالألف ، وهو جمع أهل كالليالي في جمع ليل والأراضي في جمع أرض . وقيل هو جمع اهلاة . ﴿ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ﴾ عطف علي إطعام أو من أوسط إن جعل بدلاً وهو ثوب يغطي العورة، وقيل ثوب جامع قميص أو رداء أو إزار ، وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة وكأسوتهم بمعني أو كمثل ما تطعمون أهليكم إسرافاً كان أو تقتيراً تواسون بينهم وبينهم إن لم تطعموهم الأوسط ، والكاف في محل الرفع وتقديره : أو إطعامهم كأسوتهم . ﴿ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ أو إعتاق إنسان . وشرط الشافعي رضي الله تعالي عنه فيه الإيمان قياساً علي كفارة القتل ، ومعني أو إيجاب إحدي الخصال الثلاث مطلقاً وتخيير المكفر في التعيين ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾أي واحداً منها . ﴿ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ فكفارته صيام ثلاثة أيام ، وشرط فيه أبو حنيفة رضي الله تعالي عنه التتابع لأنه قرئ ثلاثة أيام متتابعات ، والشواذ ليست بحجة عندنا إذا لم تثبت كتاباً ولم ترو سنة . ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي المذكور . ﴿ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ وحنثتم . ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾بأن تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر ، تبذلوها لكل أمر ، أو بأن تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير ، أو بأن تكفروها إذا حنثتم . ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي مثل ذلك البيان ، ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ﴾ أعلام شرائعه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نعمة التعليم أو نعمة الواجب شكرها فإن مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه .

التحريم القاطع للخمر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ ﴾ أي الأصنام التي نصبت للعبادة . ﴿ وَالأَزْلامُ ﴾سبق تفسيرها في أول السورة . ﴿ رِجْسٌ ﴾ قذر تعاف عنه العقول ، وأفرده لأنه خبر للخمر ، وخبر المعطوفات محذوف أو

لمضاف محذوف كأنه قال : إنما تعاطي الخمر والميسر ، ﴿ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾

* الإعجاز العلمي

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

أوضح الله سبحانه وتعالى الآثار الخطيرة المترتبه على تناول الخمر - حيث نلمس آثارها الصحية والنفسية والعقلية – في وصفه لها بأنها رجس من عمل الشيطان .

والخمر دنسة لا ينطبق عليها وصف " الطيبات " التى أحلها الله ، وهى من عمل الشيطان ، والشيطان عدو الإنسان القديم ، ويكفى أن يعلم المؤمن أن شيئا ما من عمل الشيطان ينفر منه حسه ، وتشمئز منه نفسه .

كما أشار الخالق سبحانه وتعالى إلى آثارها الاجتماعية فى اتخاذ الشيطان لها وسيلة لزرع العداوة والبغضاء بين الناس .

وأجمل سبحانه أثرها على أوامر الدين ونواهيه فى صدها للمسلم عن ذكر الله بصفة عامة ، وعن الصلاة بصفة خاصة ، وذلك لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر .وفى ذلك يقول الدكتور / محمد كمال عبدالعزيز – المدرس بكلية الطب – جامعة الأزهر فى كتابه لماذا حرم الله هذه الأشياء طبعة ١٩٨٧ .

تأثير المواد الكحولية والمسكرات على أجهزة الجسم المختلفة .

تؤثر الخمور والمواد الكحولية على أجهزة الجسم المختلفة ووظائفها تأثيرا ضاراً وفاتكاً ، لذلك يجب أن يحذرها المؤمن ، ويهجرها كل من وقع بين أحضانها ، لعله يتدارك نفسه وينتشلها قبل الوصول الى القاع .

تأثير الخمور على الجهاز العصبى المركزى للجسم (المخ) :

تحدث المواد الكحولية هبوطا عاماً فى جميع مراكز المخ كالتى تحدث تماماً للمواد المخدرة وتبدأ حين تبدأ بالمراكز المسئولة عن شعور الإنسان باحترام ذاته وآدميته والمراكز المسئولة عن التحكم فى الحركات الدقيقة ذات الطابع الرقيق (كالكتابة ، واستخدام الآلات الدقيقه والآلات الكاتبة) .

يفقد شارب الخمر احترام آدميته ، كما يفقد القدرة على التحكم فى عضلاته ، فليس غريبا عنا مانشاهده فى الطرقات وقد غاب عنهم ماء الحياء وحلت عندهم عقد التحفظ =

لأنه مسبب عن تسويله وتزيينه ، ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ الضمير للرجس أو لما ذكر أو للتعاطي . ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لكي تفلحوا بالاجتناب عنه .

* الإعجاز العلمي

فأصبحوا لايستطيعون كبح جماحهم ، فهم يتخبطون ذات اليمين وذات الشمال يرسلون كلامهم على عواهنه دون وجل .

لقد فقدوا القدرة على التمييز . . وأصبحوا إلى الجنون أقرب .

" وتؤثر المواد الكحولية على المخ مؤدية إلى حالة الخمول والجمود وهى حالة تبلد فى الإحساس والشعور وتضعف تبعاً لذلك قوة المخ على السيطرة على العضلات والتحكم فيها . وهذايفسر لنا حالة السكارى ، وهم يمشون فى الطرقات متحاملين متسكعين لا يكترثون بسيارة قادمة صوبهم ولا بعربة تدهمهم ، ذلك لأن المخ فيهم قد فقد سلطاته على العضلات الإرادية للجسم .

وإذا زادت جرعة المواد الكحولية فإنها تفقد العقل الوعى ويصير فى غيبوبة .

إن غيبوبه السكر - بأى مسكر - تنافي اليقظة الدائمة التي يفرضها الإسلام على قلب المسلم ، ليكون موصولا بالله في كل لحظة .

ثم إن هذه الغيبوبة في حقيقتها إن هى إلا هروب من واقع الحياة فى فترة من الفترات وجنوح إلى التصورات الوهمية التى تثيرها النشوة ، والإسلام ينكر على الإنسان هذا الطريق ويريد من الناس أن يروا الحقائق ، وأن يواجهوها ، ويعيشوا فيها ، ولايقيموا هذه الحياة على تصورات وأوهام ، تقودهم إلى طريق التحلل والهزيمة .

شعور كاذب :

إذا تناول المرء شراباً كحولياً فإنه يذهب فى الحال إلى خلايا المخ ليكون أول مايصاب بضرره ، وللكحول فى بادئ الأمر تأثير المواد المنبهة ، لأنه يمدد الأوعية الدموية التى تتصل بالمخ وبذلك تزداد كمية الدم فتحدث التنبيه الوقتي الذى يشعر به السكارى ولكن هذا التنبيه لايلبث أن يتلاشى سريعا ليستولى الجمود والخمول على المخ.

فقدان الذاكرة :

والخمر تؤثر على مراكز الذاكرة بالمخ ، فلا يستطيع أن يتلقى تكاليف ولايتحمل مسئوليات ، ولايُعتد له بشهادة فهو فاسق لاثقة فى كلامه ولا أمان فى حديثه .

تأثير الكحوليات على القلب والأوعية الدموية :

واعلم أنه سبحانه وتعالي أكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية ، بأن صدر الجملة بإنما وقرنهما بالأنصاب والأزلام ، وسماهما رجساً ، وجعلهما من عمل

*** الإعجاز العلمي**

تحدث الكحوليات اتساعاً فى الأوعيه الدموية وهذا يخلف مايأتى من النتائج :

ارتفاعا فى ضغط الدم : وهو من الأمراض الخطيرة ، حيث إنه قد يؤدى إلى هبوط فى القلب ، أو انفجار فى الشعيرات الدموية بالمخ محدثا نزيفا قاتلاً ، أو انفجار فى الشعيرات الدموية بالعين محدثاً فقدان حاسة البصر ، أو انفجار فى الشعيرات الدموية بالأذن الداخلية محدثا صماً لا علاج له .

تأثيرا ساما على عضلة القلب : مما يعوقها تدريجيا عن القيام بوظيفتها على الوجه الأكمل ، وينتهى الأمر بعجزها التام عن ذلك ، وهو المسمى بهبوط القلب (سرعة ضيق التنفس عقب المجهود العادى ، احتقان فى الرئة والكبد ، رشح تحت الجلد يمتد تدريجيا إلى سائر أجزاء الجسم ، وهذه الحالة تنتهى بالوفاة) .

تصلب الشرايين :

خلق الله الشرايين مرنة تتحمل التغيرات والضغوط المختلفة فتضيق وتتسع حسب ما تقتضيه حاجة الجسم إلى كميات الدم الموجودة بها .

والكحوليات تسبب تصلباً فى جدران الشرايين ، وتفقدها القدرة على المرونة ، ويصحب التصلب ضيق فى الشرايين قد ينتهى بانسدادها ، فيقف وصول الدم إلى العضو المصاب وينتهى بالتلف .

فإذا كان التصلب فى شرايين القلب (الشرايين التاجية) نتجت عنه أعراض الذبحة الصدرية ، حيث يشكو المريض من آلام وضيق شديدين فى الصدر يعوقانه عن الحركة ، ويأتى الألم عقب المجهودات العضلية أو الانفعالات النفسية ، فينقطع الدم فجأة عن عضلة القلب ، وقد تحدث الوفاة مباشرة .

وإذا كان التصلب فى شرايين المخ نتجت عنه أمراض عصبية كضعف الذاكرة وانحطاط القوى العقلية والشلل النصفى .

وإذا كان التصلب فى شرايين الأذن الداخلية نتج عنه الصمم العصبى والدوار وإذا كان التصلب فى شرايين العين نتج عنه ضعف فى الأبصار وقد يؤدى إلى فقدان هذا الحاسة .

الشيطان تنبيهاً علي أن الاشتغال بهما شر بحت أو غالب ، وأمر بالاجتناب عن عينهما وجعله سبباً يرجي منه الفلاح، ثم قرر ذلك بأن بين ما فيهما من المفاسد

* الإعجاز العلمي

تأثير الكحوليات على الكبد :

الكبد هو المصنع الرئيسى فى الجسم والمعمل المختص بتخليص الجسم من جميع السموم التى تدخله ، ويقوم بطردها عن طريق الدم .

والكبد هو مخزن الأغذية ليمد بها الجسم عند الحاجة اليها .

والمواد الكحولية تقتل خلايا الكبد قتلاً وتحولها الى خلايا دهنية لا وظيفة لها ، ثم يتضخم الكبد تضخماً خطيراً .

والمواد الكحولية أيضا قد تحول خلايا الكبد إلى ألياف وأوبار لاقيمة لها ولا وظيفة، وهذا مايعرف باسم مرض تليف الكبد .

وعلى أى حال من الأحوال فإذا فقد الكبد وظيفته وأصبح غير قادر على تخليص الجسم من المواد السامة فإن الطامة الكبرى تحدث ، وتهلك بقية أعضاء الجسم وأجهزته من جراء تأثير هذه المواد السامة وغالباماينتهى الأمر بالوفاة .

تأثير الكحوليات على الكليتين :

تقوم الكلية بتجميع المواد السامة التى تصل إليها عن طريق الدم وإخراجها مع البول.

فإذا تسمم هذا العضو نفسه من تأثير الكحول ، فإنه يفقد وظيفته ، بل ويصبح مصدرا خطرا على الجسم ، حيث يتحول إلى جسم دهنى لاقيمة له ولاوظيفة وغالباً ماينتهى فشل الكلية بالوفاة وهو مايسمى مرض "البولينا" حيث ترتفع نسبة مادة البولينا بالدم لعدم قدرة الكلية على التخلص منها وإخراجها ، فتؤثر هذه المادة على المخ وتقتل خلاياه .

تأثير الكحوليات على حرارة الجسم والجهاز التنفسى :

خداع كاذب :

تحدث المواد الكحولية اتساعاً مؤقتا فى الأوردة الدموية الموجودة بالجلد ، حيث يندفع اليها كميات كبيرة من الدم مما يحدث ارتفاعاً فى كمية الحرارة ، وشعورا بالدفء

الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

* الإعجاز العلمي

والانتعاش خصوصاً فى الأجواء الباردة واتساع الأوعية الدموية هو الذى يضفى على الوجوه لوناً من الاحمرار ، فهذا الاحمرار ليس علامة على الصحة ولا دليلاً على القوة ، إن هو إلا دم اتسعت أوعيته الخارجية فوضح فى حين أن الأوعية الداخلية انقبضت فمقدار الدم فى الجسم لم يتغير .

أما الشعور بالدفء والانتعاش فهو شعور مؤقت لايلبث أن يزول ويتحول الى برد شديد ورعشة بسبب فقدان الجسم لحرارته التى استعرضها عن طريق سطح الجلد ، وفقدها بالإشعاع إلى الجو البارد المحيط به ، وإذا فقد الجسم حرارته ، تعرض لنزلات البرد والالتهاب الرئوى وقلت مناعته ، وأصبح عرضة للإصابة بأمراض الجهاز التنفسى كالتهاب الشعيبات الهوائية والإصابة بميكروب الدرن الذى يحطم الرئة تحطيماً .

تأثير المواد الكحولية على النواحي الجنسية والتناسلية :

يتعاطى بعض الناس المشروبات الكحولية ظناً منهم أنها تبعث فيهم القوة والنشاط فى علاقاتهم الجنسية ، وقد أثبتت الأبحاث والتجارب العلمية خطأ هذا الظن ، وأوضحت الآثار العكسية السيئة على هذه الناحية .

والبيرة : بما تحدثه من إدرار للبول تعوق الانتصاب وتسبب العنة والخمر بجانب ذلك تحدث سرعة الإنزال ، وهو يضر المتزوج ضرراً بالغاً بمايحدثه من تأثير فى الزوجة ، يجعلها لاتشعر بلذة أو استرضاء فى لحظات الجماع ، مما يسبب لها برودا جنسياً أو نفوراً كاملاً .

نسل فاسد :

إن النطفة التى سيتكون منها البشر تتأثر بفعل الكحول تأثيراً يجعلها نطفة مصابة فاسدة ، فلا جرم أن يكون النسل الذى سيخلق منها فاسداً فى بعض نواحيه .

تأثير المسكرات على الأذن والأنف والحنجرة :

تسبب السموم الناتجة من المواد الكحولية تأثيراً ضاراً على العصب السمعى مما ينتج عنه صمم عصبى نتيجة لقتل الخلايا العصبية المسئولة عن السمع فى هذا العصب بالإضافة الى الخلايا العصبية الأخرى الموجودة بالأذن الداخلية ، ولم يعرف الطب

ويَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ ﴾ وإنما خصهما بإعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيهاً علي أنهما المقصود بالبيان وذكر الأنصاب والأزلام للدلالة

* الإعجاز العلمي

حتى الآن علاجا لهذا الصمم العصبى ، لأن الخلايا العصبية إذا ما تلفت لايمكن استبدالها أو علاجها .

كما تؤثر أيضا هذه المواد الكحولية السامة على جهاز التوازن بالأذن الداخلية مما يجعل السكارى يفقدون توازنهم ويترنحون يمينا وشمالاً . .

أما تأثير الكحوليات على الحنجرة فهو حقاً خطير ومرعب .

تسبب المواد الكحولية التهاباً مزمناً بالأحبال الصوتية مما يجعل الصوت أجش مزعجاً بدلا من أن يكون رقيقا عذباً . ولايعود الصوت الى حالته الطبيعية إلا إذا أقلع المدمن عن هذه العادة السيئة وهجر الشراب .

وإدمان المواد الكحولية هو من أهم الأسباب المؤدية الى حدوث سرطان الحنجرة ، ذلك المرض الخبيث الذى ينتهى دائما بالاختناق نتيجة لانسداد مجرى الهواء والتنفس بالحنجرة ، وتدل الإحصائيات على أن ذلك المرض الخبيث ينتشر فى أوروبا وأمريكا حيث موطن الخمر والسموم ، أما نسبته فى البلاد الإسلامية التى تحرم الخمر فقليلة جداً بدرجة لاتقاس ولاتقارن بتلك فى بلاد الخمور .

وإدمان الخمور هو أحد العوامل المؤدية الى مرض ضمور الغشاء المخاطى المبطن للأنف حيث يكتسب الأنف رائحة شديدة الكراهية ، ويمتلئ تجويفه بقشور شديدة القذارة .

تأثير الخمور على الجهاز الهضمى :

تعتبر المواد الكحولية من المنبهات التى تؤدى الى زيادة إفراد العصير المعدى ، وزيادة كمية الحامض الموجود بها . ولهذا العصير الحامضى تأثير شديد الخطورة على جدار المعدة ذاته حيث إنه يؤدى إلى تآكله وتلفه وإحداث قرحات به .

ولهذا تعد الخمور من أهم الأسباب المؤدية إلى مرض قرحة المعدة والاثنى عشر . وتسبب تلك القرحة آلاما شديدة غير محتملة فى أعلى البطن نتيجة التلامس المباشر بين المادة الحامضية الكاوية وجدار المعدة المتآكل .

وقد يكون التلف شديداً والتآكل عنيفاً فى مكان القرحة مما يؤدى إلى انفجارها ،

علي أنهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله ﷺ « شارب الخمر كعابد الوثن » ، وخص الصلاة من الذكر بالإفراد للتعظيم ، والإشعار بأن الصاد عنها كالصاد عن

* الإعجاز العلمي

وتلوث تجويف البطن والغشاء البريتونى المبطن لها بمحتويات المعدة ، والوفاة محققة فى هذا الانفجار .

لهذا ينصح الأطباء المرضى الذين لديهم استعداد لحدوث هذه القرحة بالبعد التام عن تناول أى مواد كحولية .

والإحصائيات تشير وتدل على أن نسبة قرحة المعدة والاثنى عشر فى بلاد الغرب أكثر بكثير منها فى البلاد التى تحرم تناول المشروبات الكحولية .

تأثير الخمور على البصـــر :

يؤدى الإدمان على المواد الكحولية إلى ضمور فى العصب البصرى حيث ينتج عنه انعدام الرؤية ، وفقدان حاسة البصر تدريجياً .

لاشك أن الدول التى تترك لمواطنيها الحبل على الغارب فى شأن المسكرات ، تقف فى الجهة العليا من المنحدر الخطر وهى إن عاجلا أو آجلا ستهوى إلى القاع مع ماشيدته بسبب هذا المرض الخطير الذى يسرى فى كيان هذه الدول دون أن تهتم بمعالجته بالرغم من نداء المصلحين ورجال الطب فيها وتكوينهم لكثير من الجمعيات المناهضة للمسكرات منذ زمن بعيد .

تأثير المسكرات والخمور على الناحيـة الأخلاقيـة :

إدمان الخمر يؤدى إلى إضعاف قوة الإرادة ، وإضعاف القدرة على مقاومة الشهوات والنزوات والأهواء .

وذهاب الحياء أول أثر مادى يترتب على شرب المسكرات إذ أن السكر يذهب دواعى الوقار والسكينة التى يتحلى بها الشخص ، حتى إنك لتجد السكران يرفع ثيابه حتى يرى الناس عورته ، وهو بهذا مسرور . وله فى المراقص والحانات صور فاضحة مع النساء الذين يراقصهن ، وما ذلك إلا لذهاب الحياء منه .

الإيمان من حيث إنها عماده والفارق بينه وبين الكفر ، ثم أعاد الحث علي الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتباً علي ما تقدم من أنواع الصوارف فقال : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ إيذاناً بأن الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية وأن الأعذار قد انقطعت (١)

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ فيما أمرا به . ﴿ وَاحْذَرُوا ﴾ ما نهيا

---

(١) جاء فى المنتخب من التفسير :

ذكر الله سبحانه وتعالى فى الخمر والميسر فى هذه الاية أموراً أربعة أوجبت تحريمهما :

أولها : أنها خبث وشر فى ذاته .

ثانيها : أنها تنشرالعداوة والبغضاء ، فالميسر كثيرا ما ينتهى إلى نزاع ، أو على الأقل الحقد والضغينة ، والخمر أم الكبائر .

وعلة تحريم الخمر تنحصر فى الآتى : إن الله كرم الإنسان بالعقل بأن جعل له خلايا إرادية عليا فى المخ تهيمن على الإرادة والذكاء والتمييز وكل الصفات العليا فى الإنسان . والخمر خاصة والمخدرات عامة تعمل عملها في هذه المراكز فتبطلها إما مؤقتا أو دائما حسب التأثر بالمشروب أو غيره ، وعند تنشيط وتعويق هذه المراكز عن العمل تطغى المراكز التى هى دونها فينفعل الإنسان بها ، فإما أن يطغى فيعتدى ، وأما أن يفتر ويخمد . وهذا معناه فقدان التوازن العقلى ، وبالتالى تتأثر الأعمال ، وكذا تؤثر الخمر تأثيرا سيئًا على الجهاز الهضمي والدوري ، وعلى الكلى والكبد وأخطر هذه جميعا التأثير على الكبد بتليفه .

ثالثها : إنه إذا فقد الاتزان انصرف العبد عن ذكر الله الذى به تحيا القلوب .

رابعها : وبالتالى فهى تصد عن الصلاة لأنها تنسى المؤمن الصلاة ، وكيفية أدائها على الوجه الأكمل ، وتحريم القليل ولو لم يسكر سببه الخوف من التعود والتمادى الذى ينتهى إلى الإدمان .

وعين الخمر قد أجمعت المذاهب الإسلامية على أنها كل مشروب أو غيرمشروب يسكر فى ذاته استنادا إلي حديث رسول الله ﷺ كل خمر وكل خمر حرام» ، وإلى ما أخرجه أبو داود فى سننه أنه : نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر .

المنتخب من التفسير ص ١٦٣ .

عنه أو مخالفتهما . ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ أي فاعلموا أنكم لم تضروا الرسول ﷺ بتوليكم ، فإنما عليه البلاغ وقد أدي ، وإنما ضررتم به أنفسكم .

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ مما لم يحرم عليهم لقوله : ﴿ إِذَا مَا اتَّقَوْا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي اتقوا المحرم وثبتوا علي الإيمان والأعمال الصالحة ، ﴿ ثُمَّ اتَّقَوْا ﴾ ما حرم عليهم بعد كالخمر ﴿ وَّآمَنُوا ﴾ بتحريمه ﴿ ثُمَّ اتَّقَوْا ﴾ ثم استمروا وثبتوا علي اتقاء المعاصي ﴿ وَّأَحْسَنُوا ﴾ وتحروا الأعمال الجميلة واشتغلوا بها ، روي « أنه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة رضي الله عنهم : يارسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر »(١) فنزلت .

ويحتمل أن يكون هذا التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة ، أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الإنسان التقوي والإيمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالي ، ولذلك بدل الإيمان بالإحسان في الكرة الثالثة إشارة إلي ما قاله ﷺ في تفسيره ، أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهي ، أو باعتبار ما يتقي فإنه ينبغي أن يترك المحرمات توقياً من العقاب والشبهات تحرزاً عن الوقوع في الحرام ، وبعض المباحات تحفظاً للنفس عن الخسة وتهذيباً لها عن دنس الطبيعة ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فلا يؤاخذهم بشيء ، وفيه أن من فعل ذلك صار محسناً ومن صار محسناً صار لله محبوباً .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده من حديث ابن وهب مولى أبى هريرة رضي الله عنه .

الآيات من ٩٤ : ٩٦

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٩٥) أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦)﴾.

النهي عن الصيد في أثناء الإحرام

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾نزلت في عام الحديبية ابتلاهم الله سبحانه وتعالي بالصيد ، وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها أخذاً بأيديهم وطعناً برماحهم وهم محرمون ، والتقليل والتحقير في بشئ للتنبيه علي أنه ليس من العظائم التي تدحض الأقدام كالابتلاء ببذل الأنفس والأموال ، فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو أشد منه . ﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ليتميز الخائف من عقابه . وهو غائب منتظر لقوة إيمانه ممن لايخافه لضعف قلبه وقلة إيمانه ، فذكر العلم وأراد وقوع المعلوم وظهوره أو تعلق العلم ، ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ بعد ذلك الابتلاء بالصيد ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فالوعيد لاحق به ، فإن من لا يملك جأشه في مثل ذلك ولايراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس أميل إليه وأحرص عليه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ أي محرمون جمع حرام كرداح وردح ، ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم ، وأراد بالصيد

ما يؤكل لحمه لأنه الغالب فيه عرفاً ويؤيده قوله ﷺ « خمس يقتلن في الحل والحرم ، الحدأة والغراب والعقرب والفأرة والكلب العقور » وفي رواية أخري الحية بدل العقرب ، مع ما فيه من التنبيه علي جواز قتل كل مؤذ ، واختلف في أن النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني أو لا فيكون كالشاة المغصوبة إذا ذبحها الغاصب ، ﴿ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا ﴾ ذاكراً لإحرامه عالماً بأنه حرام عليه قبل ما يقتله ، والأكثر علي أن ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فإن إتلاف العامد والمخطئ واحد في إيجاب الضمان ، بل لقوله ﴿ ومن عادفينتقم الله منه ﴾ ولأن الآية نزلت فيمن تعمد إذ روي : أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه أبو اليسر برمحه فقتله ، فنزلت﴿ فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ برفع الجزاء

والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعني فعليه أي فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم ، وعليه لايتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فإن متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف مالم يتم بها ، وإنما يكون صفته وقرأ الباقون علي إضافة المصدر إلي المفعول وإقحام مثلى كما في قولهم مثلي لايقول كذا ، والمعني فعليه أن يجزي مثل ما قتل .

وقرئ فجزاء مثلي ما قتل بنصبهما علي فليجز جزاء ، أو فعليه أن يجزي جزاء يماثل ماقتل وفجزاؤه مثل ما قتل ، وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي رضي الله تعالي عنهما ، والقيمة عند أبي حنيفة رحمه الله تعالي وقال : يقوم الصيد حيث صيد فإن بلغت القيمة ثمن هدي تخير بين أن يهدي ما قيمته قيمته وبين أن يشتري بها طعاماً فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعاً من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوماً وإن لم تبلغ تخير بين الإطعام والصوم واللفظ للأول أوفق ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ صفة جزاء ويحتمل أن يكون حالاً من ضميره في خبره أو منه إذا أضفته ، أو وصفته ورفعته بخبر يقدر لمن ، وكما أن التقويم يحتاج إلي نظر واجتهاد يحتاج إلي المماثلة في الخلقة والهيئة إليها ، فإن الأنواع تتشابه كثيراً ، وقرئ ذو عدل علي إرادة الجنس أو الإمام ، ﴿ هَدْيًا ﴾ حال من الهاء في به أو من جزاء وإن نون لتخصصه بالصفة ، أو بدل من مثل باعتبار محله أو لفظه فيمن نصبه ، ﴿ بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ وصف به

هدياً لأن إضافته لفظية ومعني بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ، وقال أبو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء.

﴿ أَوْ كَفَّارَةٌ ﴾ عطف علي جزاء إن رفعته وإن نصبته فخبر محذوف . ﴿ طَعَامُ مَسَاكِينَ ﴾ عطف بيان أو بدل منه ، أو خبر محذوف أي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالإضافة للتبين كقولك : خاتم فضة ، والمعني عند الشافعي أو أن يكفر بإطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مداً .

﴿ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ أو ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوماً ، وهو في الأصل مصدر أطلق للمفعول ، وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدر كعدل الحمل وذلك إشارة إلي الطعام ، وصياماً تمييز للعدل، ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ متعلق بمحذوف أي فعليه الجزاء أو الطعام والصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام ، أو الثقل الشديد علي مخالفة أمر الله تعالي وأصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل ، ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ من قتل الصيد محرماً في الجاهلية أو قبل التحريم ، أو في هذه المرة ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ إلي مثل هذا . ﴿ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة علي العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح ، ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ مما أصر علي عصيانه .

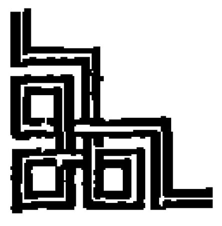
تحليل صيد البحر في الإحرام

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ ﴾ ما صيد منه مما لايعيش إلا في الماء ، وهو حلال كله لقوله ﷺ في البحر « **هو الطهور ماؤه الحل ميتته** » وقال أبو حنيفة لايحل منه إلا السمك ،وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر . ﴿ وَطَعَامُهُ ﴾ ماقذفه أو نضب عنه ، وقيل الضمير للصيد وطعامه أكله ، ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ ﴾ تمتيعاً لكم نصب علي الغرض ﴿ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ أي ولسيارتكم يتزودونه قديداً ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ﴾ أي ما صيد فيه ، أو الصيد فيه علي الأول يحرم علي المحرم أيضاً ما صاده الحلال وإن لم يكن له فيه مدخل ، والجمهور علي حله لقوله ﷺ « **لحم الصيد حلال لكم ، مالم تصطادوه أو يصد لكم** » ﴿ مَا دُمْتُمْ

حُرُمًا ﴾ أي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

الآيات من ٩٧ : ١٠٢

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٨) مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩) قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢) ﴾ .



من حكمة فريضة الحج

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ ﴾ صيرها ، وإنما سمي البيت كعبة لتكعبه ، ﴿ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾ عطف بيان علي جهة المدح ، أو المفعول الثاني ﴿ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾ انتعاشاً لهم أي سبب انتعاشهم في أمر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ، ويربح فيه التجار ويتوجه إليه الحجاج والعمار ، أو ما يقوم به أمر دينهم ودنياهم ، وقرأ ابن عامر قيماً علي أنه مصدر علي فعل كالشبع أعل عينه كما أعل في فعله ونصبه علي المصدر أو الحال ، ﴿ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ﴾ سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدي فيه الحج ، وهو ذو الحجة لأنه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ، ﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلي الجعل ، أو إلي ما ذكر من الأمر بحفظ حرمة الإحرام وغيره ، ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ فإن شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب

المنافع المترتبة عليها ، دليل حكمة الشارع وكمال علمه ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد إطلاق .

﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها ، أو لمن أصر عليه ولمن أقلع عنه .

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به أي الرسول أتي بما أمر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط ، ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة .

القليل الطيب خير من الكثير الخبيث

﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ حكم عام في نفي المساواة عند الله سبحانه وتعالي بين الرديء من الأشخاص والأعمال والأموال وجيدها ، رغب به في مصالح العمل وحلال المال . ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ فإن العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة ، فإن المحمود القليل خير من المذموم الكثير ، والخطاب لكل معتبر ولذلك قال : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ أي فاتقوه في تحري الخبيث وإن كثر ، وآثروا الطيب وإن قل . ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾راجين أن تبلغوا الفلاح ، روى أنها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عنه وإن كانوا مشركين .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ الشرطية وماعطف عليها صفتان لأشياء والمعني : لاتسألوا رسول الله ﷺعن أشياء إن تظهر لكم تغمكم وإن تسالوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم ، وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو أنه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه ، وأشياء اسم جمع كطرفاء غير أنه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل أفعلاء حذفت لامه جمع لشئ علي أن أصله شئ كهين ، أو شئ كصديق فخفف وقيل أفعال جمع له من غير تغيير كبيت وأبيات ويرده منع صرفه ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ﴾ صفة أخري أي عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها ، إذ

روي أنه لما نزلت ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾[1] قال سراقة بن مالك : أكل عام فأعرض عنه رسول الله ﷺ حتي أعاد ثلاثاً فقال : **لا ولو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم** » فنزلت أو استئناف أي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا لمثلها . ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ لايعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ، ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما « **أنه ﷺ كان يخاطب ذات يوم وهو غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال : لا أسأل عن شئ إلا أجبت ، فقال رجل : أين أبي فقال في النار ، وقال آخر من أبي فقال : حذافة وكان يدعي لغيره**»[2] فنزلت ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ ﴾ في الضمير للمسألة التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن أو لأشياء بحذف الجار . ﴿ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾ متعلق بسألها وليس صفة لقوم ، فإن ظرف الزمان لايكون صفة للجثة ولا حالاً منها ولا خبراً عنها ﴿ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾ أي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحوداً .

الآيات من ١٠٣ : ١٠٦

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) يَا

---

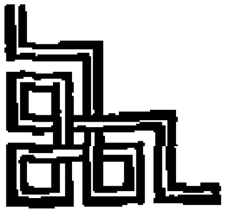
(١) آل عمران : ٩٧ .

(٢) رواه ابن كثير فى تفسيره جـ٣ ص ١٩٩ وقال : رواه البخارى في تفسير سورة المائدة وأحمد فى مسنده والطبرى فى تفسيره جـ ١١ ص ١٠٠ الأثر رقم ١٢٧٩٧ .

والسائل هو عبد الله بن حذافة السهمى ، أسلم قديما وصحب رسول الله ﷺ وهاجر إلى الحبشة فى الهجرة الثانية .

ذكر ذلك ابن الأثير فى أسد الغابة جـ ٣ ص ٢١١ .

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ (١٠٦) ﴾ .



من أوهام أهل الجاهلية

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ رد وإنكار لما ابتدعه أهل الجاهلية وهو أنهم إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وخلوا سبيلها ، فلا تركب ولاتحلب ، وكان الرجل منهم يقول : إن شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها ، وإذا ولدت الشاة أنثي فهي لهم وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم وإن ولدتهما قالوا وصلت الأنثي أخاها فلا يذبح لها الذكر ، وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعي وقالوا : قد حمي ظهره ، ومعني ما جعل ما شرع ووضع ، ولذلك تعدي إلي مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة . ﴿ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ بتحريم ذلك ونسبته إلي الله سبحانه وتعالي ، ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم، أو الآمر من الناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه أن منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء أن يعترفوا به .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ بيان لقصور عقولهم وانهماكهم في التقليد وأن لا سند لهم سواه، ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾الواو للحال والهمزة دخلت عليها لإنكار الفعل علي هذه الحال ، أي أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين ، والمعني أن الاقتداء إنما يصح بمن علم أنه عالم مهتد وذلك لايعرف إلا بالحجة فلايكفي التقليد .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي احفظوها والزموا إصلاحها ،

والجار مع المجرور جعل اسماً لالزموا ولذلك نصب أنفسكم ، وقرئ بالرفع علي الابتداء . ﴿ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ لايضركم الضلال إذا كنتم مهتدين ، ومن الاهتداء أن ينكر المنكر حسب طاقته كما قال ﷺ «**من رأي منكم منكراً واستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه**»(١) والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون علي الكفرة ويتمنون إيمانهم ، وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له بسفهت آباءك فنزلت ، ولايضركم يحتمل الرفع علي أنه مستأنف ويؤيده أن قرئ لايضيركم والجزم علي الجواب أو النهي لكنه ضمت الراء اتباعاً لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المُدْغمة وتنصره قراءة من قرأ لايضركم بالفتح ، ولايضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وعد ووعيد للفريقين وتنبيه علي أن أحداً لايؤاخذ بذنب غيره .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ أي فيما أمرتم شهادة بينكم ، والمراد بالشهادة الإشهاد في الوصية وإضافتها إلي الظرف علي الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين علي ليقم . ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ إذا شارفه وظهرت أمارته وهو ظرف للشهادة ﴿ حِينَ الْوَصِيَّةِ ﴾ بدل منه وفي إبداله تنبيه علي أن الوصية مما ينبغي أن لايتهاون فيه أو ظرف حضر ، ﴿ اثْنَانِ ﴾ فاعل شهادة ويجوز أن يكون خبرها علي حذف المضاف ، ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ أي من أقاربكم أو من المسلمين وهما صفتان لاثنان ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ عطف علي اثنان ، ومن فسر الغير بأهل الذمة جعله منسوخاً فإن شهادته علي المسلم لاتسمع إجماعاً . ﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي سافرتم فيها ﴿ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ أي قاربتم الأجل ، ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا ﴾ تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله أو آخران من غيركم اعتراض ، فائدته الدلالة علي أنه ينبغي أن يشهد اثنان منكم فإن تعذر كما في

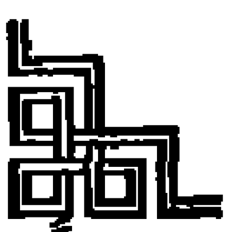
---

(١) رواه السيوطى فى الجامع الصغير جـ ٢ ص ١٧٨ وقال : رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه . ورمز له بالصحة والحسن .

السفر فمن غيركم ، أو استئناف كأنه قيل كيف نعمل إن ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما ﴿ مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ﴾ صلاة العصر ، لأنه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ، وقيل أي صلاة كانت ، ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ إن ارتاب الوارث منكم ، ﴿ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا ﴾ مقسم عليه ، وإن ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب ، والمعني لانستبدل بالقسم أو بالله عرضا من الدنيا أي لانحلف بالله كاذباً لطمع ﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ ولو كان المقسم له قريباً منا ، وجوابه أيضاً محذوف أي لانشتري ، ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ﴾ أي الشهادة التي أمرنا الله بإقامتها ، وعن الشعبي أنه وقف علي شهادة ثم ابتدأ الله بالمد علي حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه، وروي عنه بغيره كقولهم الله لأفعلن .﴿ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴾ أي إن كتمنا ، وقرئ لمَلاثمين بحذف الهمزة وإلقاء حركتها علي اللام وإدغام النون فيها .

الآيات من ١٠٧ : ١٠٩

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨) يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١٠٩) ﴾ .



﴿ فَإِنْ عُثِرَ ﴾ فإن اطلع .﴿ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ أي فعلا ما أوجب إثما كتحريف . ﴿ فَآخَرَانِ ﴾ فشاهدان آخران . ﴿ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ﴾ من الذين جني عليهم وهم الورثة ، وقرأ حفص استحق علي البناء للفاعل وهو الأوليان ، ﴿ الْأَوْلَيَانِ ﴾ الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف أي : هما الأوليان أو خبر آخران أو مبتدأ خبره آخران، أو بدل منهما ومن الضمير في يقومان ، وقرأ حمزة ويعقوب وأبو بكر عن

عاصم الأولين علي أنه صفة للذين ، أو بدل منه أي من الأولين الذين استحق عليهم ، وقرئ الأولين علي التثنية وانتصابه علي المدح والأولان وإعرابه إعراب الأوليان . ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا ﴾ أصدق منها وأولي بأن تقبل ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا ﴾ وما تجاوزنا فيها الحق ، ﴿ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الواضعين الباطل موضع الحق ،أو الظالمين أنفسهم إن اعتدينا ومعني الآيتين أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه علي وصيته ،أو يوصي إليهما احتياطاً فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخرين من غيرهم ، ثم إن وقع نزاع وارتياب أقسما علي صدق مايقولان بالتغليظ في الوقت ، فإن اطلع علي أنهما كذبا بأمارةأو مظنة حلف آخران من أولياء الميت ، والحكم منسوخ إن كان الاثنان شاهدين فإنه لايحلف الشاهد ولايعارض يمينه بيمين الوارث وثابت إن كانا وصيين ورد اليمين إلي الورثة إما لظهور خيانة الوصيين فإن تصديق الوصي باليمين لأمانته أو لتغيير الدعوي .

من نزلت هذه الآيات بخصوصهما

إذ روي أن تميماً الداري وعدي بن يزيد [1] خرجا إلي الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولي عمرو بن العاص وكان مسلماً ، فلما قدموا الشام مرض بديل فَدَوَّن ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به ، وأوصي إليهما بأن يدفعا متاعه إلي أهله ومات ، ففتشاه وأخذا منه إناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشاً بالذهب فغيباه ، فأصاب أهله الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فترافعوا إلي رسول الله ﷺ فنزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ الآية ، فحلفهما رسول الله ﷺ بعد صلاة العصر عند المنبر وخلي سبيلهما ، ثم وجد الإناء في أيديهما فأتاهما بنوسهم في ذلك فقالا : قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا أن نقربه فرفعوهما إلي رسول الله ﷺ فنزلت ﴿ فإن عثر﴾ فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان فحلفا واستحقاه ، ولعل تخصيص العدد فيهما لخصوص الواقعة .

---

(١) فى تفسير القرطبى عدى بن بدّاء .

راجع القصة فى تفسير القرطبى جـ ٤ ص ٢٣٤٣ ط دار الشعب .

﴿ ذَلِكَ ﴾ أي الحكم الذي تقدم أو تحليف الشاهد ، ﴿ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا ﴾ علي نحو ما حملوها من غير تحريف وخيانة فيها ﴿ أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ أن ترد اليمين علي المدعين ، بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وإنما جمع الضمير لأنه حكم يعم الشهود كلهم ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ﴾ ما توصون به سمع إجابة . ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أي لا يهديهم إلي حجة أو إلي طريق الجنة ، فقوله تعالي :

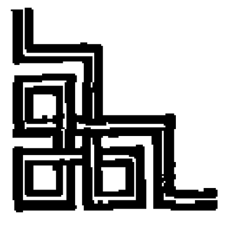
التحذير من يوم البعث

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ ﴾ ظرف له ، وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال ، أو مفعول واسمعوا علي حذف المضاف أي واسمعوا خبر يوم جمعهم، أو منصوب بإضمار اذكر . ﴿ فَيَقُولُ ﴾ أي للرسل ، ﴿ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾ أي إجابة أجبتم علي أن ماذا في موضع المصدر ، أو بأي شئ أجبتم فحذف الجار، وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما أن سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد ولذلك ﴿ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا ﴾ أي لا علم لنا بما لست تعلمه . ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ فتعلم ما نعلمه مما أجابونا وأظهروا لنا وما لانعلم مما أضمروا في قلوبهم، وفيه التشكي منهم ورد الأمر إلي علمه بما كابدوا منهم ، وقيل المعني لاعلم لنا إلي جنب علمك،أو لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا وإنما الحكم للخاتمة ، وقرئ علام بالنصب علي أن الكلام قد تم بقوله إنك أنت ، أي إنك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب علي الاختصاص أو النداء ، وقرأ أبو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع .

الآيات من ١١٠ : ١١٣

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ

كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) ﴾.



من المعجزات التي أيد الله بها عيسي

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴾ بدل من يوم يجمع وهو علي طريقة ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾(١) والمعني أنه سبحانه وتعالي يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وتعديد ما أظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة، وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة .أو نصب بإضمار اذكر ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ ﴾ قويتك وهو ظرف لنعمتي أو حال منه وقرئ آيدتك ، ﴿ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ بجبريل عليه الصلاة والسلام ،أو بالكلام الذي يحيا به الدين ،أو النفس حياة أبدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله : ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ أي كائنا في المهد وكهلاً ، والمعني تكلمهم في الطفولة والكهولة علي سواء ، والمعني إلحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم ، وبه استدل علي أنه سينزل فإنه رفع قبل أن يكتهل . ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ سبق تفسيره في سورة آل عمران ، وقرأ نافع ويعقوب طائراً ويحتمل الإفراد والجمع كالباقر ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ ﴾ يعني اليهود حين هموا بقتله ﴿ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ظرف لكففت .﴿ فَقَالَ الَّذِينَ

---

(١) الأعراف : ٤٤ .

كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾أي ما هذا الذي جئت به إلا سحر مبين ، وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر فالإشارة إلي عيسي عليه الصلاة والسلام .

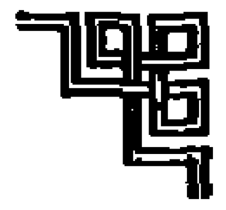
﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾ أي أمرتهم علي ألسنة رسلي . ﴿ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾ يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون مفسرة . ﴿ قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ مخلصون .

قصة المائدة التي نزلت من السماء

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ منصوب باذكر ،أو ظرف لقالوا فيكون تنبيهاً علي أن ادعاءهم الإخلاص مع قولهم . ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة علي ما تقتضيه الحكمة والإرادة لا علي ما تقتضيه القدرة، وقيل المعني هل يطيع ربك أي هل يجيبك ، واستطاع بمعني أطاع كاستجاب وأجاب وقرأ الكسائي تستطيع ربك أي سؤال ربك ، والمعني هل تسأله ذلك من غير صارف ، والمائدة الخوان إذا كان عليه الطعام ،من ماد الماء يميد إذا تحرك ،أو من ماده إذا أعطاه كأنها تميد تقدمن إليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة .

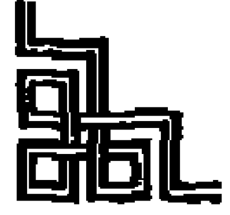
﴿ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ من أمثال هذا السؤال .﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ بكمال قدرته وصحة نبوتي ،أو صدقتم في ادعائكم الإيمان .

﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا ﴾ تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلي السؤال وهو أن يتمتعوا بالأكل منها .﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ بانضمام علم المشاهدة إلي علم الاستدلال بكمال قدرته سبحانه وتعالي ﴿ وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ في ادعاء النبوة ،أو أن الله يجيب دعوتنا . ﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ إذا استشهدتنا أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر .



الآيات من ١١٤ : ١١٥

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (١١٥) ﴾



﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ لما رأي أن لهم غرضا صحيحاً في ذلك ،أو أنهم لايقلعون عنه فأراد إلزامهم الحجة بكمالها ، ﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً ﴾ أي يكون يوم نزولها عيداً نعظمه ، وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيداً ، وقرئ تكن علي جواب الأمر ﴿ لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ بدل من لنا بإعادة العامل أي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا ، روي : أنها نزلت يوم الأحد فلذلك اتخذه النصاري عيداً ، وقيل يأكل منها أولنا وآخرنا وقرئ لأولانا وأخرانا بمعني الأمة أو الطائفة﴿ وَآيَةً ﴾عطف علي عيد ﴿ مِّنكَ ﴾ صفة لها أي آية كائنة منك دالة علي كمال قدرتك وصحة نبوتي . ﴿ وَارْزُقْنَا ﴾ المائدة والشكر عليها ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ أي خير من يرزق لأنه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض . ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ إجابة إلي سؤالكم، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد . ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا ﴾ أي تعذيباً ويجوز أن يجعل مفعولاً به علي السعة. ﴿ لَّا أُعَذِّبُهُ ﴾ الضمير للمصدر ،أو للعذاب إن أريد ما يعذب به علي حذف حرف الجر ، ﴿ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ أي من عالمي زمانهم أو العالمين مطلقاً فإنهم مسخوا قردة وخنازير ، ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم .

روي : أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون إليها حتي سقطت بين أيديهم ، فبكي عيسي عليه الصلاة والسلام وقال : اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولاتجعلها مثلة وعقوبة ، ثم قام فتوضأ وصلي وبكي ، ثم كشف المنديل وقال : بسم الله خير الرازقين ، فإذا سمكة مشوية بلا

فلوس ولاشوك تسيل دسماً وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ماخلا الكراث ، وإذا خمسة أرغفة علي واحد منها زيتون وعلي الثاني عسل وعلي الثالث سمن وعلي الرابع جبن وعلي الخامس قديد ، فقال شمعون : ياروح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة فقال : ليس منهما ولكن اخترعه الله سبحانه وتعالي بقدرته كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله ، فقالوا : ياروح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخري فقال : ياسمكة احيي بإذن الله تعالي فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة، ثم عَصَوْا بعدها فمسخوا .

وقيل : كانت تأتيهم أربعين يوماً غباً (١) يجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار يأكلون حتي إذا فاء الفئ طارت وهم ينظرون في ظلها ، ولم يأكل منها فقير إلا غني مدة عمره ، ولامريض إلا برئ ولم يمرض أبداً ، ثم أوحي الله تعالي إلي عيسي عليه السلام أن اجعل مائدتي في الفقراء والمرضي دون الأغنياء والأصحاء ، فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلاً :

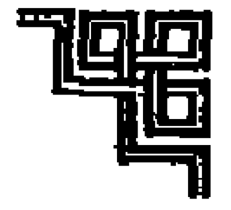
وقيل: لما وعد الله إنزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا : لانريد فلم تنزل .

وعن مجاهد أن هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات .

وعن الصوفية: المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف ، فإنها غذاء الروح كما أن الأطعمة غذاء البدن وعلي هذا فلعل الحال أنهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها ، فقال لهم عيسي عليه الصلاة والسلام : إن حصلتما الإيمان فاستعملوا التقوي حتي تتمكنوا من الاطلاع عليها ، فلم يقلعوا عن السؤال وألحوا فيه فسأل لأجل اقتراحهم ، فبين الله سبحانه وتعالي أن إنزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة ، فإن السالك إذا انكشف له ماهو أعلي من مقامه لعله لايحتمله ولايستقر له فيضل به ضلالاً بعيداً.

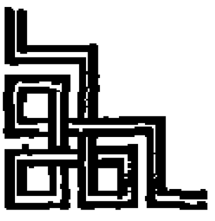
---

(١) غبًّا : تأتي يومًا بعد يوم.



الآيات من ١١٦ : ١٢٠

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠) ﴾



فضح الذين ادعوا ألوهية عيسي عليه السلام

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ، ومن دون الله صفة لإلهين أو صلة اتخذوني ، ومعني دون إما المغايرة فيكون فيه تنبيه علي أن عبادة الله سبحانه وتعالي مع عبادة غيره كلا عبادة، فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده أو للقصور ، فإنهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة وإنما زعموا أن عبادتهما توصل إلي عبادة الله سبحانه وتعالي وكأنه قيل : اتخذوني وأمي إلهين متوصلين بنا إلي الله سبحانه وتعالي ﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾ أنزهك تنزيهاً من أن يكون لك شريك .﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ ماينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله .﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنه ، ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات .

﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه .

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه .﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ عطف بيان للضمير في به ،أو بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقاً ليلزم بقاء الموصول بلا راجع ، أو خبر مضمرأو مفعوله مثل هوأو أعني ، ولايجوز إبداله من ماأمرتني به فإن المصدر لايكون مفعول القول ولاأن تكون أن مفسرة لأن الأمر مسند إلي الله سبحانه وتعالي ، وهو لايقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكي بعده إلا أن يؤول القول بالأمر فكأن قيل: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به أن اعبدوا الله. ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أي رقيباً عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه،أو مشاهداً لأحوالهم من كفر وإيمان ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾بالرفع إلي السماء لقوله ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ ﴾(١) والتوفي أخذ الشئ وافياً ، والموت نوع منه قال الله تعالي ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾(٢).﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ المراقب لأحوالهم فتمنع من أردت عصمته من القول به بالرشاد إلي الدلائل والتنبيه عليها بإرسال الرسل وإنزال الآيات.﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾مطلع عليه مراقب له .

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ أي إن تعذبهم فإنك تعذب عبادك ولااعتراض علي المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه علي أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وقد عبدوا غيرك .﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فلا عجز ولااستقباح فإنك القادر القوي علي الثواب والعقاب ، الذي لا يثيب ولايعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم ، فإن عَذَّبْت فعدل وإن غفرت ففضل ، وعدم غفران الشرك بمقتضي الوعيد فلاامتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بأن.

﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ وقرأ نافع يوم بالنصب علي أنه ظرف لقال وخبر هذا محذوف ،أو ظرف مستقر وقع خبراً والمعني هذا الذي

---

(١) آل عمران : ٥٥ . (٢) الزمر : ٤٢ .

مر من كلام عيسي واقع يوم ينفع ، وقيل: إنه خبر ولكن بني علي الفتح بإضافته إلي الفعل وليس بصحيح ،لأن المضاف إليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فإن النافع ماكان حال التكليف ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ بيان للنفع ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تنبيه علي كذب النصاري وفساد دعواهم في المسيح وأمه، وإنما لم يقل ومن فيهن تغليباً للعقلاء وقال ومافيهن اتباعاً لهم غير أولي العقل إعلاماً بأنهم في غاية القصور عن معني الربوبية والنزول عن رتبة العبودية، وإهانة لهم وتنبيهاً علي المجانسة المنافية للألوهية ، ولأن مايطلق متناولاً للأجناس كلها فهو أولي بإرادة العموم .

من فضائل سورة المائدة

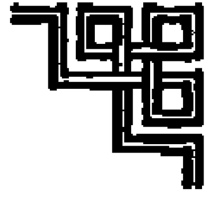
عن النبي ﷺ «**من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا**» (١) .

(١) رواه الزمخشرى فى تفسير الكشاف .
وقال ابن حجر : رواه أبى بن كعب .

سورة الأنعام مكية

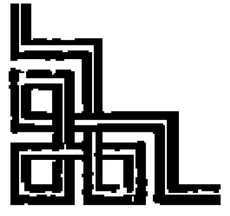
وآياتها خمس وستون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٥

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٥) ﴾



من دلائل قدرة الله تعالي

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ ﴾ أخبر بأنه سبحانه وتعالي حقيق بالحمد ، ونبه علي أنه المستحق له علي هذه النعم الجسام حمد أو لم يحمد ، ليكون حجة علي الذين هم بربهم يعدلون ، وجمع السموات دون الأرض وهي مثلهن لأن طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات ، وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها . ﴿ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾أنشأهما ،

---

* الإعجاز العلمي

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام . إن الله كان عليكم رقيباً ﴾.

والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد أن الخلق فيه معني التقدير والجعل فيه معني التضمن ، ولذلك عبر عن إحداث النور والظلمة بالجعل تنبيها علي أنهما لايقومان بأنفسهما كما زعمت الثنوية ، وجمع الظلمات لكثرة أسبابها والأجرام الحاملة لها ،أو لأن المراد بالظلمة الضلال ، وبالنور الهدي والهدي واحد والضلال متعدد ، وتقديمها لتقدم الإعدام علي الملكات ، ومن

* الإعجاز العلمى

(ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

(هو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً .. وكان ربك قديراً) .

خلق الله سبحانه وتعالى بنى آدم وكرمهم على كثير ممن خلق .. وجعل نظام بقائهم مرتبطاً بالتزاوج والتناسل ... وجعل نسله من ماء مهين .. وجعله من سلالة من طين .. عناصر تكوينه التراب والطين اللازب .. ولكنه اصطفاه وأضافه إلى نفسه ونفخ فيه من روحه .. (الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين .. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه .. وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون) ..

وأهمية التناسل والجهاز التناسلى فى الإنسان هى أهمية بقاء النوع .. وبقاء النوع مقدم حتى على بقاء الفرد .. وغريزة البحث عن الطعام تؤكد بقاء الفرد .. وجوعة الجنس تؤكد بقاء الجنس البشرى ..

ولم يوكل الله سبحانه وتعالى إلى البشر حفظ النوع .. وإنما ركب فيهم هذه الغريزة القوية الدافعة .. وجعل فى الرجل شوقاً وحنيناً إلى المرأة .. وجعل فى المرأة رغبة وتطلعاً إلى الرجل .. وغرز فيهم حب الأبناء .. وتحمل المشاق فى سبيل تنشئتهم وتربيتهم ..

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها .. وجعل بينكم مودة ورحمة ـ إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ..) .

(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً . وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة .. ورزقكم من الطيبات) ..

زعم أن الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم أن عدم الملكة كالعمي ليس صرف العدم حتي لايتعلق به الجعل ،.﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ عطف علي قوله الحمد لله علي معني أن الله سبحانه وتعالي حقيق بالحمد علي ماخلقه نعمة علي العباد ، ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته، ويكون بربهم تنبيهاً علي أنه خلق هذه الأشياء أسباباً لتكونهم وتعيشهم

* الإعجاز العلمي

ويقول ابن القيم فى التبيان في أقسام القرآن ص ٢٣٨ :

« ثم لما أراد الله سبحانه أن يذر نسلهما (أى آدم وحواء) فى الأرض ويكثره وضع فيهما حرارة الشهوة ونار الشوق والطلب . وألهم كلاً منهما اجتماعه بصاحبه فاجتمعا على أمر قد قدر » .. ويقول « ثم اقتضت حكمته سبحانه أن قدر لخروجها (أى الشهوة) أقوى الأسباب المستفرغة لها من خارج وداخل .. فقيض لها صورة حسنها فى عين الناظر وشوقه إليها . وساق أحدهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة والمحبة فحن كل منهما إلى امتزاجه بصاحبه واختلاطه به ليقضى الله أمرا كان مفعولا .. وجعل هذا محل الحرث وهذا محل البذر ليلتقى الماءان على أمر قد قدر » .

والحكمة فى خلق الإنسان من الذكر والأنثى خفية على الناس .. ولو تمعنوا فيها لسجدوا لله شكراً على هذه النعمة .. وكم من نعم تغمرنا آناء الليل وأطراف النهار ونحن عنها غافلون .. بل متجبرون كافرون ..

ولو خلق الله الإنسان من خلية واحدة تنقسم كما تنقسم الأميبيا والبكتريا لأصبح ملايين البشر نسخة مملة مكررة .. ولكن الله ربط التناسل بالذكر والأنثى بحيث ينفرد كل إنسان عن غيره حتى ولو كانا توأمين ..

فالخلايا تحمل فى طياتها جسيمات ملونة (الصبغات أو الكروموسومات) وهذه الأخيرة تحمل خصائص البشرية وخصائص الوراثة .. وتنقسم الخلية فى خصية الرجل وفى مبيض المرأة بحيث يحتوى الحيوان المنوى (نطفة الذكر) على نصف العدد من هذه الجسيمات .. وكذلك البويضة .. فإذا اجتمعا كونا النطفة الأمشاج المختلطة من ماء الرجل (الحيوان المنوى) وماء المرأة (البويضة) .

فمن حقه أن يحمد عليها ولايكفر ،أو علي قوله خلق علي معني أنه سبحانه وتعالي خلق مالايقدر عليه أحد سواه، ثم هم يعدلون [1] مالا يقدر علي شئ منه ، ومعني ثم : استبعاد عدولهم بعد هذا البيان ، والباء علي الأول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة أي يعدلون عنه ليقع الإنكار علي نفس الفعل ، وعلي الثاني متعلقة بيعدلون والمعني أن الكفار يعدلون بربهم الأوثان أي يسوونها به سبحانه وتعالي .

---

(١) يعدلون به : يسوون به .

* الإعجاز العلمي

وهكذا يتنوع البشر ويختلفون .. ويصبح كل فرد منهم مميزاً عن الآخرين .. وإن ارتبط بهم برباط النسب .. ولحمة الدم .. فالأصل واحد .. والناس لآدم .. وآدم من تراب . ولكن شتان بين معادن الخير ومعادن الشر . وشتان بين نوح وابنه .. وبين إبراهيم وأبيه .. وبين لوط وزوجته .. ونوح وامرأته .. وفرعون الجبار وآسيا المؤمنة الطاهرة .. النقية .

وعوامل الوراثة والاصطفاء تعمل خفية في هذا وذاك وترسم الملامح والصفات والشيات كما ترسم الطول والقصر .. والاستعداد لهذا المرض أو ذاك .. ولو كان تناسل الإنسان يتم كما يتم تناسل الأميبيا من خلية واحدة لكانوا جميعا صورة مكررة مملة .

تلك هى إحدى حكم الزوجيه وإحدى حكم اختلاف الجنسين الذكر والأنثى ثم التقائهم بعد ذاك بماء مهين .. تختلف فيه الحيوانات المنوية فيما بينها . ويختلف الحيوان المنوى عن البويضة ..

(ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون) . (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة .. فمستقر ومستودع . قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) .

(ومن آياته خلق السموات والأرض . واختلاف ألسنتكم وألوانكم . إن فى ذلك لآيات للعالمين) .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ أي ابتدأ خلقكم منه ، فإنه المادة الأولي وأن آدم الذي هو أصل البشر خلق منه،أو خلق أباكم فحذف المضاف ، ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً ﴾ أجل الموت . ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾ أجل القيامة ، وقيل الأول مابين الخلق والموت ، والثاني مابين الموت والبعث ، فإن الأجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها ، وقيل الأول النوم والثاني الموت ، وقيل الأول لمن مضي والثاني لمن بقي ولمن يأتي ، وأجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغني عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بأنه مسمي أي مثبت معين لايقبل التغيير ، وأخبر عنه بأنه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولاقدرة ولأنه المقصود بيانه، ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت أنه خالقهم وخالق أصولهم ومحييهم إلي آجالهم ، فإن من قدر علي خلق المواد وجمعها وإيداع الحياة فيها وإبقائها ما يشاء كان أقدر علي جمع تلك المواد وإحيائها ثانيا، فالآية الأولي دليل التوحيد والثانية دليل البعث ، والامتراء الشك وأصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع .

﴿ وَهُوَ اللَّهُ ﴾ الضمير لله سبحانه وتعالي والله خبره ، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾متعلق باسم الله والمعني هو المستحق للعبادة فيهما لاغير ، كقوله سبحانه وتعالي ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ﴾(١) أو بقوله ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ والجملة خبر ثان ،أو هي الخبر والله بدل ، ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم إذا كنت خارجه والصيد فيه أوظرف مستقر وقع خبراً ، بمعني أنه سبحانه وتعالي لكمال علمه بما فيهما كأنه فيهما ، ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلقاً بالمصدر لأن صفته لاتتقدم عليه .

﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾من خير أوشر فيثبت عليه ويعاقب ، ولعله أريد بالسر والجهر مايخفي ومايظهر من أحوال الأنفس وبالمكتسب أعمال الجوارح .

---

(١) الزخرف : ٨٤ .

تكذيب الكفار بالآيات

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ من الأولي مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض ، أي : مايظهر لهم دليل قط من الأدلةأو معجزةأو آية من آيات القرآن ، ﴿ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾تاركين للنظر فيه غير ملتفتين إليه.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ يعني القرآن وهو كاللازم مما قبله كأنه قيل: إنهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم ،أو كدليل عليه علي معني أنهم لما أعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو أعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ، ولذلك رتب عليه بالفاء ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾أي سيظهر لهم ماكانوا به يستهزئون عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة، أو عند ظهور الإسلام وارتفاع أمره.

الآيات من ٦ : ٩

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ أي من أهل زمان ، والقرن مدة أغلب أعمار الناس وهي سبعون سنة ، وقيل ثمانون [1] وقيل القرن أهل عصر فيه نبي أو فائق في العلم ، قلت المدةأو كثرت واشتقاقه من قرنت ﴿ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ جعلنا لهم فيها مكاناً وقرناهم فيها وأعطيناهم من القوي والآلات ماتمكنوا بها من أنواع التصرف فيها . ﴿ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ مالم نجعل من السعة وطول المقام ياأهل مكة مالم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار في

(١) وقيل : القرن مائة عام .

العدد والأسباب .

﴿ وأرسلنا السماء عليهم ﴾ أي المطر أو السحاب، أو المظلة(١) إن مبدأ المطر منها ، ﴿ مدراراً ﴾ أي مغزاراً . ﴿ وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم ﴾ فعاشوا في الخصب والريف بين الأنهار والثمار . ﴿ فأهلكناهم بذنوبهم ﴾ أي لم يغن ذلك عنهم شيئاً ﴿ وأنشأنا ﴾ وأحدثنا . ﴿ من بعدهم قرناً آخرين ﴾ بدلاً منهم ، المعني أنه سبحانه وتعالي كما قدر علي أن يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده يقدر أن يفعل ذلك بكم .

﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس ﴾ مكتوباً في ورق ، ﴿ فلمسوه بأيديهم ﴾ فمسوه وتخصيص اللمس لأن التزوير لايقع فيه فلايمكنهم أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا ، ولأنه يتقدمه الإبصار حيث لامانع ، وتقييده بالأيدي لدفع التجوز فإنه قد يتجوز به للفحص كقوله ﴿ وأنا لمسنا السماء ﴾(٢) ﴿ لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ تعنتاً وعناداً .

﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ﴾ هلا أنزل معه ملك يكلمنا أنه نبي كقوله ﴿ لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ﴾ ﴿ ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ﴾ جواب لقولهم وبيان هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه ، والمعني أن الملك لو أنزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق إهلاكهم فإن سنة الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم ﴿ ثم لا ينظرون ﴾ (٣) بعد نزوله طرفة عين .

﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ جواب ثان إن جعل الهاء للمطلوب ، وإن جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان ، فإنهم تارة يقولون لولا أنزل عليه ملك ، وتارة يقولون لو شاء ربنا لأنزل ملائكة والمعني ولو جعلنا قريناً لك ملكاً يعاينونه أو الرسول ملكا لمثلناه رجلاً كما مثل جبريل في صورة دحية الكلبي (٤) ، فإن القوة البشرية لاتقوي علي رؤية الملك في صورته ، وإنما رآهم

---

(١) أى المقصود هى السماء الحقيقية التى تظلنا . (٢) الجن : ٨ .

(٣) لا يُنْظَرون : لا يؤخرون عن الموعد الذي حُدِّدَ لهم .

(٤) هو الصحابى دحية بن خليفة الكلبى ، كان حسن الطلعة جميل المنظر ، وكان جبريل يأتى متمثلا صورته فى بعض الأحيان .

كذلك الأفراد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقوتهم القدسية ، وللبسنا جواب محذوف أي ولو جعلناه رجلاً للبسنا أي : لخلطنا عليهم مايخلطون علي أنفسهم فيقولون ما هذا إلا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحدة وللبسنا بالتشديد للمبالغة .

الآيات من ١٠ : ١٣

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (١٠) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١) قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢) وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣) ﴾ .

هلاك المستهزئين بالرسل

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ عما يري من قومه . ﴿ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ فأحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث أهلكوا لأجله ، أو فنزل بهم وبال استهزائهم .

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا ، والفرق بينه وبين قوله ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾(١) أن السير ثمت لأجل النظر ولاكذلك ها هنا ، ولذلك قيل معناه إباحة السير للتجارة وغيرها وإيجاب النظر في آثار الهالكين .

---

(١) النمل ٢٩ ـ العنكبوت ٢٠ ـ الروم ٤٢ .

*** الإعجاز العلمي**

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

من الإعجاز فى كتابنا الكريم أنه فى زمن التنزيل منذ خمسة عشر قرنا على رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم لايعرف القراءة والكتابة تأتى الآيات التى يتحدث فيها المولى عز وجل عن الميراث وهى عباره عن درس فى الرياضيات

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ خلقاً وملكاً ، وهو سؤال تبكيت ﴿قُل لِّلَّه ﴾ تقريراً لهم وتنبيهاً علي أنه المتعين للجواب بالإنفاق ، بحيث لايمكنهم أن يذكروا غيره، ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِه الرَّحْمَةَ ﴾ التزمها تفضلاً وإحساناً والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية إلي معرفته ، والعلم

* الإعجاز العلمي

والكسور والقسمه ـ إذا أردنا ونحن فى القرن العشرين مع تقدم العلوم إذا أردت أن تعلم رجالا هذه المسائل الرياضية لاحتاج الأمر إلى وقت طويل بل إن بعضنا يمسك بالآلة الحاسبة لسهولة إجراء مثل هذه الحسابات

انظر معى يأخى الكريم كيف يحدثنا القرآن الكريم بأسلوبه المعجز عن هذه الأمور بطريقة فيها بلاغة وسلاسة فهمها أهل الجزيرة العربية وقت نزول القرآن دون الرجوع إلى كليات العلوم والهندسة .

وانظر معنا فى قوله تعالى :

« فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث ... »

فهذه مسألة رياضية نحتاج لبعض الوقت لحلها والمطلوب ان نقسم ــ المبلغ على عدد المستفيدين فى هذه الحاله وها هو سيدنا على بن أبى طالب يفعل ذلك وهو على المنبر حين يسأل عن الميراث فيأتى بالإجابة فورا كيف ومتى تعلم ذلك؟ إنه نور الاسلام والقرآن الذى يفتح أمامنا أبواب العلم والمعرفة والتفكر والتدبر .

وانظر معى يا أخى إلى قوله تعالى :

﴿ ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم ﴾

فترى هنا أن الربع هو ضعف الثمن فهذه مسألة رياضية إذا أردنا أن ندخلها على رجل أمى فمن الصعوبة أن نقول له أن المطلوب هو أن نضرب $\frac{١}{٨} \times ٢ = \frac{١}{٤}$ لكى نحصل على الحالة الأولى فى حالة عدم وجود ولد .

ولكن انظر إلى القرآن يعرض هذا الموضوع ببساطه شديدة بلاغية معجزة . وحقا يجب أن تكون نهاية الآية هى قوله تعالى عليما حكيما .

بتوحيده بنصب الأدلة ، وإنزال الكتب والإمهال علي الكفر ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ استئناف وقسم للوعيد علي إشراكهم وإغفالهم النظر أي: ليجمعنكم في القبور مبعوثين إلي يوم القيامة ، فيجازيكم علي شرككم ،أو في يوم القيامة وإلي بمعني في ، وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فإن من رحمته بعثه إياكم وإنعامه عليكم . ﴿ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ في اليوم أو الجمع ، ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ بتضييع رأس مالهم ، وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم ، وموضع الذين نصب علي الذم أورفع علي الخبر أي : وأنتم الذين أو علي الابتداء والخبر، ﴿ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ والفاء للدلالة علي أن عدم إيمانهم مسبب عن خسرانهم ، فإن إبطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد وإغفال النظر أدي بهم إلي الإصرار علي الكفر والامتناع من الإيمان ﴿ وَلَهُ ﴾ عطف علي لله . ﴿ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ من السكني وتعديته بفي كما في قوله تعالي ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾(١) والمعني مااشتملا عليه ،أو من السكون أي ماسكن فيهما وتحرك فاكتفي بأحد الضدين عن الآخر، ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لكل مسموع ﴿ الْعَلِيمُ ﴾بكل معلوم فلايخفي عليه شئ ، ويجوز أن يكون وعيداً للمشركين علي أقوالهم وأفعالهم .

الآيات من ١٤ :١٧

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) ﴾ .

---

(١) إبراهيم : ٤٥ .

التذكير بدلائل قدرة الله

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ إنكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي ، فلذلك قدم وأولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لأنه رد لمن دعاه إلي الشرك .﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ مبدعهما ، وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما : ماعرفت معني الفاطر حتي أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما، أنا فطرتها أي ابتدأتها (١) وجره علي الصفة لله فإنه بمعني الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب علي المدح ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ ﴾ يرزق ولا يُرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة إليه ، وقرئ ولايطعم بفتح الياء وبعكس الأول علي أن الضمير لغير الله ، والمعني كيف أشرك بمن هو فاطر السموات والأرض ماهو نازل عن رتبة الحيوانية ، وببنائهم الفاعل علي أن الثاني من أنعم بمعني استطعم ،أو علي معني أنه يطعم تارة ولا يطعم أخري كقوله ﴿ يقبض ويبسط ﴾(٢) ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ لأن النبي ﷺ سابق أمته في الدين ﴿ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾وقيل لي ولاتكونن ويجوز عطفه علي قل.

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ مبالغة أخري في قطع أطماعهم ، وتعريض لهم بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب ، والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة.

﴿ مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي يصرف العذاب عنه ، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وأبو بكر عن عاصم يصرف علي أن الضمير فيه لله سبحانه وتعالي ، وقد قرئ بإظهاره والمفعول به محذوف ،أو يومئذ بحذف المضاف ﴿ فَقَدْ رَحِمَهُ ﴾ نجاه وأنعم عليه . ﴿ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ أي الصرف أو الرحمة .

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ ببلية كمرض وفقر ﴿ فَلا كَاشِفَ لَهُ ﴾ فلا قادر علي كشفه ﴿ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ بنعمة كصحة وغني . ﴿ فَهُوَ عَلَى

---

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتابه غريب الحديث ، وإسناده حسن .

(٢) البقرة : ٢٤٥ .

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فكان قادرا على حفظه وإدامته فلايقدر غيره علي دفعه كقوله تعالي ﴿ فَلا رادَّ لفضله ﴾ (١)

الآيات من ١٨ : ٢١

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١) ﴾ .

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة ، ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ في أمره وتدبيره . ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ بالعباد وخفايا أحوالهم .

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾ نزلت حين قالت قريش: يامحمد لقد سألنا عنك اليهود والنصاري ، فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولاصفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله (٢) والشئ يقع علي كل موجود ، وقد سبق القول فيه في سورة البقرة (٣) ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ أي الله أكبر شهادة ثم ابتدأ ﴿ شَهِيدٌ بَيْنِي

---

(١) يونس ١٠٧ .

(٢) جاء فى لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى : أن سبب نزول هذه الآية هو : جاء النحام بن زيد وقرو بن كعب وبحر بن عمرو فقالوا : يا محمد ما نعلم مع الله إلها غيره ، فقال : لا إله إلا الله ، بذلك بعثت وإلى ذلك أدعو ، فأنزل الله فى قولهم : قل أى شيء أكبر شهادة .. الآية .

قال السيوطى : أخرجه ابن اسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) انظر قوله تعالي : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ البقرة ٨٩ . ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ البقرة ١٠١ . البقرة

وبينكم﴾أي هو شهيد بيني وبينكم ، ويجوز أن يكون الله شهيد هو الجواب لأنه سبحانه وتعالي إذا كان الشهيد كان أكبر شئ شهادة، ﴿ وأُوحِيَ إلَيَّ هَذَا القُرْآنُ لأُنذِرَكُم به ﴾أي بالقرآن ، واكتفي بذكر الإنذار عن ذكر البشارة، ﴿ومَن بَلَغَ ﴾ عطف علي ضمير المخاطبين ، أي لأنذركم به ياأهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والأحمر ، أو من الثقلين (١) أو لأنذركم به أيها الموجودون ومن بلغه إلي يوم القيامة ، وفيه دليل علي أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم ، وأنه لايؤاخذ بها من لم تبلغه .﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ﴾ تقرير لهم مع إنكار واستبعاد .﴿ قُل لاَّ أَشْهَدُ ﴾ بما تشهدون .﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ أي بل أشهد أن لا إله إلا هو ﴿ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُون﴾ يعني الأصنام .

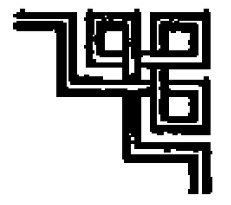
معرفة أهل الكتاب برسول الله ﷺ ولكنهم ينكرون ذلك

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾ يعرفون رسول الله ﷺ بحليته المذكورة في التوراة والإنجيل . .﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾بحلاهم ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ من أهل الكتاب والمشركين ﴿ فَهُمْ لا يُؤْمِنُون ﴾ لتضييعهم ما به يكتسب الإيمان .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ كقولهم : الملائكة بنات الله ، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِه﴾ كأن كذبوا بالقران والمعجزات وسموها سحراً. وإنما ذكر (أو) وهم وقد جمعوا بين الأمرين تنبيهاً علي أن كلا منهما وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم علي النفس .﴿ إِنَّهُ ﴾ الضمير للشأن ، ﴿ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ .فضلاً عمن لا أحد أظلم منه .

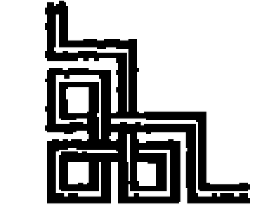
﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ ١٤٦ .

(١) الثقلين : الجن والإنس .



الآيات من ٢٢ : ٢٦

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) ﴾ .



﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ منصوب بمضمر تهويلاً للأمر ، ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ ﴾أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله ، وقرأ يعقوب يحشرهم ويقول بالياء، ﴿ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ، ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ، ويحتمل أن يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم .

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا ﴾ أي كفرهم ، والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون أن يتخلصوا بها ، من فتنت الذهب إذا خلصته ، وقيل: جوابهم وإنما سماه فتنة لأنه كذب، أو لأنهم قصدوا به الخلاص ، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع علي أنها الاسم ، ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عنه بالتاء والنصب علي أن الاسم أن قالوا ، والتأنيث للخبر كقولهم من كانت أمك والباقون بالياء والنصب .﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لاينفعهم من فرط الحيرة والدهشة ، كما يقولون : ربنا أخرجنا منها وقد أيقنوا بالخلود ، وقيل معناه ماكنا مشركين عند أنفسنا وهو لايوافق قوله .

﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي بنفي الشرك عنها ، وحمله علي كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾(١) وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب علي النداء أو المدح ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ من الشركاء.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ حين تتلو القرآن ، والمراد أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم ، اجتمعوا فسمعوا رسول الله ﷺ يقرأ القرآن فقالوا للنضر مايقول ، فقال : والذي جعلها بيته (٢) ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية، فقال أبو سفيان إني لأري حقاً فقال أبو جهل : كلا.

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أغطية جمع كنان وهو مايستر الشئ .﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ كراهة أن يفقهوه ﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ يمنع من استماعه (٣) وقد مر تحقيق ذلك في أول البقرة ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم .﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ﴾أي بلغ تكذيبهم الآيات إلي أنهم جاءوك يجادلونك ، وحتي هي التي تقع بعدها الجمل لاعمل لها ، والجملة إذا وجوابه وهو ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ فإن جعل أصدق الحديث خرافات الأولين غاية التكذيب ،

---

(١) المجادلة : ١٨ .

(٢) والذى جعلها بيته : الضمير فى جعلها يعود إلى الكعبة : يقسم بالله الذى جعل الكعبة بيته .

(٣) قال الزمخشرى فى الكشاف : الأكنة على القلوب والوقر فى الآذان مَثَل فى نُبُوّ القلوب والمسامع عن قبول القرآن واعتقاد الحق .

وعلق الشيخ أحمد بن المنير الأسكندري علي الآية بقوله : هذه الآية حسبنا في رد معتقد القدرية الذين يزعمون أن الله تعالى أراد من هؤلاء المستمعين أن يعوا القرآن ويفقهوه ، وأنه لم يمنعهم من ذلك ، ومحال على زعمهم أن يمنعهم من ذلك ويريد أن لا يفقهوه، لأن ذلك عندهم قبيح ، فانظر كيف تكافحهم هذه الآية بالرد وتنادى عليهم بالخطأ، إذ قوله أن يفقهوه : معناه كراهة أن يفقهوه ، وبين الإرادة على زعمهم والكراهة على ما أنبأت عنه الآية بون بعيد .

ويجادلونك حال لمجيئهم ، ويجوز أن تكون الجارة وإذا جاءوك في موضع الجر ويجادلونك حال ويقول تفسير له ، والأساطير الأباطيل جمع أسطورة أو اسطارة أو إسطار جمع سطر ، وأصله السطر بمعني الخط.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾أي ينهون الناس عن القرآن ، أو الرسول ﷺ والإيمان به، ﴿ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ بأنفسهم أو ينهون عن التعرض لرسول الله ﷺ وينأون عنه فلايؤمنون به كأبي طالب (١) ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ ﴾ ومايهلكون بذلك .﴿إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أن ضرره لايتعداهم إلي غيرهم.

الآيات من ٢٧ : ٣٢

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٣٢) ﴾.

---

(١) كان أبو طالب عم الرسول ﷺ ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله ﷺ ، وفي الوقت نفسه ينأى عن دعوته ولا يؤمن بها . ومن أمثلة دفاعه عن النبي ﷺ وعدم اعتناقه دعوته فيما أورده ابن هشام في سيرته :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح ... ولقد صدقتَ وكنتَ ثَمَّ أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة ... لوجدتني سمحا بذلك مبينا

وقيل : إن ذلك كان من أسباب نزول هذه الآية . -- تفسير الكشاف ـ .

ندم الكفار يوم القيامة

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ جوابه محذوف أي: لو تراهم حين يوقعون علي النار حتي يعاينوها ، أو يطلعون عليها ، اويدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت أمراً شنيعاً ، وقرئ وقفوا علي البناء للفاعل من وقف عليها وقوفاً .
﴿ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾ تمنياً للرجوع إلي الدنيا .﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾استئناف كلام منهم علي وجه الإثبات كقولهم :دعني ولاأعود ، أي وأنا لاأعود تركتني ، أو لم تتركني أو عطف علي نرد أوحال من الضمير فيه فيكون في حكم التمني ، وقوله ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾(١) راجع إلي ما تضمنه التمني من الوعد ، ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص علي الجواب بإضمار أن بعد الواو إجراء لها مجري الفاء، وقرأ ابن عامر برفع الأول علي العطف ونصب الثاني علي الجواب .

﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾ الإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني ، والمعني أنه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم ، أو قبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجراً لاعزماً علي أنهم لوردوا لآمنوا ، ﴿ وَلَوْ رُدُّوا ﴾ أي إلي الدنيا بعد الوقوف والظهور، ﴿ لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فيما وعدوا به من أنفسهم .

﴿ وَقَالُوا ﴾ عطف علي لعادوا ، أو علي إنهم لكاذبون او علي نهوا، أو استئناف بذكر ماقالوه في الدنيا ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ الضمير للحياة ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ ، وقيل معناه وقفوا علي قضاء ربهم أو جزائه، أو عرفوه حق التعريف﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ﴾ كأنه جواب قائل قال : ماذا قال ربهم حينئذ ؟ والهمزة للتقريع علي التكذيب ، والإشارة إلي البعث ومايتبعه من الثواب والعقاب . ﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ إقرار مؤكد باليمين لانجلاء الأمر غاية الجلاء . ﴿ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ بسبب كفركم أو ببدله .

---
(١) الأنعام : ٢٨ .

خسران المكذبين

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ إذ فاتهم النعم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث ومايتبعه .﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ ﴾ غاية لكذبوا لا لخسر ، لأن خسرانهم لاغاية له .﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة ونصبها علي الحال، أو المصدر فإنها نوع من المجئ .﴿ قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا ﴾ أي تعالي فهذا أوانك .﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا ﴾ قصرنا .﴿ فِيهَا ﴾ في الحياة الدنيا أضمرت وإن لم يجر ذكرها للعلم بها ، أو في الساعة يعني في شأنها والإيمان بها ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام .﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾بئس شيئاً يزرونه وزرهم.

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ أي وما أعمالها إلا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية . وهو جواب لقولهم ﴿ إن هى إلا حياتنا الدنيا ﴾ ﴿ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها ، وقوله ﴿ للذين يتقون ﴾ تنبيه علي أن ماليس من أعمال المتقين لعب ولهو ، وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة .﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾أي الأمرين خير . وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء علي خطاب المخاطبين به ، أو تغليب الحاضرين علي الغائبين .

الآيات من ٣٣ : ٣٦

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦) ﴾.

حزن النبي ﷺ علي تكذيب قومه

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ معني قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله :

وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ المَالَ نَائِلُهُ (١)

والهاء في إنه للشأن ، وقرئ ليحزنك من أحزن .﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ في الحقيقة ، وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من أكذبه إذا وجده كاذباً ، و تسبه إلي الكذب ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها ، فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة علي أنهم ظلموا بجحودهم ، أو جحدوا لتمرنهم علي الظلم ، والباء لتضمين الجحود معني التكذيب روي أن أبا جهل كان يقول : ما نكذبك وإنك عندنا لصادق وإنما نكذب ماجئتنا به (٢) فنزلت .

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾تسلية لرسول الله ﷺ ، وفيه دليل علي أن قوله : لا يكذبونك ، ليس لنفي تكذيبه مطلقاً ﴿ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا

---

(١) هذا شطر بيت قاله زهير بن أبي سلمى من قصيدة يمدح فيها حصن بن أبي حذيفة والبيت تمامه هو :

أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال باذله

وبعده يقول :

تراه إذا ماجئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله .

وهذا من عيون شعر المدح .

(٢) كان الكفار قبل البعثة يطلقون على النبى ﷺ لقب الصادق الأمين ، وجاء فى الطبقات الكبرى لابن سعد من حديث يعلى بن أمية ، قال : بلغ رسول الله ﷺ خمسا وعشرين سنة وليس له بمكة اسم إلا الأمين وروي ذلك أيضاً عن طريق على بن أبى طالب .
وكانوا يوقنون تماما بصدق النبى ﷺ فيما يقوله ويبلغ به ، ولكنهم كانوا يكذبونه حسدا وعنادا ـ روى أن الأخنس بن شريق قال لأبى جهل : يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب ، فإنه ليس عندنا أحد غيرنا ؟ فقال له : والله ، إن محمداً لصادق ، وما كذب قط ، ولكن إذا ذهب بنو قصى باللواء ، والسقاية والحجاية والنبوة، فما يكون لسائر قريش ؟ مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١١٦ .

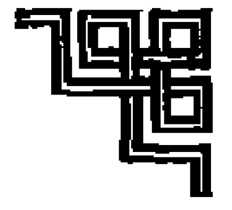
وَأُوذُوا ﴾ علي تكذيبهم وإيذائهم فتأس بهم واصبر . ﴿ حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ فيه إيماء بوعد النصر للصابرين ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ لمواعيده من قوله ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾(١) الآيات ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ أي بعض قصصهم وماكابدوا من قومهم .

تسلية للنبي ﷺ

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ ﴾ عظم وشق . ﴿ إِعْرَاضُهُمْ ﴾عنك وعن الإيمان بما جئت به . ﴿ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ﴾ منفذاً تنفذ فيه إلي جوف الأرض فتطلع لهم آية ، أو مصعداً تصعد به إلي السماء فتنزل منها آية، وفي الأرض صفة لنفقاً وفي السماء صفة لسلماً ، ويجوز أن يكونا متعلقين بتبتغي ، أو حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل ، والجملة جواب الأول والمقصود بيان حرصه البالغ علي إسلام قومه ، وأنه لو قدر أن يأتيهم من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتي بها رجاء إيمانهم ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾لوفقهم للإيمان حتي يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته ، فلا تتهالك عليه والمعتزلة أولوه بأنه لو شاء لجمعهم علي الهدي بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ بالحرص علي مالايكون ، والجزع في مواطن الصبر فإن ذلك من دأب الجهلة .

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ إنما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل لقوله تعالي ﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ وهؤلاء كالموتي الذين لايسمعون . ﴿ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ فيعلمهم حين لاينفعهم الإيمان . ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ للجزاء .

(١) الصافات : ١٧١ .



الآيات من ٣٧ : ٤٢

﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٣٧) وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٩) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) ﴾

﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ أي بما اقترحوه ، أو آية أخري سوي مانزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عناداً .﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً ﴾مما اقترحوه ، أو آية تضطرهم إلي الإيمان كنتق(١) الجبل ، أو آية إن جحدوها هلكوا ، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أن الله قادر علي إنزالها، وأن إنزالها يستجلب عليهم البلاء ، وأن لهم فيما أنزل مندوحة عن غيره ، وقرأ ابن كثير بالتخفيف والمعني واحد .

كل الدواب والطيور أمم

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ ﴾ تدب علي وجهها . ﴿ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ

---

(١) نتق الجبل : رفعه . . وهذه آية كانت في بني إسرائيل قال تعالى : ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ... ﴾ الأعراف : ١٧١ ، وسيأتي تفسير ذلك .

* **الإعجاز العلمي**

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾

إن ملك الله واسع وخلقه عظيم لا يحصي ولا يعد وكل خلق الله سبحانه وتعالى تم

بجَنَاحَيْه ﴾في الهواء ، وصفه به قطعاً لمجاز السرعة ونحوها ، وقرئ ولاطائر بالرفع علي المحل ﴿إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾محفوظة أحوالها مقدرة أرزاقها وآجالها ، والمقصود من ذلك الدلالة علي كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ، ليكون كالدليل علي أنه قادر علي أن ينزل آية وجمع الأمم للحمل علي المعني .

* الإعجاز العلمى

بحكمة وعناية وترتيب آلهى معجز ، وإذا تأملت فى عالم الصور أو الحيوان أو الحشرات لوجدت أن هناك نظاما وتفاهما بين كل جنس أو نوع بعضه مع بعض فمثلا مملكة النمل أو النحل ما هى إلا صورة من مجتمع أو أمة مصغرة .

وإذا نظرنا إلي الآية الكريمة التى أكدت على كلمة « طائر يطير بجناحيه » فنجد أن علماء الطيور أجمعوا على أن الصفة الأساسية التى يتم بها الحكم علي كائن ما أنه طائر أم لا هو وجود أجنحة وعن خصائص الطيور نقول :

هنالك ثمانية آلاف وستمائة نوع من الطيور تتفاوت حجما من الطائر الطنان أصغرها إلي النعامة أضخمها . والطيور متباينة الألوان والأصوات والبيئات وأصناف الغذاء . لكنها تؤلف طائفة متميزة من الحيوانات لها خصائص كثيرة متماثلة فمثلا كل الطيور مكسوة بالريش ـ وهذه الخاصة كافية لتقرير ما إذا كان كائن مجهول طائرا أم أم لا . والطيور دافئة الأجسام كاللبونات ، والكساء الريشى يساعدها على الاحتفاظ بحرارة أجسادها .

والطيور جميعها لها أجنحة . ويستخدم معظمها الجناحين للطيران ، والقليل منها كالنعامة والبطريق لا يستطيع الطيران فيستخدم الجناحين لأغراض أخرى . فالبطريق يستعين بجناحيه فى السباحة والنعامة تستعين بهما فى العدو وفى الاختيال أحيانا .

والطيور كباقى الحيوانات تحتاج إلي الغذاء ، ولكل طائر منقار يلتقط به غذاءه . ولما كانت أطعمة الطيور متعددة الأشكال فإن مناقيرها تتباين لتلائم نوع الطعام الذى يتناوله الطائر . ولعلك تستطيع تكوين فكرة دقيقة عن نوعية طعام الطائر من دراسة شكل منقاره والطيور جميعها بيوضة . والطائر الجنين يتطور وينمو داخل البيضة حتى تضيق به فينقرها ويخرج والفرخ الناقف عاجز أو يكاد ، ويظل يعتمد على رعاية والديه حتى يقوى ويتمكن من الاعتماد على نفسه . وبعض الطيور ، كالوقواق لا تحضن صغارها بل توزع بيضها على أعشاش طيور أخرى . وعندما تفقس البيوض تقوم الطيور المضيفة بالعناية بربائبها كما لو كانت أولادها . فصدق الله العظيم حيث قا ل : ﴿ ... إلا إمم أمثالكم ﴾ .

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ ، فإنه مشتمل علي مايجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه أمر، حيوان ولاجماد ، أو القرآن فإنه قد دون فيه مايحتاج إليه من أمر الدين مفصلاً أو مجملاً ، ومن مزيدة وشئ في موضع المصدر لا بالمفعول به ، فإن فرط لايتعدي بنفسه وقد عدي بفي إلي الكتاب ، وقرئ مافرطنا بالتخفيف .﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ يعني الأمم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي: أنه يأخذ للجماء من القرناء . وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما : حشرها موتها.

الكفار صمٌ وبكم وعمي

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ ﴾ لايسمعون مثل هذه الآيات الدالة علي ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعاً تتأثر به نفوسهم .﴿ وَبُكْمٌ ﴾ لاينطقون بالحق .﴿ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ خبر ثالث أي خابطون في ظلمات الكفر ، أو في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ، ويجوز أن يكون حالاً من المستكن في الخبر .﴿ مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ ﴾ من يشأ الله إضلاله يضلله ، وهو دليل واضح لنا علي المعتزلة ، ﴿ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ بأن يرشده إلي الهدي ويحمله عليه .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ ﴾ استفهام تعجيب ، والكاف حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الإعراب لأنك تقول : أرأيتك زيداً ماشأنه فلو جعلت الكاف مفعولاً كما قاله الكوفيون لعديت الفعل إلي ثلاثة مفاعيل ، وللزم في الآية أن يقال : أرأيتموكم بل الفعل معلق أو المفعول محذوف تقديره : أرأيتكم آلهتكم تنفعكم ، إذ تدعونها ، وقرأ نافع أرأيتكم وأرأيت وأفرأيتم وشبهها إذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء ، والكسائي يحذفها أصلاً والباقون يحققونها وحمزة إذا وقف وافق نافعاً . ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴾ كما أتي من قبلكم . ﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ ﴾وهولها ويدل عليه . ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ وهو تبكيت لهم .﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾أن الأصنام آلهة وجوابه محذوف أي فادعوه .

لايكشف الضر إلا الله

﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ﴾بل تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع ، وتقديم المفعول لإفادة التخصيص ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ ﴾ أي ما تدعون إلي كشفه ﴿ إِن شَاءَ ﴾ أي يتفضل عليكم ولايشاء في الآخرة . ﴿ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول علي أنه القادر علي كشف الضر دون غيره ، أو وتنسونه من شدة الأمر وهوله.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ أي قبلك ومن زائدة﴿ فَأَخَذْنَاهُم ﴾أي فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم . ﴿ بِالْبَأْسَاءِ ﴾ بالشدة والفقر . ﴿ وَالضَّرَّاءِ ﴾والضر والآفات وهما صيغتان تأنيث لامذكر لهما .﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم.

الآيات من ٤٣ : ٤٩

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾ معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام مايدعوهم أي لم يتضرعوا . ﴿ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾استدراك علي المعتي وبيان للصارف لهم عن التضرع وأنه : لامانع لهم إلا قساوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم .

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾من البأساء والضراء ولم يتعظوا به .﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾من أنواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء، وامتحاناً لهم بالشدة والرخاء إلزاماً للحجة وإزاحة للعلة ، أو مكراً بهم لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال «**مكر بالقوم ورب الكعبة**» وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والتي في الأعراف .﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا ﴾أعجبوا ﴿ بِمَا أُوتُوا ﴾من النعم ولم يزيدوا غير البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه سبحانه وتعالي ﴿ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ متحسرون آيسون .

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبوراً إذا اتبعه ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾علي إهلاكهم فإن هلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم وأعمالهم ، نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ ﴾ أصمكم وأعماكم ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم ﴾ بأن يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم .﴿ مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ أي بذلك ، أو بما أخذ وختم عليه أو بأحد هذه المذكورات .﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ﴾ نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب ، وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين . ﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ يعرضون عنها ، وثم لاستبعاد الإعراض بعد تصريف الآيات وظهورها .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً ﴾ من غير مقدمة . ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ بتقدمة أمارة تؤذن بحلوله . وقيل ليلاً أو نهاراً . وقرئ بغتة أوجهرة . ﴿ هَلْ يُهْلَكُ ﴾ أي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب . ﴿ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه ، وقرئ يهلك بفتح الياء.

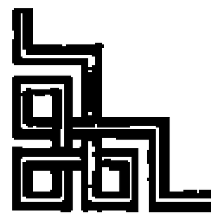
مهمة الرسل

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ ﴾ المؤمنين بالجنة . ﴿ وَمُنذِرِينَ ﴾ الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهي بهم . ﴿ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ ﴾ مايجب إصلاحه علي ماشرع لهم . ﴿ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من العذاب ﴿ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ بفوات الثواب .

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ ﴾ جعل العذاب ماساً لهم كأنه الطالب للوصول إليهم . واستغني بتعريفه عن التوصيف . ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة .

الآيات من ٥٠ : ٥٣

﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠) وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣) ﴾ .



الرسول بشر لايملك إلا ما ملَّكه الله

﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾ مقدوراته أو خزائن رزقه . ﴿ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ مالم يوح إلي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول . ﴿ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ أي من جنس الملائكة ، أو أقدر علي مايقدرون عليه (١)

---

(١) هذه الآية كأنها وردت رداً علي الكفار الذين كانوا يقولون فيما أخبر به القرآن الكريم ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ =

﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ تبرأ عن دعوي الألوهية والملكية ، وادعي النبوة التي هي من كمالات البشر رداً لاستبعادهم دعواه وجزمهم علي فساد مدعاه.

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾مثل للضال والمهتدي ، أو الجاهل والعالم ، أو مدعي المستحيل كالألوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة .﴿ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ فتهتدوا أو فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل ، أو فتعلموا أن اتباع الوحي مما لامحيص عنه

.﴿وَأَنذِرْ بِهِ ﴾ الضمير لما يوحي إلي . ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ هم المؤمنون المفرطون في العمل ، أو المجوزون للحشر مؤمناً كان أوكافراً مقراً به أو متردداً فيه ، فإن الإنذار ينفع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته .

﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ ﴾ في موضع الحال من يحشروا فإن المخوف هو الحشر علي هذه الحالة ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ لكي يتقوا.

التحذير من إبعاد المؤمنين الفقراء والأمر بالتحبب لهم

﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ بعدما أمره بإنذار غير المتقين ليتقوا أمره بإكرام المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش . روي أنهم قالوا : لو طردت هؤلاء الأعبد ؟ يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان – جلسنا إليك وحادثناك فقال : ما أنا بطارد المؤمنين ، قالوا : فأقمهم عنا إذا جئناك قال : نعم [1] وروي أن عمر رضي الله عنه قال له : لو

= مَعَهُ نَذِيرًا ۝ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ الفرقان ٧ ، ٨ . قال الإمام أحمد بن المنير الأسكندري : ولا يوجب ذلك اتفاقا على أن الملائكة أفضل من الأنبياء ـ من تعليق تفسير الكشاف .

(١) روى السيوطى فى أسباب النزول مثله :

وروي أيضا عن أحمد والطبراني وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال : مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ ، وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمار ، فقالوا : يا محمد ، أرضيت بهؤلاء ، وهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا ، لو طردت هؤلاء لاتبعناك فأنزل الله فيهم القرآن: ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا ﴾ إلى قوله ﴿ سبيل المجرمين ﴾ قال: وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال : جاء عنبسة بن ربيعة ، وشيبة بن =

فعلت حتي ننظر إلي ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله تعالي عنه ليكتب فنزلت . والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام ، وقيل صلاتا الصبح والعصر، وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفي الكهف . ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ حال من يدعون، أي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالإخلاص تنبيهاً علي أنه ملاك الأمر ، ورتب النهي عليه إشعاراً بأنه يقتضي إكرامهم وينافي إبعادهم . ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ أي ليس عليك

ربيعة ، ومطعم بن عدي ، والحارث بن نوفل فى أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبى طالب فقالوا : لو أن ابن أخيك يطرد عنه هؤلاء الأعبد كان أعظم فى صدورنا وأطوع لنا وأدنى لاتباعنا إياه ـ فكلم أبو طالب النبى ﷺ ، فقال عمر بن الخطاب : لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذى يريدون . فأنزل الله : ﴿ وأنذر الذين يخافون ﴾ إلى قوله : ﴿ أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ وكانوا بلالا وعمار بن ياسر وسالماً مولى أبى حذيفة وصالحا مولى أسيد وابن مسعود والمقداد بن عبد الله ، وواقد بن عبد الله الحنظلى وأشباههم ، فأقبل عمر معتذرا من مقالته . فنزل : ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ﴾ الآية .

قال السيوطى : وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما عن خباب قال : جاء الأقرع بن حابس وعُيينة بن حصن فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا فى ناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حول النبى ﷺ حقروهم ، فأتوه فخلوا به فقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فتستحى أن ترانا العرب مع هذه الأعبد ، فإذا نحن جئناك ، فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت . قال : نعم ، فنزلت ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم ﴾ ثم ذكر الأقرع وصاحبه فقال : ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ﴾ الآية . وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فنزل : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ﴾ الآية .

قال ابن كثير : هذا حديث غريب ، فإن الآية مكية ، والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن إنما أسلما بعد الهجرة بدهر .

وأخرج الفريابي وابن أبى حاتم عن ماهان قال : جاء أناس إلى رسول الله ﷺ فقالوا : إنا أصبنا ذنوبا عظاما فما رد عليهم شيئًا ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ﴾ .

لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى .

حساب إيمانهم ، فلعل إيمانهم عند الله أعظم من إيمان من تطردهم بسؤالهم طمعاً في إيمانهم لو آمنوا ، أو ليس عليك اعتبار بواطنهم وإخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لايتعداهم إليك، كما أن حسابك عليك لايتعداك إليهم ، وقيل: ماعليك من حساب رزقهم أي من فقرهم ، وقيل الضمير للمشركين والمعني : لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتي يهمك إيمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعاً فيه ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾فتبعدهم وهو جواب النفي ﴿ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ جواب النهي[١] ويجوز عطفه علي فتطردهم علي وجه التسبب وفيه نظر .

﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ومثل ذلك الفتن ، وهواختلاف أحوال الناس في أمور الدنيا فتنا أي ابتلينا بعضهم ببعض في أمر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء علي أشراف قريش بالسبق إلي الإيمان .﴿لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا ﴾ أي أهؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ، ونحن الأكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء ، وهو إنكار لأن يخص هؤلاء من بينهم بإصابة الحق والسبق إلي الخير كقولهم ﴿ لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾[٢] واللام للعاقبة أو للتعليل علي أن فتنا متضمن معني خذلنا ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه وبمن لايقع منه فيخذله .

الآيات من ٥٤ : ٥٧

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٤) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (٥٥) قُلْ إِنِّي

---

(١) روى أن النبى ﷺ حينمانزلت هذه الآية قال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرني أن أصبر نفسى مع قوم من أمتى ، معكم المحيا ومعكم الممات . ـ تفسير الكشاف ـ .

(٢) الأحقاف : ١١ .

نُهيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ من دُونِ اللَّه قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦) قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧) ﴾ .

كتب الله الرحمة علي نفسه

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالإيمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة علي العبادة ، وأمره بأن يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام الله تعالي إليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله تعالي وفضله بعد النهي عن طردهم ، إيذاناً بأنهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ، ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولايطرد ، ويعز ولايذل ، ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة ، وقيل إن قوماً جاءوا إلي النبي ﷺ فقالوا : إنا أصبنا ذنوباً عظاماً فلم يرد عليهم شيئاً فانصرفوا فنزلت .﴿ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا ﴾ استئناف بتفسير الرحمة . وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح علي البدل منها . ﴿ بِجَهَالَةٍ ﴾ في موضع الحال أي من عمل ذنباً جاهلاً بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد ، كعمر فيما أشار إليه، أو متلبساً بفعل الجهالة فإن ارتكاب مايؤدي إلي الضرر من أفعال أهل السفه والجهل .﴿ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ بعد العمل أو السوء . ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ بالتدارك والعزم علي أن لايعود إليه، ﴿ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فتحه[1] من فتح الأول غير نافع علي إضمار مبتدأ أو خبر أي فأمره أوفله غفرانه .

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ومثل ذلك التفصيل الواضح . ﴿ نُفَصِّلُ الآيَاتِ ﴾ أي آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والأوابين .

---

(١) فتحه : أى فتح همزة (أن) من القراء غير نافع . أما نافع فقد كسرها .
وتعليل الفتح أوضحه المصنف .
أما الكسر فعلى تقدير الابتداء بالكلام .

من وجوه القراءات

﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل علي معني ولتستوضح يامحمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل ، وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه علي معني ولنبين سبيلهم ، والباقون بالياء والرفع علي تذكير السبيل فإنه يذكر ويؤنث ، ويجوز أن يعطف علي علة مقدرة أي نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين .

النهي عن عبادة الأصنام

﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ ﴾ صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة وأنزل علي من الآيات في أمر التوحيد ﴿ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ عن عبادة ما تعبدون من دون الله ، أو ما تدعونها آلهة أي تسمونها . ﴿ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ﴾ تأكيد لقطع أطماعهم وإشارة إلي الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم ، وبيان لمبدأ ضلالهم وأن ماهم عليه هوي وليس بهدي، وتنبيه لمن تحري الحق علي أن يتبع الحجة ولايقلد . ﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا ﴾ أي اتبعت أهواءكم فقد ضللت . ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ أي في شئ من الهدي حتي أكون من عدادهم ، وفيه تعريض بأنهم كذلك (١) .

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ تنبيه علي مايجب اتباعه بعد ما تبين مالا يجوز اتباعه . والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل ، وقيل: المراد بها القرآن والوحي ، أو الحجج العقلية أو ما يعمها . ﴿ مِّن رَّبِّي ﴾ من معرفته وأنه لامعبود سواه ويجوز أن يكون صفة لبينة . ﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِ ﴾ الضمير لربي أي كذبتم به حيث أشركتم به غيره ، أو للبينة باعتبار المعني .

---

(١) كان الكفار يحاولون أن يترك النبى ﷺ الدعوة إلى عبادة الله وحده ويتبع ما كانوا فيه ، ولذلك قال لهم فيما ذكره القرآن الكريم ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) ﴾ الزمر ٦٤ ــ ٦٦ .

استعجال الكفار العذاب

﴿ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾ في تعجيل العذاب وتأخيره ، ﴿ يَقُصُّ الْحَقَّ ﴾ أي القضاء الحق ، أو يصنع الحق ويدبره من قولهم قضي الدرع إذا صنعها ، فيما يقتضي من تعجيل وتأخير وأصل القضاء الفصل بتمام الأمر ، وأصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل . وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الأثر أو من قص الخبر ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ القاضين .

الآيات من ٥٨ : ٦٠

﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (٥٨) وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠) ﴾.

﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي ﴾ أي في قدرتي ومكنتي ﴿ مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴾ من العذاب ﴿ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربي ، وانقطع مابيني وبينكم ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾في معني الاستدراك كأنه قال : ولكن الأمر إلي الله سبحانه وتعالي وهو أعلم بمن ينبغي أن يؤخذ وبمن ينبغي أن يمهل منهم[2] .

---

(١) الأنفال ٣٢

(٢) جاء في تفسير ابن كثير : كيف يجمع بين هذه الآية وبين ماجاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ يارسول الله هل أتي عليك يوم كان أشد =

من مظاهر قدرة الله

﴿ وَعِنـدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ خزائنه جمع مفتح بفتح الميم، وهو المخزن أو مايتوصل به إلي الميغبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح ، ويؤيده أنه قرئ مفاتيح والمعني أنه المتوصل إلي المغيبات المحيط علمه بها. ﴿ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ فيعلم أوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها علي ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته ، وفيه دليل علي أنه سبحانه وتعالي يعلم الأشياء قبل وقوعها .﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾عطف للإخبار عن تعلق علمه تعالي بالمشاهدات علي الإخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به . ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا ﴾ مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات .﴿ وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ﴾ معطوفات علي ورقة وقوله : ﴿ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾بدل من الاستثناء الأول بدل الكل علي أن الكتاب المبين علم الله سبحانه وتعالي ، أو بدل الاشتمال إن أريد به اللوح وقرئت بالرفع

من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد مالقيت منه يوم العقبة إذ عرضت نفسي علي ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلي ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم علي وجهي ، فلم استفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد ظللتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني، فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال : فناداني ملك الجبال وسلم علي ، ثم قال يامحمد إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ،وقد بعثني إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئاً .

فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم فاستأني بهم وسأل لهم التأخير ، فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالي ﴿ **قل لو أن عندي ماتستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم** ﴾ ؟

فالجواب أن هذه الآية دلت علي أنه لو كان وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له لأوقعه بهم ، وأما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم ، بل عرض عليه ملك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الاخشبين وهما جبلا مكة اللذين يكتنفانها جنوبا وشمالاً ولكنه استأني بهم وسأل الرفق بهم – مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٢٤ .

للعطف علي محل ورقة أو رفعا علي الابتداء والخبر ﴿إلا في كتاب مبين﴾ .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾ ينيمكم فيه ويراقبكم ، استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الإحساس والتمييز فإن أصله قبض الشئ بتمامه .﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جرياً علي المعتاد . ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ ﴾يوقظكم أطلق البعث تزشيحاً للتوفي ﴿ فِيهِ ﴾ في النهار ، ﴿ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ليبلغ المتيقظ آخر أجله المسمي له في الدنيا ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ بالموت ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بالمجازاة عليه .

وقيل: الآية خطاب للكفرة والمعني أنكم مُلْقَوْن كالجيف بالليل وكسابون للآثام بالنهار ، وأنه سبحانه وتعالي مطلع علي أعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار، فيقضي الأجل الذي سماه وضربه لبعث الموتي وجزائهم علي أعمالهم ، ثم إليه مرجعكم بالحساب ، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء.

الآيات من ٦١:٦٦

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢) قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (٦٦) ﴾ .

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ملائكة تحفظ أعمالكم ، وهم الكرام الكاتبون ، والحكمة فيه أن المكلف إذا علم أن أعماله تكتب عليه

وتعرض علي رءوس الأشهاد كان أزجر عن المعاصي ، وأن العبد إذا وثق بلطف سيده واعتمد علي عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه .

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ملك الموت وأعوانه . وقرأ حمزة توفاه بالألف ممالة. ﴿وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾بالتواني والتأخير وقرئ بالتخفيف، والمعني :لايجاوزون ماحد لهم بزيادة أونقصان.

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ إلي حكمه وجزائه .﴿مَوْلاهُمُ ﴾الذي يتولي أمرهم ، ﴿الْحَقِّ ﴾ العدل الذي لايحكم إلا بالحق وقرئ بالنصب علي المدح ﴿أَلا لَهُ الْحُكْمُ ﴾يومئذ لاحكم لغيره فيه . ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لايشغله حساب عن حساب.

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ من شدائدهما ، استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وإبطال الإبصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب ، أو من الخسف في البر والغرق في البحر ، وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعني واحد .﴿ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ معلنين ومسرين، أو إعلاناً وإسراراً وقرأ أبو بكر هنا وفي الأعراف وخفية بالكسر وقرئ خيفة .﴿ لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾علي إرادة القول أي تقولون لئن أنجيتنا وقرأ الكوفيون لئن أنجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه إشارة إلي الظلمة.

﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا ﴾ شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون .﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ﴾ غم سواها ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾تعودون إلي الشرك ولاتوفون بالعهد ، وإنما وضع تشركون موضع لاتشكرون تنبيهاً علي أن من أشرك بعبادة الله سبحانه وتعالي فكأنه لم يعبده رأساً .

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ كما فعل بقوم نوح ولوط وأصحاب الفيل . ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ كماأغرق فرعون ، وخسف بقارون ، وقيل من فوقكم أكابركم وحكامكم ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيدكم . ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ ﴾ يخلطكم . ﴿شِيَعًا ﴾ فرقا متحزبين علي أهواء شتي ، فينشب القتال بينكم قال : .

وَكَتِيبَةٌ لَبستُهَا بِكَتِيبَةٍ ... حَتَّي إِذَا التبَسَتْ نَفَضتُ لَهاَ يدي (١)

﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ يقاتل بعضكم بعضاً . ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ﴾ بالوعد والوعيد ﴿ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾(٢)

﴿ وَكَذَّبَ به قَوْمُكَ ﴾ أي بالعذاب أوبالقرآن ، ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ الواقع لامحالة أوالصدق . ﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ بحفيظ وكل إلي أمركم فأمنعكم من التكذيب ، أو أجازيكم إنما أنا منذر والله الحفيظ .

---

(١) هذا البيت للفرار السلمي يفتخر بانه مهيج للشر ، يعرف مداخله ومخارجه وفي هذا البيت يقول : رب كتيبة خلطتها بكتيبة أخري حتي إذا تم اختلاطهما تخلصت منهما وتركتهما في اضطراب ثم تخلصت منهما .

(٢) جاء في التعليق علي هذه الآية : أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال : لما نزلت ﴿ قل هو القادر علي أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ﴾الآية قال رسول الله ﷺ « لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف » قالوا : ونحن نشهد أن لاإله إلا الله وأنك رسول الله؟ فقال بعض الناس : لايكون هذا أبداً أن يقتل بعضنا بعضا ونحن مسلمون فنزلت ﴿ انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون،وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ﴾. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي .

وجاء أيضاً فيما ذكره الثعلبي وابن مردو يه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية :﴿ قل هو القادر ... ﴾ قام النبي ﷺ فتوضأ ثم قال : اللهم لاترسل علي أمتي عذاباً من فوقهم ولامن تحت أرجلهم ولاتلبسهم شيعاً فاتاه جبريل فقال : يامحمد ، إن الله قد أجار أمتك أن يبعث عليهم عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم.

ولهذا الحديث شواهد منها ماجاء في مسلم من حديث : سألت ربي أن لايهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لايجعل بأسهم بينهم فمنعها وجاء في تفسير ابن كثير بمثله . .

الآيات من ٦٧ : ٧٠

﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ ﴾ خبر يريد به إما بالعذاب أو الإيعاد به . ﴿ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ وقت استقرار ووقوع ﴿ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عند وقوعه في الدنيا والآخرة.

النهي عن مخالطة أهل السوء

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها ، ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ فلا تجالسهم وقم عنهم . ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ أعاد الضمير علي معني الآيات لأنها القرآن، ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ ﴾ بأن يشغلك بوسوسته حتي تنسي النهي ، وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ ﴾ بعد أن تذكره ﴿ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ أي معهم ،فوضع الظاهر موضع المضمر دلالة علي أنهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام.

﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ ومايلزم المتقين من قبائح أعمالهم وأقوالهم الذين يجالسونهم . ﴿ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ شئ مما يحاسبون عليه . ﴿ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ ﴾ ولكن عليهم أن يذكروهم ذكري ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب علي المصدر والرفع ولكن عليهم ذكري ، ولايجوز عطفه علي محل من شئ لأن من حسابهم يأباه ولاعلي شئ

لذلك ولأن من لاتزاد في الإثبات .﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾يجتنبون ذلك حياء أو كراهة لمساءتهم ، ويحتمل أن يكون الضمير للذين يتقون والمعني : لعلهم يثبتون علي تقواهم ولاتنثلم بمجالستهم ، روي : أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزءوا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام ، ونطوف . فنزلت .

﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً ﴾ أي بنوا أمر دينهم علي التشهي وتدينوا بما لايعود عليهم بنفع عاجلاً وآجلاً ، كعبادة الأصنام وتحريم البحائر والسوائب (١) ، واتخذوا دينهم الذي كلفوه لعباً ولهواً حيث سخروا به ، أو جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب، والمعني أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم ، ويجوز أن يكون تهديداً لهم كقوله تعالي ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾(٢) ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله علي الأمر بالكف عنهم وترك التعرض لهم .

﴿ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ حتي أنكروا البعث .﴿ وَذَكِّرْ بِهِ ﴾أي بالقرآن . ﴿ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ مخافة أن تسلم إلي الهلاك وترهن بسوء عملها ،وأصل الإبسال والبسل المنع ومنه أسد باسل لأن فريسته لا تفلت منه ، والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أي حرام .

﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾يدفع عنها العذاب . ﴿ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ ﴾ وإن تفد كل فداء والعدل الفدية لأنها تعادل المفدي وها هنا الفداء وكل نصب علي المصدرية .﴿ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا ﴾الفعل مسند إلي منها لا إلي ضميره بخلاف قوله ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾(٣) فإنه المفدي به . ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ﴾ أي سلموا إلي العذاب بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة . ﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا

---

(١) البحائر جمع بحيرة والسوائب جمع سائبة.

والبحيرة هي التي يمنح درُّها للطواغيت ولايحلبها أحد من الناس والسائبة التي يسيبها الجاهليون لآلهتهم فلايحمل عليها شئ ، وقد مر تفسير ذلك في الآية رقم ١٠٣ من سورة المائدة.

(٢) المدثر ١١ (٣) البقرة ٤٨

يَكْفُرُون ﴾تأكيد وتفصيل لذلك ، والمعني هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم .

الآيات من ٧١ : ٧٤

﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٧٣) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٧٤) ﴾ .

مثل الذي ضل عن الهدي

﴿ قُلْ أَنَدْعُو ﴾ أنعبد . ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا ﴾ مالايقدر علي نفعنا وضرنا ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا ﴾ ونرجع إلي الشرك ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾فأنقذنا منه ورزقنا الإسلام . ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ ﴾ كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه[1] استفعال من هوي يهوي هوياً إذا ذهب . وقرأ حمزة استهواه بألف ممالة ومحل الكاف النصب علي الحال من فاعل نرد أي: مشبهين الذي استهوته ، أو علي المصدر أي رداً مثل رد الذي استهوته ﴿ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾متحيراً ضالاً عن الطريق .﴿ لَهُ أَصْحَابٌ ﴾ لهذا المستهوي رفقة .﴿ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ﴾ إلي أن يهدوه الطريق المستقيم ، أو إلي الطريق المستقيم وسماه هدي تسمية للمفعول بالمصدر . ﴿ ائْتِنَا ﴾يقولون له ائتنا ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ ﴾ الذي هوالإسلام . ﴿هُوَ الْهُدَىٰ ﴾ وحده وماعداه ضلال .

---

(١) المهامه : جمع مَهْمَه وهو المكان القفر الموحش.

﴿ وأُمِرنا لِنُسْلِمَ لِربِّ الْعالَمين﴾ من جملة المقول عطف علي أن هدي الله ، واللام لتعليل الأمر أي أمرنا بذلك لنسلم . وقيل هي بمعني الباء وقيل هي زائدة .

دعوة لإقامة الصلاة والتقوي

﴿ وأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ ﴾ عطف علي لنسلم أي للإسلام ولإقامة الصلاة، أوعلي موقعه كأنه قيل: وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا الصلاة ، روي : أن عبد الرحمن بن أبي بكر دعا أباه إلي عبادة الأوثان ، فنزلت وعلي هذا كان أمر الرسول ﷺ بهذا القول إجابة عن الصديق رضي الله تعالي عنه تعظيماً لشأنه وإظهاراً للاتحاد الذي كان بينهما . ﴿وَهُوَ الَّذي إلَيْه تُحْشَرُون﴾يوم القيامة .

﴿ وَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّمَوَات وَالأَرْضَ بالْحَقّ ﴾ قائما بالحق والحكمة . ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾ جملة اسمية قدم فيها الخبر أي قوله الحق يوم يقول ، كقولك : القتال يوم الجمعة ، والمعني أنه الخالق للسموات والأرضين ، وقوله الحق نافذ في الكائنات ، وقيل يوم منصوب بالعطف علي السموات أو الهاء في واتقوه ، أو بمحذوف دل عليه بالحق ، وقوله الحق مبتدأ وخبر أو فاعل يكون علي معني وحين يقول لقوله الحق أي لقضائه كن فيكون ، والمراد به حين يكون الأشياء ويحدثها أو حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الأموات وإحياءها، ﴿ وَلَهُ الْمُلْكُ يومَ يُنفَخُ في الصُّورِ ﴾ كقوله سبحانه وتعالي :﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لله الْوَاحد الْقَهَّار﴾[1] ﴿عَالمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَة ﴾ أي هو عالم الغيب ﴿ وَهُوَ الْحَكيمُ الْخَبيرُ﴾ كالفذلكة للآية .

قصة إبراهيم في شأن الكواكب

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهيمُ لأَبيه آزَرَ ﴾ هو عطف بيان لأبيه ، وفي كتب التواريخ أن اسمه تارح فقيل: هما علمان له كإسرائيل ويعقوب ، وقيل: العلم تارح[2] وآزر وصف معناه الشيخ أو المعوج ولعل منع صرفه لأنه أعجمي حمل علي موازنة أونعت مشتق من الأزر أو الوزر ، والأقرب أنه علم أعجمي علي فاعل كعابر

---

(١) غافر ١٦

(٢) في تفسير ابن كثير : تارخ بالخاء المعجمة – نقل ذلك عن الطبري في تفسيره

وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته ، أو أطلق عليه بحذف المضاف وقيل: المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره مابعده أي أتعبد آزر ثم قال : ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴾ تفسيراً وتقريراً ، ويدل عليه أنه قرئ أزراً ، تتخذ أصناماً بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم علي النداء وهو يدل علي أنه علم .﴿ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ ﴾ عن الحق .﴿ مُبِينٍ ﴾ظاهر الضلالة (١) .

الآيات من ٧٥ : ٨٠

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) ﴾ . .

دعوة إلي استعمال العقل في التفكر والهداية

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ومثل هذا التبصير نبصره ، وهو حكاية حال ماضية، وقرئ تري بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية .﴿ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ ربوبيتها وملكها ، وقيل عجائبها وبدائعها وملكوت أعظم الملك والتاء فيه للمبالغة . ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾أي ليستدل وليكون،

(١) ذكر القرآن الكريم تفصيلا لهذا الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام – وأبيه في الآيات ٤١ – ٤٨ من سورة مريم من قوله تعالي ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيا ﴾ إلي ﴿ عسي ألا أكون بدعاء ربي شقيا ﴾ وسياتي شرحها بإذن الله تعالي.

أو وفعلنا ذلك ليكون .

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف علي قال إبراهيم .

وكذلك نري اعتراض فإن أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنام والكواكب ، فأراد أن ينبههم علي ضلالتهم ويرشدهم إلي الحق من طريق النظر والاستدلال ،

* الإعجاز العلمي

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا﴾

تؤكد هذه الآية حركة الكواكب ودوران الكرة الأرضيةفي قوله تعالى فلما " أفل " أى غاب أو بمعنى آخر تحركت الأرض فى اتجاه دورانها بعيدة عنه وإليك أيها القارئ المسلم تلك المعلومات عن الكواكب السيارة حول الشمس ٠

الكواكـــب السيـــارة :

تدور تسع سيارات حول الشمس فى الاتجاه نفسه ، وأقرب كوكب سيار من الشمس هو عطارد ويليه الزهرة ثم الأرض فالمريخ فالمشترى فزحل فلورانس فنبتون وأخيرا بلوتو ، وقد عرف علماء اليونان والعرب الأقدمون الكواكب الستة الأولى ولم يكتشف نبتون الا عام ١٨٤٦ وبلوتو عام ١٩٣٠ بسبب بعدهما الكبير ولقد تنبأ العلماء بوجود هذين الكوكبين قبل أن اكتشف فعلا ، ويعتقد الفلكيون باحتمال وجود كوكب عاشر وراء بلوتو ٠

والكواكب الأربعة الأولى وبلوتو متقاربة الأحجام ، أما المشترى وزحل ونبتون فإنها أكبر بكثير وتدعى الكواكب الكبيرة ، أما درجة الحرارة على سطح الكوكب فإنها تتوقف على بعده من الشمس ، فالكواكب الكبيرة وبلوتو شديدة البرودة ٠ أما عطارد فتصل درجة حرارة الجانب الذى يواجه الشمس منه أثناء الدوران ٤٠٠ درجة مئوية وتكون فى الجانب المظلم أبرد بكثير ، ويعود الفرق فى درجة الحرارة الى أمرين أولهما بطء دورة عطارد (يوم عطارد يساوى ٥٩ يوما أرضيا) وثانيهما انعدام الجو ، وجو الكوكب هو الغلاف الغازى الذى يحيط به – وجو الأرض هو الهواء الذى نستنشقه ٠ وهذا الغلاف =

وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة أوالمشتري وقوله : هذا ربي علي سبيل الوضع فإن المستدل علي فساد قول يحكيه علي ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالإفساد ،أو علي وجه النظر والاستدلال ، وإنما قاله زمان مراهقته أو أول أوان بلوغه. ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ أي غاب .﴿ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِين﴾ فضلاً عن عبادتهم فإن الانتقال والاحتجاب بالأستار يقتضي الأمان والحدوث وينافي الألوهية.

*** الإعجاز العلمى**

الغازى يحجز بعض حرارة الشمس ويمنع حدوث التغيرات السريعة فى درجة الحرارة فى أثناء دوران الكوكب . ويحتوى هواء الأرض غازات الأوكسجين (نحو ٢١٪) والنتروجين (نحو ٧٨٪) وتؤلف غازات أخرى أجواء الكواكب السيارة الأخرى . فالاختلاف فى التكوين الجوى وفى درجات الحرارة وكذلك احتمالية عدم وجود الماء عليها تدل على أن الكواكب السيارة الأخرى بعيدة الشبه بالأرض والأرجح أنها غير مأهولة .

ولمعظم الكواكب السيارة أجسام أصغر تدور حولها تدعى أقمارا أو توابع . فالقمر هو تابع الأرض وللمشترى ولزحل والأورانوس عدد أكبر من الأقمار . وقد تمكن غاليليو من مشاهدة الأقمار الأربعة الكبيرة للمشترى أول مرة عام ١٦١٧ . وأغرب معالم الكواكب هى حلقات زحل وهى نطاقات مسطحة مؤلفة من أجسام صغيرة ربما كانت من الجليد أو من فتات قمر تناثرت أجزاؤه .

والكويكبات أيضا من أفراد النظام الشمسى . وهى قطع كبيرة من الصخر تدور حول الشمس وعلى الأخص بين مدارى المريخ والمشترى . وقد اكتشف أكبرها سيروس عام ١٨٠١ ويبلغ قطره ٦٣٠ كيلومترا ، ويحتمل أن تكون الكويكبات بقايا كوكب تفكك من زمن بعيد ، أما المذنبات فهى أجسام تدور حول الشمس فى أفلاك مفرطة الإهليلجية عادة . ولهذا يعنى أنها تقطع مرارا عبر مسارات الكواكب ، وعند اقترابها من الشمس تمتد أذنابها وراءها الى ملايين الكيلومترات وتكتسب تألقا وإشراقا ، ويدور حول الشمس أيضا قطع صغيرة من الصخر ربما كانت بقايا مذنبات ، فإذا دخلت هذه القطع جو الأرض =

﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا ﴾ مبتدئاً في الطلوع .﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق ، فإنه لايهتدي إليه إلا بتوفيقه إرشاداً لقومه وتنبيهاً لهم علي أن القمر أيضاً لتغير حاله لايصلح للألوهية ، وأن من اتخذه إلهاً فهو ضال .

﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث .﴿ هَذَا أَكْبَرُ ﴾ كبره استدلالاً أو إظهاراً لشبهة الخصم ، ﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ من الأجرام المحدثة

* الإعجاز العلمي

تحترق الصغيرة منها ، وهى المعروفة بالنيازك ، محدثة خطوطا لامعة من الضوء تدعى الشهب ، أما الكبيرة منها ، وتعرف بالرجم ، فيصل بعضها إلى الأرض محدثا فجوات متباينة الحجم .

جدول السيارات فى النظام الشمسى :

السيار	البعد عن الشمس بملايين الكيلو مترات	القطر بالكيلو مترات	عدد الأقمار	السنة بالتوقيت الأرضى	اليوم بالتوقيت الأرضى
عطارد	٥٨	٤٨٤٠	–	٨٨يوما	٥٩.يوما
الزهرة	١٠٨	١٢٣٠٠	–	٢٢٥يوما	٢٤٤ يوما
الأرض	١٥٠	١٢٧٥٦	١	٣٦٥ ١/٤ يوما	٢٣ س ، ٥٦ د
المريخ	٢٢٨	٦٧٩٠	٢	٦٨٧ يوما	٢٤س ، ٣٧ د
المشترى	٧٧٨	١٤٢٨٠٠	١٢	١٢ سنة	٩ س ، ٥٠ د
زحل	١٤٢٧	١١٩٣٠٠	١٠	٢٩ ١/٢ سنة	١٠س ، ١٤ د
أورانوس	٢٨٧٠	٤٧١٠٠	٥	٨٤سنة	١٠س ، ٤٩ د
نبتون	٤٤٩٧	٤٤٨٠٠	٢	١٦٥ سنة	١٥س ، ٤٨ د
بلوتو	٥٩٠٧	٥٩٠٠	–	٢٤٨ ١/٢ سنة	٦,٥ يوم

لاحظ : أن يوم الزهرة أطول من سنتها .

المحتاجة إلي محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ، ثم لما تبرأ منها توجه إلي موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال :

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وإنما احتج بالأفول دون البزوغ مع أنه أيضاً انتقال لتعدد دلالته ،

* الإعجاز العلمي

﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ ﴾

وهى تتحدث عن القمر وتحتوى على معنى أكيد بحركة دوران القمر حول الأرض ودوران الأرض حول نفسها من قوله تعالى بازغا ٠٠٠٠ الى ٠٠٠٠ فلما أفل ٠٠٠٠٠ أى أنه كان ظاهرا واضحا ثم غاب واختفى - وإليك بعض المعلومات الفلكية عن القمر ٠

القمـــر :

القمر أقرب جار لنا فى الفضاء وأول جرم فضائى يزوره الإنسان ٠ يبلغ معدل بعد القمر فى مداره حول الأرض ٣٨٤٠٠٠٠ كيلومتر وهى مسافة ضئيلة فلكيا ونعتبره عند عتبة الباب ٠ فى مدى ٢٧ يوما يكمل القمر دورة فى فلكه وفى المدة نفسها يكمل دورة على محوره ، لذلك يظل نفس الوجه منه فى مواجهة الأرض دائما ٠

والقمر غير منير بذاته وهو يشرق ليلا بفضل ما يعكسه من ضوء الشمس ٠ وعندما يقع القمر بين الأرض والشمس لانتمكن من مشاهدته لكن عندما ينتقل فى مداره يبدو أنه يكبر ويتغير شكله لأن الشمس تنير المزيد منه تدريجيا حتى يصبح بدرا ، ثم يأخذ بالتناقص حتى يختفى ثانية ، وتدعى تلك الأشكال المختلفة أوجه القمر والقمر البدر الكامل الاستدارة هو أحد الوجوه وتتكرر أوجه القمر كل ٢٩ يوما ٠

وتظهر على القمر بقع داكنة وهى فى الواقع سهول جافة متسعة ونحن لانزال ندعوها بحارا ، والثابت هو أن ليس على القمر ماء أو هواء ، وليس بإمكان إنسان العيش هناك إلا إذا حمل معه حاجته من الهواء ، وظروف القمر لاتشجع على الإقامة فيه ففى النهار ترتفع درجة الحرارة فى الجانب المواجه للشمس إلى ١٠٠ درجة مئوية ، بينما تهبط فى الليل إلى ١٥٥ درجة مئوية تحت الصفر ٠ ويتساوى الليل والنهار فى

ولأنه رأي الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال .

﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ﴾ وخاصموه في التوحيد .﴿ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ ﴾ في وحدانيته سبحانه وتعالي ، وقرأ نافع وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون . ﴿ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ إلي توحيده.﴿ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ﴾ أي لا أخاف معبوداتكم في وقت لأنها لاتضر بنفسها ولاتنفع . ﴿ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ﴾ أن يصيبني بمكروه من جهتها ، ولعله جواب لتخويفهم إياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله، ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾كأنه علة الاستثناء ، أي أحاط به علماً فلايبعد أن يكون في علمه أن يحيق بي مكروه من جهتها .﴿ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز.

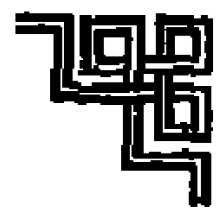
* الإعجاز العلمى

القمر ويدوم كل منهما ١٤ يوما أرضيا .

أما سطح القمر فهو صخرى ووعر للغاية ، ويحيط بالبحار (السهول) غالبا جبال عالية جدا ويبلغ ارتفاع أعلاها حوالى ١٠٠٠٠ متر وذلك أعلى من ارتفاع جبل إفرست، وهناك أودية واسعة وشقوق صغيرة تدعى حزوزا أو ريلات .

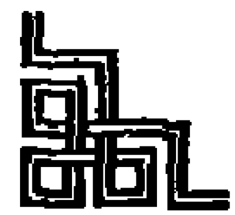
وتنتشر على سطح القمر آلاف من الفوهات البركانية يتراوح حجمها بين فجوات صغيرة وسهول واسعة تحيط بها سلاسل جبال ويبلغ قطر أكبر الفوهات وتدعى بيلى نحو ٣٠٠ كيلومتر ، وبعض الفوهات يصل عمقها الى ٧٠٠٠ متر .

والقمر أصغر من الأرض ، إذ يبلغ قطره ٣٤٧٦ كيلومترا (أكبر قليلا من ربع قطر الأرض) وهو أخف منها بحوالى ٨١ مرة ومع هذا فالقمر ذو قوة جذب قوية تؤثر فى بحار الأرض أثناء دورته حولها . وشد الجاذبية هذا يسبب ظاهـــرة المد والجزر اليومية .



الآيات من ٨١ : ٨٩

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) ﴾ .



الأمان الحقيقي يكون في ظل الإيمان

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ﴾ ولايتعلق به ضر ، ﴿ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ ﴾ وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لأنه إشراك للمصنوع بالصانع، وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ، ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴾ مالم ينزل بإشراكه كتاباً ، أو لم ينصب عليه دليلاً، ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ ﴾ أي الموحدون أو المشركون ، وإنما لم يقل أينا أنا أم أنتم احترازاً من تزكية نفسه .﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ مايحق أن يخاف منه .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ استئناف منه أو من الله بالجواب عما استفهم عنه ، والمراد بالظلم ها هنا الشرك لما

روي (أن الآية لما نزلت شق ذلك علي الصحابة وقالوا : أينا لم يظلم نفسه فقال ﷺ «ليس ماتظنون إنما هو ماقال لقمان لابنه يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم») وليس الإيمان به أن يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الإشراك به ،وقيل المعصية.

﴿ وَتِلْكَ ﴾ إشارة إلي مااحتج به إبراهيم علي قومه من قوله ﴿ فلما جن عليه الليل ﴾ إلي قوله ﴿ وهم مهتدون ﴾ أو من قوله ﴿ أتحاجوني ﴾ إليه ﴿ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ﴾ أرشدناه إليها أوعلمناه إياها . ﴿ عَلَىٰ قَوْمِهِ ﴾متعلق بحجتنا إن جعل خبر تلك وبمحذوف إن جعل بدله أي: آتيناها إبراهيم حجة علي قومه . ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾في العلم والحكمة ، وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾ في رفعه وخفضه .﴿ عَلِيمٌ ﴾ بحال من يرفعه واستعداده له.

البركة في ذرية إبراهيم عليه السلام

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ أي كلامنهما . ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ من قبل إبراهيم ، عد هداه نعمة علي إبراهيم من حيث إنه أبوه وشرف الوالد يتعدي إلي الولد . ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ ﴾ الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام إذ الكلام فيه ، وقيل لنوح عليه السلام لأنه أقرب ولأن يونس ولوطاً ليسا من ذرية إبراهيم ، فلو كان لإبراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف علي نوحاً . ﴿ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ ﴾ أيوب بن أموص من أسباط عيص بن إسحاق . ﴿ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي ونجزي المحسنين جزاء مثل ماجزينا إبراهيم برفع درجاته وكثرة أولاده والنبوة فيهم .

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ هو ابن مريم وفي ذكره دليل علي أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿ وَإِلْيَاسَ ﴾ قيل هو إدريس جد نوح فيكون البيان مخصوصاً بمن في الآية الأولي ، وقيل هو من أسباط هارون أخي موسي ﴿ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الكاملين في الصلاح وهو الإتيان بما ينبغي والتحرز عما لاينبغي .

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ ﴾ هو اليسع بن أخطوب ، وقرأ حمزة والكسائى والليسع وعلي القراءتين هو علم أعجمي أدخل عليه اللام كما أدخل علي اليزيد في قوله :

أرأيتُ الوَلِيْدَ بن اليَزِيد(١) مُبَارَكاً ... شَديداً بأَعْبَاءِالخلافَة كَاهِلُهُ

﴿ وَيُونُسَ ﴾ هو يونس بن متي . ﴿ وَلُوطًا ﴾ هو ابن هاران أخي إبراهيم . ﴿ وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ بالنبوة وفيه دليل علي فضلهم علي من عداهم من الخلق.

﴿ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ﴾ عطف علي كلا أونوحاً أي فضلنا كلاً منهم ، أو هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم وإخوانهم فإن منهم من لم يكن نبياً ولامهدياً . ﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ ﴾عطف علي فضلنا أوهدينا . ﴿ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ تكرير لبيان ماهدوا إليه.

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ ﴾ إشارة إلي ما دانوا به . ﴿ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ دليل علي أنه متفضل عليهم بالهداية : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا ﴾ أي ولو أشرك هؤلاء الأنبياء عليهما الصلاة والسلام مع فضلهم وعلو شأنهم . ﴿ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم بسقوط ثوابها.

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ يريد به الجنس . ﴿ وَالْحُكْمَ ﴾ الحكمة أو فصل الأمر علي مايقتضيه الحق ، ﴿ وَالنُّبُوَّةَ ﴾والرسالة ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا ﴾ أي بهذه الثلاثة . ﴿ هَٰؤُلَاءِ ﴾ يعني قريشاً ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا ﴾أي بمراعاتها . ﴿ قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورون ومتابعوهم ، وقيل : هم الأنصار أو أصحاب النبي ﷺ أو كل من آمن به أو الفرس (٢) وقيل : الملائكة.

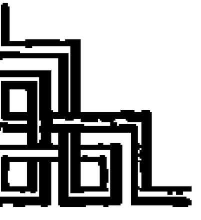
(١) كثيرا ما يدخل العرب ال علي بعض الأعلام ومن ذلك العباس في عباس ، والحارث في حارث ، و اليزيد في يزيد والوليد في وليد .

والوليد بن يزيد علم الخليفة من خلفاء بني أمية.

(٢) في الفرس نزل قوله تعالي﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز =

الآيات من ٩٠ : ٩٣

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ (٩٠) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) ﴾.



﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ يريد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتقدم ذكرهم

= الحكيم ﴾.الجمعة : ٣

جاء ذلك في تفسير القرطبي وذكر أنه لما نزلت هذه الآية سأل الصحابة النبي ﷺ عن هؤلاء الآخرين ، فضرب بيده علي منكب سلمان الفارسي وقال لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لناله رجال من فارس.

ورواه ابن كثير في تفسيره أيضاً قال : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ فانزلت عليه سورة الجمعة ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ قالوا : من هم يارسول الله؟ فلم يراجعهم حتي سئل ثلاثاً ، وفينا سلمان الفارسي فوضع رسول الله ﷺ يده علي سلمان الفارسي ثم قال : لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال – أو رجل من هؤلاء ، وعزاه ابن كثير إلي البخاري. ، قال : ورواه مسلم والترمذي والنسائى وابن أبي حاتم وابن جرير. مختصر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٦١ .

، ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه ﴾ فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ماتوافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين دون الفروع المختلف فيها ، فإنها ليست هدي مضافاً إلي الكل ولايمكن التاسي بهم جميعاً فليس فيه دليل علي أنه ﷺ متعبد بشرع من قبله ، والهاء في اقتده للوقف ومن أثبتها في الدرج ساكنة.كابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم أجري الوصل مجري الوقف ويحذف الهاء في الوصل خاصة حمزة والكسائي وأشبعها بالكسر ابن عامر برواية ابن ذكوان علي أنها كناية المصدر وكسرها بغير إشباع برواية هشام . ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي علي التبليغ أو القرآن ﴿ أَجْراً ﴾ جعلاً من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين ، وهذا من جملة ما أمر بالاقتداء بهم فيه . ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ أي التبليغ أو القرآن أو الغرض . ﴿ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾إلا تذكيراً وموعظة لهم.

تبكيت للكفار

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ وماعرفوه حق معرفته في الرحمة والإنعام علي العباد ﴿ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ حين أنكروا الوحي وبعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام. وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته أوفي السخط علي الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا علي هذه المقالة ، والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن بدليل نقض كلامهم ،وإلزامهم بقوله ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ وقراءة الجمهور .﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ بالتاء وإنما قرأ بالياء ابن كثير وأبوعمرو حملاً علي قالوا وماقدروا ، وتضمن ذلك توبيخهم علي سوء جهلهم بالتوراة وذمهم علي تجزئتها بإبداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة وإخفاء بعض لايشتهونه.

وروي أن مالك بن الصيف قاله لما أغضبه الرسول ﷺ بقوله : أنشدك الله الذي أنزل التوراة علي موسي هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين قال : نعم إن الله يبغض الحبر السمين ، قال ﷺ فأنت الحبر السمين .(١)

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول من طريق سعيد بن جبير ، وأخرجه الطبري في تفسيره أيضاً.

وقيل : هم المشركون وإلزامهم بإنزال التوراة لأنه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون ﴿ لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدي منهم ﴾(١).

﴿ وَعُلِّمْتُم ﴾ علي لسان محمد ﷺ ﴿ مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ ﴾ زيادة علي ما في التوراة وبياناً لما التبس عليكم وعلي آبائكم الذين كانوا أعلم منكم ونظيره . ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(٢) وقيل الخطاب لمن آمن من قريش ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ أي أنزله الله ، أو الله أنزله ،أمره بأن يجيب عنهم إشعاراً بأن الجواب متعين لايمكن غيره ، وتنبيهاً علي أنهم بهتوا بحيث إنهم لايقدرون علي الجواب .

﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ ﴾ في أباطيلهم فلاعليك بعد التبليغ وإلزام الحجة . ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ حال من هم الأول، والظرف صلة ذرهم أويلعبون أو حال منهم الأول، والظرف صلة ذرهم أو يلعبون أو حال من مفعوله ، أو فاعل يلعبون أو من هم الثاني والظرف متصل بالأول .

فضل القرآن

﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ كثير الفائدة والنفع ، ﴿ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يعني التوراة أو الكتب التي قبله . ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ ﴾ عطف علي مادل عليه مبارك أي للبركات ولتنذر أوعلة لمحذوف أي ولتنذر أهل أم القري أنزلناه ، وإنما سميت مكة بذلك لأنها قبلة أهل القري ومحجهم ومجتمعهم وأعظم القري شأناً وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها ، أو لأنها مكان أول بيت وضع للناس ، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء أي ولينذر الكتاب . ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أهل الشرق والغرب ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ فإن من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولايزال الخوف يحمله

= وذكره الزمخشري في الكشاف وأضاف إليه بعد قوله : فأنت الحبر السمين : قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود ، فضحك القوم فغضب ، ثم التفت إلي عمر فقال : ما أنزل الله علي بشر من شئ فقال له قومه : ويلك ماهذا الذي بلغنا عنك ؟ قال : إنه أغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف .

(١) الأنعام ١٥٧ . (٢) النمل ٧٦ .

علي النظر والتدبر حتي يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ علي الطاعة وتخصيص الصلاة لأنها عماد الدين وعلم الإيمان .

من أشد أنواع الظلم

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ فزعم أنه بعثه نبياً كمسيلمة والأسود العنسي ، أو اختلق عليه أحكاماً كعمرو بن لحي (١) ومتابعيه .﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ كعبد الله بن سعد بن أبي سرح (كان يكتب لرسول الله ﷺ فلما نزلت ﴿ ولقد خلقنا الإنسن من سلالة من طين ﴾(٢) فلما بلغ قوله ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾(٣) قال عبد الله (فتبارك الله أحسن الخالقين) تعجباً من تفصيل خلق الإنسان فقال ﷺ اكتبها فكذلك نزلت ، فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إليّ كما أوحي إليه ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال)(٤) . ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا . ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ ﴾ حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه أي ولو تري الظالمين . ﴿ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾شدائده من

---

(١) عمرو بن لحي هو الذي ابتدع عبادة الأصنام في الجاهلية ، وقال عنه النبي ﷺ : رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار .

(٢) المؤمنون : ١٢ . (٣) المؤمنون : ١٤ .

(٤) وارتد عبد الله بن أبي بسرح ولحق بمكة، وأهدر النبي ﷺ دمه في أثناء فتح مكة ضمن من أهدر دمه، ولكنه ندم وتاب وجاء إلي النبي ﷺ ومعه عثمان بن عفان رضي الله عنه، فاستأمن له النبي ، فأمّنه ،وعاد إلي حظيرة الإسلام مخلصاً ، وجاهد في الله حق جهاده،واشترك في الفتوحات الإسلامية، وكان والياً علي مصر في أيام عثمان رضي الله عنه ، وقاد جيش العبادلة الذي فتح افريقيا ، ودعا الله تعالي أن يكون موته في الصلاة، فمات في صلاة الفجر فكان هذا من علامات حسن الختام.

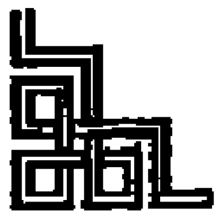
وفي ذلك دليل علي أن من تاب وأناب وأخلص في توبته قبله الله وأحسن إليه كما جاء في قوله تعالي ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ الفرقان ٧٠ .

غمره الماء إذا غشيه. ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ﴾ بقبض أرواحهم كالمتقاضي الملظ(١) أو بالعذاب (٢).

﴿ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ أي يقولون لهم أخرجوها إلينا من أجسادكم تغليظاً وتعنيفاً عليهم، أو أخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا ﴿ الْيَوْمَ ﴾ يريدون وقت الإماتة، او الوقت الممتد من الإماتة إلي مالانهاية له، ﴿ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ أي الهوان يريدون العذاب المتضمن لشدة وإهانة، فإضافته إلي الهون لعراقته وتمكنه فيه. ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ كادعاء الولد والشريك له ودعوي النبوة والوحي كاذباً. ﴿ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ فلا تتأملون فيها ولاتؤمنون.

الآيات من ٩٤ : ٩٨

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤) إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) ﴾.



حال الناس يوم البعث

﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾ للحساب والجزاء. ﴿ فُرَادَىٰ ﴾ منفردين عن الأموال

---

(١) المتقاضي الملظ : المغرق في طلب حقه، فإنه يبسط يده إلي من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولايمهله.

(٢) بالعذاب : أي أن الملائكة باسطو أيديهم بالعذاب لهؤلاء.

والأولاد وسائر ماآثرتموه من الدنيا ، أو عن الأعوان والأوثان التي زعمتم أنها شفعاؤكم ، وهو جمع فرد والألف للتأنيث ككسالي ، وقرئ فراد كرخال وفرَاد كثلاث وفردي كسكري .

﴿ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ بدل منه أي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد ،أو حال ثانية إن جوز التعدد فيها ، أو حال من الضمير في فرادي أي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلاً بهما ، أو صفة مصدر جئتمونا أي مجيئنا كما خلقناكم . ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ ﴾ ماتفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة .

﴿ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ ماقدمتم منه شيئاً ولم تحتملوا نقيراً . ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴾ أي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم . ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ أي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم ، والبين من الأضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف أسند إليه الفعل اتساعاً والمعني : وقع التقطع بينكم ، ويشهد له قراءة نافع والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب علي إضمار الفاعل لدلالة ماقبله عليه ، أو أقيم مقام موصوفه وأصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به . ﴿ وَضَلَّ عَنكُم ﴾ ضاع وبطل . ﴿ مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾أنها شفعاؤكم أو أن لا بعث ولاجزاء .

من مظاهر قدرة الله ونعمه

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ﴾ بالنبات والشجر ، وقيل المراد به الشقاق

*** الإعجاز العلمي**

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾

وفيما يبدو للإنسان بالمشاهدة فليس هناك أضعف ولا أوهى من الخلية النباتية أو من الخيوط النباتية التى لاترى الواحدة منها إلا فى تجمعها كما تشاهد متجمعة فى عفن الخبز أو على سطح الماء الراكد أو فوق حجر رطب ولكن هذه الخلية وهذه الخيوط تقاوم أعتى العواصف وأشد الزوابع فتميل معها وتنحنى لها فتمر وتبقى هى وتعيش وتحيا كما أنه ليس

الذي في الحنطة والنواة ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ماقبله . ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾ مما لاينمو كالنطف والحب . ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ، ذكره بلفظ الاسم حملاً علي فالق الحب فإن قوله : يخرج الحي واقع موقع البيان له . ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ ﴾ أي ذلكم المحي المميت هو الذي يحق له العبادة .

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عنه إلي غيره .

﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ ﴾ شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض النهار، أو شاق ظلمة الإصباح وهو الغبش الذي يليه والإصباح في الأصل مصدر أصبح إذا دخل في الصباح سمي به الصبح ، وقرئ بفتح الهمزة علي الجمع وقرئ فالق الإصباح بالنصب علي المدح.﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾ يسكن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن إليه إذا أطمأن إليه استئناساً به ، أو يسكن فيه الخلق من

* الإعجاز العلمى

هناك ماهو أقوى وأمتن من نوى النبات وحبوبه فمثلا لقد عثر على حبات من الغلال فى قبور الفراعنة ويرجع تاريخها إلى ما يزيد على خمسة آلاف سنة سابقة وخلال هذه المدة ماكان موجودا من أحجار تحلل ومن صخور تفتت ومن حديد تغير بما علاه من صدأ أما هذه الحبوب فعندما استنبتت ، نبتت - أن قوة تحملها أكبر مما يدركها العقل وأما ما بداخل الحب والنوى من قوة فأمر يفوق كل ماهو معروف وكل ماهو مألوف .

ولايقتصر الأمر على الحبوب والنوى الصلبة التى لاسبيل للإنسان إلى فلقها أو تحطيمها كنواة الزيتون مثلا بل إن هذه القوى الكامنة موجودة فى كل الحبوب حتى الحبوب الرقيقة والدقيقة كحبوب الشعير والقمح والأرز التى استخدم نباتها فى أثناء الحرب العالمية الأولى فى فك الواح الغواصات الغارقة تحت الماء بوضع بذورها فى ثنايا الالواح وتركت ليفكك انباتها تلاصق الألواح .

ويشير القرآن الى حقيقة هذه القوى عندما يذكر أن الله سبحانه وتعالى وحده هو فالق الحب والنوى .

قوله تعالي ﴿ لتسكنوا فيه ﴾(١) ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به ، فإنه في معني الماضي ، ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملاً علي معني المعطوف عليه ، فإن فالق بمعني فلق ولذلك قرئ به، أو به علي أن المراد منه جعل مستمر في الأزمنة المختلفة وعلي هذا يجوز أن يكون ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ عطفاً علي محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والأحسن نصبهما بجعل مقدراً ، وقرئ بالرفع علي الابتداء والخبر محذوف أي مجعولان .﴿ حُسْبَانًا ﴾ أي علي أدوارمختلفة يحسب بهما الأوقات ويكونا ن علمي الحسبان (٢) وهو مصدر حسب بالفتح كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان .

---

(١) يونس : ٦٧ – القصص : ٧٣ – غافر : ٦١.

(٢) يكونان علي الحسبان : أي جعلهما علامة للحساب ، لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما .

نكتة بلاغية

جاء في قوله تعالي ﴿ إن الله فالق الحب والنوي يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي .. ﴾الفعل يخرج بعد فالق وبعده مخرج ،وفي ذلك عدول عن السياق وكان الأصل وروده بصيغة اسم الفاعل أسوة بأمثاله من الصفات المذكورة في قوله فالق الحب فالق الإصباح جاعل الليل ، مخرج الحي من الميت ، إلا أنه عدل عن اسم الفاعل إلي الفعل المضارع في هذا الوصف وحده وهو قوله ﴿ يخرج الحي من الميت ﴾ إرادة لتصوير إخراج الحي من الميت واستحضاره في ذهن السامع ، وهذا التصوير والاستحضار إنما يتمكن في أدائهما الفعل المضارع دون اسم الفاعل والماضي ، وهذا مثل قوله تعالي ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء فتصبح الأرض مخضرة ﴾ فقد عدل عن الماضي المطابق لقوله تعالي ﴿ أنزل ﴾ لهذا المعني .

وهذا المقصد يجئ فيما تكون العناية به أقوي ، ولاشك أن إخراج الحي من الميت أشهر في القدرة من عكسه، وهو أيضاً أول الحالين ، والنظر أول مايبدأ فيه ثم القسم الآخر وهو إخراج الميت من الحي ناشئ عنه ، فكان الأول جديراً بالتصوير والتأكيد في النفس، ولذلك هو مقدم أبدا علي القسم الآخر في الذكر علي حسب ترتيبهما في الواقع ، وسهل عطف الاسم علي الفعل وحسنه أن اسم الفاعل في معني الفعل المضارع فكل واحد منهما يقدز بالآخر فلاجناح في عطفه عليه .. من تعليق محقق الكشاف .

﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلي جعلهما حسباناً أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم.
﴿ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ ﴾ الذي قهرهما وسيرهما علي الوجه المخصوص .
﴿ الْعَلِيمِ ﴾ بتدبيرهما والأنفع من التداوير الممكنة لهما .
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ ﴾ خلقها لكم. ﴿ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ في ظلمات الليل في البر والبحر ، وإضافتها إليهما للملابسة أو في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات علي الاستعارة ، وهو إفراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما أجملها بقوله لكم.
﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ ﴾ بيناها فصلاً فصلاً . ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فإنهم المنتفعون به .
﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ هو آدم عليه الصلاة والسلام .
﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ أي فلكم استقرار في الأصلاب ، أو فوق الأرض واستيداع في الأرحام ، أو تحت الأرض أو موضع استقرار واستيداع ، وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف علي أنه اسم فاعل ، والمستودع اسم مفعول أي فمنكم قارٌّ ومنكم مستودع ، لأن الاستقرار منا دون الاستيداع .
﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لأن أمرها ظاهر ، ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون ، لأن إنشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج إلي استعمال فطنة وتدقيق نظر.

الآيات من ٩٩ : ١٠٠

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) ﴾ .

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنـــزَلَ مِنَ الـــسَّمَاءِ مَاءً ﴾ من السحاب أو من جانب السماء، ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾ علي تلوين الخطاب .﴿ بِهِ ﴾ بالماء. ﴿ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾نبت كل

* الإعجاز العلمي

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً ﴾

حول اللون الأخضر وفائدته للنبات نقول :

لكى نفهم وجه الإعجاز فى ذكر لفظ "الأخضر" الوارد فى الآية الكريمة فالإنسان والحيوان والطير لايستطيع أن يستفيد من الطاقة الشمسية كطاقة أساسية فى بناء أجسامنا .

ولكن النبات الأخضر يختلف حيث أن النبات الأخضر ملئ بملايين المليارات من البلاستيدات الخضراء وهى جسيمات دقيقه جدا وبيضاوية الشكل توجد فى خلايا النبات وهى تشبه كرات الدم الحمراء وهذه البلاستيدات عنصرها الأساسى هو الكلوروفيل وهى مادة سحرية عجيبة أودعها الله سرا من أسراره فى مخلوفاته واسمه بالفصحى اليخضور نسبة إلى لونه الأخضر وهو المسئول الأول والأخير عن تلوين أى جزء من النبات باللون الأخضر وبفضل هذا الكلوروفيل تقوم البلاستيدة الخضراء بامتصاص أشعه الشمس وتحولها من طاقة ضوئية إلى طاقة كيميائية ثم يتم استغلال هذه الطاقة الكيمائية فى ربط جزئيات الماء الممتص من الأرض بجزئيات ثانى أكسيد الكربون من الجو لتكون جزئيات السكر الأحادية بجسم النبات وينطلق الأوكسجين .

وتتم محل هذه العملية الحيوية والتى تقوم بها النباتات الخضراء فى ضوء الشمس ولذا تسمى بعملية "التمثيل الضوئى" لانها تتم فى "الضوء"

هذا كله لم يكتشف إلا حديثا أما قرآننا العظيم فقد ذكر لنا كل هذا فى كلمة مختصرة فى زمن التنزيل فى قوله تعالى "فأخرجنا منه خضرا" ....

النباتـــــات

كل كائن حى فى عالم النبات صغيرا كان أو كبيرا بسيطا أو معقدا ، سنويا أو محولا أو معمرا ، بريا أو زراعيا ، هو من النباتات، فالطحالب والزهور والحشائش والخضر والسراخس والجنبات (الشجيرات) على أنواعها والأشجار كلها نباتات وبدون النباتات ماكانت الحياة على الأرض ممكنة للحيوانات ، فالنباتات بقدرتها على تركيب غذائها =

صنف من النبات والمعني : إظهار القدرة في إنبات الأنواع المختلفة المفننة المسقية بماء واحد كما في قوله سبحانه وتعالي ﴿ يسقىٰ بماءٍ واحدٍ ﴾(١) ونفضل بعضها

(١) الرعد : ٤ .

* الإعجاز العلمي

بالتخليق الضوئى تعتبر المصدر الرئيسى لغذاء الإنسان والحيوان ، فكيف تنمو هذه النباتات وكيف تعيش ؟ .

اقتلع نبته مزهرة صغيرة بالحفر حولها بعناية ، وهزها برفق لنفض التراب العالق بها ، وتفحص أجزاءها ، هنالك الجذور تحت الأرض ، وهذه تتصل بالساق أو الجذع حامل الأغصان والأوراق وأحيانا الأزهار فماهو دور كل من هذه الأجزاء ؟ إن الجذور ترسخ النبات فى الأرض وتمده بمواد الغذاء الأولية التى أهمها الماء . فلا نبت يستطيع العيش بلا ماء ، ولو حرمت النبتة الماء فسرعان ماترخي وتذبل ، وهى تستعيد فى الغالب نضارتها وحيويتها إذا أرويت ، ولتبيان حركة الماء فى ساق النبتة ضع زهرة فاتحة اللون طويلة العنق (أو ضلع ورقة كرفس) فى إناء لون ماؤه بالحبر الأحمر ، وسترى بعد فترة قصيرة أن تويجيات الزهرة (أو ضلع الكرفس وأوراقه) قد تشربت بالحمرة ، فالحبر الصاعد فى الساق قد لون الأنابيب الدقيقة التى صعد فيها الماء الملون .

يذهب معظم الماء إلى الأوراق التى هى فى الواقع مصانع غذاء النبات ، وتنتشر على صفحة الورقة السفلى بخاصة ثغيرات مجهرية كثيرة يتم عبرها التبادل الغازى بين الورقة والجو المحيط ، ففي عملية التنفس الضرورية للنبات كما لسائر الكائنات الحية تأخذ النباتات أكسجين الهواء وتلفظ ثانى أكسيد الكربون ، لكن فى عملية التخليق الضوئى التى تتم بفاعلية اليخضور (الكلوروفيل) فإن الأوراق تصنع الغذاء من الماء وثانى أكسيد الكربون مستمدة طاقة التفاعل من نور الشمس ، وتنتج عملية التخليق هذه سكرا يستهلك قسم منه آنيا ويختزن معظمه فى أجزاء النبات المختلفة بعد تحويله إلى نشاء ، والنشاء أسهل للاختزان ويمكن تحويله بسرعه عند الحاجة إلى سكر ، كذلك تنتج عملية التخليق الضوئى كميات من الأكجسين تعاد إلى الجو تعويضا عما يستهلك منه فى عمليات التنفس والاحتراق .

وهكذا تعمل النباتات على حفظ التوازن الغازى فى هواء الجو ، ولولاها لقلت نسبة

علي بعض في الأكل .﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾من النبات أو الماء .﴿خَضِراً﴾ شيئاً أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور، وهو الخارج من الحبة المتشعب

* الإعجاز العلمي

الأكجسين فى الهواء واستحال استمرار الحياة الحيوانية على سطح الأرض كل هذا النظام المبدع والمنظم لايمكن أن يأتى من تلقاء نفسه ولابد من خالق عظيم وراءه فسبحان الله العظيم .

وحول سر اللون الأخضر للنبات يحدثنا المفكر الإسلامى / عبدالرازق نوفل فيقول : تلك المادة التى أسماها العلماء الكلوروفيل .. وسميت بالعربية .. اليخضوب .. ثم اليخضور وهى حقا .. وفعلا .. خضر النبات .. كما قرر القرآن الكريم فى النص الحكيم :

« وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه » .

وليس من دليل على أهمية هذه المادة .. لا للنبات فقط .. بل للوجود كله .. من أن القرآن الكريم يذكر ويوجه النظر إليها لدراستها .. تدبر ماجاء فى الآية الشريفة بخصوصها .. وأن ما أورده النص الكريم .. من حقائق عن هذه المادة .. وصل إليه العلم أخيرا وإلى بعضه فقط .. إذ يقرر نص قرآن ربنا العظيم أن من هذا الخضر يخرج الحب المتراكب وغيره من الثمار .. والمحاصيل .. كل الثمار وكافة المحاصيل ..

وحتى الآن .. وإلى الغد .. كل غد .. سيظل العلم .. عاجزا عن الوقوف على سر عمل هذه المادة .. إذ قرر أنه سر الحياة .. وأنى له أن يعرف هذا السر .. إن هذه المادة الخضراء هى التى تربط الجماد بالحياة .. فعليها وبها وفيها تجد المواد غير الحية .. وهى فى حالة عناصر ميتة .. وتتحول بتراكيب جديدة إلى مواد تدخل فى تركيب جسم الكائن الحى .. إنها تقوم بعملية .. غريبة .. غاية فى الغرابة .. أسماها العلم عملية التركيب الضوئى .. أو التمثيل الضوئى .. هى أساس الحياة .. لأنها هى التى تعد غذاء كل كائن حى .. بطريقة هى أغرب وأعجب عملية فيما يعلم الإنسان .. والعملية

.﴿ نُخْرِجُ مِنْهُ ﴾ من الخضر ﴿ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ وهو السنبل .﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ ﴾ أي وأخرجنا من النخل نخلاً من طلعها قنوان ، أو من النخل شئ

* الإعجاز العلمى

تتم على وجه الأرض . . وتعرضها الحياة على إنها أبدع وأروع وأوضح مايمكن أن تقدمه من أدلة على وجود الله سبحانه وتعالى . . وعلى قدرته وعظيم تدبيره . . وعلى حكمته وجليل تقديره . . فالورقة الخضراء . . تأخذ ثانى أكسيد الكربون من الجو . . وتأخذ الماء من الأرض وفى وجود ضوء الشمس . . تتكون من الهواء والماء . . المواد السكرية التى هى أساس كل غذاء . .

ولاشك أنه أمر بعيد عن التصديق . . إلا أنه واقع عملى . . وعلمى . . ومايحيط بهذه العملية أعجب وأغرب من العملية نفسها . . فضوء الشمس يغمر النبات كل ساعات النهار . . ولكن ترى ماهى المادة التى يمتص فيها الكلوروفيل هذا الضوء لقد قرر العلماء أنه يأخذه فى جانب يسير من الثانية الواحدة . . بل إنه فى بعض التفاعلات التى يتم فيها هذا التكوين لايتعدى الوقت جزءا من مليون جزء من الثانية . . سبحان الله . . لا إله إلا هو . . ويأخذ اليخضور الهواء من الجو . . فيستخدم ثانى أكسيد الكربون . . ويطلق الأكسجين الذى يحتاجه الإنسان والحيوان فى التنفس . . حكمة بالغة . . سبحان العليم الحكيم . . أما الماء فيأخذه من الأرض . . ولم يستطع العلماء حتى الآن . . أن يجدوا التفسير العلمى ولا التبرير العلمى لصعود الماء من الأرض إلى ورقة النبات . . لقد سبق أن قالوا إنها الخاصية الشعرية . . ولكن إذا كان يقبل هذا القول ليرتفع الماء إلى بضعة أمتار فكيف يتم ذلك إلى أعلى من ذلك ثم قالوا إنها بسبب الضغط الجوى . . ولكن كيف يرفع الضغط الجوى عمود الماء إلى مائة متر . . وهو ارتفاع بعض النباتات . . ثم قالوا إنه النتح وتلاصق جزئيات الماء مع بعضها . . ولكن لم يجد هذا التفسير قبولا علميا . . وعندما قال العلم . . إن قوى عديدة تتعاون معا لرفع الماء من الأرض إلى إعلى وهذا يعنى جهل العلم بأسباب مايتم . . وسيظل كذلك إلى أن يفتح الله بما يشاء . . على من يشاء . . وعندما يشاء . . لا إله إلا هو . .

من طلعها قنوان ، ويجوز أن يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعني: وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الأعذاق جمع قنو كصنوان جمع

* الإعجاز العلمى

ومن السكر الذى يكونه خضر النبات تتكون المواد النشوية والدهون والمواد الزلالية .. والتى يأخذها الإنسان .. فيهضمها ويحللها .. لتنطلق الطاقة التى يستخدمها فى نموه وحركته وعمله وفكره .. فالنبات حول الطاقة التى استمدها من الشمس إلى غذاء .. والإنسان حول الغذاء إلى طاقة .

ولاشك أنه لايستطيع أى عقل .. ولايمكن أن يتخيل أى فكر أن يقوم أى فرد من الناس ولو مرة واحدة بأن يقبض قبضة من الهواء والشمس فى يده .. ثم يبللها بالماء ليخرج لنا من يده الخبز والأرز والخضر والفاكهة .. ولكن المادة الخضراء .. فى فطر أو طحلب فى شجرة أو شجيرة .. فى ورقة خضراء صغيرة أو كبيرة .. تقوم بذلك طوال يومها .. وكل عمرها .. صنع الله .. سبحانه وتعالى .

والمتدبر لعملية التركيب الضوئى .. يرى أن المادة الخضراء فى النبات تعطينا الشمس فيما تكونه بها من سكريات نأكلها .. فكأننا نتناول الشمس فى غذائنا فعلا وواقعا .. الشمس التى قال عنها العلماء أنها المحرك الرئيسى لكل جوانب الحياة .. والتى فطر الناس على الاعتقاد بأنها أساس الحياة .. ذلك .. لما نتلقاه منها من أشعة وضوء ونور ودفء .. وهذه لاشك تؤثر فى الإنسان .. بعد أن ثبت أنها تؤثر فى النبات .. فقد أمكن معرفة تقلبات الشمس ودرجة هذه التقلبات .. مماهو واضح تماما وظاهر فى الشجرة .. ومسجل عليها فى درجات النمو .. وقدر الصلابة والعمر .. والاختلاف بين هذه كلها .. على مراحل حياة الشجرة .. مما قيل بسببه أن الأشجار إنما هى سجلات لما يطرأ على الشمس من تقلبات .. فالشمس إذن تؤثر على الإنسان مزاجيا .. ونفسيا وعصبيا .. بل وعضويا .. ولكن الحقيقة أصبحت بعد ذلك أن الشمس أساس الحياة .. أولا .. لأننا نتناولها فى غذائنا .. والسبيل إلى ذلك هو يخضور النبات .

واليخضور أو خضر النبات .. يتكون من نسيج معقد من ذرات الكربون والايدروجين والأكسجين والنيتروجين وذرة مغنسيوم .. ويشبه لذلك تركيب الدم .. إلا فى اختلاف

صنو ، وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها علي أنه اسم جمع إذ ليس فعلان من أبنية الجمع .

* الإعجاز العلمي

بسيط هو وجود ذرة حديد فى الدم بدلا من ذرة المغنسيوم فـى اليخضور ، ، وكذلك يسمى الدم بالبجمور ، ، كما تسمى المادة الخضراء باليخضور ، ، ولذلك فإنه إذا كان البجمور هو دم الإنسان ، ، فإن اليخضور هو دم النبات ،

وفى النبات ألوان أخرى غير الأخضر إلا أن الأخضر يخفيها ويسترها ، ، وقد ابتكر علماء الضوء مصفاة ، ، تحجب اللون الأخضر فى النبات ، ، فيظهر النبات بلون أصفر يميل إلي اللون البرتقالي والأحمر ، ، وهكذا أمكن تمييز الحقول والغابات ، ، التى تظهر باللون الأصفر ، ، بينما الأجسام المدهونة باللون الأخضر تظل على لونها الأخضر ، ، عند النظر إليها من خلال المصفاة ،

وقد استخدمت هذه الحقيقه فى الأعمال الحربية للتمييز بين الحقول الحقيقية وبين الأماكن التى تقام عليها منشآت يتم إخفاؤها تحت ستار اللون الأخضر ،

ومن جميل صنع الله ، ، وجليل حكمته أنه إذا زاد فى جزء من النبات اللون المغاير للون الأخضر كما فى الجزر الأصفر ، ، أو البنجر الأحمر ، ، وهذا اللون يفيد الإنسان فى أكله ، ، فإن هذا الجزء غير الأخضر يكون مختفيا تحت الأرض ، ، بعيدا عن نظر الإنسان ليكون كل مافوق الأرض هو اللون الأخضر ، ، كما فى عروش الجزر والبنجر مغروسة خضراء كباقى نباتات الأرض ، ، وبذلك فإن اللون الأخضر هو اللون الشائع والمنتشر والسائد طوال حياة الإنسان ،

ولقد وجه القرآن الكريم النظر الى أهمية اللون الأخضر للانسان ، ، وبالتالى إلى وجوب دراسته والوقوف على أثره ، ، مما كان لابد معه أن يقوم المسلمون بهذه الدراسة ، ، قبل أن يبدأ بها العلم الحديث فى عصرنا الحاضر ، ، إذ قررت آياته الشريفة أن أهل الجنة يرتدون الثياب الخضراء وذلك بالنص الكريم :

﴿ ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق ﴾

وأن كل مايعلو أجسامهم من ثياب إنما هو باللون الأخضر وذلك بالنص الحكيم :

﴿ دَانِيَةٌ ﴾ رقيبة من المتناول ، أو متلفة قريب بعضها من بعض، وإنما اقت علي ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها ، ﴿ وَجَنَّاتٍ مِّنْ

* الإعجاز العلمي

﴿ عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق ﴾ .

ومايتكئون عليه في جلستهم فلون فراشه أخضر وذلك بالنص الشريف :

﴿ متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان ﴾ .

أى أن ثيابهم .. كفراشهم .. بالإضافة إلى ماهو فى الجنة من حدائق .. غناء .. كلها خضراء .. وبعد أربعة عشر قرنا من الزمان من قول القرآن .. يصل العلم بعد أن اتسعت آفاقه .. وتقدمت وسائل أبحاثه ودراساته .. إلى بعض ماقاله القرآن العظيم إذ ثبت أن أهمية اللون فى حياة الإنسان لاتقل عن أهمية الغذاء والدواء له .. لأن اللون هو المؤثر الأول فى حالة الإنسان المعنوية والمزاجية والفكرية والشعورية .. وأن هذا التأثير يمتد إلى حالة الجسم العلمية .. وإلى أجهزته الوظيفية ..

مما يجعل للون تأثيره على جانبى الإنسان .. الروحى والجسدى .. فلقد أثبت العلم بدراساته المعملية .. وتجاربه العلمية أن اللون يثير فى الإنسان الأمل أو اليأس .. الاطمئنان أو القلق .. الهدوء أو الاكتئاب .. المرح أو الحزن .. الشجاعة أو التخادل .. الإقدام أو الإحجام .. الإحساس بالدفء أو البرودة .. الإقبال على الحياة أو الرغبة فى الخلاص منها .. الاجتهاد فى العمل أو الإهمال فيه .

وتختلف درجات ذلك باختلاف درجات اللون .. والتى أمكن تركيب مايزيد على ثلاثمائه ألف درجة لونية الأمر الذى بسببه أفردت دراسات خاصة للألوان تخصص فيها وتفرغ لها علماء وبحاث فى روسيا كما فى بريطانيا وفى أمريكا كما فى إيطاليا وفى كل دول العالم التى تهتم بالعلم ثم لما تبين خطورة أمر اللون واتساع شأنه وتشعب دراساته .. فلقد أنشئت معاهد الألوان .. فى معظم دول العالم .. بل وأقيمت أكاديميات للألوان .. كماهو فى ألمانيا الغربية .. والقرار الذى اتفقت الآراء عليه .. وأشارت النتائج اليه .. أن اللون الأخضر هو اللون الوحيد الذى يبعث فى الناس الأمل والاطمئنان والهدوء والمرح ويثير فيهم الإحساس بالسعادة .. كل السعادة .. والنعيم كل النعيم .. بهجة

أَعْنَاب﴾ عطف علي نبات كل شئ ، وقرأ نافع بالرفع علي الابتداء أي ولكم أو ثم جنات أو من الكرم جنات ، ولايجوز عطفه علي قنوان إذ العنب لايخرج من النخل.

﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ ﴾ أيضاً عطف علي نبات أو نصب علي الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم .﴿مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ حال من الرمان ، أو من الجميع أي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم .﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ ﴾ أي ثمر كل واحد من ذلك ، وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم ، وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب، أو ثمار ككتاب وكتب ، ﴿إِذَا أَثْمَرَ ﴾ إذا أخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لايكاد ينتفع به . ﴿ وَيَنْعِهِ ﴾ وإلي حال نضجه أو إلي نضيجه كيف يعود ضخماً ذا نفع ولذة ، وهو في الأصل مصدر ينعت الثمر إذا أدركت ، وقيل جمع يانع كتاجر وتجر، وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه .﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾أي لآيات دالة علي وجود القادر الحكيم وتوحيده ، فإن حدوث الأجناس المختلفة والأنواع المتفننة من أصل واحد ونقلها من حال إلي حال لايكون إلا بإحداث قادر يعلم تفاصيلها ، ويرجح ماتقتضيه حكمته مما يمكن من أحوالها ولايعوقه عن فعله ند يعارضه أوضد يعانده ، ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال .

* الإعجاز العلمى

النفس ومتعة الروح ... انشراح القلب ... صفاء الفكر ... وهو مايحققه دم النبات الأخضر للإنسان .

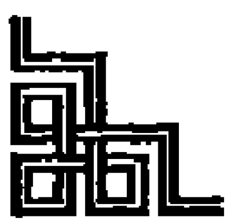
ولايزال العلم يكد ويجد .. بحثا عن المزيد من عمل خضر النبات .. بعد أن تبين أن دم النبات الأخضر .. هو سره الأكبر .. بل إن سر الحياة أساس .. يقوم بداية بعمل هذه المادة الخضراء .. آية .. بل آيات .. يكشف الله سبحانه وتعالى عنها .. تعميقا لإيمانهم .. وتثبيتا لإسلامهم .

توبيخ للمشركين الذين يغفلون عن مظاهر القدرة والوحدانية

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ أي الملائكة بأن عبدوهم وقالوا: الملائكة بنات الله ، وسماهم جناً لاجتنانهم تحقيراً لشأنهم ، أو الشياطين لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله تعالي ، أوعبدوا الأوثان بتسويلهم وتحريضهم ، أو قالوا الله خالق الخير وكل نافع ، والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية، ومفعولا جعلوا : لله شركاء والجن بدل من شركاء أو شركاء الجن ولله متعلق بشركاء، أو حال منه وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل: من هم فقيل الجن، والجن بالجر علي الإضافة للتبيين ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾وخلقهم حال بتقدير قد ، والمعني وقد علموا أن الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لايخلق .وقرئ وخلقهم عطفاً علي الجن ومايخلقونه من الأصنام ، أوعلي شركاء أي وجعلوا له اختلافهم للإفك حيث نسبوه إليه. ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ ﴾ افتعلوا وافتروا له ،وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا أي وزوروا . ﴿ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾ فقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصاري المسيح ابن الله ،وقالت العرب الملائكة بنات الله . ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ من غير أن يعلموا حقيقة ماقالوه ويروا عليه دليلاً ، وهو في موضع الحال من الواو ، أو المصدر أي خرقاً بغير علم ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ وهو أن له شريكاً أو ولداً.

الآيات من ١٠١ : ١٠٥

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥) ﴾ .



نفي الصاحبة والولد عن الله عز وجل

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ من إضافة الصفة المشبهة إلي فاعلها ، أو إلي

الظرف كقولهم : ثَبْتُ الغدر بمعني أنه عديم النظير فيهما ، وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ، ورفعه علي الخبر والمبتدأ محذوف أو علي الابتداء وخبره. ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾ أي من أين أو كيف يكون له ولد ، ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ﴾ يكون منها الولد ، وقرئ بالياء للفصل أو لأن الاسم ضمير الله أو ضمير الشأن . ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لاتخفي عليه خافية، وإنما لم يقل به لتطرق التخصيص إلي الأول .

وفي الآية استدلال علي نفي الولد من وجوه : «الأول » أنه من مبدعاته السموات والأرضون ،وهي مع أنها من جنس مايوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو أولي بأن يتعالي عنها ، أو أن ولد الشئ نظيره ولانظير له فلاولد. «والثاني » أن المعقول من الولد مايتولد من ذكر وأنثي متجانسين والله سبحانه وتعالي منزه عن المجانسة. «والثالث» أن الولد كفؤ ولاكفؤله لوجهين : الأول أن كل ماعداه مخلوقه فلايكافئه والثاني أنه سبحانه وتعالي لذاته عالم بكل المعلومات ولاكذلك غيره بالإجماع .

استحقاق الله وحده بالعبادة

﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ إشارة إلي الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ .﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أخبار مترادفة ويجوز أن يكون البعض بدلاً أوصفة والبعض خبراً ﴿ فَاعْبُدُوهُ ﴾ حكم مسبب عن مضمونها فإن من استجمع هذه الصفات استحق العبادة، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أي وهو مع تلك الصفات متولي أموركم فكلوها إليه، وتوسلوا بعبادته إلي إنجاح مآربكم، ورقيب علي أعمالكم فيجازيكم عليها.

﴿ لَا تُدْرِكُهُ ﴾ أي لاتحيط به ، ﴿ الْأَبْصَارُ ﴾ جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث إنها محلها واستدل به المعتزلة علي امتناع الرؤية وهو ضعيف ، إذ ليس الإدراك مطلق الرؤية ، ولاالنفي في الآية عاماً في الأوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولافي الأشخاص ، فإنه في قوة قولنا لاكل بصر يدركه مع أن النفي لايوجب الامتناع (١) ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ يحيط علمه

---

(١) جاء في تعليق محقق الكشاف مايأتي:

=

بها .﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ فيدرك مالاتدركه الأبصار كالأبصار ويجوز أن يكون من باب اللف أي لاتدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير، فيكون اللطيف مستعاراً من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولاينطبع فيها .

وجوب النظر في الدلائل

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن ،سميت بها لدلالة لأنها تجلي لها الحق وتبصرها به . ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ ﴾ أي أبصر الحق وآمن به . ﴿ فَلِنَفْسِهِ ﴾أبصر لأن نفعه لها .﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عن الحق وضل . ﴿ فَعَلَيْهَا ﴾ وباله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾وإنما أنا منذر والله سبحانه وتعالي هوالحفيظ عليكم يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها ، وهذا كلام ورد علي لسان الرسول ﷺ

= البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله تعالي في حاسة النظر به تدرك المبصرات والإدراك عبارة عن الإحاطة ، ومنه ﴿ فلما أدركه الغرق ﴾ أي أحاط به ، ﴿إنا لمدركون ﴾ أي محاط بنا فالمنفي هنا عن الأبصار إحاطته به عز وجل لامجرد الرؤية ، ثم إما أن تقتصر علي أن الآية لاتدل علي مخالفتنا ، أو نزيد فنقول : يدل لنا أن تخصيص الإحاطة بالنفي يشعر بطريق المفهوم بثبوت ماهو أدني من ذلك وأقله مجرد الرؤية، كما أنا نقول : لاتحيط به الأفهام ، وإن كانت المعرفة بمجردها حاصلة لكل مؤمن ، فالإحاطة للعقل منفية كنفي الإحاطة للحس ، ومادون الإحاطة من المعرفة للعقل والرؤية للحس ثابت غير منفي وقد جاء هذا التعليق كالرد علي المعتزلة الذين ينكرون رؤية الله عز وجل في الآخرة وكان صاحب الكشاف معتزلياً.

أما أهل السنة فلاينكرون رؤية الله في الآخرة ، والقرآن الكريم يثبتها بقوله تعالي ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلي ربها ناظرة﴾ وفي حق الكفار يقول ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾.

قال ابن كثير في التعليق علي هذه الآية، والإدراك المنفي هنا هو معرفة الحقيقة ، فإن هذا لايعلمه إلا هو ، وإن رآه المؤمنون كما إن من رأي القمر فإنه لايدرك حقيقته وكنهه وماهيته فالله العظيم سبحانه أولي بذلك ، وله المثل الأعلي . . .

مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ / ١٤٦

﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ﴾ ومثل ذلك التصريف نصرف ، وهو إجراء المعني الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف ، وهو نقل الشئ من حال إلي حال .
﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾أي وليقولوا درست نصرفها واللام لام العاقبة والدرس : القراءة والتعلم .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم ، وابن عامر ويعقوب درست من الدروس أي قدمت هذه الآيات وعفت [١] كقولهم أساطير الأولين .

وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودُرِست علي البناء للمفعول بمعني قرئت ، أو عفيت ، ودارست بمعني درست ، أودارست اليهود محمداً ﷺ وجاز إضمارهم بلاذكر لشهرتهم بالدراسة ، ودرسن[٢] أي عنون ودرسٍ أي درس محمد ﷺ ودارسات أي قديمات أو ذوات درس كقوله تعالي ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾[٣] .

﴿ وَلِنُبَيِّنَهُ ﴾ اللام علي أصله لأن التبين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعني ، أو للقرآن وإن لم يذكر لكونه معلوماً أو للمصدر .﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾فإنهم المنتفعون به .

---

(١) الدروس : هو الفناء والاندثار ، وعفت : اندثرت وذهبت .

(٢) ويكون الضمير للآيات .

(٣) الحاقة ٢١– القارعة ٧.

الآيات من ١٠٦ : ١١٠

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (١٠٧) وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) ﴾.

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ بالتدين به ، ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ اعتراض أكد به إيجاب الاتباع ، أوحال مؤكدة من ربك بمعني منفرداً في الألوهية .﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ولاتحتفل بأقوالهم ولاتلتفت إلي آرائهم ،ومن جعله منسوخاً بآية السيف حمل الإعراض علي مايعم الكف عنهم .

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ توحيدهم وعدم إشراكهم . ﴿ مَا أَشْرَكُوا ﴾وهو دليل علي أنه سبحانه وتعالي لايريد إيمان الكافرين وأن مراده واجب الوقوع.﴿ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾رقيباً ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾تقوم بأمورهم .

﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح. ﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا ﴾ تجاوزاً عن الحق إلي الباطل .﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ علي جهالة بالله سبحانه وتعالي وبما يجب أن يذكر به،وقرأ يعقوب عدواً يقال عدا فلان عدواً وعدواً وعداء وعدوانا ، روي : أنه ﷺ كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون إلهك ، فنزلت[١] وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره وعزاه إلي ابن عباس رضي الله عنهما وهذا من قبيل سد الذرائع لأن سبَّ آلهة الكفار يكون سببا لسبِّ الإله الواحد الأحد – جل في علاه– =

سبحانه وتعالي ، وفيه دليل علي أن الطاعة إذا أدت إلي معصية راجحة وجب تركها فإن مايؤدي إلي الشر شر .﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾من الخير والشر بإحداث مايمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقاً وتخذيلاً ، ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل أمة بالكفرة لأن الكلام فيهم ، والمشبه به تزيين سب الله لهم ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ بالمحاسبة والمجازاة عليه .

عودهم إلي طلب الآيات

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ مصدر في موقع الحال، والداعي لهم إلي هذا القسم والتأكيد فيه التحكم علي الرسول ﷺ في طلب الآيات واستحقار ماراأوا منها .﴿ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ ﴾ من مقترحاتهم ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ﴾ هو قادر عليها يظهر منها مايشاء وليس شئ منها بقدرتي وإرادتي . ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ومايدريكم استفهام إنكار .﴿ أَنَّهَا ﴾ أن الآية المقترحة.﴿ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾أي لاتدرون أنهم لايؤمنون ، أنكر السبب مبالغة في نفي المسبب ، وفيه تنبيه علي أنه سبحانه وتعالي إنما لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لايؤمنون بها ،وقيل : لا مزيدة . وقيل : أن بمعنى لعل إذا قرئ لعلها (١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو و أبو بكر عن عاصم ويعقوب إنها بالكسر كأنه

= ومثله قوله ﷺ :«ملعون من سبَّ والديه قالوا : يارسول الله وكيف يسب الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه ».

مختصر ابن كثير جـ ٢ /١٤٩ .

(١) استعمل العرب أنَّ بمعني لعل ، ومن ذلك ماجاء في قول الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي :

أعاذل ما يدريك أن منيتى إلى ساعة فى اليوم أو فى ضحى الغد

فإن منيتي بمعنى لعل منيتى .

وقال امرؤ القيس :

عوجا على الطلل المحل لأننا نبكي الديار كمابكي ابن خُذام

فمعنًى لأننا فى بيته :لعلنا. =

قال : وما يشعركم ما يكون منهم ، ثم أخبرهم بماعلم منهم والخطاب للمؤمنين فإنهم يتمنون مجيء الآية طمعاً في إيمانهم ، فنزلت (١) وقيل: للمشركين إذا قرأ ابن عامر وحمزة لاتؤمنون بالتاء، وقرئ ومايشعركم أنها إذا جاءتهم فيكون إنكاراً لهم علي حلفهم أي: ومايشعركم أن قلوبهم حينئذٍ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها.

القلوب بيد الله

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ﴾ عطف علي لايؤمنون أي: ومايشعركم أنا حينئذ يقلب أفئدتهم عن الحق فلا يفقهونه ، وأبصارهم فلايبصرونه فلايؤمنون بها . ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ﴾أي بما أنزل من الآيات ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾وندعهم متحيرين لانهديهم هداية المؤمنين . وقرئ ويقلب ويذرهم علي الغيبة ، ،وتقلب علي البناء للمفعول والإسناد إلي الأفئدة.

= وفي قواعد اللغة ـ كما جاء في التسهيل ـ : في لعل عشر لغات ، وعدَّ منها أنَ المفتوحة ولأن .

(١) روي ابن جرير في تفسيره عن محمد بن كعب القرطبي قال : كلم رسول الله ﷺ قريشٌ فقالوا : يامحمد تخبرنا أن موسي كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، وتخبرنا أن عيسي كان يحيي الموتي ، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة، فأتنا من الآيات حتي نصدقك ، فقال رسول الله ﷺ : أي شئ تحبون أن آتيكم به ؟ قالوا : تجعل لنا الصفا ذهباً فقال لهم : فإن فعلت تصدقوني ؟ قالوا : نعم ، والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون فقام رسول الله ﷺ يدعو فجاء جبريل عليه السلام – فقال له : ماشئت إن شئت أصبح الصفا ذهبا، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبنهم ، وإن شئت فاتركهم حتي يتوب تائبهم ، فقال رسول الله ﷺ : بل يتوب تائبهم ، فأنزل الله تعالي ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم . . . إلي قوله : ولكن أكثرهم يجهلون ﴾.

الآيات من ١١١ : ١١٤

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ (١١٣) أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤) ﴾.

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ﴾ كما اقترحوا فقالوا : لولا أنزل علينا الملائكة فأتوا بآياتنا أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً. وقبلا جمع قبيل بمعني كفيل أي: كفلاء بما بشروا به وأنذروا به ، أو جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعني جماعات، أو مصدر بمعني مقابلة كقبيلا وهو قراءة نافع وابن عامر ، وهو علي الوجوه حال من كل وإنما جاز ذلك لعمومه، ﴿ مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ لما سبق عليهم القضاء بالكفر .﴿ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ استثناء من أعم الأحوال أي: لايؤمنون في حال من الأحوال إلا حال مشيئة الله تعالي إيمانهم ، وقيل منقطع وهو حجة واضحة علي المعتزلة . ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم علي مالا يشعرون ، ولذلك أسند الجهل إلي أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم ، أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لايؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعاً في إيمانهم.

ابتلاء الأنبياء بعداوة أهل الباطل

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ أي كما جعلنا لك عدواً جعلنا لكل نبي سبقك عدواً ، وهو دليل علي أن عداوة الكفرة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بفعل الله سبحانه وتعالي وخلقه.

﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ مردة الفريقين ، وهو بدل من عدواً ، أو أول مفعولي جعلنا وعدواً مفعوله الثاني ، ولكل متعلق به أو حال منه .

﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ يوسوس شياطين الجن إلي شياطين الإنس ،أو بعض الجن إلي بعض وبعض الإنس إلي بعض.

﴿ زُخْرُفَ الْقَوْلِ ﴾ الأباطيل المموهة منه من زخرفه إذا زينه. ﴿ غُرُوراً ﴾ مفعول له أومصدر في موقع الحال.

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ ﴾ إيمانهم . ﴿ مَا فَعَلُوهُ ﴾ أي مافعلوا ذلك يعني معاداة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإيحاء الزخارف ، ويجوز أن يكون الضمير للإيحاء أو الزخرف أوالغرور ، وهو أيضاً دليل علي المعتزلة، ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾وكفرهم.

﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ عطف علي غروراً إن جعل علة، أومتعلق بمحذوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدواً ، والمعتزلة لما اضطربوا فيه قالوا : اللام لام العاقبة ، أو لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون أو لام الأمر وضعفه أظهر.

والصغو : الميل [1] والضمير لما له الضمير في فعلوه .﴿ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾ لأنفهسم ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا ﴾ وليكتسبوا .﴿ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ من الآثام .

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً ﴾ علي إرادة القول أي: قل لهم يامحمد أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل ، وغير مفعول أبتغي وحكماً حال منه ويحتمل عكسه ، وحكماً أبلغ من حاكم ولذلك لايوصف به غير العادل .﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ ﴾ القرآن المعجز . ﴿ مُفَصَّلاً ﴾مبيناً فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس .وفيه تنبيه علي أن القرآن بإعجازه وتقريره مغنٍ عن سائر الآيات . ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ تأييد لدلالة الإعجاز علي أن القرآن

---

(١) ومن ذلك قوله تعالى فى سورة التحريم : ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ فمعنى صغت فى الآية : مالت .

حق منزل من عند الله سبحانه وتعالي ، يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ماعندهم مع أنه ﷺ لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم ، وإنما وصف جميعهم بالعلم لأن أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدني تأمل .

وقيل : المراد مؤمنو أهل الكتاب ، وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد . ﴿ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾في أنهم يعلمون ذلك ، أوفي أنه منزل لجحود أكثرهم وكفرهم به ، فيكون من باب التهييج كقوله تعالي ﴿ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1] أوخطاب الرسول ﷺ لخطاب الأمة . وقيل الخطاب لكل أحد علي معني أن الأدلة لما تعاضدت علي صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه .

الآيات من ١١٥ : ١١٩

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥) وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١١٧) فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) ﴾.

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده . ﴿ صِدْقًا ﴾ في الأخبار والمواعيد ﴿ وَعَدْلاً ﴾ في الأقضية والأحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له . ﴿ لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ لاأحد يبدل شيئاً منها بما هو أصدق وأعدل ،أو لاأحد يقدر أن يحرفها شائعاً ذائعاً كما فعل بالتوراة علي أن المراد بها القرآن، فيكون ضماناً لها من الله سبحانه وتعالي بالحفظ كقوله ﴿ وَإِنَّا لَهُ

(١) الأنعام : ١٤ .

لَحَافِظُونَ ﴾(١) أو لانبي ولاكتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها ، وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك أي ماتكلم به أوالقرآن، ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لمايقولون ﴿ الْعَلِيمُ ﴾بمايضمرون فلا يهملهم .

غلبة الباطل

.﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ﴾ أي أكثر الناس يريد الكفار ، أو الجهال أو أتباع الهوي ، وقيل : الأرض أرض مكة . ﴿ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ عن الطريق الموصل إليه ، فإن الضال في غالب الأمر لايأمر إلا بما فيه ضلال، ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ﴾وهو ظنهم أن آباءهم كانوا علي الحق ، أو جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فإن الظن يطلق علي ما يقابل العلم . ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ يكذبون علي الله سبحانه وتعالي فيما ينسبون إليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الأوثان وصلة إليه، وتحليل الميتة وتحريم البحائر، أويقدرون أنهم علي شئ وحقيقته مايقال عن ظن وتخمين .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾أي أعلم بالفريقين ، ومن موصولة أو موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه أعلم لابه فإن أفعل لاينصب الظاهر في مثل ذلك، أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر ، وقرئ من يضل أي يضله الله ، فتكون من منصوبة بالفعل المقدر أو مجرورة بإضافة أعلم إليه أي: أعلم المضلين من قوله تعالي ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ ﴾(٢) أو من أضللته إذا وجدته ضالاً ، والتفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لابالغير.

النهي عن أكل ذبائح المشركين التي لايذكر اسم الله عليها

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام ، والمعنى كلوا مماذكر اسم الله علي ذبحه لامما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف أنفه . ﴿ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ فإن الإيمان

---

(١) الحجر : ٩ . (٢) النساء : ٨٨ .

بها يقتضي استباحة ماأحله الله سبحانه وتعالي واجتناب ماحرمه.

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ وأي غرض لكم في أن تتحرجوا عن أكله ومايمنعكم عنه.﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ مما لم يحرم بقوله ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾(١) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فصل علي البناء للمفعول، ونافع ويعقوب وحفص حرم علي البناء للفاعل .﴿ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ مما حرم عليكم فإنه أيضاً حلال حال الضرورة، ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ ﴾ قرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح. ﴿ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ بالمجاوزين الحق إلي الباطل والحلال إلي الحرام.

الآيات من ١٢٠ : ١٢٣

﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣) ﴾.

﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ مايعلن ومايسر، أوما بالجوارح ومابالقلب، وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الأخدان . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾ يكتسبون (٢)

(١) المائدة ٣ .

(٢) فسر النبى ﷺ الإثم في حديث رواه ابن أبى حاتم عن النواس بن سمعا قال : سألت =

﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ظاهر في تحريم متروك التسمية عمداً أونسياناً . وإليه ذهب داود وعن أحمد مثله ، وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله ﷺ « ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه »(١) وفرق أبو حنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان وأوله بالميتة أو بما ذكر غيراسم الله عليه لقوله ﴿ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ فإن الفسق ما أهل لغير الله به ، والضمير لما ويجوز أن يكون للأكل الذي دل عليه لاتأكلوا .

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ ﴾ ليوسوسون . ﴿ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾من الكفار ﴿ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ بقولهم تأكلون ماقتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ماقتله الله ، وهو يؤيد التأويل بالميتة . ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ في استحلال ماحرم .﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ فإن من ترك طاعة الله تعالي إلي طاعة غيره في دينه فقد أشرك، وإنما حسن حذف الفاء فيه لأن الشرط بلفظ الماضي (٢) .

= النبى ﷺ عن الإثم فقال : « الإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٥٤ ، ومعنى الأخدان فى عبارة المؤلف : صديقات السر .

(١) رواه السيوطى فى الجامع الصغير جـ ٢ ص ١٩ وعزاه إلى أبى داود فى مراسيله عن الصلت مرسلا .

(٢) هذه الآية تشير إلى النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه ، وتشير إلى أن الذبيحة لا تحل إذا لم يذكر اسم الله عليها وإن كان الذابح مسلما ، قال ابن كثير في تفسيره : وقد اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى فى هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

القول الأول لمالك وأحمد ، ومنهم من قال : لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة ، وسواء تركت التسمية عمداً أو سهواً ، وهذا القول يروي عن ابن عمر وبعض التابعين . ورواية عن مالك وأحمد وهو اختيار أبى ثور ، ورواه داود الظاهرى ، واحتجوا لمذهبهم بهذه الآية ، وبقوله تعالى فى آية الصيد فى سورة المائدة ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ﴾ .

والقول الثانى للشافعي . وهو لا يشترط التسمية ، بل هي مستحبة ، فإن تركت عمداً أو نسيانا لا يضر . هذا مذهب الشافعى ، ورواية عن أحمد ومالك ، وحمل الشافعى =

الإيمان حياة والكفر موت

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ مثل به من هداه الله سبحانه وتعالي وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء ، فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل ،وقرأ نافع ويعقوب ميتاً علي الأصل . ﴿ كَمَن مَّثَلُهُ ﴾ صفته وهو مبتدأ خبره، ﴿ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ وقوله ﴿ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل ، وهو مثل لمن بقي علي الضلالة لايفارقها بحال ، ﴿ كَذَلِكَ ﴾ كما زين للمؤمنين إيمانهم . ﴿ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ والآية نزلت في حمزة وأبي جهل وقيل: في عمر أو عمار وأبي جهل .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾ أي كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ، وجعلنا بمعني صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها علي تقديم المفعول الثاني، أو في كل قرية أكابر ومجرميها بدل، ويجوز أن يكون مضافاً إليه إن فسر الجعل بالتمكين ، وأفعل التفضيل إذا أضيف جاز فيه الإفراد والمطابقة ولذلك قرئ أكبر مجرميها ، وتخصيص الأكابر لأنهم أقوي علي استتباع الناس

= الآية الكريمة ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ﴾ علي ما ذبح لغير الله كقوله تعالى : ﴿ أو فسقا أهل لغير الله به ﴾ .

وهذا المسلك قوى ، وقد استدل لهذا المذهب بحديث عائشة رضى الله عنها « أن أناسا قالوا : يا رسول الله إن قوما حديثي عهد بجاهلية يأتوننا بلحم لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ فقال : سموا أنتم وكلوا »

قالوا : فلو كان وجود التسمية شرطا لم يرخص لهم إلا مع تحققها .

القول الثالث : أن ترك البسملة على الذبيحة نسيانا لا يضر ، وإن تركها عمداً لا تحل وهذا هوا لمشهور من مذهب مالك وأحمد ، وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه ، ومحلى على علي وابن عباس وبعض التابعين . . راجع تفسير ابن كثير ، ومختصره جـ ٢ ص ١٥٤ .

والمكر بهم . ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ ﴾ لأن وباله يحبق بهم . ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ذلك .

الآيات من ١٢٤ : ١٢٦

﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤) فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) ﴾ .

عود إلي طلب الآيات مرة أخري

﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾ يعني كفار قريش لما روي: أن أبا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الترف حتي إذا صرنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يوحي إليه والله لانرضي به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه ، فنزلت ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ استئناف لرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وإنما هي بفضائل نفسانية يخص الله سبحانه وتعالي بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالاته من علم أنه يصلح لها ، وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه ، وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته .

﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ ﴾ذل وحقارة بعد كبرهم . ﴿ عِندَ اللَّهِ ﴾يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله . ﴿ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ بسبب مكرهم او جزاء علي مكرهم.

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ ﴾ يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان ، ﴿ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾ فيتسع له ويفسح فيه مجاله ، وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه ، وإليه أشار عليه أفضل الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال «**نور يقذفه الله سبحانه وتعالي في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح ، فقالوا : هل لذلك من أمارة يعرف بها فقال : نعم الإنابة إلي دارالخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله**»(١) ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الإيمان ، وقرأ ابن كثير ضيقاً بالتخفيف ونافع وأبو بكر عن عاصم حرجاً بالكسر أي شديد الضيق ،والباقون بالفتح وصفاً بالمصدر . ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول مالايقدر عليه ، فإن صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ، ونبه به علي أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع الصعود ،وقيل معناه كأنما يتصاعد إلي السماء نبوا عن الحق وتباعداً في الهرب منه ، وأصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وأبو بكر عن عاصم بمعني يتصاعد (٢) ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن

---

(١) رواه ابن جرير فى تفسيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وذكره ابن كثير في تفسيره أيضا ، وقال : لهذا الحديث طرق مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضا .

(٢) تنبه العلماء فى عصرنا الحديث إلى ما أشارت إليه هذه الآية من ضيق صدر الصاعد فى طبقات الفضاء ، بفعل عوامل الضغط الجوي ، ولذلك اخترعوا مركبات الفضاء ، واخترعوا الملابس الخاصة برواد الفضاء التى تقى الرائد عوامل الضغوط القوية التي تشير إليها الآية الكريمة .

* الإعجاز العلمي

﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ .. ﴾

الحرج هو الذي لا يتسع لشيء من الهدي ولا يخلص إليه شيء ما ينفعه من الإيمان ولا ينفذ فيه . وقد سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه أعرابيا من مدلج عن الحرجة فقال : هى الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر :

الحق، ﴿ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾يجعل العذاب أو الخذلان عليهم ، فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل .

﴿ وَهَٰذَا ﴾ إشارة إلي البيان الذي جاء به القرآن، أو إلي الإسلام ما سبق من التوفيق والخذلان ،﴿ صِرَاطُ رَبِّكَ ﴾الطريق الذي ارتضاه أو عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته ، ﴿ مُسْتَقِيمًا ﴾لاعوج فيه ، أو عادلاً مطرداً وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقاً ، أومقيدة والعامل فيها معني الإشارة، ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا

* الإعجاز العلمي

كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير . وقال العوفي عن ابن عباس : يجعل الله عليه الإسلام ضيقا والإسلام واسع ﴿ ماجعل عليكم في الدين من حرج ﴾ يقول ما جعل عليكم فى الإسلام من ضيق والرجل كل ما لا خير فيه جعله الله علي غير المؤمنين وسبيل الله مستقيم دوما .

يفسر العلماء الفسيولوجيون حالة ضيق الصدر عند الأرتقاء فى السماء بأن الضغط الجوى الملائم لدفع الأكسجين خلال الجهاز التنفسى للإنسان إلى أغشية الرئتين ومنه إلى الأوعية الدموية من شعيرات دقيقة وأوردة وشرايين ثم عضلة القلب التى تقوم بتوزيع الدم سائل الحياة إلى جميع أجزاء الجسم وأطرافه وكذلك المخ وما دام الضغط الجوى ٧ ، ١٤ رطل على البوصة المربعة فإن هذه الدورة تتم بسلامة لجميع الأجزاء فى الجسم البشرى .

وقد وجدوا أن الطيار إذا ارتفع عن سطح الأرض أكثر من خمسة عشر الف قدم يتعرض لانسداد الشرايين انسدادا هوائيا ويموت الطيار إذا ارتفع أكثر من خمسة وعشرين ألف قدم .

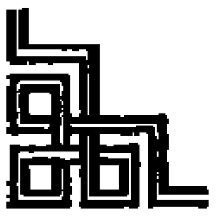
وإذا صعد الإنسان على الجبال مسافات عالية ولكن أقل من خمسة عشر ألف قدم فإن تنفسه يصعب وتضيق مجاري تنفسه وتصعب عليه الحياة لأن الضغط على أجهزته قل أكثر مما يجب فيضيق صدره .

أما إذا نزل الإنسان على سطح البحر فإن الضغط الجوي يبدأ فى الزيادة عن ١٤,٧ رطلا على البوصة المربعة مما يجعل الدم يندفع بقوة في الأنسجة مما قد يفتت الرئتين ويفجر الشرايين ويدمر الشعيرات الدقيقة ويقتل الإنسان لزيادة معدلات الضغط علي الأنسجة أكثر من المعدل الذى خلق الله سبحانه وتعالى الجسم الإنساني عليه بما لا تتغير فطرة الله التي خلقنا عليها ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ والحمد لمن قال : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾ . =

الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ فيعلمون أن القادر هوالله سبحانه وتعالي وأن كل مايحدث من خير أوشر فهو بقضائه وخلقه ، وأنه عالم بأحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم .

الآيات ١٢٧ : ١٣٠

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠) ﴾ .



جزاء المهتدين

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ ﴾ دار الله أضاف الجنة إلي نفسه تعظيماً لها ، أو دار السلامة من المكاره أو دار تحيتهم فيها سلام .﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ في ضمانه أو خيرة لهم عنده لايعلم كنهها غيره، ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ مواليهم أو ناصرهم . ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزائها فيتولي إيصاله إليهم .

حشر الخلائق جميعاً ودرجاتهم يوم القيامة ومساكنهم

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ نصب بإضمار اذكر أو نقول ، والضمير لمن يحشر من الثقلين ،وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب يحشرهم بالياء، ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ ﴾ يعني الشياطين .﴿ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ ﴾ أي من إغوائهم وإضلالهم ، أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم كقوله استكثر الأمير من الجنود ، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ ﴾ الذين أطاعوهم .

﴿ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ أي انتفع الإنس بالجن بأن دلوهم علي الشهوات وما يتوصل به إليها ، والجن بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم ، وقيل استمتاع الإنس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز عند المخاوف ، واستمتاعهم بالإنس اعترافهم بأنهم يقدرون علي إجارتهم .﴿ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ أي البعث وهو اعتراف بما فعلوه من طاعة الشيطان واتباع الهوي وتكذيب البعث وتحسر علي حالهم ، ﴿ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ ﴾ منزلكم أو ذات مثواكم .﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ حال والعامل فيها مثواكم إن جعل مصدراً ، ومعني الإضافة إن جعل مكاناً ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾إلا الأوقات التي ينقلون فيها من النار إلي الزمهرير وقيل: إلا ماشاء الله قبل الدخول كأنه قيل: النار مثواكم أبداً إلا ما أمهلكم .﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾في أفعاله .﴿ عَلِيمٌ ﴾بأعمال الثقلين وأحوالهم .

﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً ﴾ نكل بعضهم إلي بعض ، أو نجعل بعضهم يتولي بعضاً فيغويهم أولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا .﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾من الكفر والمعاصي .

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ الرسل من الإنس خاصة، لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره .﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾(١) والمرجان يخرج من الملح دون العذب ، وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث إلي كل من الثقلين رسل من جنسهم ،وقيل: الرسل من الجن رسل الرسل إليهم لقوله تعالي ﴿ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾(٢) ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾يعني يوم القيامة. ﴿ قَالُوا ﴾ جواباً . ﴿ شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ﴾ بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب .﴿ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ذم لهم علي سوء نظرهم وخطأ رأيهم ، فإنهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة ، وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتي كان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلي الشهادة علي أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد وتحذير للسامعين مثل حالهم.

---

(١) الرحمن : ٢٢ . (٢) الأحقاف : ٢٦ .

الآيات من ١٣١ : ١٣٥

﴿ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢) وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٣) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (١٣٤) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥) ﴾.

﴿ذَلِكَ ﴾ إشارة إلي إرسال الرسل ، وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك. ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾تعليل للحكم وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة أي: الأمر لانتفاء كون ربك أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القري بسبب ظلم فعلوه ، أو ملتبسين بظلم أو ظالماً وهم غافلون لم ينبهوا برسول أو بدل من ذلك.

﴿ وَلِكُلٍّ ﴾ من المكلفين . ﴿دَرَجَاتٌ ﴾ مراتب ﴿مِّمَّا عَمِلُوا﴾ من أعمالهم أو من جزائها، أو من أجلها ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ فيخفي عليه عمل أو قدر مايستحق به من ثواب أو عقاب ، وقرأ ابن عامر بالتاء علي تغليب الخطاب علي الغيبة.

﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ﴾ عن العبادوالعبادة ، ﴿ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ يترحم عليهم بالتكليف تكميلاً لهم ويمهلهم علي المعاصي وفيه تنبيه علي أن ماسبق ذكره من الإرسال ليس لنفعه بل لترحمه علي العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ أي ما به إليكم حاجة ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ أيها العصاة .﴿ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ ﴾ من الخلق .﴿ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ أي قرنا بعد قرن لكنه أنبأكم ترحماً عليكم .

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ ﴾ من البعث وأحواله .﴿ لَآتٍ ﴾لكائن لامحالة. ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾طالبكم به .

﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ علي غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال

مكن إذا تمكن أبلغ التمكن ، أو علي ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة ، وقرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو أمر تهديد، والمعني اثبتوا علي كفركم وعداوتكم ، ﴿ إِنِّي عَامِلٌ ﴾ ماكنت عليه من المصابرة والثبات علي الإسلام ، والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعاً عليه فيجمله بالأمر علي مايفضي به إليه، وتسجيل بأن المهدد لايتأتي منه إلا الشر كالمأمور به الذي لايقدر أن ينقضي عنه. ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾ إن جعل من استفهامية بمعني أينا تكون له عاقبة الدار الحسني التي خلق الله لها هذه الدار ، فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه ، وإن جعلت خبرية فالنصب بتعلمون أي فسوف تعرفون الذي تكون له عاقبة الدار ، وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وحسن الأدب ،وتنبيه علي وثوق المنذر بانه محق ، وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي .﴿ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ وضع الظالمين موضع الكافرين لأنه أعم وأكثر فائدة.

الآيات من ١٣٦ : ١٣٩

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦) وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣٧) وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) ﴾ .

من صور إشراك المشركين

﴿ وَجَعَلُوا ﴾ أي مشركو العرب ، ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ ﴾ خلق .﴿مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ﴾ روي : أنهم كانوا يعينون شيئاً من حرث ونتائج لله ويصرفونه إلي الضيفان والمساكين ، وشيئاً منهما لآلهتهم وينفقونه علي سدنتها ويذبحونه عندها ، ثم إن رأوا ماعينوا لله أزكي بدلوه بما لآلهتهم وإن رأوا مالآلهتهم أزكي تركوه لها حباً لآلهتهم .

وفي قوله مما ذرأ تنبيه علي فرط جهالتهم فإنهم أشركوا الخالق في خلقه جماداً لايقدر علي شئ ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزاكي له .

وفي قوله بزعمهم تنبيه علي أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به ، وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر أيضاً كالود والود. ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ حكمهم هذا .

﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ ومثل ذلك للتزين في قسمة القربان . ﴿ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ ﴾ بالوأد ونحرهم لآلهتهم . ﴿ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ من الجن أو من السدنة، وهو فاعل زين ، وقرأ ابن عامر زين علي البناء للمفعول الذي هوالقتل ونصب الأولاد وجر الشركاء بإضافة القتل إليه مفصولاً بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله :

فزججتها بمزجة زجَّ ... القلوص أبي مزاده (١)

وقرئ بالبناء للمفعول وجر أولادهم ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين، ﴿ لِيُرْدُوهُمْ ﴾ ليهلكوهم بالإغواء. ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ وليخلطوا عليهم ماكانوا عليه من دين إسماعيل ، أو ماوجب عليهم أن يتدينوا به واللام للتعليل إن كان التزيين من الشياطين والعاقبة إن كان من السدنة.

---

(١) معنى البيت : الزج : الطعن ، المزجة : الرمح القصير لأنه آلة الزج ، القلوص : الناقة الشابة ، أبى مزادة : اسم شخص .

يقول : طعنت النافة برمح قصير كما يطعن أبو مرادة ناقتة فى أثناء السير .

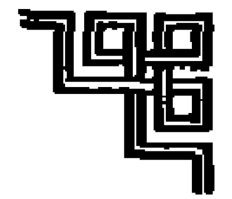
﴿ ولَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾ مافعل المشركون مازين لهم ، أو الشركاء التزيين أو الفريقان جميع ذلك ﴿ فَذَرْهُمْ ومَا يفْتَرُونَ ﴾ افتراءهم أو ما يفترونه من الإفك .

﴿ وَقَالُوا هَذِهِ ﴾إشارة إلي ما جعل لآلهتهم .﴿ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ حرام فعل بمعني مفعول ، كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والأنثي ، وقرئ حجر بالضم وحرج أي مضيق .﴿ لاَّ يَطْعَمُهَا إلاَّ مَن نَّشَاءُ ﴾يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء. ﴿ بِزَعْمِهِمْ ﴾من غير حجة ﴿ وأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾يعني البحائر والسوائب والحوامي . ﴿ وأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّه عَلَيْهَا ﴾في الذبح وإنما يذكرون أسماء الأصنام عليها ، وقيل لايحجون علي ظهورها .﴿ افْتِرَاءً عَلَيْهِ ﴾نصب علي المصدر لأن ماقالوه تقول علي الله سبحانه وتعالي ، والجار متعلق بقالوا أو بمحذوف هو صفة له أو علي الحال، أو علي المفعول له والجار متعلق به أو بالمحذوف . ﴿ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ بسببه أو بدله .

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ ﴾ يعنون أجنة البحائروالسوائب ﴿ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ﴾حلال للذكور خاصة دون الإناث إن ولد حياً لقوله : ﴿ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾فالذكور والإناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فإن ما في معني الأجنة ولذلك وافق عاصم في رواية أبي بكر بن عامر في تكن بالتاء، وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم ، أو التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر أو هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص.

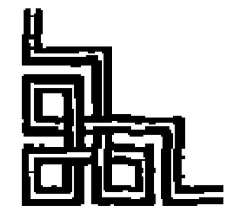
وقرئ بالنصب علي أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا ، أوحال من الضمير الذي في الظرف لامن الذي في ذكورنا ولا من الذكور لأنها لاتتقدم علي العامل المعنوي ولا علي صاحبها المجرور ، وقرئ خالصن بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والإضافة إلي الضمير علي أنه بدل من ها أومبتدأ ثان والمراد به ماكان حياً ، والتذكير في فيه لأن المراد بالميتة ما يعم الذكر والأنثي فغلب الذكر. ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ أي جزاء وصفهم الكذب علي الله سبحانه وتعالي في التحريم والتحليل من قوله ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ ﴾(١) ﴿ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾.

(١) النحل : ٦٢ .



الآيات من ١٤٠ : ١٤١

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠) وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١) ﴾ .



﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ ﴾ يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر ، وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعني التكثير . ﴿ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله سبحانه وتعالي رازق أولادهم لاهم ، ويجوز نصبه علي الحال أو المصدر . ﴿ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴾من البحائر ونحوها . ﴿ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ﴾ يحتمل الوجوه المذكورة في مثله . ﴿ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ إلي الحق والصواب .

من نعم الله علي خلقه

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ ﴾ من الكروم .﴿ مَّعْرُوشَاتٍ ﴾مرفوعات علي مايحملها .﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ملقيات علي وجه الأرض ، وقيل المعروشات ماغرسه الناس فعرشوه وغير معروشات مانبت في البراري والجبال .﴿ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ ﴾ ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية، والضمير للزرع والباقي مقيس عليه ، أو النخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفاً عليه ،أو للجمع علي تقدير أكل ذلك أوكل واحد منهما ومختلفاً حالاً مقدرة لأنه لم يكن ذلك عند الإنشاء، ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ يتشابه بعض أفرادهما في اللون والطعم ولايتشابه بعضها .

﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ ﴾ من ثمر كل واحد من ذلك ، ﴿ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ وإن لم يدرك ولم ينع بعد ، وقيل: فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله تعالي .

﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ يريد به ماكان يتصدق به يوم الحصاد لاالزكاة

المقدرة لأنها فرضت بالمدينة والآية مكية ، وقيل: الزكاة والآية مدنيةوالأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتي لايؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لابالتنقية ، وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه، ﴿ وَلا تُسْرِفُوا ﴾ في التصدق كقوله تعالي ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ لايرتضي فعلهم .

الآيات من ١٤٢ : ١٤٥

﴿ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٤٢) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤) قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥) ﴾.

﴿ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾عطف علي جنات أي وأنشأ من الأنعام مايحمل الأثقال ومايفرش للذبح ، أو ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره ،

* **الإعجاز العلمى**

الأهداف التى خلقت لها الأنعام :

﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) ﴾ [النحل ٥ ـ ٧]

﴿ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ [الأنعام ١٤٢]

=

وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها، ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ كلوا مما أحل لكم منه ، ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ في التحليل والتحريم من عند أنفسكم . ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ظاهر العداوة .

*** الإعجاز العلمي**

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا ﴾ النحل : ٨٠

وقال تعالى : ﴿ نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا ﴾ النحل : ٦٦ .

من تلك الآيات الكريمة يتضح لنا أن الأنعام تفيد فى نواح متعددة منها : إنتاج اللبن ـ إنتاج اللحوم ـ استخدامها في العمل ، ومنافع أخري كثيرة كتصنيع الجلود والأوبار ... الخ

وهذه الأوجه السابقة هي تماما التي يقوم عليها علم الإنتاج الحيواني الحديث والذى يسعى العلماء جاهدين لتحقيق تلك الأهداف .

فعلم الإنتاج الحيواني الحديث يزاول المهام التالية :

١ ـ تربية الأبقار ويطلق عليها علميا لفظ الماشية Cattle وتهدف تربية الماشية إلى إنتاج ماشية متخصصة فى الإنتاج على النحو التالي :

أ ـ ماشية اللبن : لإنتاج اللبن كهدف أصيل بجانب أهداف أخري .

ب ـ ماشية اللحم : لإنتاج اللحم كهدف أصيل بجانب أهداف أخري .

جـ ـ ماشية العمل : ولا تستخدم إلا فى البلاد النامية .

٢ ـ تربية الجاموس ويتبع علميا الفصيلة البقرية ، ولكن الجاموس أقل فى الكفاءة التناسلية من الأبقار .

٣ ـ تربية الأغنام وهي تلى الماشية من حيث إنتاج اللبن واللحم ولكنها تتميز بالانتفاع من أصوافها مثل أغنام الصوف الناعم والمتوسط والقصير .

٤ ـ تربية الماعز : تربي لإنتاج اللبن واللحم وهى أقل انتشارا من الأغنام .

٥ ـ تربية الإبل وتربى الإبل من أجل اللحوم والركوب .

وهذا التصنيف السابق هو المتبع حاليا عالميا فنجد أن أول صنف من الأبقار من أشهر

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾بدل من حمولة وفرشاً، أومفعول كلوا ، ولاتتبعوا معترض بينهما أو فعل دل عليه أوحال مابمعني مختلفة أو متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الأول، ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ زوجين اثنين الكبش والنعجة ، وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان علي الابتداء ، والضأن اسم جنس كالإبل وجمعه ضئين أو جمع ضائن كتاجر وتجر، وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ، ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾التيس والعنز ، وقرأ ابن كثير أبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس ، وقرئ المعزي. ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ﴾ ذكر الضأن وذكر المعز، ﴿حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾أم أنثييهما ونصب الذكرين والاثنين بحرم ، ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ أو ما

* الإعجاز العلمى

سلالاته الفريزيان ، والجرسى لإنتاج اللبن ، ومن أشهر أصناف الأغنام المرينو والشروبشيد والليبستر لإنتاج الصوف .

وهكذا نجد القرآن الكريم يتنبأ بظهور علم الحيوان الذي بين ظهرانينا الآن منذ زمن التنزيل . وهذا من حيث الأهداف التي خلقت لها الأنعام .

أما بالنسبة لأصناف الأنعام

يقول الله تعالى : ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ ....﴾ الأنعام ١٤٣ ، ١٤٤ .

هاتان الآيتان الكريمتان تحددان الأنعام بأنها ثمانية أزواج أى أربع مجاميع كل مجموعة تتكون من الذكروالأنثى ، والمجاميع الأربعة هى الضأن والمعز والإبل والبقر ، والآيتان تناقشان مزاعم المشركين بخصوص تحريمهم لأفراد من الأنعام أو أجزائها جزافا دون مستند سليم يعتمد عليه .

ولكننا نجد علماء الحيوان الحديث يقررون ما سبق وقرره البيان القرآني كالتالى من حيث تقسيم علم الحيوان إلى شعبة الحبليات التى تنقسم منها طائفة الثدييات التى ينقسم منها طائفة الحافريات والتى تنقسم منها الفصائل التالية .

١ ـ فصيلة الجمال « الإبل » وتشمل الجمال ذات السنام ، والجمال ذات السنامين ، كما تشمل حيوانات شبيهة بالجمال تعرف باسم « باللاما ».

٢ ـ الفصيلة البقرية وهي تشمل أجناسا وأنواعا منتشرة في كل بلاد العالم وتضم هذه الفصيلة البقر والجاموس والماعز والغنم .

وهذا ما يسجله جليا القرآن الكريم حيث تقف الأنعام موقف الصدارة بين مجاميع الحيوانات الأخرى من حيث تعدد فوائدها ومنافعها .

حملت إناث الجنسين ذكراً كان أو أنثي ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ ﴾ بأمر معلوم يدل علي أن الله تعالي حرم شيئاً من ذلك ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في دعوي التحريم عليه ﴿ وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ ﴾ كما سبق والمعني إنكار أن الله حرم شيئاً من الأجناس الأربعة ذكراً كان أوأنثي أوما تحمل إناثها رداً عليهم ، فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخري وأولادها كيف كانت تارة زاعمين أن الله حرمها، ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ ﴾ بل أكنتم شاهدين حاضرين .﴿ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا ﴾ حين وصاكم بهذا التحريم إذ أنتم لاتؤمنون بنبي فلا طريق لكم إلي معرفة أمثال ذلك إلا المشاهدة والسماع .﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ فنسب إليه تحريم مالم يحرم ، والمراد كبراؤهم المقررون لذلك ، أو عمرو بن لحي بن قمعة المؤسس لذلك، ﴿ لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

ماحرمه الله تعالي علي عباده

﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ أي في القرآن ، أو فيما أوحي إلي مطلقاً ، وفيه تنبيه علي أن التحريم إنما يعلم بالوحي لابالهوي ، ﴿ مُحَرَّمًا ﴾ طعاماً محرماً . ﴿ عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً ﴾ أن يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر، وقرأ ابن عامر بالياء و رفع الميتة علي أن كان هي التامة وقوله ﴿ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ عطف علي أن مع ما في حيزه أي: إلا وجود ميتة أودماً مسفوحاً أي مصبوباً كالدم في العروق لاكالكبد والطحال، ﴿ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ فإن الخنزير أو لحمه قذر لتعوده أكل النجاسة أو خبيث مخبث ﴿ أَوْ فِسْقًا ﴾ عطف علي لحم خنزير . .ومابينهما اعتراض للتعليل .﴿ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ صفة له موضحة وإنما سمي ماذبح علي اسم الصنم فسقاً لتوغله في الفسق ، ويجوز أن يكون فسقاً مفعولاً له من أهل وهو عطف علي يكون والمستكن فيه راجع إلي ما رجع إلي المستكن في يكون .﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ ﴾ فمن دعته الضرورة، ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لايؤاخذه والآية محكمة لأنها تدل علي أنه لم يجد فيما أوحي إلي تلك الغاية محرماً غير هذه ، وذلك لاينافي ورود

التحريم في شئ آخر فلايصح الاستدلال بها علي نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا علي حل الأشياء غيرها إلا مع الاستصحاب .

الآية ١٤٦

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦) ﴾

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ كل ماله أصبع كالإبل والسباع والطيور ، وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفراً مجازاً ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ، ﴿ومِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ الثروب وشحوم الكلي والإضافة لزيادة الربط ، ﴿ إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ إلاما علقت بظهورهما .﴿ أَوِ الْحَوَايَا ﴾أو ماشتمل علي الأمعاء جمع حاوي، أوحاوياء كقا صعاء وقواصع ، أو حوية كسفينة وسفائن ، وقيل هو عطف علي شحومهما وأو بمعني الواو، ﴿ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾هو شحم الإلية لاتصالها بالعصعص ﴿ ذَلِكَ ﴾ التحريم أو الجزاء . ﴿ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم .﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ في الإخبار أو الوعد والوعيد .(١) .

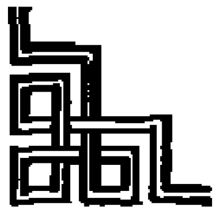
الآيات من ١٤٧ : ١٥٢

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧) سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ

---

(١) سبقت الإشارة إلى ظلم اليهود الذى استوجب هذا التحريم فى قوله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً ﴾ النساء : ١٦٠ .

شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠) قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) ﴾.



﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾يمهلكم علي التكذيب فلا تغتروا بإمهاله فإنه لايهمل ، ﴿وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ حين ينزل ، أو ذو رحمة علي المطيعين وذو بأس شديد علي المجرمين فأقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه علي إنزال البأس عليهم مع الدلالة علي أنه لازب بهم لايمكن رده عنهم .

حجة واهية للمشركين

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾إخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل علي إعجازه ، ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ أي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(١) لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ، أرادوا بذلك أنهم علي الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله إياها منهم حتي ينهض ذمهم به دليلاً للمعتزلة ويؤيده ذلك قوله : ﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي مثل هذا التكذيب لك في أن الله تعالي منع من الشرك ولم يحرم ماحرموه كذب الذين من قبلهم الرسل ، وعطف آباؤنا علي الضمير في أشركنا من غير تأكيد للفصل بلا .﴿ حَتَّىٰ

(١) الأنعام : ١٤٩ ، النحل : ٩ .

ذَاقُوا بَأْسَنَا ﴾ الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم ، ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ ﴾من أمر معلوم يصح الاحتجاج به . علي ما زعمتم . ﴿ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ فتظهروه لنا . ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ﴾ ماتتبعون في ذلك إلا الظن. ﴿ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ تكذبون علي الله سبحانه وتعالي ، وفيه دليل المنع من اتباع الظن سيما في الأصول، ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع إذ الآية فيه .

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة علي الإثبات ، أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعني القصد كأنها تقصد إثبات الحكم وتطلبه ، ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ ﴾ أحضروهم ، وهو اسم فعل لايتصرف عند أهل الحجاز، وفعل يؤنث ويجمع عند تميم وأصله عند البصريين : هالم من لم إذا قصد حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه الأصل، وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها علي اللام ، وهو بعيد لأن هل لاتدخل الأمر ويكون متعدياً كما في الآية ولازماً كقوله هلم إلينا، ﴿ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾ يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنه لامتمسك لهم كمن يقلدهم ، ولذلك قيد الشهداء بالإضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم ، ﴿ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ﴾ فلاتصدقهم فيه وبين لهم فساده فإن تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة . ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة علي أن مكذب الآيات متبع الهوي لاغير ، وأن متبع الحجة لايكون إلا مصدقاً بها. ﴿ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ كعبدة الأوثان .﴿ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ يجعلون له عديلاً .

الوصايا العشر

﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ أمر من التعالي وأصله أن يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم .﴿ أَتْلُ ﴾ أقرأ ﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ منصوب بأتل ، وما تحتمل الخبرية والمصدرية ، ويجوز أن تكون استفهامية منصوبة بحرم ، والجملة مفعول أتل لأنه بمعني أقل ، فكأنه قيل أتل أي شئ حرم ربكم ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ متعلق

بحرم أو أتل . ﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ﴾ أي لاتشركوا به ليصح عطف الأمر عليه ، ولايمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم ، فإن التحريم باعتبار الأوامر يرجع إلي أضدادها ومن جعل أن ناصبة فمحلها النصب بعليكم علي أنه للإغراء، أو بالبدل من ما أو من عائده المحذوف علي أن لا زائدة والجر بتقدير اللام، أو الرفع علي تقدير المتلو أن لاتشركوا أو المحرم أن تشركوا .﴿ شَيْئاً﴾ يحتمل المصدر والمفعول .

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ أي وأحسنوا بهما إحساناً وضعه موضع النهي عن الإساءة إليهما للمبالغة وللدلالة علي أن ترك الإساءة في شأنهما غير كاف بهما بخلاف غيرهما .

﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ﴾ من أجل فقر ومن خشية كقوله ﴿ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ﴾(١) ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ منع لموجبية ماكانوا يفعلون لأجله

(١) الإسراء : ٣١ .

من الآثار الواردة حول هذه الوصايا

نذكر هنا بعض الآثار الواردة فى فضل هذه الوصايا ليتمسك بها المسلمون ، ويتحلوا بها فإنها أساس النجاة والسعادة فى الدنيا والآخرة . فقد روي الحاكم فى مستدركه من حديث يزيد بن هارون عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : أيكم يبايعني على ثلاث ؟ ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم. . ﴾ حتى فرغ من الآيات ، فمن وفَّى فأجره علي الله ، ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله به فى الدنيا كانت عقوبته ، ومن أُخرَّ إلى الآخرة فأمره إلى الله إن شاء عذبه ، وإن شاء عفا عنه » .

فضيلة التوحيد وعدم الإشراك : فى الصحيحين من حديث أبى ذر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اتاني جبريل فبشرنى انه من مات لا يشرك بالله شيئا من أمتك دخل الجنة . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق . قلت : وإن زني وإن سرق ؟ قال : وإنْ زنى وإن سرق وإن شرب الخمر » .

وفى بعض الروايات : أن قائل ذلك هو رسول الله ﷺ لأبي ذر .

وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه : « من ماتَ لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة » .

فضيلة بر الوالدين : جاء فى الصحيحين من حديث ابن مسعود : « سألت رسول الله

واحتجاج عليه . ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ﴾ كبائر الذنوب أو الزنا، ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

ﷺ : أى العمل أفضل ؟ قال : الصلاة علي وقتها . قلت : ثم أى ؟ قال : بر الوالدين . قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، ثم قال ابن مسعود : حدثني بهن رسول اللهﷺ ، ولو استزدته لزادني .

فصل المحافظة على الأولاد وعدم قتلهم خشية الفقر ـ كما كانوا يفعلون في الجاهلية :

جاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله : أى الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قلت : ثم أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تزنى بحليلة جارك » .

فصل اجتناب الفواحش : في مقدمة الفواحش الزني ، وقد قال الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ الإسراء ٣٢ .

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبى أمامة « أن فتى شابا أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : ائذن لى بالزنى ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : مه مه ، فقال النبى ﷺ : ادنه . فدنا منه قريبا ، فقال : اجلس فجلس ، فقال : « أتحبه لأمك ؟ »قال : لا والله ـ جعلني الله فداك ـ قال : « ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال : أفتحبه لابنتك ؟ » قال : لا والله يا رسول الله ـ جعلنى الله فداك ـ قال : « ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال : أفتحبه لأختك ؟ » قال : لا والله جعلنى الله فداك ـ قال : « ولا الناس بحبونهم لأخواتهم ، قال: أفتحبه لعمتك ؟ » قال : لا والله ـ جعلنى الله فداك ـ قال : « ولا الناس يحبونه لعماتهم . قال : أفتحبه لخالتك ؟» قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : « ولا الناس يحبونه لخالاتهم » قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه .

قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء .

فضل المحافظة على ارواح الناس

جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة .

وفي النهى عن قتل المعاهد روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبى ﷺ مرفوعا : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما » .

وفى السنن : « لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم » .

فضل رعاية اليتيم والمحافظة على ماله

وَمَا بَطَنَ ﴾بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الإثم، وباطنه .﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي ذر . أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر : يا أبا ذر إني أراك ضعيفا ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن علي اثنين ولا تولين مال يتيم» .

فضل الوفاء في الكيل والميزان :

يكفى في التحذير من عدم الوفاء في الكيل والوزن أن الله أهلك قوم شعيب لأنهم كانوا يبخسون الميزان والمكيال ، ونزل في شأن أولئك ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦ ﴾ المطففين : ١ ـ ٦

روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري : كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا ، لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر ؟ قال بشير : المستعان الله . قال : فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب .

وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة .

فضل العدل :

روي السيوطي في الجامع الصغير من حديث على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «العدل حسن ، ولكن في الأمراء أحسن ، السخاء حسن ولكن في الأغنياء أحسن ، الورع حسن ولكن في العلماء أحسن » .

وروى في التحذير من الظلم من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « الظلم ثلاثة ، فظلم لا يغفره الله ، وظلم يغفره ، وظلم لا يتركه ، فأما الظلم الذى لا يغفره الله فالشرك ، قال الله تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ وأما الظلم الذى يغفره الله فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، وأما الظلم الذى لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتي يدبر لبعضهم عن بعض » .

فضل الوفاء بالعهد :

روى الإمام أحمد عن نافع قال : لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد ، ثم قال : أما بعد فإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الغادر ينصب له يوم القيامة فيقال : هذه غدرة فلان ، وإن من أعظم الغدر ـ إلا أن يكون الإشراك بالله ـ أن يبايع رجل رجلا على بيعة الله ورسوله ، ثم ينكث بيعته ، فلا يخلعن أحد منكم يداً ، ولا يسرفن أحد منكم في هذا

حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ كالْقَوَد [1] وقتل المرتد ، ورجم المحصن ، ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ إشارة إلي ماذكر مفصلاً .﴿ وَصَّاكُم بِهِ ﴾ بحفظه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ترشدون فإن كمال العقل هو الرشد .

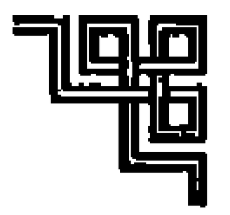
﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾أي بالفعلة التي هي أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره .﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ حتي يصير بالغاً ، وهو جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد كصر وأصر وقيل مفرد كآنك .﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل والتسوية. ﴿ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾إلا ما يسعها ولايعسر عليها ، وذكره عقيب الأمر معناه أن إيفاء الحق عسر عليكم فعليكم بما في وسعكم وماوراءه معفو عنكم، ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ ﴾ في حكومة ونحوها . ﴿ فَاعْدِلُوا ﴾ فيه .﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم .﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾ يعني ما عهد إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع .﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ تتعظون به ، وقرأ حمزة وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع إذا كان بالتاء والباقون بتشديدها .

الأمر فيكون فصل بيني وبينه ،

فضل الاتحاد وعدم الفرقة

روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما ، وخط عن يمينه وشماله ، ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ .

(١) الْقَوَدُ : القصاص .



الآيات من ١٥٣ : ١٥٧

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧) ﴾.

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ الإشارة فيه إلي ماذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة .وقرأ حمزة والكسائي إن بالكسر علي الاستئناف ، وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف ،و قرأ الباقون بها مشددة بتقدير اللام علي أنه علة لقوله : ﴿ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء، وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك. ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ الأديان المختلفة أو الطرق التابعة للهوي ، فإن مقتضي الحجة واحد ومقتضي الهوي متعدد لاختلاف الطبائع والعادات ، ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ ﴾فتفرقكم وتزيلكم .﴿ عَن سَبِيلِهِ ﴾ الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان، ﴿ ذَلِكُمْ ﴾الاتباع ﴿ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الضلال والتفرق عن الحق .

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾عطف علي وصاكم ، وثم للتراخي في الإخبار أو للتفاوت في الرتبة كأنه قيل: ذلكم وصاكم به قديماً وحديثاً ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسي الكتاب .﴿ تَمَامًا ﴾ للكرامةوالنعمة. ﴿ عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ علي كل من أحسن القيام به ، ويؤيده إن قرئ علي الذين أحسنواأو علي الذي أحسن تبليغه وهو موسي عليه أفضل الصلاة والسلام ، أو تماماً علي ما أحسنه أي أجاده من

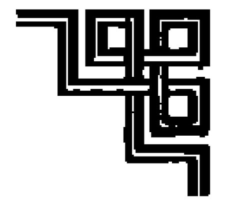
العلم والتشريع أي زيادة علي علمه إتماماً له وقرئ بالرفع علي أنه خبر مبتدأ محذوف أي علي الذي هو أحسن أو علي الوجه الذي هو أحسن مايكون عليه الكتب ، ﴿ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ وبياناً مفصلاً لكل مايحتاج إليه في الدين ، وهو عطف علي تمام ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم ﴾ لعل بني إسرائيل .﴿ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي بلقائه للجزاء.

الدعوة إلي اتباع مانزل من قرآن

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ ﴾يعني القرآن. ﴿ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ كثير النفع .﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه .

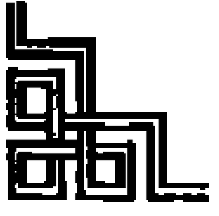
﴿ أَن تَقُولُوا ﴾كراهة أن تقولوا علة لأنزلناه .﴿ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾اليهود والنصاري، ولعل الاختصاص في إنما لأن الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم ﴿ وَإِن كُنَّا ﴾إن هي المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبر كان أي وإنه كنا.﴿ عَن دِرَاسَتِهِمْ ﴾قراءتهم .﴿ لَغَافِلِينَ ﴾لا ندري ماهي ، أو لاتعرف مثلها.

﴿ أَوْ تَقُولُوا ﴾عطف علي الأول .﴿ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنوناً من العلم كالقصص والأشعار والخطب علي أنا أميون ﴿ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ حجة واضحة تعرفونها .﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾لمن تأمل فيه وعمل به .﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾بعد أن عرف صحتها أوتمكن من معرفتها .﴿ وَصَدَفَ ﴾ أعرض أوصد . ﴿ عَنْهَا ﴾فضل أو أفضل . ﴿ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ شدته .﴿ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ بإعراضهم أو صدهم.



الآيات من ١٥٨ : ١٦١

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨) إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩) مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١٦٠) قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) ﴾ .



أشراط الساعة

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي ما ينتظرون يعني أهل مكة ،وهم ماكانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين ، ﴿ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ ﴾ ملائكة الموت أو العذاب ، وقرأ حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل .﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾أي أمره بالعذاب، أو كل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله ﴿ أويأتي بعض آيات ربك ﴾ يعني أشراط الساعة وعن حذيفة بن اليمان والبراء بن عازب : « كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله ﷺ فقال: **ماتذكرون ؟ قلنا : نتذاكر الساعة، قال : إنها لاتقوم حتي تروا قبلها عشرآيات الدخان ، ودابة الأرض، وخسفاً بالمشرق ، وخسفاً بالمغرب ، وخسفاً بجزيرة العرب، والدجال ، وطلوع الشمس من مغربها ، ويأجوج ومأجوج ، ونزول عيسي عليه الصلاة والسلام ، وناراً تخرج من عدن** »(١) ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا

---

(١) آيات الله كما أشارت إليها الآية وفصلتها الأحاديث من مثل قوله ﷺ من حديث أبي هريرة وأخرجه البخارى : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رآها الناس آمن من عليها ، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل » .
وروى ابن جرير عن أبى هريرة أيضاً ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا : طلوع الشمس من

يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا ﴾ كالمحتضر إذ صار الأمر عياناً والإيمان برهاني، وقرئ تنفع بالتاء لإضافة الإيمان إلي ضمير المؤنث ، ﴿ **لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ** ﴾ صفة نفساً . ﴿ **أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً** ﴾ عطف علي آمنت والمعني: أنه لاينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدمة إيمانها أومقدمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيراً ، وهو دليل لمن لم يعتبر الإيمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم ، وحمل الترديد علي اشتراط النفع بأحد الأمرين علي معني لاينفع نفساً خلت عنها إيمانها، والعطف علي لم تكن بمعني لاينفع نفساً إيمانها الذي أحدثته حينئذ وإن كسبت فيه خيراً. ﴿ **قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ** ﴾ وعيد لهم ، أي : انتظروا إتيان أحد الثلاثة فإنا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل .

النهي عن التفرق واختلاف الكلمة في الدين

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ** ﴾ بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، أو افترقوا فيه قال ﷺ « **افترقت اليهود علي إحدي وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة ، وافترقت النصاري علي اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة** »(١) وقرأ حمزة والكسائي فارقوا أي باينوا .﴿ **وَكَانُوا شِيَعًا** ﴾ فرقاً تشيع كل فرقة إماماً . ﴿ **لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾ أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم ،أو من عقابهم ، أو أنت

مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض . » رواه أحمد ومسلم .

وروى الإمام أحمد عن حذيفة بن أسيد الغفارى قل : أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى بن مريم ، وخروج الدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونارا تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا » رواه مسلم وأصحاب السنن .

(١) رواه السيوطى في الجامع الصغير جـ ١ ص ٤٩ بنحوه وقال : رواه أصحاب السنن من حديث أبي هريرة ورمز له السيوطي بالصحة والحسن .

برىء منهم وقيل: هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف. ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يتولي جزاءهم. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ بالعقاب.

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي عشر حسنات أمثالها فضلاً من الله، وقرأ يعقوب عشرة بالتنوين وأمثالها بالرفع علي الوصف، وهذا أقل ماوعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل: المراد بالعشر الكثرة دون العدد، ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا﴾ قضية للعدل ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب.

الآيات من ١٦١ : ١٦٥

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٥)﴾

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ بالوحي والإرشاد إلي مانصب من الحجج. ﴿دِينًا﴾ بدل من محل إلي صراط إذ المعني، هداني صراطاً كقوله ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾(٢) أو مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ ﴿قِيَمًا﴾ فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيماً على أنه مصدر نعت به وكان قياسه قوماً كعوض فاعل لإعلال فعله كالقيام. ﴿مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف

(١) الفتح: ٢.

بيان لدينا. ﴿ حَنِيفًا ﴾ حال من إبراهيم. ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ عطف عليه

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ عبادتي كلها، أو قرباني أو حجي. ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ وما أنا عليه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والطاعة، أو طاعات الحياة والخيرات المضافة إلى الممات كالوصية والتدبير، أو الحياة والممات أنفسهما، وقرأ نافع محياي بإسكان الياء إجراء للوصل مجري الوقف. ﴿ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ خالصة له لا أشرك فيها غيرا. ﴿ وَبِذَلِكَ ﴾ القول أو الإخلاص. ﴿ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته.

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ فأشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم. ﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ حال في موضع العلة للإنكار والدليل له أي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية. ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك. ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ جواب عن قولهم: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم. ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ ﴾ يوم القيامة. ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ يخلف بعضكم بعضًا، أو خلفاء الله في أرضه تتصرفون فيها على أن الخطاب عام، أو خلفاء الأمم السالفة على أن الخطاب للمؤمنين. ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ في الشرف والغني. ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ من الجاه والمال. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ لأن ما هو آت قريب أو لأنه يسرع إذا أراده. ﴿ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وصف العقاب ولم يضفه إلى نفسه، ووصف ذاته بالمغفرة وضم إليه الوصف بالرحمة (١)، وأتى ببناء

(١) من الآثار التي تدل على سعة رحمة الله وعظيم مغفرته ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتي ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه.

المبالغة واللام المؤكدة تنبيهاً على أنه تعالي غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها كثير العقوبة مسامح فيها .

من فضائل سورة الأنعام

عن رسول الله ﷺ : « **أنزلت علىَّ سورة الأنعام جملة واحدة ، يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد ، فمن قرأ الأنعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوماً وليلة** »(١) .

---

(١) أخرجه الثعلبى من حديث أبى بن كعب بتمامه ، ورواه الطبرانى فى الصغير وفى إسناده مقال ، ورواه ابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية . ـ من تعليق تفسير الكشاف ـ .

سورة الأعراف مكية

وآياتها ست ومائتان

غير ثمان آيات من قوله : ﴿ واسألهم ﴾ إلى قوله : ﴿ وإذ نتقنا الجبل ﴾ (١) محكمة كلها وقيل إلا قوله ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ (٢) وآيها مائتان وخمس أو ست آيات

الآيات من ١ : ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓصٓ (١) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣) وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٥) فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) ﴾

حديث عن القرآن ووجوب اتباعه

﴿ الٓمٓصٓ ﴾ سبق الكلام فى مثله .

﴿ كِتَابٌ ﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هو كتاب ، أو خبر المص ، والمراد به السورة أو القرآن . ﴿ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ صفته . ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ أى شك ، فإن الشك حرج الصدر أو ضيق قلب من تبليغه مخافة أن تكذب فيه ، أو تقصر فى القيام بحقه ، وتوجيه النهى فيه للمبالغة كقولهم : لا أريتك ها هنا . والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنه قيل : إذا أنزل إليك لتنذر به فلا يحرج صدرك .

﴿ لِتُنذِرَ بِهِ ﴾ متعلق بأنزل ، أو بلا يكن لأنه إذا أيقن أنه من عند الله جسر على الإنذار ، وكذا إذا لم يخفهم أو علم أنه موفق للقيام بتبليغه .

(١) وهي الآيات من رقم ١٦٣ حتي رقم ١٧٠ .

(٢) وهي الآية رقم ١٩٩ .

﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يحتمل النصب بإضمار فعلها أي : لتنذر وتذكر ذكرى فإنها بمعني التذكير ، والجر عطفاً على محل تنذر ، والرفع عطفاً على كتاب أو خبراً لمحذوف .

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ يعم القرآن والسنة لقوله سبحانه وتعالي : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ ﴾ (١) ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ يضلونكم من الجن والإنس . وقيل : الضمير في من دونه لما أنزل أي : ولا تتبعوا من دون دين الله دينَ أولياء وقرئ ولا تبتغوا .

﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾أي تذكراً قليلاً أو زماناً قليلاً تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره ، وما مزيدة لتأكيد القلة ، وإن جعلت مصدرية لم ينتصب قليلاً بتذكرون (٢) . وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون تذكرون التاء ، وابن عامر يتذكرون على أن الخطاب بعد النبي ﷺ .

تحذير من مصير الأمم السابقة

﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ ﴾وكثيراً من القري . ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ أردنا إهلاك أهلها ، أو أهلكنا ها بالخذلان . ﴿ فَجَاءَهَا ﴾ فجاء أهلها . ﴿ بَأْسُنَا ﴾ عذابنا . ﴿ بَيَاتًا ﴾ بائتين كقوم لوط ، مصدر وقع موقع الحال .

﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ عطف عليه أي : قائلين نصف النهار كقوم شعيب ، وإنما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي العطف ، فإنها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاءً بالضمير فإنه غير فصيح . وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وأمنهم من العذاب ، ولذلك خص الوقتين ولأنهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما أفظع .

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ ﴾ أي دعاؤهم واستغاثتهم ، أو ما كانوا يدعونه من

---

(١) النجم : ٣ ، ٤

(٢) يكون المعني : قليل تذكركم ، فيعرب (قليل) خبر مقدم والمصدر المؤول مبتدأ مؤخر أو العكس .

دينهم . ﴿ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ إلا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسراً عليهم .

﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ عن قبول الرسالة وإجابتهم الرسل . ﴿ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ عما أجيبوا به ، والمراد من هذا السؤال توبيخ للكفرة وتقريعهم ، والمعنى فى قوله ﴿ وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [1] سؤال استعلام . أو الأول فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم علي العقوبة .

الآيات من ٧ : ١٠

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧) وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩) وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (١٠) ﴾

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم ﴾ علي الرسل حين يقولون لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ، أو علي الرسل والمرسل إليهم ما كانوا عليه . ﴿ بِعِلْمٍ ﴾ عالمين بظواهرهم وبواطنهم ، أو بمعلومنا منهم . ﴿ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ عنهم فيخفى علينا شيء من أحوالهم .

التذكير بيوم القيامة

﴿ وَالْوَزْنُ ﴾ أى القضاء أو وزن الأعمال وهو مقابلتها بالجزاء . والجمهور علي أن صحائف الأعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ، ينظر إليه الخلائق إظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم . ويؤيده ما روي : أن الرجل يؤتي به إلي الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كلُّ سجلٍ مد البصر ، فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة .

---

(١) القصص : ٧٨ .

وقيل توزن الأشخاص لما روي أنه ﷺ قال : « **إنه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة** » .

﴿ **يَوْمَئِذٍ** ﴾ خبر المبتدأ الذى هو الوزن . ﴿ **الْحَقُّ** ﴾ صفته ، أو خبر محذوف ومعناه العدل السوى . ﴿ **فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ** ﴾ حسناته ، أو ما يوزن به حسناته فهو جمع موزون أو ميزان وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن . ﴿ **فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ الفائزون بالنجاة والثواب .

﴿ **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم** ﴾ بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها ، واقتراف ما عرضها للعذاب . ﴿ **بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ** ﴾ فيكذبون بدل التصديق .

﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ** ﴾ أى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها . ﴿ **وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ** ﴾أسبابًا تعيشون بها ، جمع معيشة . وعن نافع أنه همزه تشبيهاً بما الياء فيه زائدة كصحائف . ﴿ **قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ** ﴾ فيما صنعت إليكم .

الآيات من ١١ : ١٦

﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦)** ﴾

حديث عن قصة آدم وتحذير من غواية إبليس عدوه اللدود

﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ** ﴾ أى خلقنا أباكم آدم طينًا غير مصور ثم صورناه . نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره ، أو ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بأن خلقنا آدم ثم صورناه . ﴿ **ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ** ﴾ وقيل

ثم لتأخير الإخبار ﴿ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيس لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ ممن سجد لآدم.

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ ﴾ أي أن تسجد ولا صلة مثلها فى لئلا يعلم ، مؤكذة معني الفعل الذى دخلت عليه ، ومنبهة علي أن الموّبخ عليه ترك السجود . وقيل : الممنوع عن الشيء مضطر إلى خلافه فكأنه قيل : ما اضطرك إلى ألا تسجد .

* الإعجاز العلمى

«وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ..... »

وغيرها من الآيات الداله على التصوير فى القرآن ومنها الآية فى سورة آل عمران

« هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء .. »

يقول الدكتور / محمد على البار فى كتابه خلق الإنسان بين الطب والقرآن .

أن عملية الهدم والبناء والتسوية والتعديل مستمرة فى الجنين بشكل مثير .. إذ كل يوم بل كل ساعة تشهد جديداً .. هذه أنبوبة القلب المستطيلة تتحول إلى شكل S ثم تتكون الغرف المتتالية الأذين العام COMMON ATRIUM والبطين العامCOMMON VENTRICLE وبصلة القلب BULBUS CORDIS والجيب الوريدى SINUSVENOSUS ثم يعاد التركيب ليدخل الجيب الوريدى فى الأذين الأيمن .. وتدخل بصلة القلب فى البطين الأيمن والأيسر ومن بصلة القلب أيضاً تنشأ جذور الشريان الأورطي والشريان الرئوى .

ومن له أدنى إلمام بعلم الأجنة وعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء يعرف كيف أن أجهزة الجسم المختلفة تهدم ويعاد بناؤها باستمرار وتتجلى هذه التسوية والتعديل فى أجلى صورها فى الجنين .. ثم تقل نسبياً بعد الولادة .. ثم تقل كذلك بعد البلوغ ولكنها لا تتوقف حتى فى الشيخوخة .

هناك جهاز واحد فقط لا يشمله التغيير والتبديل المستمر ألا وهو الجهاز العصبى .. فالجهاز العصبى (الدماغ والنخاع الشوكى والأعصاب) لايتغير بعد الولادة من حيث الهدم والبناء ولكنه يتغير من حيث اتصالات الخلايا العصبية ببعضها ..

أما قبل الولادة فى الجنين وخاصة فى الشهر الثانى من الحمل فإن التغيير يكون فيه على أشده ..

ففى كل لحظة هناك تغيير فى الشكل أو فى ازالة مجموعة من الخلايا قد أدت وظيفتها أو فى بناء مجموعة أخرى ..

﴿ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ دليل على أن مطلق الأمر للوجوب والفور . ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ جواب من حيث المعنى استأنف به استبعاداً لأن يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله كأنه قال : المانع أني خير منه ، ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول ، فكيف يحسن أن يؤمر به . فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أولا .

* **الإعجاز العلمي**

إن مايحدث فى الجنين شبيه إلى حد ما بما يحدث عند بناء عمارة فهناك السقالات والأعمدة التى تقام ثم تهدم بعد أداء وظيفتها . . وهناك بناء الأساس أولا ثم بناء الأعمدة والجدران ثم بعد ذلك تأتى مرحلة الأبواب والنوافذ . . ثم يأتى بعد ذلك مرحلة التبليط والتزيين والتحسين (الديكور) .

ولايمكن أن تقوم مرحلة التبليط قبل بناء الأعمدة والجدران ولايمكن وضع الموازييك والتحسينات قبل إقامة الأبواب والنوافذ . . وهكذا كل مرحلة تدلف إلى المرحلة التى بعدها . .

وكذلك فى بناء جسم الإنسان . كل مرحلة تدلف إلى المرحلة التى بعدها . . وما استخدم من أدوات فى المرحلة السابقة ولم يعد له حاجة فلا بد من إزالته حتى لايعيق الطريق .

هذه باختصار هى التسوية والتعديل . . وهى عملية مستمرة فى بناء جسم الإنسان منذ أن كان جنيناً إلى أن يصبح شيخاً هرماً . . ولكن هذه التسوية والتعديل أبرز ماتكون فى الجنين .

ولايمكن أن تتم التسوية والتعديل إلا بعد وضع الأسس . . والأسس لجميع الأعضاء توضع فى الفترة مابين الأسبوع الرابع والثامن . . ولهذا تعتبر هذه الفترة هى الفترة الحرجة التى تكون فيها الجينات أشد ماتكون قابلية للتغيير ولذا فإن تأثير الأدوية والعقاقير أو الأشعة أو الحميات مثل الحصبة الألمانية تكون فى أوج تأثيرها على الجنين فى هذه الفترة . .

ولذا ينبغى أن تجتنب الحامل التعرض لتأثيرات الأدوية والعقاقير والأشعة وكذلك من الأحاديث التى وردت فى شأن خلق الإنسان وتصويره مع محاولة توفيقها مع الآيات وآراء الأطباء نقول :

أخرج الامام مسلم عن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم :

(١) « إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها . ثم قال يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ماشاء ويكتب الملك

﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ تعليل لفضله عليه ، وقد غلط فى ذلك بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار إليه بقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾(١) أى بغير واسطة، وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٢)

(١) سورة ص : آية ٧٥ .   (٢) الحجر : ٢٩ .

*** الإعجاز العلمى**

ثم يقول يارب رزقه فيقضى ربك ماشاء .. ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص » .

وفى صحيح مسلم أيضاً عن حذيفة بن أسيد أنه قال صلى الله عليه وسلم :

(٢) « يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر فى الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يارب أشقى أو سعيد فيكتبان . فيقول أى رب أذكر أم أنثى ؟ فيكتبان . ويكتب عمله وأثره وأجله ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص » .

(٣) وفيه أيضاً أن النطفة تقع فى الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك فيقول يارب ذكر أم أنثى .

وأخرج اللالكائى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقد ذكره ابن رجب الحنبلى فى كتابه جامع العلوم والحكم وكذلك ذكره ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى . قال صلى الله عليه وسلم :

(٤) « إذا مكثت النطفة فى رحم المرأة أربعين ليلة جاءها الملك فاختلجها ثم عرج بها إلى الرحمن عز وجل فيقول : أخلق يا أحسن الخالقين فيقضى الله فيها مايشاء من أمره ثم تدفع إلى الملك فيقول أسقط أم تام فيبين له فيقول : يارب واحد أم توأمين ؟ فيبين له فيقول يارب أذكر أم أنثى فيبين له ثم يقول يارب أشقى أم سعيد فيبين له . ثم يقول يارب أقطع له رزقه مع أجله فيهبط بهما جميعاً . فوالذى نفسى بيده لاينال من الدنيا إلا ماقسم له » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(٥) « إذا خلق الله النسمة قال ملك الأرحام أى رب ذكر أم أنثى ؟ قال فيقضى الله أمره . ثم يقول أى رب شقى أم سعيد ؟ فيقضى الله أمره . ثم يكتب ما بين عينيه حتى النكبة ينكبها » . أخرجه البزار عن ابن عمر .

(٦) أخرج الامام أحمد فى مسنده عن جابر رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم : =

وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك أمر الملائكة بسجوده لما بين لهم أنه أعلم منهم ، وأن له خواص ليست لغيره . والآية دليل الكون والفساد وأن الشياطين أجسام كائنة ، ولعل إضافة خلق الإنسان إلى الطين والشيطان إلى النار باعتبار الجزء الغالب (١) .

(١) روي ابن كثير في تفسير حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم » .

* الإعجاز العلمي

إذا استقرت النطفة في الرحم أربعين يوماً أو أربعين ليلة بعث إليها ملك فيقول يارب شقى أم سعيد ؟ فيعلم ..

(٧) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً فقال يارب مخلقة أو غير مخلقة فإن قال غير مخلقة مجتها الأرحام دما .. وإن قيل مخلقة قال أى رب شقى أم سعيد ؟ ما الأجل ما الأثر وبأى أرض تموت » . ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم وذكره ابن القيم فى طريق الهجرتين وأخرجه ابن أبى حاتم وغيره .

(٨) وعن أبى ذر رضى الله عنه : أن المنى يمكث فى الرحم أربعين ليلة فيأتيه ملك النفوس فيعرج به إلى الرحمن عز وجل فيقول : يارب أذكر أم أنثى فيقضى الله عز وجل فيقول : يارب أذكر أم أنثى فيقضى الله عز وجل ماهو قاض ثم يقول : يارب أشقى أم سعيد ؟ فيكتب ماهو لاق بين يديه .. ثم تلا أبو ذر من فاتحة سورة التغابن إلى قوله : (وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير) أخرجه ابن أبى حاتم .

(٩) عن عائشة رضي الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله إذا أراد أن يخلق الخلق بعث ملكاً فدخل الرحم فيقول : أى رب ماذا ؟ فيقول : غلام أو جارية أو ماشاء أن يخلق فى الرحم .. فيقول أى رب أشقى أم سعيد ؟ ويقول : أى رب ما أجله ؟ فيقول كذا فيقول : ماخلقه ؟ ماخلائقه فيقول : كذا وكذا فما من شيء إلا وهو يخلق معه فى الرحم » .

أخرجه أبو داود فى كتاب القدر والبزار فى مسنده .

من مجموع الأحاديث الشريفة السابقة نرى كما يقول الإمام ابن القيم فى كتابه «طريق الهجرتين » صـ ٧٤ « أن للملك ملازمة ومراعاة بحال النطفة وانه يقول يارب هذه نطفة .. هذه علقة .. هذه مضغة فى أوقاتها .. فكل وقت يقول فيه ما صارت إليه بأمر الله .. وهو

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا ﴾ من السماء أو الجنة . ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ ﴾ فما يصح . ﴿ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ وتعصى فإنها مكان الخاشع والمطيع . وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة وأنه سبحانه وتعالى إنما طرده وأهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه .

* الإعجاز العلمى

أعلم بها وبكلام الملك فتعرفه (أى الملك) فى أوقات ، أحدها حين يخلقها الله نطفة ثم ينقلها علقة وهو أول أوقات علم الملك بأنه ولد » ومن المعروف فى علم الأجنه أن مرحلة تكوين الأعضاء ORGANOGENESIS هى أهم مرحلة فى تكوين الجنين .. وتبدأ هذه الفترة فى الأسبوع الرابع وتنتهى فى الثامن وهى الفترة الحرجة بالنسبة للجينات لقابليتها الشديدة للتأثر بعوامل البيئة فى هذه الأوقات .

وفى نهاية الأسبوع السادس (٤٢ يوماً) تكون النطفة قد بلغت أوج نشاطها فى تكوين الأعضاء .. وهى قمة المرحلة الحرجة الممتدة من الأسبوع الرابع حتى الثامن فيكون دخول الملك فى هذه الفترة تنويها بأهميتها وإلا فللملك ملازمة ومراعاة بالنطفة الإنسانية فى كافة مراحلها .. نطفة وعلقة ومضغة .. ودخوله هنا لتقسيمها وتصويرها وشق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها .. ثم بعد ذلك يحدد جنس الجنين ذكر أم أنثى حسب مايؤمر به فيحول الغدة إلى خصية أو إلى مبيض .. والدليل على ذلك مايشاهد فى السقط حيث لايمكن تمييز الغدة التناسلية قبل انتهاء الأسبوع السابع وبداية الثامن .. أى أنه لايمكن تمييزها قبل دخول الملك لتحديد جنس الجنين ذكر أم أنثى كما يؤمر به من خالقها .

مما تقدم من الأحاديث الشريفة وشروحها لدى أئمة علماء الحديث يتضح لنا أن الجنين يجمع خلقه فى أربعين يوما .. ولكن هناك التباس نتيجة لبعض الروايات فى حديث عبد الله بن مسعود الذى أخرجه الشيخان ، والذى سنعرض له بشىء من التفصيل ..

ولهذا الحديث الشريف عدة روايات فى صحيح البخارى ورواية فى صحيح مسلم :

رواية مسلم فى باب القدر

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن احدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما .. ثم يكون فى (ظرفية) ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وعمله وشقى أو سعيد » .

وقد جاء فى صحيح البخارى هذه الروايات :

١) « أن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً .. ثم (يكون) علقة مثل ذلك =

﴿ فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ ممن أهانه الله لتكبره ، قال ﷺ : « من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ». ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ أمهلني إلى يوم القيامة فلا تمتني ، أو لا تعجل عقوبتي .

* الإعجاز العلمي

ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح » (كتاب الأنبياء ج ٤ باب ١) .

٢) « أن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوماً وأربعين ليلة ثم يكون علقة مثله ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح » كتاب التوحيد .

٣) « أن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة .. ثم يكون علقة مثل ذلك .. ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وعمله وشقى أم سعيد » .

مما تقدم من روايات الحديث الذى رواه الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود نجد اختلافاً طفيفاً فى الفاظ الحديث .. وهو مايتوقع حدوثه لدى رواية حديث الرسول صلى الله عليه وسلم رغم الضبط الشديد والعناية التامة بحفظ الحديث الشريف .. فأحاديث المصطفى صلوات الله عليه لم يكتب منها مباشرة إلا القليل .. وأما أغلب الأحاديث ومنها هذا الحديث فقد مضت عشرات السنين قبل أن يكتب وتناقله الحفظة الثقات جيلا بعد جيل حتى جيل البخارى رحمهم الله جميعاً فى المائة الثانية .. فكتبه الامام البخارى فى صحيحه ..

وهذا الاختلاف الطفيف فى الألفاظ يؤدى إلى الاختلاف فى الفهم .. فرواية الإمام مسلم والروايتان الأوليان للبخارى لم تذكر النطفة قط .. وانما ذكرت هذه الروايات أن الخلق يجمع كله فى بطن الأم فى أربعين يوما .. ثم يفصل الحديث مايحدث فى هذه الأربعين .. وهذا بالضبط ماذهب إليه ابن القيم عندما قال كما ذكرناه عنه قبل قليل « فيأذن الله للملك الرحم فى عقده وطبخه أربعين يوماً .. وفى تلك الأربعين يجمع خلقه » وبعد أن يذكر تفصيل مايحدث فى هذه الأربعين إلى أن ينفصل الرأس عن المنكبين بحيث يظهر للحس يقول « فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم يجمع خلقه فى أربعين يوماً .. وفيه تفصيل ما أجمل فيه » .

ومعنى أن فيه تفصيل ما أجمل فيه أن مرحلة النطفة والعلقة والمضغة تندرج جميعاً فى

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ يقتضى الإجابة إلي ما سأله ظاهرًا لكنه محمول علي ما جاء مقيداً بقوله تعالى إلى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الأولي ، أو وقت يعلم الله انتهاء أجله فيه ، وفي إسعافه إليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته.

* الإعجاز العلمى

الأربعين الذى يجمع فيه الخلق .

وذلك مايذكره الامام ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى (كتاب القدر) عن جماعة من الشراح المتأخرين الذين يرون « فيكون قوله فيكتب معطوفاً على قوله يجمع ... وأما قوله ثم يكون علقة مثل ذلك فهو من تمام الكلام الأول وليس المراد أن الكتابة لاتقع إلا عند انتهاء الأطوار الثلاثة .. فيحمل على أنه من ترتيب الأخبار لا من ترتيب الخبر به ويحتمل أن يكون ذلك من تصرف الرواة برواياتهم بالمعنى الذى يفهمونه » .

وقد ذهب إلى هذا الفهم ابن رجب الحنبلى فى كتابه « جامع العلوم والحكم » .

ومعنى ذلك أن هناك من السابقين من فهم أن خلق الإنسان يجمع فى بطن أمه فى أربعين يوما .. وفى هذه الأربعين تكتمل مراحل نموه نطفة فعلقة فمضغة ..

وهناك منهم من فهم أن خلق الإنسان إنما يتم فى مراحل .. وكل مرحلة تستغرق أربعين يوماً .. فالنطفة أربعين يوما والعلقة أربعين والمضغة أربعين ومجموع ذلك مائة وعشرون يوما .. ثم يحدث عندئذ نفخ الروح ..

ورأى كثير منهم أن ذلك يخالف الأحاديث الكثيرة التى تحدد دخول الملك فى الأربعين كما قد مر معنا فى حديث حذيفة بن اسيد الذى رواه مسلم .. « إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها » وحديثه الآخر الذى جاء فيه « يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر فى الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يارب أشقى أم سعيد فيكتبان » ..

وفى صحيح مسلم أيضاً « إن النطفة تقع فى الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك فيقول يارب ذكر أم أنثى » .

وفى مسند الإمام أحمد : « إذا استقرت النطفة فى الرحم أربعين يوماً أو أربعين ليلة بعث إليها ملك فيقول يارب شقى أم سعيد ؟ فيعلم » .

وهناك روايات أخرى ذكرنا بعضاً منها فى أول هذا البحث .. وخلاصتها جميعاً أن الملك يدخل فى الأربعين فيحدث التخليق للأعضاء المختلفة وللذكورة والأنوثة .. وتكتب الشقاوة والسعادة والرزق والأجل .

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ أى بعد أن أمهلتنى لأجتهدن فى إغوائهم بأى طريق يمكننى بسبب إغوائك إياى بواسطتهم تسمية ، أو حملاً علي الغي ، أو تكليفًا بما غويت لأجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بأقعدن فإن اللام تصد عنه فإن

* الإعجاز العلمى

وبما أن فهم رواية ابن مسعود على أساس أن مرحلة النطفة أربعين يوما ومرحلة العلقة أربعين ومرحلة المضغة أربعين تناقض هذه الروايات السابقة جميعاً فقد حاول هؤلاء العلماء التوفيق بين الروايات وبين فهمهم لرواية ابن مسعود ومثال ذلك ما قاله الإمام ابن القيم فى التبيان فى أقسام القرآن (١) :

« فإن قيل قد ذكرتم أن تعلق الروح بالجنين إنما يكون بعد الأربعين الثالثة وإن خلق الجنين يجمع فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك . . . وبينتم أن كلام الأطباء لا يناقض ما أخبر به الوحى فما تصنعون بحديث حذيفة بن أسيد الذى رواه مسلم فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل الملك فى النطفة بعدما تستقر فى الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول أى رب ذكراً أو أنثى ؟ فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص » .

قيل نتلقاه بالقبول والتصديق وترك التحريف . . ولاينافى ماذكرناه . إذ غاية مافيه أن التقدير وقع بعد الأربعين الأولى وحديث ابن مسعود يدل على أنه وقع بعد الأربعين الثالثة . . وكلاهما حق قاله الصادق صلى الله عليه وسلم . . وهذا تقدير بعد تقدير . . فالأول تقدير عند انتقال النطفة أول أطوار التخليق . . والتقدير الثانى عند كمال خلقه ونفخ الروح . فذلك تقدير عند أول خلقه وتصويره . . وهذا تقدير عند تمام خلقه وتصويره .

« فإن قيل فما تصنعون بحديثه الآخر الذى رواه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها . . ثم قال يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك مايشاء ويكتب الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على أمره ولا ينقص » . وفى لفظ آخر فى صحيح مسلم أيضا : « أن النطفة تقع فى الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك الذى يخلقها فيقول : يارب أذكر أم أنثى ؟ أسوى أم غير سوى ؟ فيجعله اللهِ سوياً أو غير سوى – ثم يقول يارب مارزقه ؟ وما أجله ؟ وما خلقه ؟ ثم يجعله الله عز وجل شقياً أو سعيداً » وقيل نتلقاه أيضاً بالتصديق والقبول وترك التحريف . . وهذا يوافق ما أجمع عليه الأطباء من أن مبدأ التخليق والتصوير بعد الأربعين . فإن قيل فكيف التوفيق بين هذا وبين حديث ابن =

القسم : ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ﴾ ترصداً بهم كما يقعد القطاع للسابلة . ﴿ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ طريق الإسلام ونصبه على الظرف كقوله :

* الإعجاز العلمي

مسعود وهو صريح فى أن النطفة : أربعين يوماً نطفة .. ثم أربعين علقة ثم أربعين مضغة .. ومعلوم أن العلقة والمضغة لا صورة فيهما ولا جلد ولا لحم ولا عظم .. والحاجة إلى التوفيق بين حديثه وحديث حذيفة بن أسيد المتقدم .. ولا تنافى بين الحديثين بحمد الله .

« وهنا تصويران : أحدهما تصوير خفى لايظهر وهو تصوير تقديرى كما تصور حين تفصل الثوب أو تنجر الباب : مواضع القطع والفصل فيعلم عليها ويضع مواضع الفصل والوصل وكذلك كل من يضع صورة فى مادة لا سيما مثل هذه الصورة .. ينشىء فيها التصوير والتخليق على التدرج شيئاً بعد شىء لا وهلة واحدة كما يشاهد بالعيان فى التخليق الظاهر فى البيضة ..

فههنا أربع مراتب :

أحدهما : تصوير وتخليق علمى لم يخرج إلى الخارج .

الثانية : مبدأ تصوير خفى يعجز الحس عن إدراكه .

الثالثة : تصوير يناله الحس ولكنه لم يتم بعد .

الرابعة : تمام التصوير الذى ليس بعده إلا نفخ الروح .

فالمرتبة الأولى علمية .. والثلاث الأخر خارجية عينية .

وهذا التصوير بعد التصوير نظير التقدير بعد التقدير .. فالرب تعالى قدر مقادير الخلائق تقديراً عاماً قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة .. وهنا كتب الشقاوة والسعادة والأعمال والأرزاق والآجال .. والثانى تقدير بعد هذا وهو أخص منه .. وهو التقدير عند القبضتين حين قبض تبارك وتعالى بيمينه وقال هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون . وقبض أهل الشقاوة باليد الأخرى وقال : هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون .

والثالث تقدير بعد هذا وهو أخص منه كما فى حديث حذيفة بن أسيد المذكور .

والرابع : تقدير آخر بعد هذا .. وهو عندما يتم خلقه وينفخ فيه الروح كما صرح به الحديث الذى قبله (حديث ابن مسعود رضى الله عنه) .

لَدنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فيه كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ (١) .

وقيل تقديره على صراطك كقولهم : ضرب زيد الظهر والبطن .

الآيات من ١٧ : ١٩

﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾

﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ﴾ أى من جميع الجهات الأربع . مثل قصده إياهم بالتسويل والإضلال من أى وجه يمكنه بإتيان العدو من الجهات الأربع ، ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت أرجلهم . وقيل لم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لأن الإتيان منه يوحش الناس . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : من بين أيديهم من قبل الآخرة، ومن خلفهم من قبل الدنيا ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم . ويحتمل أن يقال من بين أيديهم من حيث يعلمون ويقدرون علي التحرز عنه، ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون، وعن أيمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم أن يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم.

---

(١) هذا البيت لساعدة بن جؤية يصف رمحا بأنه لين يضطرب صلبه فى الكف بسبب هزه، فلا ييس فيه .

وعسل : اضطرب ، والطريق أى فى الطريق ، وحذف الجار ضرورة .

* الإعجاز العلمي

وهذا يدل على سعة علم الرب تبارك وتعالى وإحاطته بالكليات والجزئيات ..

وكذلك التصوير الثانى مطابق للتصوير العلمي والثالث مطابق للثانى .. والرابع مطابق للثالث .. وهذا مما يدل على كمال قدرة الرب تعالي ومطابقة المقدور للمعلوم .. فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين » .

وإنما عدى الفعل إلي الأولين بحرف الابتداء لأنه منهما موجه إليهم وإلى الأخيرين بحرف المجاوزة فإن الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار علي عرضهم ، ونظيره قولهم جلست عن يمينه . ﴿ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ مطيعين ، وإنما قاله ظنا لقوله تعالي ، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعدداً ومبدأ الخير واحداً ، وقيل سمعه من الملائكة .

﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا ﴾ مذموماً من ذأمه إذا ذمه . وقرئ مذموماً كمسول في مسئول أو كمكول في مكيل ، من ذامة يذيمه ذيمًا . ﴿ مَّدْحُورًا ﴾ مطروداً . ﴿ لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه : ﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ وهو ساد مسد جواب الشرط . وقرئ لمن بكسر اللام على أنه خبر لأملأن على معني : لمن تبعك هذا الوعيد ، أو علة لأخرج ولأملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب .

﴿ وَيَا آدَمُ ﴾ أي وقلنا يا آدم . ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ وقرئ هذا وهو الأصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء . ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فتصيرا من الذين ظلموا أنفسهم ، وتكونا يحتمل الجزم علي العطف والنصب على الجواب .

الآيات من ٢٠ : ٢٥

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) ﴾

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾[1] أى فعل الوسوسة لأجلهما ، وهى فى الأصل الصوت الخفى كالهيمنة والخشخشة ومنه وسوس الحلى . وقد سبق فى سورة البقرة كيفية وسوسته . ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا ﴾ ليظهر لهما ، واللام للعاقبة أو للغرض على أنه أراد أيضاً بوسوسته أن يسوءهما بانكشاف عورتيهما ، ولذلك عبر عنهما بالسوأة . وفيه دليل على أن كشف العورة فى الخلوة و عند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع .

﴿ مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾ ما غطى عنهما من عوراتهما ، وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر ، وإنما لم تقلب الواو المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت فى أويصل تصغير واصل لأن الثانية مدة وقرئ سوأتهما بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الواو وسوأتهما بقلبها واواً وإدغام الواو الساكنة فيها .

﴿ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا ﴾ إلاَّ كراهة أن تكونا . ﴿ مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ الذين لا يموتون أو يخلدون فى الجنة، واستدل به على فضل الملائكة علي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وجوابه : أنه كان من المعلوم أن الحقائق لا تنقلب وإنما كانت رغبتهما فى أن يحصل لهما أيضاً ما للملائكة من الكمالات الفطرية ، والاستغناء عن الأطعمة والأشربة ، وذلك لا يدل علي فضلهم مطلقاً .

﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ أى أقسم لهما على ذلك ، وأخرجه علي زنة المفاعلة للمبالغة . وقيل : أقسما له بالقبول . وقيل : أقسما عليه بالله أنه لمن الناصحين فأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة .

﴿ فَدَلاَّهُمَا ﴾ فنزلهما إلى الأكل من الشجرة ، نبه به على أنه أهبطهما بذلك من درجة عالية إلي رتبة سافلة ، فإن التدلية والإدلاء إرسال الشيء من أعلى إلى

---

(١) فى هذه الآية دليل على أن الوسوسة من الشيطان كانت لكل من آدم وحواء ، ولم تكن لآدم فقط كما رأي بعض العلماء المحدثين استناداً إلى آية (طه) ﴿ فوسوس إليه الشيطان ﴾ .
ويؤيد أن الوسوسة كانت لهما ما جاء في سورة البقرة : ﴿ فأزلهما الشيطان عنها ﴾ .

أسفل . ﴿ بِغُرُورٍ ﴾ بما غرهم به من القسم فإنهما ظنًا أن أحدًا لا يحلف بالله كذبا ، أو ملتبسين بغرور . ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ أى فلما وجدا طعمها آخذين فى الأكل منها أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية ، فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما .

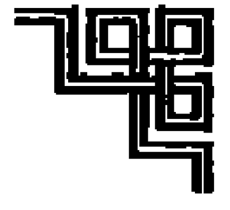
واختلف في أن الشجرة كانت السنبلة أو الكرم أو غيرهما ، وأن اللباس كان نورًا أو حلة أو ظفرًا .

﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ ﴾ أخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة . ﴿ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ قيل كان ورق التين ، وقرئ يُخصفان من أخصف أي يخصفان أنفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان وأصله يختصفان . ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ عتاب على مخالفة النهى ، وتوبيخ على الاغترار بقول العدو . وفيه دليل على أن مطلق النهى للتحريم .

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ أضررناها بالمعصية والتعريض للإخراج من الجنة . ﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ دليل على أن الصغائر معاقب عليها إن لم تغفر . وقالت المعتزلة : لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا : إنما قالا ذلك علي عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات .

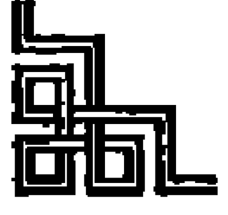
﴿ قَالَ اهْبِطُوا ﴾ الخطاب لآدم وحواء وذريتهما ، أو لهما ولإبليس . كرر الأمر له تبعًا ليعلم أنهم قرناء أبدًا وأخبر عما قال لهم متفرقًا . ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ فى موضع الحال أى متعادين . ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ استقرار أى موضع استقرار . ﴿ وَمَتَاعٌ ﴾ وتمتع . ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ إلى أن تقضى آجالكم .

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ للجزاء وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون ، وفى الزخرف كذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء .



الآيات من ٢٦ : ٢٨

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنـزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنـزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٢٨) ﴾



نعمة اللباس

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنـزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً ﴾ أى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَأَنـزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ﴾ (١) وقوله تعالي : ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ (٢) .

﴿ يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ ﴾ التى قصد الشيطان إبداءها ، ويغنيكم عن خصف الورق . روي : أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها . فنزلت . ولعله ذكر قصة آدم مقدمة لذلك حتي يعلم أن انكشاف العورة أول سوء أصاب الإنسان من الشيطان ، وأنه أغواهم فى ذلك كما أغوي أبويهم . ﴿ وَرِيشاً ﴾ ولباساً تتجملون به ، والريش الجمال . وقيل : مالاً ومنه تريش الرجل إذا تمول . وقرئ رياشاً وهو جمع ريش كشعب وشعاب .

﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ﴾ خشية الله . وقيل الإيمان . وقيل السمت الحسن . وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره . ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ أو خبر وذلك صفته كأنه قيل: ولباس التقوى المشار إليه خير . وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس التقوى بالنصب عطفاً على لباساً . ﴿ ذَلِكَ ﴾ أى إنزال اللباس . ﴿ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ الدالة على فضله ورحمته . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح .

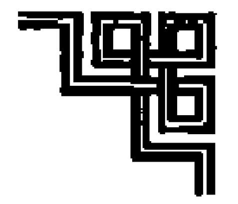
---

(١) الزمر : ٦ . (٢) الحديد : ٢٥ .

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ لا يمتحننكم بأن يمنعكم دخول الجنة بإغوائكم . ﴿ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها ، والنهى فى اللفظ للشيطان ، والمعني نهيهم عن اتباعه والافتتان به . ﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ﴾ حال من أبويكم أو من فاعل أخرج وإسناد النزع إليه للتسبب . ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ تعليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنته ، وقبيله جنوده ورؤيتهم إيانا من حيث لا نراهم فى الجملة لا تقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا . ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ بما أوجدنا بينهم من التناسب ، أو بإرسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم . والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية .

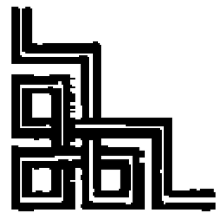
الله لا يأمر إلا بكل خير

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾ فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف . ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ إعتذروا واحتجوا بأمرين تقليد الآباء والافتراء علي الله سبحانه وتعالي ، فأعرض عن الأول لظهور فساده ورد الثاني بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ لأن عادته سبحانه وتعالي جرت علي الأمر بمحاسن الأفعال ، أو الحث على مكارم الخصال . ولا دلالة فيه على أن أقبح الفعل بمعني ترتب الذم عليه آجلاً عقلى ، فإن المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم . وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها : لم فعلتم ؟ فقالوا : وجدنا عليها آباءنا . فقيل ومن أين أخذ آباؤكم ؟ فقالوا : الله أمرنا بها . وعلي الوجهين يمتنع التقليد إذا قام الدليل على خلافه لا مطلقًا . ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ إنكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله تعالي .



الآيات من ٢٩ : ٣٢

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠) يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) ﴾



﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل وهو الوسط من كل أمر المتجافى عن طرفى الإفراط والتفريط . ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ وتوجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها ، أو أقيموها نحو القبلة . ﴿ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ فى كل وقت سجود أو مكانه وهو الصلاة ، أو فى أى مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم . ﴿ وَادْعُوهُ ﴾ واعبدوه . ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أى الطاعة فإن إليه مصيركم . ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ ﴾ كما أنشأكم ابتداء . ﴿ تَعُودُونَ ﴾ بإعادته فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة ، وإنما شبه الإعادة بالإبداء تقريراً لإمكانها والقدرة عليها . وقيل كما بدأكم من التراب تعودون إليه . وقيل : كما بدأكم حفاة عراة غرلاً تعودون . وقيل : كما بدأكم مؤمناً وكافراً يعيدكم .

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ ﴾ بأن وفقهم للإيمان . ﴿ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ بمقتضى القضاء السابق . وانتصابه بفعل يفسره ما بعده أى وخذل فريقاً . ﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ تعليل لخذلانهم أو تحقيق لضلالهم ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ يدل على أن الكافر المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم ، وللفارق أن يحمله على المقصر فى النظر .

وجوب أخذ الزينة عند المساجد

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ ﴾ ثيابكم لمواراة عورتكم . ﴿ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ لطواف أو صلاة ، ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة ، وفيه دليل علي وجوب ستر العورة في الصلاة . ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ ما طاب لكم . روى : أن بنى عامر فى أيام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام إلا قوتاً ولا يأكلون دسماً يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به ، فنزلت .

﴿ وَلا تُسْرِفُوا ﴾ بتحريم الحلال ، أو بالتعدى إلى الحرام ، أو بإفراط الطعام والشره عليه . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كل ما شئت ، والبس ما شئت ، ماأخطأتك خصلتان سرف ومخيلة . وقال على بن الحسين بن واقد : قد جمع الله الطب فى نصف آية ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ (١) ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أى لا يرتضي فعلهم .

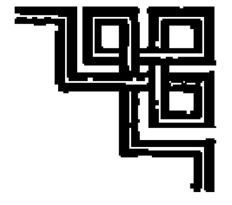
لا تحريم لزينة الله

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ ﴾ من الثياب وسائر ما يتجمل به . ﴿ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ من النبات كالقطن والكتان ، والحيوان كالحرير والصوف ، والمعادن كالدروع . ﴿ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ المستلذات من المآكل والمشارب . وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الإباحة ، لأن الاستفهام من للإنكار . ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ بالأصالة ، والكفرة وإن شاركوهم فيها فتبع . ﴿ خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ لا يشاركهم فيها غيرهم ، وانتصابها على الحال . وقرأ نافع بالرفع على أنها خبر بعد خبر . ﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الأحكام لهم .

---

(١) هذه الآية الكريمة أساس الطب بل هي جماع الطب ، يؤيدها العلم الحديث ويزكيها الأثر الكريم : « البطنة رأس الداء والحمية رأس الدواء »

والنبى ﷺ سبق فى وضع قواعد الطب حين قال فيما يرويه الإمام أحمد فى مسنده ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان فاعلا لا



الآيات من ٣٣ : ٣٧

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ

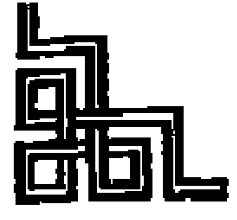
محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » رواه النسائي والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وروى الزمخشرى في تفسيره قال : يحكي أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق ، فقال لعلى بن الحسين بن واقد : ليس فى كتابكم من علم الطب شيء ، والعلم علمان ، علم الأبدان وعلم الأديان ، فقال له : قد جمع الله الطب فى نصف آية من كتابه . قال : وما هى ؟ قال : قوله تعالي : ﴿ كلواواشربوا ولا تسرفوا ﴾ فقال النصرانى : ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب ؟ فقال : قدجمع رسولنا ﷺ الطب فى ألفاظ يسيرة ، قال: وما هي ؟ قال : قوله : « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ، وأعط كل بدن ما عودته » فقال النصراني : ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا .

وفى ضوء النهى عن الإسراف ينبغى التنبيه إلى أن الإسلام هو دين الوسطية ، وهى الفضيلة لأن الفضيلة هى التوسط بين نقيضين ، والاقتصاد وسط بين البخل والإسراف . فكل شيء متوسط محمود ، وقد روي الإمام أحمد عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته علي عبده » ورواه النسائي وابن ماجة .

وكان النبى ﷺ يحب من الثياب البيض ، ويقول فى ذلك فيما يرويه ابن كثير فى تفسيره من حديث ابن عباس مرفوعا « البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم ، وإن خير أكحالكم الإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر » رواه أبو داود والترمذى وحسنه وصححه .

قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧) ﴾



﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ﴾ ماتزايد قبحه ، وقيل ما يتعلق بالفروج . ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ جهرها وسرها . ﴿ وَالْإِثْمَ ﴾ وما يوجب الإثم تعميم بعد تخصيص ، وقيل شرب الخمر . ﴿ وَالْبَغْيَ ﴾ الظلم ، أو الكبر أفرده بالذكر للمبالغة . ﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ متعلق بالبغى مؤكد له معني . ﴿ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ تهكم بالمشركين ، وتنبيه علي تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان . ﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ بالإلحاد فى صفاته سبحانه وتعالي ، والافتراء عليه كقولهم ﴿ اللَّهُ أمرنا بها ﴾ .

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ مدة ، أو وقت نزول العذاب بهم وهو وعيد لأهل مكة. ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ انقرضت مدتهم ، أو حان وقتهم . ﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ اي لا يتأخرون ولا يتقدمون أقصر وقت ، أولا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول .

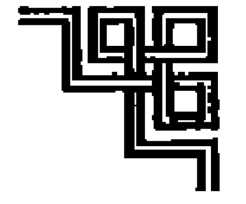
وجوب اتباع الرسل

﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على أن إتيان الرسل أمر جائز غير واجب كما ظنه أهل التعليم ، وضمت إليها ما لتأكيد معني الشرط ولذلك أكد فعلها بالنون وجوابه : ﴿ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ والمعنى فمن اتقى التكذيب وأصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم ، وإدخال الفاء فى الخبر الأول دون الثاني للمبالغة فى الوعد والمسامحة في الوعيد .

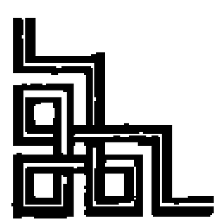
مصير المكذبين

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله . ﴿ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ مما كتب لهم من الأرزاق والآجال . وقيل الكتاب اللوح المحفوظ أي مما أثبت لهم فيه . ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ أى يتوفون أرواحهم ، وهو حال من الرسل وحتي غاية لنيلهم وهى التى يبتدأ بعدها الكلام . ﴿ قَالُوا ﴾ جواب إذا ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أى أين الآلهة التى كنتم تعبدونها ، وما وصلت بأين فى خط المصحف وحقها الفصل لأنها موصولة . ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ﴾ غابوا عنا . ﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ اعترفوا بأنهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه .



الآيات من ٣٨ : ٤٣

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) ﴾



﴿ قَالَ ادْخُلُوا ﴾ أى قال الله تعالى لهم يوم القيامة ، أو أحد الملائكة . ﴿ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم ﴾ أى كائنين فى جملة أمم مصاحبين لهم يوم القيامة . ﴿مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾ يعني كفار الأمم الماضية من النوعين . ﴿فِي النَّارِ﴾ متعلق بادخلوا. ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ ﴾ أى فى النار . ﴿ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ التى ضلت بالاقتداء بها . ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا ﴾ أى تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا فى النار . ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ ﴾ دخولا أو منزلة وهم الأتباع . ﴿ لأُولاهُمْ ﴾ أي لأجل أولاهم إذ الخطاب مع الله لا معهم . ﴿ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا ﴾ سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم . ﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ مضاعفًا لأنهم ضلوا وأضلوا . ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾ أما القادة فبكفرهم وتضليلهم ، وأما الأتباع فبكفرهم وتقليدهم . ﴿ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾ ما لكم أو ما لكل فريق . وقرأ عاصم بالياء علي الانفصال .

﴿ وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ عطفوا كلامهم على جواب الله سبحانه وتعالى لأخراهم ورتبوه عليه أى فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وإنا وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب . ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ من قول القادة أو من قول الفريقين .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾ أى عن الإيمان بها . ﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ لأدعيتهم وأعمالهم ، أو لأرواحهم كما تفتح لأعمال المؤمنين وأرواحهم لتتصل بالملائكة . والتاء فى تفتح لتأنيث الأبواب والتشديد لكثرتها . وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء ، لأن التأنيث غير حقيقى والفعل مقدم . وقرئ على البناء للفاعل ونصب الأبواب بالتاء على أن الفعل للآيات وبالياء لأن الفعل لله .

﴿ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ أى حتى يدخل ما هو مثل الجمل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الإبرة ، وذلك مما لا يكون فكذا ما يتوقف عليه . وقرئ الجمَّل كالقمَّل ، والجُمَل

كالنُّغَر ، والجُمْل كالقفل ، والجَمَل كالنصب ، والجَمْل كالحبل ، وهو الحبل الغليظ من القنَّب ، وقيل حبل السفينة . وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم . ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ ومثل ذلك الجزاء الفظيع . ﴿ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ فراش . ﴿ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ أغطية (١) ، والتنوين فيه للبدل عن الإعلال عند سيبويه ، وللصرف عند غيره . وقرئ غواشٌ على إلغاء المحذوف . ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين أخري إشعارا بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الأوصاف الذميمة ، وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيهاً على أنه أعظم الأجرام .

جزاء المؤمنين بالرسل

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ على عادته سبحانه وتعالى فى أن يشفع الوعيد بالوعد ، ولا نكلف نفساً إلا وسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم بما تسعه طاقاتهم ويسهل عليهم . وقرئ لا تكلف نفس .

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ أى نخرج من قلوبهم أسباب الغل ، أو نطهرها منه حتى لا يكون بينهم إلا التوادُّ . وعن على كرم الله وجهه : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (٢) . ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ

---

(١) مفردها غاشية وهى الغطاء .

(٢) جاء فى نزع الغل من صدور المؤمنين يوم القيامة قوله ﷺ ـ فيما يرويه البخارى من حديث أبى سعيد الخدري : « إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم فى الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة ، فوالذى نفسى بيده إن أحدهم بمنزله فى الجنة أدل منه بمسكنه كان فى الدنيا » مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٠٣ .

﴿الأَنْهَارُ﴾ زيادة في لذتهم وسرورهم . ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ للَّه الَّذي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ لما جزاؤه هذا . ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ لولا هداية الله وتوفيقه(١) اللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله . وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على أنها مبينة للأولي .

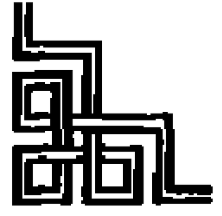
﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ فاهتدينا بإرشادهم . يقولون ذلك اغتباطًا وتبجحًا بأن ما علموه يقينًا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الآخرة . ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ ﴾ إذا رأوها من بعيد ، أو بعد دخولها والمنادى له بالذات . ﴿ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أى أعطيتموها بسبب أعمالكم ، وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الإشارة ، أو خبر والجنة صفة تلكم وأن فى المواقع الخمسة هى المخففة أو المفسرة لأن المناداة والتأذين من القول .

---

(١) روى النسائي وابن مردويه واللفظ له من حديث أبي بكر بن عياش بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كل أهل الجنة يرى مقعدة من النار فيقول : لولا أن الله هدانى فيكون له شكرا ، وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول : لو أن الله هدانى فيكون له حسرة » ويقول ابن كثير تعقيبا على هذا الحديث : ولهذا لما أورثوا مقاعد أهل النار من الجنة نودوا ﴿ أن تلكم الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ أى بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة وتبوأتم منازلكم بحسب أعمالكم ، وإنما وجب الحمل على هذا لما ثبت فى الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : « واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله الجنة، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل» .

الآيات من ٤٤ : ٤٩

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) ﴾



محاورة بين أهل الجنة وأهل النار

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ إنما قالوه تبجحاً بحالهم وشماتة بأصحاب النار وتحسيراً لهم ، وإنما لم يقل ماوعدكم كما قال ماوعدنا لأن ماساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصاً وعده بهم ، كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة ﴿ قَالُوا نَعَمْ ﴾ وقرأ الكسائي بكسر العين وهمالغتان . ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ﴾قيل هو صاحب الصور، ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾بين الفريقين ﴿ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ وقرأ ابن كثير في رواية للبزي وابن عامر وحمزة والكسائي أن لعنة الله بالتشديد والنصب ، قرئ إن بالكسر علي إرادة القول أو إجراء أذن مجري قال .

﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ صفة للظالمين مقررة، أو ذم مرفوع أومنصوب، ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾زيغاً وميلاً عما هو عليه ، والعوج بالكسر في المعاني والأعيان مالم تكن منتصبة ،وبالفتح ما كان في المنتصبة كان كالحائط والرمح .﴿ وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ .

أصحاب الأعراف

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾أي بين الفريقين لقوله تعالي ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ ﴾(١) ﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ ﴾وعلي أعراف الحجاب أي أعاليه ،وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس والعرف ما ارتفع من الشئ فإنه يكون لظهوره أعرف من غيره. ﴿ رِجَالٌ ﴾ طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتي يقضي الله سبحانه وتعالي فيهم ما يشاء. وقيل قوم علت درجاتهم كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أوالشهداء رضي الله تعالي عنهم أو أخيار المؤمنين وعلماؤهم، أوملائكة يرون في صورة الرجال، ﴿ يَعْرِفُونَ كُلاًّ ﴾ من أهل الجنة ﴿ بِسِيمَاهُمْ ﴾ بعلامتهم التي أعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده ، فعل من سام إبله إذا أرسلها في المرعي معلمة، أومن وسم علي القلب كالجاه من الوجه ،وإنما يعرفون ذلك بالإلهام أوتعليم الملائكة ، ﴿ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي إذا نظروا إليهم سلموا عليهم . ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ حال من الواو علي الوجه الأول ومن أصحاب علي الوجوه الباقية.

﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا ﴾ نعوذ بالله.﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾أي في النار.

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾من رؤساء الكفرة. ﴿ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾كثرتكم أوجمعكم المال. ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾عن الحق ، أو علي الخلق ، وقرئ تستكثرون من الكثرة.

﴿ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾من تتمة قولهم للرجال. والإشارة إلي ضعفاء أهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون أن الله لايدخلهم الجنة. ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ أي فالتفتوا إلي أصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو أوفق للوجوه الأخيرة، أو فقيل لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة بفضل الله سبحانه وتعالي بعد أن حبسوا حتي أبصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا . وقيل لما عيروا أصحاب النار أقسموا

(١) الحديد : ١٣

أن أصحاب الأعراف لايدخلون الجنة فقال الله سبحانه وتعالي أوبعض الملائكة أهؤلاء الذين أقسمتم . وقرئ ادخلوا ودخلوا علي الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولاً لهم لا خوف عليكم .

الآيات من ٥٠ : ٥٢

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

استغاثة أهل النار بأهل الجنة

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾أي صبوه وهو دليل علي أن الجنة فوق النار ، ﴿ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾من سائر الأشربة ليلائم الإفاضة ، أو من الطعام كقوله : علفتها تبناً وماء بارداً ﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾منعهما عنهم منع المحرم من المكلف .

﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو صرف الهم بما لايحسن أن يصرف به، واللعب طلب الفرح بما لايحسن أن يطلب به . ﴿ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ ﴾نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار . ﴿ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له . ﴿ وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾وكما كانوا منكرين أنها من عند الله .

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ ﴾ بينا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ مفصلة ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾عالمين بوجه تفصيله حتي جاء حكيماً وفيه دليل علي أنه سبحانه وتعالي عالم بعلم ، أو مشتملاً علي علم يكون حالاً من المفعول ، وقرئ فضلناه أي علي سائر الكتب عالمين بأنه حقيق بذلك. ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ حال من الهاء.

الآيات من ٥٣ : ٥٥

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣) إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) ﴾ .

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ ينتظرون .﴿إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ إلا ما يؤول إليه أمره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد . ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ ﴾ تركوه ترك الناسي .﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾أي قد تبين أنهم جاءوا بالحق ، ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾اليوم .﴿ أَوْ نُرَدُّ﴾ أو هل نرد إلي الدنيا ، وقرئ بالنصب عطفاً علي فيشفعوا ، أو لأن أو بمعني إلي أن ، فعلي الأول المسئول أحد الأمرين الشفاعة أوردهم إلي الدنيا ، وعلي الثاني أن يكون لهم شفعاء إما لأحد الأمرين أو لأمر واحد وهو الرد . ﴿ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع أي فنحن نعمل . ﴿ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ بصرف أعمارهم في الكفر .﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ بطل عنهم فلم ينفعهم .

من مظاهر قدرة الله تعالي

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أي في ستة أوقات كقوله : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾(١) أو في مقدار ستة أيام ، فإن المتعارف باليوم زمان طلوع الشمس إلي غروبها ولم يكن حينئذ ، وفي خلق الأشياء

---

(١) الأنفال : ١٦

مدرجاً مع القدرة علي إيجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث علي التأني في الأمور، ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ استوي أمره أو استولي ، وعن أصحابنا أن الاستواء علي العرش صفة لله بلا كيف ، والمعني : أن له تعالي استواء علي العرش علي الوجه الذي عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن.

والعرش الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لارتفاعه ، أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير تنزل منه وقيل الملك.

﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به ، أو لأن اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار ، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وأبو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة علي التكرير . ﴿ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾ يعقبه سريعاً كالطالب له لايفصل شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أوحال من الفاعل بمعني حاثاً ، أو المفعول بمعني محثوثاً .

﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾ بقضائه وتصريفه ونصبها العطف علي السموات ونصب مسخرات علي الحال، وقرأ ابن عامركلها بالرفع علي الابتداء والخبر . ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ فإنه الموجد والمتصرف ، ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ تعالي بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله سبحانه وتعالي أعلم ، أن الكفرة كانوا متخذين أرباباً فبين لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله سبحانه وتعالي ، لأنه الذي له الخلق والأمر فإنه سبحانه وتعالي خلق العالم علي ترتيب قويم وتدبير حكيم فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار إليه بقوله تعالي ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾(١) وعمد إلي إيجاد الأجرام السفلية فخلق جسماً قابلاً للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والأفعال وأشار إليه بقوله ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ ﴾ أى ما فى جهة السفل فى يومين ، ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولا وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله ﴿ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾(٢) ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي

---

(١) فصلت : ١٢ (٢) فصلت : ٩

أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾(١) أي مع اليومين الأولين لقوله تعالي في سورة السجدة ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ** ﴾(٢) ثم لما تم له عالم الملك عمد إلي تدبيره كالملك الجالس علي عرشه لتدبير المملكة ، فدبر الأمر من السماء إلي الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والأيام ، ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾(٣) ثم أمرهم بأن يدعوه متذللين مخلصين فقال .

﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** ﴾ أي ذوي تضرع وخفية فإن الإخفاء دليل الإخلاص .﴿ **إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره ، نبه به علي أن الداعي ينبغي أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والصعود إلي السماء ، وقيل : هو الصياح في الدعاء والإسهاب فيه ، وعن النبي ﷺ « **سيكون قوم يعتدون في الدعاء ،وحسب المرء أن يقول : اللهم إني أسألك الجنة وماقرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وماقرب إليها من قول وعمل ثم قرأ إنه لايحب المعتدين** »(٤)

---

(١) فصلت : ١٠ . (٢) السجدة : ٤ . (٣) الأعراف : ٥٤

(٤) أخرجه أبو يعلى من رواية شعبة عن زياد بن مهران عن قيس بن عنان مولى لسعد بن سعد سمع ابنا له يقول : « اللهم إني أسألك الجنة وغرفهاوكذا وكذا ، وأعوذ بك من النار وأغلالها و كذا وكذا . فقال : لقد سألت الله خيرا وتعوذت به من شر كثير وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : سيكون قوم يعتدون في الدعاء ، وبحسبك أن تقول : اللهم إني أسألك الجنة .. الخبر ،قال في آخره : لا أدرى قوله : وبحسبك إلى آخره من قول سعد أو من قول النبي ﷺ ، ورواه أبو داود الطيالسي والبيهقي في الدعوات . . ورواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم ـ من تعليق الكشاف ـ .

الآيات من ٥٦ : ٥٨

﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (٥٨) ﴾.

﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ﴾ بالكفر والمعاصي .﴿ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴾ ببعث الأنبياء وشرع الأحكام ، ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ ذوي خوف من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم ، وطمعا في إجابته تفضلاً وإحساناً لفرط رحمته ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ترجيح للطمع وتنبيه علي ما يتوسل به للإجابة، وتذكير قريب لأن الرحمة بمعني الرحم ، أو لأنه صفة محذوف أي أمر قريب، أوعلي تشبيهه بفعيل الذي هو بمعني مفعول ،أو الذي هو مصدر كالنقيض، أو الفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ ﴾ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح علي الوحدة، ﴿ بُشْرًا ﴾جمع نشور بمعني ناشر، وقرأ ابن عامر نشراً بالتخفيف حيث

---

* الإعجاز العلمي

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

نتأمل سويا إبداع الخالق سبحانه وتعالى فى تصريف الرياح التى تحمل السحاب الثقال والتى يظن كثير من الناس أن السحاب شيء خفيف ضعيف فها هو القرآن العظيم يقر فى زمن التنزيل منذ أكثر من خمسة عشر قرنا مايقره العلم الحديث ودعونا نطوف حول

وقع وحمزة والكسائي نشراً بفتح النون حيث وقع علي أنه مصدر في موقع الحال بمعني ناشرات ، أومفعول مطلق فإن الإرسال والنشر متقاربان ، وعاصم بشراً وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشراً بفتح الباء مصدر بشره بمعني باشرات ، أوللبشارة وبشري، ﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ قدام رحمته ، يعني المطر فإن الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره ، والدبور تفرقه ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ ﴾ أي

* الإعجاز العلمي

معانى هذه الآية بصورة أعمق فنقول :

المطر والبرد والثلج

تتألف الغيوم من ملايين عديدة من قطيرات الماء المتكاثفة من بخار الماء فى تيارات الهواء الصاعدة والقطيرات من الدقة والخفة بحيث تبقى طافية فى الجو وأحيانا تتجمع هذه القطيرات معا فى قطرات كبيرة لاتستطيع تيارات الهواء الصاعد حملها فتسقط مطرا.

وفى بعض السحب الرعادة الضخمة القاتمة قد تبلغ البرودة درجة تتحول فيها الرطوبة إلى بلورات جليدية . ويحدث ذلك على الأغلب فى أجزاء السحابة العلوية ، بينما تظل الرطوبة فى الأجزاء السفلى قطيرات ماء سائلة مفرطة التبريد فإذا ما اصطدمت بعض البلورات الجليدية بهذه القطيرات الفائقة البرودة تجمدت حولها القطيرات فورا مكونة طبقة جليديه حول البلورات . وبسقوط الكريات الجليدية عبر السحابة تزداد الحبيبات كبرا كلما اصطدمت بقطيرات ماء مفرطة التبريد تتجمد حولها . وقد تعود هذه الكريات إلى الصعود بفعل التيارات العنيفة داخل هذه السحب الضخمة فيتجمع حولها مزيد من الطبقة الجليدية . وقد يتكرر ذلك عدة مرات تغادر الحبيبات الجليدية فى نهايتها السحابة حبات كبيرة من البرد وأحيانا تبلغ حبات البرد حجما يقارب حجم كرات التنس وتسبب أمثال هذه الحجارة البردية تلفا بالغا وبخاصة فى المحاصيل .

والثلج هو أيضا جليد متساقط لكن الكسف الثلجية تختلف فى طريقة تكونها عن الحجارة البردية ففى أعالى الجو حينما تشتد البرودة يتحول بخار الماء أحيانا إلى بلورات جليدية مباشرة دون أن يتحول أولا إلى قطيرات ماء . وتتكون البلورات الجليدية غالبا حينما يكون بخار الماء فى الهواء قليلا .

وتنساق البلورات الجليدية مع تيارات الهواء وقد تتجمع معا فتسقط كسفا جليدية .

حملت ، واشتقاقه من القلة فإن المقل للشئ يستقله ، ﴿ سَحَابًا ثِقَالاً ﴾ بالماء جمعه لأن السحاب جمع بمعني السحائب ﴿ سُقْنَاه ﴾ أي السحاب وإفراد الضمير باعتبار اللفظ ﴿ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ لأجله أولإحيائه أولسقيه وقرئ ميت .﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ﴾ بالبلد أوبالسحاب أو بالسوق أوبالريح وكذلك، ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴾ ويحتمل فيه عود الضمير إلي الماء ، وإذا كان للبلد فالباء للإلصاق في الأول وللظرفية في الثاني ، وإذا كان لغيره فهي للسببية فيهما .﴿ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ من كل أنواعها ﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ ﴾ الإشارة فيه إلي إخراج الثمرات ، أو إلي

* الإعجاز العلمي

مياه المطر ـ إلى أين ؟

المطر والبرد والثلج هى وسائط عودة الماء إلى الأرض ، ولولا ذلك لاستحالت الحياة على سطح هذا الكوكب . ماذا يحدث للمطر بعد سقوطه ؟ بعضه يسقط فى البحار فيعود جزء منها تعويضا عن الماء الذى تفقده على الدوام بالتبخر .

والمطر الذى يسقط على تربة مسطحة تمتصه التربة وتمتلىء به الفجوات الدقيقة بين حبيبات التربة إلى عمق عدة أمتار . وهذا هو فى الواقع الماء الذى تفيد منه النباتات . فتمتصه جذورها عبر شعيراتها الدقيقة وتوصله إلى الساق ومنها إلى الأوراق لاستخدامه فى عملية صنع الغذاء وبفضل الماء تحتفظ الساق والأوراق باكتنازها وصلابتها . ويشكل الماء الجوفى مخزونا مائيا ضخما لاينصب بالكامل أبدا . إذ يعوض المطر مايتبخر منه من سطح الأرض ومن أوراق النبات .

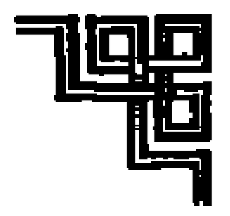
يسقط المطر أيضا على التلال والجبال فينساب منها فى نهيرات صغيرة تتجمع روافد وجداول لتكون نهرا ، ويندفع الماء سريعا حيث يشتد الانحدار .

فيحفر لنفسه واديا عميقا ، لكنه حيث يخف الانحدار يتخذ مجرى أوسع وأقل عمقا ، وكذلك تنخفض سرعة جريانه . وحين يبلغ النهر الأراضى الخفيضة المستوية يبطىء سيره كثيراً وتكثر فى مجراه العطفات والتمعجات . وفى نهاية المطاف يبلغ النهر البحر ويصب فيه .

فى بعض الأحيان يعبر النهر صخوراً جيرية فيحفر فيها أخاديد وفجوات عميقة وقد يتخذ له مجرى تحت الأرض . وفى أثناء انطلاقه إلى البحر يذيب الماء الصخور الجيرية ببطء ويكون أنفاقاً ومغاور جوفية (تحت سطحية) .

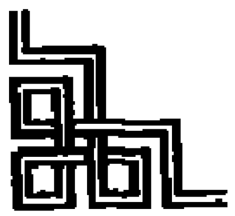
إحياء البلد الميت أي كما نحييه بإحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات ، نخرج الموتي من الأجداث ونحييها برد النفوس إلي مواد أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوي والحواس. ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ فتعلمون أن من قدر علي ذلك قدر علي هذا .

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ ﴾ الأرض الكريمة التربة. ﴿ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ بمشيئته وتيسيره ، عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لأنه أوقعه في مقابلة ، ﴿ الَّذِي خَبُثَ ﴾ أي كالحرة والسبخة. ﴿ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا ﴾ قليلاً عديم النفع ونصبه علي الحال وتقدير الكلام ، والبلد الذي لايخرج نباته إلا نكداً فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعاً مستتراً وقرئ يخرج أي يخرجه البلد فيكون إلا نكداً مفعولاً ونكداً علي المصدر ذا نكد ونكداً بالإسكان للتخفيف ﴿ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ﴾ نرددها ونكررها ﴿ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها ، والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ، ولمن لم يرفع إليها رأساً ولم يتأثر بها . .



الآيات من ٥٩ : ٦٥

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٦٥) ﴾.



من قصص الأنبياء قصة نوح

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ جواب قسم محذوف ، ولاتكاد تطلق هذه اللام إلا مع قد لأنها مظنة التوقع فإن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ، ونوح ابن لمك بن متوشلح بن إدريس أول نبي بعده ، بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين ، ﴿ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ أي اعبدوه وحده لقوله تعالي ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ وقرأ الكسائي غيره بالكسر نعتاً أوبدلا علي اللفظ حيث وقع إذا كان قبل إله من التي تخفض ، وقرئ بالنصب علي الاستثناء .﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ إن لم تؤمنوا ، وهو وعيد وبيان للداعي إلي عبادته واليوم يوم القيامة ، أويوم نزول الطوفان .

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ﴾ أي الأشراف فإنهم يملئون العيون رواء .﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ زوال عن الحق . ﴿ مُّبِينٍ ﴾ بين .

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ﴾ أي شئ من الضلال ، بالغ في النفي كما بالغوا في الإثبات وعرض لهم به ﴿ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ استدراك باعتبارمايلزمه ، وهو كونه علي هدي كأنه قال: ولكني علي هدي في الغاية لأني رسول من الله سبحانه وتعالي .

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ صفات لرسول أواستئناف ، ومساقها علي الوجهين لبيان كونه رسولاً ، وقرأ أبو عمرو أبلغكم بالتخفيف ، وجمع الرسالات لاختلاف أوقاتها أولتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والأحكام ، أو لأن المراد بها ماأوحي إلي وإلي الأنبياء قبله ، كصحف شيث وإدريس وزيادة اللام في لكم للدلالة علي إمحاض[1] النصح لهم ، وفي أعلم من الله تقريراً لما أوعدهم به فإن معناه أعلم من قدرته وشدة بطشه ، أو من جهته بالوحي أشياء لاعلم لكم بها .

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ ﴾ الهمزة للانكار والواو للعطف علي محذوف أي أكذبتم وعجبتم ﴿ أَن جَاءَكُمْ ﴾ من أن جاءكم . ﴿ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ رسالة أوموعظة ،

---

(١) إمحاض النصح : إخلاصه .

﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ علي لسان رجل . ﴿ مِّنكُمْ ﴾من جملتكم أو من جنسكم فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون ﴿ولَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾(١) ﴿لِيُنذِرَكُمْ ﴾ عاقبة الكفر والمعاصي ﴿ولِتَتَّقُوا﴾ منهما بسبب الإنذار .﴿ ولَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ بالتقوي وفائدة حرف الترجي التنبيه علي أن التقوي غير موجب والترحم من الله سبحانه وتعالي تفضل ، وأن المتقي ينبغي أن لايعتمد علي تقواه ولايأمن من عذاب الله تعالي .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ وهم من آمن به وكانوا أربعين رجلاً وأربعين آمرأة ، وقيل: تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به .﴿ فِي الْفُلْكِ﴾ متعلق بمعه أوبأنجيناه ، أوحال من الموصول أو من الضمير في معه ﴿ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عمي القلوب غير مستبصرين، وأصله عميين فخفف وقرئ عامين والأول أبلغ لدلالته علي الثبات .

قصة هود

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ ﴾ عطف علي نوحاً إلي قومه . ﴿ هُودًا﴾ عطف بيان لأخاهم والمراد به الواحد منهم ، كقولهم يا أخا العرب للواحد منهم ، فإنه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وقيل هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام نبن نوح ، وقيل هود بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد ، وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لقوله وأعرف بحاله وأرغب في اقتفائه ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ استأنف به ولم يعطف كأنه جواب سائل قال: فما قال لهم حين أرسل؟ وكذلك جوابهم ، ﴿ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ عذاب الله ، وكأن قومه كانوا أقرب من قوم نوح عليه الصلاة والسلام ولذلك قال : أفلا تتقون .

---

(١) المؤمنون : ٢٤ .

الآيات من ٦٦ : ٧٠

﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) ﴾.

﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴾ إذ كان من أشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ متمكناً في خفة عقل راسخاً فيها حيث فارقت دين قومك ﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾.

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾.

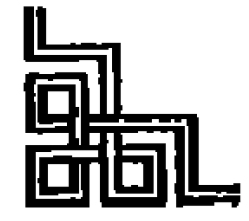
﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ سبق تفسيره ، وفي إجابة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا والإعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله ﴿ وأنا لكم ناصح أمين ﴾ تنبيه علي أنهم عرفوه بالأمرين ، وقرأ أبوعمرو أبلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الأحقاف مخففا ، ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ أي في مساكنهم ، أو في الأرض بأن جعلكم ملوكاً فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل عالج إلي شجر عمان ، خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بإنعامه ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾ قامة وقوة . ﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ ﴾ تعميم بعد تخصيص ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لكي يفضي بكم ذكر النعم إلي شكرها المؤدي إلي الفلاح.

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾استبعدوا اختصاص

الله بالعبادة والإعراض عما أشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحباً لما ألفوه ومعني المجئ في أجئتنا إما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه أو من السماء علي التهكم ، أوالقصد علي المجاز كقولهم ذهب يسبني ، .﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون ﴿ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ فيه

الآيات من ٧١ : ٧٤

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٧١) فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) ﴾ .



﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم ﴾قد وجب عليكم ، . أو نزل عليكم لأن المتوقع كالواقع . ﴿مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب. ﴿وَغَضَبٌ﴾ إرادة انتقام .﴿ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ أي في أشياء سميتموها آلهة وليس فيها معني الإلهية، لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل ، وأنها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالي إما بإنزال أوبنصب حجة بين أن منتهي حجتهم وسندهم أن الأصنام تسمي آلهة من غير دليل يدل علي تحقق المسمي ، وإسناد الإطلاق إلي من لايؤبه بقوله إظهاراً لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم ، واستدل به علي أن الاسم هو المسمي وأن اللغات توقيفية إذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والإبطال بأنها أسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطاناً وضعفهما ظاهر .﴿ فَانتَظِرُوا ﴾ لما وضح الحق وأنتم مصرون علي العناد نزول العذاب بكم .﴿ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ .

﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ في الدين . ﴿ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ﴾ عليهم . ﴿ وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ أي استأصلناهم . ﴿ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ تعريض بمن آمن منهم ، وتنبيه علي أن الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الإيمان ، روي أنهم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم هوداً فكذبوه ، وازدادوا عتواً فأمسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتي جهدهم ، وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم إذا نزل بهم بلاء توجهوا إلي البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج ، فجهزوا إليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين، من أعيانهم ، وكان إذ ذاك بمكة العمالقة أولاد عمليق ابن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر ، فلما قدموا عليه وهو بظاهرمكة أنزلهم وأكرمهم ، وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له(١) فلما رأي ذهولهم باللهو عما بعثوا له أهمه ذلك واستحيا أن يكلمهم فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين :

ألا يَا قيلُ ويَحْــكَ قُمْ فَهَيْنِمْ ... لعـلَّ اللهَ يُسْقِينا الغَـــماماَ
فيُــسْقِي أرْض عـادٍ إن عــاداً ... قد امْسوا مايُبِينُون الكلاما(٢) .

حتي غنتا به ، فأزعجهم ذلك فقال مرثد : والله لاتسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلي الله سبحانه وتعالي سقيتم ، فقالوا لمعاوية : أحبسه عنا لايقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ، ثم دخلوا مكة فقال قيل : اللهم اسق عاداً ماكنت تسقيهم ، فأنشأ الله تعالي سحابات ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء ياقيل : اختر لنفسك ولقومك ، فقال اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء، فخرجت علي عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها

(١) قينتان : مثنى قينة وهى المغنية .

(٢) هذان بيتان من أبيات متعددة وبعدهما :

من العطش الشديد فليس نرجو ... لها الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخــــير ... فقد أمست نساؤهم عَيامى
وإن الوحش يأتيهم جــــهارا ... فلا يخشى لعاديٍّ ســـهاما
وأنتم ههنا فيــما اشتهـــيتم ... نهاركمو وليكمو التــماما
فَقُبح وفدكم من وفـد قــوم ... ولا لقوا التحية والســــلاما

وقالوا: هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم(١) ونجا هود والمؤمنون معه ، فأتوا مكة وعبدوا الله سبحانه وتعالي فيها حتي ماتوا.

قصة صالح

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ ﴾ قبيلة أخري من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عابر ابن إرم بن سام بن نوح ، وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل ، وقرئ مصروفاً بتأويل الحي أو باعتبار الأصل ، وكانت مساكنهم الحجْر بين الحجاز والشام إلي وادي القري . ﴿ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح ابن عبيد بن حاذر بن ثمود ، ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾معجزة ظاهرة الدلالة علي صحة نبوتي وقوله : ﴿ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ﴾استئناف لبيانها ، وآية نصب علي الحال والعامل فيها معني الإشارة، ولكم بيان لمن هي له آية ، ويجوز أن تكون ناقة الله بدلاً أوعطف بيان ولكم خبراً عاملاً في آية ، وإضافة الناقة إلي الله لتعظيمها ولأنها جاءت من عنده بلاوسائط وأسباب معهودة ولذلك كانت آية . ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ﴾ العشب . ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ﴾ نهي عن المس الذي هو مقدمة الإصابة بالسوء

---

(١) قد حكى القرآن قصة هذه السحابة التى أمطرتهم عذابًا فقال فى سورة الأحقاف :
﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢٦) ﴾ الأحقاف : ٢١ ـ ٢٦ .

الجامع لأنواع الأذي مبالغة في الأمر وإزاحة للعذر .﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ جواب للنهي .

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أرض الحجر، ﴿ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾ أي تبنون في سهولها، أو من سهولة الأرض بما تعملون منها كاللبن والآجر، ﴿ وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالإشباع ، وانتصاب بيوتاً علي الحال المقدرة أوالمفعول علي أن التقدير بيوتاً من الجبال ، أوتنحتون بمعني تتخذون .﴿ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .

الآيات من ٧٥ : ٧٩

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴾ .

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴾ أي عن الإيمان ، ﴿ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾ أي للذين استضعفوهم واستذلوهم . ﴿ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ بدل من الذين استضعفوا بدل الكل إن كان الضمير لقومه وبدل البعض إن كان للذين ، وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو ، ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾قالوه علي الاستهزاء .﴿ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيهاً علي أن إرساله أظهر من أن يشك فيه عاقل ويخفي علي ذوي رأي ، وإنما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال :

﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ علي وجه المقابلة ، ووضعوا آمنتم به موضع أرسل به رداً لما جعلوه معلوماً مسلماً .

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ﴾ فنحروها ، أسند إلي جميعهم فعل بعضهم للملابسة ، أو لأنه كان برضاهم ، ﴿ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ واستكبروا عن امتثاله ، وهو ما بلغهم صالح عليه الصلاة والسلام بقوله : فذروها . ﴿ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلة ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ خامدين ميتين ، روي : أنهم بعد عاد عمروا بلادهم ، وخلفوهم وكثروا ، وعمروا أعماراً طوالاً لاتفي بها الأبنية ، فنحتوا البيوت من الجبال ،وكانوا في خصب وسعة فعتوا وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأصنام ، فبعث الله إليهم صالحاً من أشرافهم فأنذرهم، فسألوه آية فقال أية آية تريدون قال: اخرج معنا إلي عيدنا فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع ، فخرج معهم فدعوا أصنامهم فلم تجبهم ، ثم أشار سيدهم جندع بن عمرو إلي صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له: أخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء إن فعلت صدقناك ، فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا : نعم ، فصلي ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولداً مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ، ومنع الباقين من الإيمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صغر كاهنهم ، فمكثت الناقة مع ولدها ترعي الشجر وترد الماء غبا[1] فما ترفع رأسها من البئر حتي تشرب كل ما فيه ثم تتفحج[2] فيحلبون ماشاءوا حتي تمتلئ أوانيهم ، فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلي بطنه ، وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم إلي ظهره ، فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار ، فعقروها واقتسموا لحمها ، فرقي سقبها [3] جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم : أدركوا الفصيل عسي أن يُرْفع عنكم العذاب ، فلم يقدروا عليه إذا انفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح : تصبح وجوهكم غداً مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ، فلما رأوا

---

(١) غبًّا : يوما بعد يوم . (٢) تتفحج : تفرج ما بين رجليها

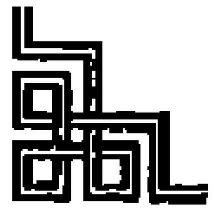
(٣) سقبها : ولدها

العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلي أرض فلسطين ، ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا .

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴾ . ظاهره أن توليه عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين ، ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله ﷺ أهل قليب بدر وقال ﴿ إناوجدنا ماوعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ﴾ أو ذكر ذلك علي سبيل التحسر عليهم (١) .

الآيات من ٨٠ : ٨٤

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) ﴾ .



قصة لوط

﴿ وَلُوطًا ﴾ أي وأرسلنا لوطاً ، ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾ وقت قوله لهم أو واذكر لوطاً وإذ بدل منه ، ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾ توبيخ وتقريع علي تلك الفعلة المتمادية في القبح ، ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ مافعلها قبلكم أحد قط ،

(١) ذكرالزمخشرى فى الكشاف أن النبى ﷺ حين مر بالحجر فى غزوة تبوك قال لأصحابه : « لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ، ولا تدخلواعلى هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذى أصابهم » متفق عليه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

وروي أن رسول الله ﷺ قال : « يا على ، أتدري من أشقى الأولين ؟ قال : الله ورسوله أعلم ،قال : عاقر ناقة صالح ، أتدرى من أشقى الآخرين ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : قاتلك . أخرجه ابن اسحاق فى المغازى .

والباء للتعدية ومن الأولي لتأكيد النفي والاستغراق ، والثانية للتبعيض ،والجملة استئناف مقرر للإنكار كأنه وبخهم أولاً بإتيان الفاحشة ثم باختراعها فإنه أسوأ .

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ﴾بيان لقوله ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾وهو أبلغ في الإنكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص إنكم علي الإخبار المستأنف وشهوة مفعول له أومصدر في موقع الحال وفي التقييد بهاوصفهم بالبهيمية الصرفة، وتنبيه علي أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلي المباشرة طلب الولد وبقاء النوع ،لاقضاء الوطر . ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ إضراب عن الإنكار إلي الإخبار عن حالهم التي أدت بهم إلي ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل شئ ،أو عن الإنكار عليها إلي الذم علي جميع معايبهم ، أو عن محذوف مثل لاعذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الإسراف .

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾ أي ما جاءوا بما يكون جوابا عن كلامه ، ولكنهم قابلوا نصحه بالأمر بإخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا : ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ أي من الفواحش .

﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ﴾أي من آمن به .﴿ إِلاَّ امْرَأَتَهُ ﴾ استئناف من أهله فإنها كانت تُسر (١) الكفر ﴿ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور .

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً ﴾ أي نوعاً من المطر عجيباً وهو مبين بقوله ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾(٢) ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾روي : أن لوط بن هاران بن تارح لما هاجر مع عمه إبراهيم عليه السلام إلي الشام نزل بالأردن فأرسله الله إلي أهل سدوم ليدعوهم إلي الله وينهاهم عما

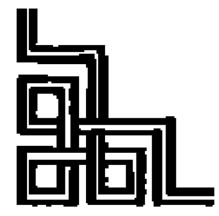
(١) وقد ضرب الله المثل بكفرها وهى وأمرأة نوح إذ قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ التحريم : ١٠ .

(٢) هود : ٨٢ ، الحجر : ٧٤ .

اخترعوه من الفاحشة ، فلم ينتهوا عنها فأمطر الله عليهم الحجارة فهلكوا ، وقيل: خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة علي مسافريهم (١) .

الآيات من ٨٥ : ٨٧

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) ﴾ .



قصة شعيب

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ أي وأرسلنا إليهم ،وهم أولاد مدين بن إبراهيم

---

(١) جاءت في هلاك قوم لوط أخبار . قال مجاهد فيما يرويه ابن كثير في تفسيره : أخذ جبريل قوم لوط وحملهم بمواشيهم وأمتعتهم ورفعهم حتي سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم كفأها .

وقال قتادة وغيره : بلغنا أن جبريل عليه السلام لما أصبح نشر جناحه فانتسف بها أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وأشجارها وجميع ما فيها فضمها في جناحه فحواها وطواها في جوف جناحه ثم صعد بها إلى السماء الدنيا حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب ثم قلبها فأرسلها إلى الأرض منكوسة ، فدمر بعضها بعضا ، فجعل عاليها سافلها ،وأتبعها حجارة من سجيل .

وقال محمد بن كعب القرظي : كانت قري قوم لوط خمس قريات : سدوم وهي العظمى ، وصعبة ،وصعود ، وغمرة ، ودوحاء . احتملها جميعا جبريل بجناحه ثم قلبها فقتلهم وأهلكهم وما حولهم من المؤتفكات ، فذلك قوله تعالى : ﴿ والمؤتفكة أهوى ﴾ ثم أمطر الله عليهم حجارة من سجيل . مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤٥٦ .

خليل الله شعيب بن ميكائيل بن يسجر بن مدين ، وكان يقال له خطيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لحسن مراجعته قومه ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن أنها ما هي ، وما روي من محاربة عصا موسي عليه الصلاة والسلام التنين وولادة الغنم التي دفعها إليه الدرع (١) خاصة وكانت الموعودة له من أولادها ، ووقوع عصا آدم علي يده في المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة ، ويحتمل أن تكون كرامة لموسي عليه السلام أو إرهاصاً لنبوته .(٢) .

﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ ﴾أي آلة الكيل علي الإضمار ، أو إطلاق الكيل علي المكيال كالعيش علي المعاش لقوله : ﴿ وَالْمِيزَانَ ﴾كما قال في سورة هود ﴿ أوفوا المكيال والميزان ﴾أو الكيل ووزن الميزان ، ويجوز أن يكون الميزان مصدراً كالميعاد .

﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ولاتنقصوهم حقوقهم ، وإنما قال أشياءهم للتعميم تنبيهاً علي أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير ، وقيل: كانوا مكاسين لايدعون شيئاً إلا مكسوه . ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾بالكفر والحيف ﴿ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ بعد ما أصلح أمرها أو أهلها الأنبياء وأتباعهم بالشرائع، أو أصلحوا فيها والإضافة إليها كالإضافة في بل مكر الليل والنهار . ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ إشارة إلي العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ، ومعني الخيرية إما الزيادة مطلقاً أو في الإنسانية وحسن الأحدوثة وجمع المال .

---

(١) التنين : نوع من الحيات .
الدُّرْع : جمع أدرع وهو من الغنم أسود الرأس أبيض البدن .

(٢) قال الزمخشرى فى تفسيره : فإن قلت : ما كانت معجزة شعيب ؟ قلت : قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة لقوله : ﴿ قد جاءتكم بينة من ربكم ﴾ ولأنه لا بد لمدعى النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه وإلا لم تصح دعواه وكان متنبئًا لا نبيا ، غير أن معجزة شعيب عليه السلام لم تذكر فى القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا ﷺ فيه ، ومن معجزات شعيب ما روى من محاربة عصا موسي التنين ، وولادة الغنم الدُّرْعَ خاصة حين وعد شعيب موسى أن يكون له الدرع من أولادها ، ووقوع عصا آدم عليه السلام على يده فى المرات السبع ، وغير ذلك من الآيات ، لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام ، فكانت معجزات لشعيب . ـ تفسيرا لكشاف ـ .

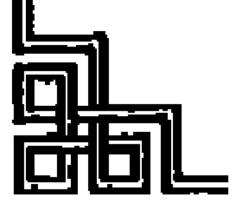
﴿ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾ بكل طريق من طرق الدين كالشيطان، وصراط الحق وإن كان واحداً لكنه يتشعب إلي معارف وحدود وأحكام ، وكانوا إذا رأوا أحداً يسعي في شئ منها منعوه ، وقيل: كانوا يجلسون علي المراصد فيقولون لمن يريد شعيباً إنه كذاب فلا يفتنك عن دينك ويوعدون لمن آمن به ، وقيل كانوا يقطعون الطريق ﴿ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بياناً لكل صراط ودلالة علي عظم مايصدون عنه وتقبيحاً لما كانوا عليه أو الإيمان بالله . ﴿ مَنْ آمَنَ بِهِ ﴾ أي بالله أو بكل صراط علي الأول، ومن مفعول تصدون علي إعمال الأقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا ، ﴿ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ وتطلبون لسبيل الله عوجاً بإلقاء الشبه ، أو وصفها للناس بأنها معوجة ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً ﴾ عَدَدَكم أوعُدَدَكم . ﴿ فَكَثَّرَكُمْ ﴾ بالبركة في النسل أوالمال ، ﴿ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ من الأمم قبلكم فاعتبروا بهم .

﴿ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا ﴾ فتربصوا . ﴿ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ﴾ أي بين الفريقين بنصر المحقين علي المبطلين ، فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾إذ لا معقب لحكمه ولاحيف فيه .

الآيات من ٨٨ : ٩٣

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١)

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣) ﴾ .



﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾أي ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم من القرية أو عودكم في الكفر ، وشعيب عليه الصلاة والسلام لم يكن في ملتهم قط لأن الأنبياء لايجوز عليهم الكفر مطلقاً ، لكن غلبوا الجماعة علي الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم ، وعلي ذلك أجري الجواب في قوله ، ﴿ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ أي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها ، أو أتعيدوننا في حال كراهتنا .

﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ قد اختلفنا عليه . ﴿ إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ﴾ شرط جوابه محذوف دليله : قد افترينا وهو بمعني المستقبل لأنه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة ، وأدخل عليه قد لتقريبه من الحال أي قد افترينا الآن إن هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم أن لله تعالي نداً ، وأنه قد تبين لنا أن ماكنا عليه باطل وماأنتم عليه حق وقيل جواب قسم وتقديره : والله لقد افترينا ، ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا ﴾ ومايصح لنا ﴿ أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾ خذلاننا وارتدادنا ، وفيه دليل علي أن الكفر بمشيئة الله ، وقيل: أراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق علي مالايكون ، ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾أي أحاط علمه بكل شئ مما كان ومايكون منا ومنكم ، ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾في أن يثبتنا علي الإيمان ويخلصنا من الأشرار ، ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضي ،والفتاحة الحكومة ، أو أظهر أمرنا حتي ينكشفَ مابيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل إذا بينه . ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ علي المعنيين .

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا ﴾ وتركتم دينكم ﴿ إِنَّكُمْ

﴿ إذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾ لاستبدالكم ضلالته بهداكم ، أو لفوات مايحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلة وفي سورة الحجر . ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ ولعلها كانت من مباديها . ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ أي في مدينتهم .

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا ﴾ مبتدأ خبره ، ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ أي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغني المنزل ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ديناً ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا ، فإنهم الرابحون في الدارين وللتنبيه علي هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين وأتي بهما اسميتين .

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم مانزل عليهم بكفرهم ، أوقاله اعتذاراً عن عدم شدة حزنه عليهم والمعني لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذلت وسعي في النصح والإشفاق فلم تصدقوا قولي ، فكيف آسي عليكم ،وقرئ فكيف أيسي بامالتين .

الآيات من ٩٤ : ١٠٠

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٩٥) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (١٠٠) ﴾ .

الاختبار سنة الله في خلقه

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ بالبؤس والضر ﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ حتي يتضرعوا ويتذللوا .

﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ﴾ أي أعطيناهم بدل ماكانوا فيه من البلاءوالشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالأمرين .﴿ حَتَّىٰ عَفَوْا ﴾ كثروا عدداً وعُدداً يقال عفا النبات إذا كثر ومنه إعفاء اللحي . ﴿ وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ ﴾ كفراناً لنعمة الله ونسياناً لذكره واعتقاداً بأنه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل مامسنا . ﴿ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾ فجأة . ﴿ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ بنزول العذاب .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ﴾يعني القري المدلول عليها بقوله ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي ﴾[1] وقيل مكة وما حولها .

﴿آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ مكان كفرهم وعصيانهم .﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات .وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد . .﴿ وَلَكِن كَذَّبُوا ﴾الرسل ﴿ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ ﴾ عطف علي قوله ﴿فأخذناهم بغتة وهم لايشعرون ﴾ وما بينهما اعتراض والمعني : أبعد ذلك أمن أهل القري ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا ﴾ تبييتاً أو وقت بيات أومبيتاً أو مبيتين وهو في الأصل مصدر بمعني البيتوتة ويجئ بمعني التبييت كالسلام بمعني التسليم ﴿ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ حال من ضميرهم البارز أوالمستتر في بياتاً .

﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ ﴾وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أو بالسكون علي الترديد . ﴿ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى ﴾ضحوة النهار ، وهو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت : ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ يلهون من فرط الغفلة ، أو يشتغلون بما لاينفعهم .

---

(١) الأعراف : ٩٤ .

﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾ تكرير لقوله ﴿ أفأمن أهل القري ﴾ ومكر الله استعارة لاستدراج العبد وأخذه من حيث لايحتسب . ﴿ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار .

﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ (١) لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا ﴾ أي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم ، وإنما عدي يهد باللام لأنه بمعني يبين ، ﴿ أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ أن الشأن لو نشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم، وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولاً . ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ عطف علي مادل عليه ، أولم يهد أي يغفلون عن الهداية أومنقطع عنه بمعني ونحن نطبع ، ولايجوز عطفه علي أصبناهم علي أنه بمعني وطبعنا لأنه في سياقه جواب لو لإفضائه إلي نفي الطبع عنهم ﴿ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تفهم واعتبار .

الآيات من ١٠١ : ١٠٨

﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨) ﴾ .

﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ ﴾ يعني قري الأمم المار ذكرهم ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ﴾ حال إن جعل القري خبراً وتكون إفادته بالتقييد بها ، وخبر إن جعلت صفة ويجوز أن يكونا خبرين ومن للتبعيض أي نقص بعض أنبائها ، ولها أنباء غيرها لانقصها .

(١) أو لم يهد : أو لم يتبين .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾بالمعجزات .﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾عند مجيئهم بها ﴿ بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ﴾بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين علي التكذيب ، أوفما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولاً حين جاءتهم الرسل ، ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة ، واللام لتأكيد النفي والدلالة علي أنهم ما صلحوا للإيمان لمنافاته لحالهم في التصميم علي الكفر والطبع علي قلوبهم ، ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ فلاتلين شكيمتهم بالآيات والنذر .﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم ﴾ لأكثر الناس ، والآية اعتراض أولأكثر الأمم المذكورين ، ﴿ مِّنْ عَهْدٍ ﴾ من وفاء عهد ، فإن أكثرهم نقضوا ما عهد الله إليهم في الإيمان والتقوي بإنزال الآيات ونصب الحجج ، أو ما عاهدوا إليه حين كانوا في ضرر مخافة مثل ﴿ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾(١) ﴿ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ ﴾أي علمناهم ﴿ لَفَاسِقِينَ ﴾ من وجدت زيداً إذا لحافظ لدخول إن المخففة واللام الفارقة وذلك لايسوغ إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما ، وعند الكوفيين إن للنفي واللام بمعني إلا .

قصة موسي

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾الضمير للرسل في قوله ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم ﴾(٢) أو للأمم ﴿ بِآيَاتِنَا ﴾يعني المعجزات .﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾بأن كفروا بها مكان الإيمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعني وضع ظلموا موضع كفروا ، وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسري لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس ، وقيل الوليد بن مصعب بن الريان ، ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إليك وقوله :

﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ لعله جواب لتكذيبه إياه في دعوي الرسالة ، وإنما لم يذكر لدلالة قوله ﴿ فظلموا بها ﴾ عليه وكان أصله

(١) يونس : ٢٢ . (٢) الأعراف : ١٠١ .

﴿ حقيق عليَّ أن لا أقول ﴾ كما قرأ نافع فقلب لأمن الإلباس كقوله .

وتشقي الرماح بالضياطرة الحمر (١) .

أو لأن ما لزمك فقد لزمته ، أو للإغراق في الوصف بالصدق ، والمعني أنه حق واجب علي القول الحق أن أكون أنا قائله لا يرضي إلا بمثلي ناطقاً به، أوضمن حقيق معني حريص ، أو وضع علي مكان الباء لإفادة التمكن كقولهم : رميت علي القوس وجئت علي حال حسنة ، ويؤيده قراءة أُبَيّ بالباء. وقرئ حقيق أن لا أقول بدون علي.

﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ فخلهم حتي يرجعوا معي إلي الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم ، وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الأعمال.

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ ﴾ من عند من أرسلك . ﴿ فَأْتِ بِهَا ﴾ فأحضرها عندي ليثبت بها صدقك . ﴿ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ في الدعوي .

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر أمره لايشك في أنه ثعبان وهو الحية العظيمة ، روي : أنه لما ألقاها صارت ثعبانا أشعرفاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعاً ،وضع لحيه الأسفل علي الأرض والأعلي علي سور القصر ، ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث ، وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً وصاح فرعون ياموسي أنشدك بالذي أرسلك خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه فعاد عصا .

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾ من جيبه أو من تحت إبطه . ﴿ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ أي بيضاء بياضا خارجاً عن العادة تجتمع عليها النظارة ، أوبيضاء للنظار لا أنها كانت بيضاء في جبلتها ، روي : أنه عليه السلام كان آدم (٢) شديد الأدمة ، فأدخل يده في جيبه أوتحت إبطه ثم نزعها فإذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس.

---

(١) هذا عجز بيت قاله خداش بن زهير ، والبيت بتمامه هو :

نزلت بخيل لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وأصل التركيب : تشقى الضياطرة بالرماح .

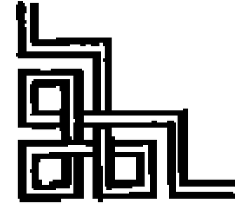
والضياطرة : جمع ضيطر وهوا لضخم الجبان ، والحمر كناية عن العجم .

(٢) آدم : أسمر .



الآيات من ١٠٩ : ١١٧

﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) ﴾.



﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ قيل قاله هو وأشراف قومه علي سبيل التشاور في أمره فحكي عنه في سورة الشعراء (١) وعنهم ها هنا .

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ تشيرون في أن نفعل .

﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ .

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ (٢) كأنه اتفقت عليه آراؤهم فأشاروا به علي فرعون، والإرجاء التأخير أي أخر أمره وأصله أرجئه كما قرأ أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب من أرجأت ، وكذلك أرجئوه علي قراءة ابن كثير علي الأصل في الضمير، أو أرجه من أرجيت كما قرأ نافع في رواية ورش وإسماعيل والكسائي ، وأما قراءته في رواية قالون أرجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها ، وأما قراءة حمزة وعاصم وحفص أرجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل أرجه كابل في إسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان أرجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فإن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة أوياء ساكنة ، ووجهه أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها ، وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه

(١) الآيات فى سورة الشعراء ٣٢ ـ ٣٦ .

(٢) وفى سورة الشعراء يأتوك بكل سحَّار عليم بصيغة المبالغة .

وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء.

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ﴾بعد ما أرسل الشرطة في طلبهم ، ﴿ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ استأنف به كأنه جواب سائل قال : ما قالوا إذ جاءوا؟ وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ﴿ إن لنا لأجرا ﴾ علي الإخبار وإيجاب الأجر كأنهم قالوا لابد لنا من أجر ، والتنكير للتعظيم .

﴿ قَالَ نَعَمْ ﴾ إن لكم لأجراً .﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾عطف علي ما سد مسده نعم وزيادة علي الجواب لتحريضهم .

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ خيروا موسي مراعاة للأدب أو إظهاراً للجلادة ، ولكن كانت رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم إلي ما هو أبلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل أوتأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك :

﴿ قَالَ أَلْقُوا ﴾ كرماً وتسامحاً ، أو ازدراء بهم ووثوقاً علي شأنه ، ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ﴾ بأن خيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه ﴿ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ وأرهبوهم إرهاباً شديداً كأنهم طلبوا رهبتهم ، ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ في فنه، روي أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضاً .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها فصارت حية . ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ أي ما يزورونه من الإفك ، وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه، ويجوز أن تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعني المفعول . روي : أنها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها أقبلت علي الحاضرين فهربوا وازدحموا حتي هلك جمع عظيم ، ثم أخذها موسي فصارت عصاً كما كانت فقال السحرة: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف ها هنا وفي طه والشعراء.

الآيات من ١١٨ : ١٢٦

﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) ﴾ .

غلبة الحق وإيمان السحرة

﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ ﴾فثبت لظهور أمره ، ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر والمعارضة .

﴿ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾ أي صاروا أذلاء مبهوتين ، أو رجعوا إلي المدينة أذلاء مقهورين ، والضمير لفرعون وقومه .

﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ جعلهم ملقين علي وجوههم تنبيهاً علي أن الحق بهرهم واضطرهم إلي السجود بحيث لم يبق لهم تمالك ، أو أن الله ألهمهم ذلك وحملهم عليه حتي ينكسر فرعون بالذين أراد بهم كسر موسي وينقلب الأمر عليه ، أو مبالغة في سرعة خرورهم وشدته .

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾أبدلوا الثاني من الأول لئلا يتوهم أنهم أرادوا به فرعون.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ ﴾ بالله أو بموسي ، والاستفهام فيه للإنكار ، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين علي الأصل ، وقرأ حفص آمنتم به علي الإخبار ،وقرأ قنبل قال فرعون ، وآمنتم يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام واواً مفتوحة ويمد بعدها مدة في تقدير ألفين ، وقرأ

في طه علي الخبر بهمزة وألف وقرأ في الشعراء علي الاستفهام بهمزة ومدة مطولة في تقدير ألفين ، وقرأ الباقون بتحقيق الهمزة الأولي وتليين الثانية ، ﴿ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ ﴾ أي إن هذا الصنيع لحيلة احتلتموها أنتم وموسي . ﴿ فِي الْمَدِينَةِ ﴾في مصر قبل أن تخرجوا للميعاد .﴿ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾يعني القبط وتخلص لكم ولبني إسرائيل .﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة مافعلتم ، وهو تهديد مجمل تفصيله:

تهديد فرعون للسحرة

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾ من كل شق طرفاً .﴿ ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تفضيحاً لكم وتنكيلاً لأمثالكم ، قيل إنه أول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيماً لجرمهم ولذلك سماه محاربة لله ورسوله ، ولكن علي التعاقب لفرط رحمته .

﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنـــقَلِبُونَ ﴾ بالموت لامحالة فلانبالي بوعيدك ، أو إنا منقلبون إلي ربنا وثوابه إن فعلت بنا ذلك ، كأنهم استطابوه شغفاً علي لقاء الله أو مصيرنا ومصيرك إلي ربنا فيحكم بيننا .

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا ﴾ وما تنكر منا ﴿ إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ﴾ وهو خير الأعمال وأصل المناقب ليس مما يتأتي لنا العدول عنه طلباً لمرضاتك ، ثم فزعوا إلي الله سبحانه وتعالي فقالوا : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً ﴾ أفض علينا صبراً يغمرنا كما يفرغ الماء، أو صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر علي وعيد فرعون ﴿ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ ثابتين علي الإسلام ، قيل : إنه فعل بهم ما أوعدهم به وقيل إنه لم يقدر عليهم لقوله تعالي ﴿ أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ (١) .

---

(١) القصص : ٣٥ .

الآيات من ١٢٧ : ١٣٠

﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) ﴾ .

﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ﴾ بتغيير الناس عليك ودعوتهم إلى مخالفتك . ﴿ وَيَذَرَكَ ﴾ عطف على يفسدوا ، أو جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة :

ألمْ أكُ جارَكُم ويَكونُ بيني ... وَبينكم المودَّةُ وَالإخَاءُ (١)

على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون منه تركه إياك . وقرئ بالرفع على أنه عطف على أتذر أو استئناف أو حال . وقرئ بالسكون كأنه قيل : يفسدوا ويذرك كقوله تعالى :﴿ فأصدق وأكن ﴾ (٢) ﴿ وَآلِهَتَكَ ﴾ معبوداتك . قيل كان يعبد الكواكب . وقيل صنع لقومه أصناماً وأمرهم أن يعبدوها تقرباً إليه ولذلك قال ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ (٣) وقرئ إلاهتك أي عبادتك . ﴿ قَالَ ﴾فرعون ﴿ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ كما كنا نفعل من قبل ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهرو الغلبة ، ولا يتوهم أنه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده . وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف . ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ غالبون وهم مقهورون تحت أيدينا .

تصبير موسى لقومه

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾ لما سمعوا قول فرعون

---

(١) سبق شرح هذا الشاهد ، والحطيئة شاعر إسلامى كان مشهورا بالهجاء .

(٢) المنافقون : ١٠ . (٣) النازعات : ٢٤ .

وتضجروا منه تسكينًا لهم . ﴿ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ تسلية لهم وتقرير للأمر بالاستعانة بالله والتثبت في الأمر . ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من إهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له . وقرئ والعاقبة بالنصب عطف على اسم إن واللام في الأرض تحتمل العهد والجنس .

﴿ قَالُوا ﴾ أى بنو إسرائيل . ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا ﴾ بالرسالة بقتل الأبناء ﴿ وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ بإعادته . ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ تصريحا بما كني عنه أولاً لما رأي أنهم لم يتسلوا بذلك، ولعله أتى بفعل الطمع لعدم جزمه بأنهم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم . وقد روى أن مصر إنما فتح لهم في زمن داود عليه السلام . ﴿ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ فيري ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ بالجدوب لقلة الأمطار والمياه ، والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ، ثم اشتق منها فقيل أسنت القوم إذا قحطوا . ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ بكثرة العاهات . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ لكي يتنبهوا علي أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا ، أو ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا إلي الله ويرغبوا فيما عنده .

الآيات من ١٣١ : ١٣٤

﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) ﴾

﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ ﴾ من الخصب والسعة . ﴿ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾ لأجلنا ونحن مستحقوها . ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ جدب وبلاء . ﴿ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ﴾ يتشاءموا بهم ويقولوا : ما أصابتنا إلا بشؤمهم ، وهذا إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة ، فإن الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات ،وهم لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتواً وانهماكاً في الغي ، وإنما عرف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها ، وتعلق الإرادة بإحداثها بالذات ونكر السيئة ، وأتي بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها إلا بالتبع . ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ ﴾ أى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمته ومشيئته ، أو سبب شؤمهم عند الله وهو أعمالهم المكتوبة عنده ، فإنها التي ساقت إليهم ما يسوءهم . وقرئ إنما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع . ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن ما يصيبهم من الله تعالى أو من شؤم أعمالهم .

﴿ وَقَالُوا مَهْمَا ﴾ أصلها ما الشرطية ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد ، ثم قلبت ألفها هاء استثقالاً للتكرير . وقيل مركبة من مه الذى يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع علي الابتداء أو النصب بفعل يفسره . ﴿ تَأْتِنَا بِهِ ﴾ أى أيما شيء تحضرنا تأتنا به . ﴿ مِن آيَةٍ ﴾ بيان لمهما ، وإنما سموها آية علي زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قلوا : ﴿ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أى لتسحر بها أعيننا وتشبه علينا ، والضمير في به وبها لمهما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وأنثه بعده باعتبار المعنى .

الآيات التى أرسلت إلى قوم فرعون

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾ ماء طاف بهم وغشي أماكنهم وحروثهم من مطر أو سيل . وقيل الجدري . وقيل الموتان . وقيل الطاعون . ﴿ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ ﴾ قيل هو كبار القردان ، وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها . ﴿ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ﴾ روى : أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يقدر أحد أن يخرج من بيته ، ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه إلى تراقيهم ، وكانت بيوت بني

إسرائيل مشتبكة ببيوتهم فلم يدخل فيها قطرة ، وركد على أراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ، ودام ذلك عليهم أسبوعًا فقالوا لموسى : ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك ، فدعا الله فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا ، فبعث الله عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ، ثم أخذت تأكل الأبواب والسقوف والثياب ففزعوا إليه ثانيًا فدعا وخرج إلى الصحراء، وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا ، فسلط الله عليهم القمل فأكل ما أبقاه الجراد وكان يقع فى أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها ، ففزعوا إليه فرفع عنهم فقالوا : قد تحققنا الآن أنك ساحر ، ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه ، وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم وهى تغلى ، وأفواههم عند التكلم ففزعوا إليه و تضرعوا ، فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهود ، ثم أرسل عليهم الدم فصارت مياههم دمًا حتى كان يجتمع القبطى مع الإسرائيلى على إناء يكون ما يلى القبطى دمًا وما يلى الإسرائيلى ماء ، ويمص الماء من فم الإسرائيلى فيصير دمًا في فيه . وقيل سلط الله عليهم الرعاف . ﴿ آيَاتٍ ﴾ نصب على الحال . ﴿ مُّفَصَّلاتٍ ﴾ مبينات لا تشكل على عاقل أنها آيات الله ونقمته عليهم ، أو مفصلات لامتحان أحوالهم إذ كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة أسبوعًا ، وقيل إن موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات علي مهل . ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾ عن الإيمان . ﴿ وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ .

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾ يعني العذاب المفصل ، أو الطاعون الذى أرسله الله عليهم بعد ذلك . ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ بعهده عندك وهو النبوة ، أو بالذى عهده إليك أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك فى آياتك ، وهو صلة لا دع أو حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلاً إليه بما عهد عنك ، أو متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك أو قسم مجاب بقوله : ﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أى أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن .

الآيات من ١٣٥ : ١٣٨

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (١٣٥) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) ﴾

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ ﴾ إلى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه أو مهلكون ، وهو وقت الغرق أو الموت . وقيل إلى أجل عينوه لإيمانهم . ﴿ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ جواب لما أى فلما كشفنا عنهم فاجئوا النكث من غير تأمل وتوقف فيه .

إغراق فرعون وقومه

﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ فأردنا الانتقام منهم . ﴿ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ أى البحر الذى لا يدرك قعره . وقيل لجته . ﴿ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ أى كان إغرافهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها . وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ .

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ ﴾ بالاستبعاد وذبح الأبناء من مستضعفيهم . ﴿ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾ يعنى أرض الشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها . ﴿ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ بالخصب وسعة العيش . ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ومضت عليهم واتصلت بالإنجاز عدته إياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن

نَمُنَّ ﴾ إلي قوله ﴿ مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (١) وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد ﴿بِمَا صَبَرُوا ﴾ بسبب صبرهم علي الشدائد . ﴿ وَدَمَّرْنَا ﴾ وخربنا . ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ﴾ من القصور والعمارات . ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ من الجنات أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامروأبو بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم . وهذا آخر قصة فرعون وقومه .

بنو إسرائيل بعد العبور

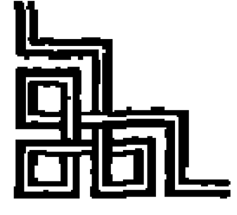
﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ﴾ وما بعده ذكر ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن مَنَّ الله عليهم بالنعم الجسام ، وأراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله ﷺ مما رأي منهم ، وإيقاظًا للمؤمنين حتي لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم . روي : أن موسى عليه الصلاة والسلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرًا . ﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ فمروا عليهم . ﴿ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ يقيمون على عبادتها ، قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل ، والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم . وقيل من لخم ، وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر . ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا ﴾ مثالاً نعبده . ﴿ كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ يعبدونها . وما كافة للكاف . ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل .

الآيات من ١٣٩ : ١٤٢

﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠) وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١) وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ

(١) القصص : ٥ ، ٦ .

أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) ﴾



﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴾ إشارة إلى القوم . ﴿ مُتَبَّرٌ ﴾ مكسر مدمر . ﴿ مَّا هُمْ فِيهِ ﴾ يعني أن الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضاً ﴿ وَبَاطِلٌ ﴾ مضمحل . ﴿ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب إلي الله تعالى ، وإنما بالغ فى هذا الكلام بإيقاع هؤلاء اسم إن والإخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان ، وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لأن للتنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة ، وأن الإحباط الكلى لازب لما مضى عنهم تنفيراً وتحذيرًا عما طلبوا .

﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ﴾ أطلب لكم معبوداً . ﴿ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم ، وفيه تنبيه على سوء معاملتهم حيث قابلوا تخصيص الله إياهم من أمثالهم لما لم يستحقوه تفضلاً بأن قصدوا أن يشركوا به أخس شيء من مخلوقاته (١) .

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت . وقرأ ابن عامر أنجاكم . ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ استئناف لبيان ما أنجاهم منه ، أو حال من المخاطبين ، أو من آل فرعون أو منهما . ﴿ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ بدل منه مبين . ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ وفى الإنجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة .

---

(١) روى أن عليا كرم الله وجهه سأله يهودي فقال له : اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه ـ فقال له علي : وأنتم قلتم لموسى اجعل لنا إلها قبل أن تجف أقدامكم .

وروى الإمام أبو جعفر الطبري في تفسير هذه الآية قال : كان للكفار سدرة يعكفون عليها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط ، قال : فلما خرج المسلمون من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين فمروا بسدرة خضراء عظيمة فقالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال النبى ﷺ : قلتم والذى نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسي : اجعل لنا إلها كمالهم آلهة . ـ مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٣٥ ـ .

مواعدة موسى وطلبه الرؤية

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ﴾ ذا القعدة ، وقرأ أبو عمرو ويعقوب ووعدنا . ﴿ وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾ من ذى الحجة . ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ بالغًا أربعين . روي : أنه عليه الصلاة والسلام وعد بنى إسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون ، فلما هلك فرعون سأل ربه فأمره الله بصوم ثلاثين ، فلما أتم أنكر خلوف (١) فيه فتسوك ، فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك ، فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشراً . وقيل: أمره بأن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها . ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي ﴾ كن خليفتي فيهم. ﴿ وَأَصْلِحْ ﴾ ما يجب أن يصلح من أمورهم أو كن مصلحا . ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ولا تتبع من سلك الإفساد ولا تطع من دعاك إليه .

الآيات من ١٤٣ : ١٤٥

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥) ﴾

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا ﴾لوقتنا الذى وقتناه ، واللام للاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا . ﴿ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ من غير وسيط كما يكلم الملائكة ، وفيما روى : أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيها على أن

(١) خلوف : رائحة .

سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين . ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك ، أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك . وهو دليل على أن رؤيته تعالي جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء محال ، وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله تعالى : ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ دون لن أرى أو لن أريك أو لن تنظر إليَّ ، تنبيهاً على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها علي معد في الرائى لم يوجد فيه بعد ، وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (١) خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا ﴾ (٢) ولا يتبع سبيلهم كما قال لأخيه ﴿ ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ (٣) والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لا يدل الإخبار عن عدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبداً وأن لا يراه غيره أصلاً فضلاً عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية .﴿ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه ، وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضاً دليل على الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن ، والجبل قيل هو جبل زُبَيْر . ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره . وقيل أعطى له حياة ورؤية حتي رآه . ﴿ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ مدكوكا مفتتاً والدك والدق أخوان كالشك والشق ، وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي أرضاً مستوية ومنه ناقة دكاء التي لا سنام لها ، وقرئ دكًا أي قطعًا جمع دكاء . ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ مغشيا عليه من هول مارأى . ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ ﴾ تعظيما لما رأي . ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ من الجراءة والإقدام علي السؤال من غير إذن .

﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ مر تفسيره . وقيل معناه أنا أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا .

﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ ﴾ اخترتك . ﴿ عَلَى النَّاسِ ﴾ أى

---

(١) النساء : ١٥٣ . (٢) الأعراف ١٣٨ .
(٣) الأعراف : ١٤٢ .

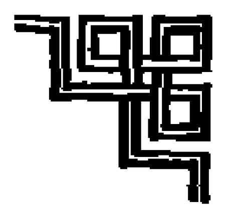
الموجودين في زمانك ، وهارون وإن كان نبيًا كان مأمورًا باتباعه ولم يكن كليمًا ولا صاحب شرع . ﴿ بِرِسَالاتِي ﴾ يعنى أسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتى . ﴿ وَبِكَلامِي ﴾ وبتكليمى إياك . ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ ﴾ أعطيتك من الرسالة . ﴿ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ علي النعمة فيه . روى أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة ، وإعطاء التوراة كان يوم النحر .

الألواح وكتابة كل شيء فيها

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ مما يحتاجون إليه من أمر الدين . ﴿ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ بدل من الجار والمجرور ، أى وكتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام . واختلف في أن الألواح كانت عشرة أو سبعة ، وكانت من زمرد أو زبرجد ، أو ياقوت أحمر أو صخرة صماء لينها الله لموسي فقطعها بيده وسقفها بأصابعه وكان فيها التوراة أو غيرها . ﴿ فَخُذْهَا ﴾ على إضمار القول عطفًا علي كتبنا أو بدل من قوله ﴿ فخذ ما آتيتك ﴾ والهاء للألواح أو كل شيء فإنه بمعنى الأشياء أو للرسالات . ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ بجد وعزيمة . ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ أي بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة إلى الانتصار ، والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الأفضل كقوله تعالى: ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ . أو بواجباتها فإن الواجب أحسن من غيره ، ويجوز أن يراد بالأحسن البالغ في الحسن مطلقًا لا بالإضافة ، وهو المأموربه كقولهم الصيف أحر من الشتاء . ﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ دار فرعون وقومه بمصر خاوية علي عروشها ، أو منازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا ، أو دارهم فى الآخرة وهى جهنم . وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من أوريت الزند وسأورثكم ، ويؤيده قوله ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ ﴾ [1] .

---

(١) الأعراف : ١٣٧ .



الآيات من ١٤٦ : ١٤٩

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧) وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) ﴾

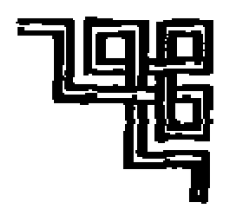
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ﴾ المنصوبة فى الآفاق والأنفس . ﴿ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها . وقيل سأصرفهم عن إبطالها ،وإن اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه بإعلائها أو باهلاكهم . ﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ صلة يتكبرون أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل ، أو حال من فاعله . ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ ﴾ منزلة أو معجزة . ﴿ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ لعنادهم واختلال عقولهم بسبب انهماكهم في الهوي والتقليد وهو يؤيد الوجه الأول . ﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ لاستيلاء الشيطنة عليهم . وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام . ﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ أى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ، ويجوز أن ينصب ذلك على المصدر أى سأصرف ذلك الصرف بسببهما .

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ ﴾ أى ولقائهم الدار الآخرة ، أو ما وعد الله فى الدار الآخرة . ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ لا ينتفعون بها . ﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ إلا جزاء أعمالهم .

بنو إسرائيل واتخاذهم العجل

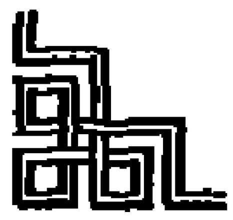
﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ من بعد ذهابه للميقات . ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ التى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر ، وإضافتها إليهم لأنها كانت في أيديهم أو ملكوها بعد هلاكهم . وهو جمع حلي كثدى وثدى . وقرأ حمزة والكسائى بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الإفراد . ﴿ عِجْلاً جَسَدًا ﴾ بدنا ذا لحم ودم ، أو جسداً من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل . ﴿ لَهُ خُوَارٌ ﴾ صوت البقر . روى أن السامرى لما صاغ العجل ألقى فى فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حياً ،. وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت ، وإنما نسب الاتخاذ إليهم وهو فعله إما لأنهم رضوا به أو لأن المراد اتخاذهم إياه إلهاً . وقرئ جؤار أى صياح . ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً ﴾ تقريع على فرط ضلالتهم وإخلالهم بالنظر ، والمعنى ألم يروا حين اتخذوه إلهًا أنه لا يقدر على كلام ولا على إرشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا أنه خالق الأجسام والقوي والقدر . ﴿ اتَّخَذُوهُ ﴾ تكرير للذم أي اتخذوه إلهًا . ﴿ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ واضعين الأشياء فى غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعًا منهم .

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ كناية عن اشتداد ندمهم فإن النادم المتحسر يعض يده غماً فتصير يده مسقوطًا فيها . وقرئ سقط على بناء الفعل للفاعل بمعني وقع العض فيها . وقيل معناه سقط الندم فى أنفسهم . ﴿ وَرَأَوْا ﴾ وعلموا . ﴿ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ﴾ باتخاذ العجل . ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا ﴾ بإنزال التوراة . ﴿ وَيَغْفِرْ لَنَا ﴾ بالتجاوز عن الخطيئة . ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ وقرأهما حمزة والكسائى بالتاء وربنا على النداء .



الآيات من ١٥٠ : ١٥٣

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣) ﴾



رجوع موسى لقومه غاضبا

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾ شديد الغضب وقيل حزيناً . ﴿ قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ﴾ فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة أو أقمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهارون والمؤمنين معه ! وما نكرة موصوفة تفسر المستكن فى بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ، ومعنى من بعدى من بعد انطلاقى ، أو من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه . ﴿ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾ أتركتموه غير تام ، كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدى تعديته ، أو أعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الأربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم . ﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ ﴾ طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين . روي : أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة أسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والأحكام . ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ ﴾ بشعر رأسه . ﴿ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ توهماً بأنه قصر في كفهم ، وهارون كان أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولاً ليناً ولذلك كان أحب إلى بنى إسرائيل . ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ ﴾ ذكر الأم ليرقفه عليه وكانا من أب

وأم . وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن أم بالكسر وأصله يا ابن أمي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفاً كالمنادى المضاف إلى الياء ، والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله أو تشبيهاً بخمسة عشر. ﴿ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ﴾ إزاحة لتوهم التقصير فى حقه ، والمعنى بذلت وسعى في كفهم حتي قهروني واستضعفونى وقاربوا قتلى . ﴿ فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ ﴾ فلا تفعل بى ما يشمتون بى لأجله . ﴿ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ معدوداً فى عدادهم بالمؤاخذة أو نسبة التقصير .

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾ بما صنعت بأخى . ﴿ وَلأَخِي ﴾ إن فرط في كفهم ضمه إلى نفسه فى الاستغفار ترضية له ودفعاً للشماته عنه . ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ بمزيد الإنعام علينا . ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا .

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ وهو ما أمرهم به من قتل أنفسهم . ﴿ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وهي خروجهم من ديارهم . وقيل الجزية . ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ على الله ولا فرية أعظم من فريتهم وهى قولهم هذا إلهكم وإله موسي ، ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم ولا بعدهم .

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ من الكفر والمعاصى . ﴿ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا ﴾ من بعد السيئات . ﴿ وَآمَنُوا ﴾ واشتغلوا بالإيمان وما هو مقتضاه من الأعمال الصالحة . ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ من بعد التوبة . ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وإن عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بنى إسرائيل .

الآيات من ١٥٤ : ١٥٦

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ﴾

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ ﴾ سكن وقد قرئ به . ﴿ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ ﴾ باعتذار هارون ، أو بتوبتهم وفى هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث إنه جعل الغضب الحامل له علي ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت . وقرئ سكت وأسكت علي أن المسكت هو الله أو أخوه أو الذين تابوا . ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ﴾ التى ألقاها . ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ وفيما نسخ فيها أى كتب ، فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أى من الألواح المنكسرة . ﴿ هُدًى ﴾ بيان للحق . ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ إرشاد إلى الصلاح والخير . ﴿ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير ، أو حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصى الله لربهم .

اختيار موسى وفدا لميقات ربه

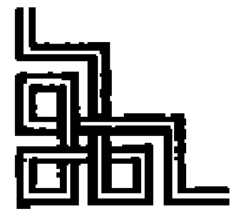
﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ ﴾ أى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل إليه ﴿ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ روى أنه تعالى أمره أن يأتيه فى سبعين من بنى إسرئيل ، فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال : ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا قال : إن لمن قعد أجر من خرج ، فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين ، فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجداً ، فسمعوه تعالي يكلم موسي يأمره وينهاه ، ثم انكشف الغمام فاقبلوا إليه وقالوا : لن

نؤمن لك حتي نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أى الصاعقة ، أو رجفة الجبل فصعقوا منها ﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ﴾ تمني هلاكهم وهلاكه ، قبل أن يري ما رأي أو بسبب آخر ، أو عني به أنك قدرت على إهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على إهلاكهم وبإغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فإن ترحمت عليهم مرة أخري لم يبعد من عميم إحسانك . ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ من العناد والتجاسر على طلب الرؤية ، وكان ذلك قاله بعضهم. وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل ، والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتي كادت تبين مفاصلهم ، وأشرفوا علي الهلاك فخاف عليهم موسى فبكي ودعا فكشفها الله عنهم . ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتي طمعوا في الرؤية ، أو أوجدت فى العجل خواراً فزاغوا به . ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ ﴾ ضلاله بالتجاوز عن حده أو باتباع المخايل . ﴿ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ﴾ هداه فيقوى بها إيمانه. ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا ﴾ القائم بأمرنا . ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا ﴾ بمغفرة ما قارفنا . ﴿ وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة .

﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ حسن معيشة وتوفيق طاعة . ﴿ وَفِي الآخِرَةِ ﴾ الجنة . ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع . وقرئ بالكسر من هاده يهيده إذا أماله ، ويحتمل أن يكون مبنيًا للفاعل وللمفعول بمعنى أملنا أنفسنا وأملنا إليك ، ويجوز أن يكون المضموم أيضًا مبنيًا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض . ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾ تعذيبه . ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ فى الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره . ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا ﴾ فسأثبتها فى الآخرة ، أو فسأكتبها كتبة خاصة منكم يا بنى إسرائيل. ﴿ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ الكفر والمعاصى . ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ خصها بالذكر لإنافتها ولأنها كانت أشق عليهم . ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فلا يكفرون بشيء منها .

الآيات من ١٥٧ :١٥٩

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) ﴾



التبشير بالنبى ﷺ فى التوراة والإنجيل

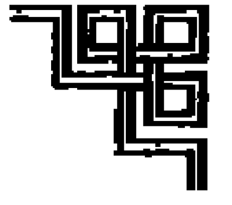
﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ ﴾ مبتدأ خبره يأمرهم ، أو خبر مبتدأ تقديره هم الذين ، أو بدل من الذين يتقون بدل البعض أو الكل ، والمراد من آمن منهم بمحمد ﷺ وإنما سماه رسولاً بالإضافة إلى الله تعالى ونبياً بالإضافة إلى العباد . ﴿ الأُمِّيَّ ﴾ الذى لا يكتب ولا يقرأ ، وصفه به تنبيهاً على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته . ﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾ اسماً وصفة . ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾ مما حرم عليهم كالشحوم . ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ كالدم ولحم الخنزير أو كالربا والرشوة . ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص فى العمد والخطأ ، وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة ، وأصل الإصر الثقل الذى يأصر صاحبه أو يحبسه من الحراك لثقله . وقرأ ابن عامر آصارهم . ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ ﴾ وعظموه بالتقوية . وقرئ بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير . ﴿ وَنَصَرُوهُ ﴾ لى . ﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ﴾ أى مع نبوته يعنى القرآن ، وإنما سماه نوراً لأنه بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره ، أو لأنه كاشف الحقائق مظهرها ، ويجوز أن يكون

معه متعلقًا باتبعوا أي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون إشارة إلي اتباع الكتاب والسنة . ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون بالرحمة الأبدية ، ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه السلام .

بعثة النبى ﷺ للناس كافة

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ الخطاب عام ، كان رسول الله ﷺ مبعوثا إلى كافة الثقلين ، وسائر الرسل إلى أقوامهم . ﴿ جَمِيعًا ﴾ حال من إليكم . ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ صفة لله وإن حيل بينهما بما هو متعلق المضاف إليه لأنه كالمتقدم عليه ، أو مدح منصوب أو مرفوع ، أو مبتدأ خبره ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ وهو علي الوجوه . الأول بيان لما قبله فإن من ملك العالم كان هو الإله لا غيره وفي : ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ مزيد تقرير لاختصاصه بالألوهية . ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴾ ما أنزل عليه وعلي سائر الرسل من كتبه ووحيه . وقرئ وكلمته علي إرادة الجنس أو القرآن ، أو عيسى تعريضًا لليهود وتنبيهًا على أن من لم يؤمن به لم يعتبر إيمانه ، وإنما عدل عن التكلم إلى الغيبة لإجراء هذه الصفات الداعية إلى الإيمان به والاتباع له . ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين تنبيهًا على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو يعد في خطط الضلالة .

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ يعنى من بنى إسرائيل . ﴿ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾ يهدون الناس محقين أو بكلمة الحق . ﴿ وَبِهِ ﴾ بالحق . ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ بينهم فى الحكم والمراد بها الثابتون علي الإيمان القائمون بالحق من أهل زمانه ، أتبع ذكرهم ذكر أضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيهًا على أن تعارض الخير والشر وتزاحم أهل الحق والباطل أمر مستمر . وقيل مؤمنو أهل الكتاب . وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله ﷺ ليلة المعراج فآمنوا به .



الآيات من ١٦٠ : ١٦٢

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢) ﴾

حال بني إسرائيل

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ ﴾ وصيرناهم قطعاً متميزاً بعضهم عن بعض . ﴿ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ﴾ مفعول ثان لقطع فإنه متضمن معنى صير ، أو حال وتأنيثه للحمل على الأمة أو القطعة . ﴿ أَسْبَاطًا ﴾ بدل منه ولذلك جمع ، أو تمييز له على أن كل واحد من اثنتي عشرة أسباط فكأنه قيل : اثنتي عشرة قبيلة . وقرئ بكسر الشين وإسكانها . ﴿ أُمَمًا ﴾ علي الأول بدل بعد بدل ، أو نعت أسباط وعلى الثاني بدل من أسباط . ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ ﴾ في التيه . ﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ ﴾ أي فضرب فانبجست وحذفه للإيماء على أن موسى عليه السلام لم يتوقف في الامتثال ، وأن ضربه لم يكن مؤثراً يتوقف عليه الفعل في ذاته ﴿ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ ﴾ كل سبط . ﴿ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ ﴾ ليقيهم حر الشمس . ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا ﴾ أي وقلنا لهم كلوا . ﴿ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ سبق تفسيره في سورة البقرة .

عصيانهم أمر الدخول إلى القرية المقدسة

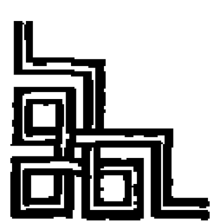
﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ بإضمار اذكروا لقرية بيت المقدس .

﴿ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ مثل ما في سورة البقرة معني غير أن قوله فكلوا فيها بالفاء أفاد تسبب سكناهم للأكل منها ، ولم يتعرض له ها هنا اكتفاء بذكره ثمة ، أو بدلالة الحال عليه وأما تقديم قوله قولوا على وادخلوا فلا أثر له في المعنى لأنه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما . ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وعد بالغفران والزيادة عليه بالإثابة ، وإنما أخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على أنه تفضل محض ليس في مقابلة ما أمروا به . وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول ، وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فإنه وحد وقرأ أبو عمرو خطاياكم .

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ مضى تفسيره فيها .

الآيات من ١٦٣ : ١٦٨

﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨) ﴾



عدوانهم في السبت

﴿ وَاسْأَلْهُمْ ﴾ للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم . والإعلام بما هو من

علومهم التى لا تعلم إلا بتعليم أو وحى ليكون لك ذلك معجزة عليهم . ﴿ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾(١) عن خبرها وما وقع بأهلها . ﴿ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ قريبة منه وهي أيلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر ، وقيل مدين ، وقيل طبرية . ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾ يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت ، وإذ ظرف لكانت أو حاضرة أو للمضاف المحذوف أو بدل منه بدل اشتمال . ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ ﴾ ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل . وقرئ يعدون وأصله يعتدون ويعدون من الإعداد أي يعدون آلات الصيد يوم السبت ، وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغير العبادة . ﴿ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾ يوم تعظيمهم أمر السبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة . وقيل اسم لليوم والإضافة لاختصاصهم بأحكام فيه ، ويؤيد الأول إن قرئ يوم إسباتهم ، وقوله : ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ وقرئ لا يسبتون من أسبت ولا يسبتون علي البناء للمفعول بمعني لا يدخلون فى السبت ، وشرعاً حال من الحيتان ومعناه ظاهرة علي وجه الماء من شرع علينا إذا دنا وأشرف . ﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم . وقيل كذلك متصل بما قبله أي لا تأتيهم مثل إتيانهم يوم السبت ، والباء متعلق بيعدون .

﴿ وَإِذْ قَالَتْ ﴾ عطف على إذ يعدون . ﴿ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ ﴾ جماعة من أهل القرية يعنى صلحاءهم الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى أيسوا من اتعاظهم . ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾مخترمهم (٢) . ﴿ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ فى الآخرة لتماديهم فى العصيان ، قالوه مبالغة في أن الوعظ لا ينفع فيهم ، أو سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم أو قول من أرعوي عن الوعظ لمن لم يرعو منهم ، وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعاظهم رداً عليهم وتهكماً بهم

---

(١) اختلف فى اسم هذه القرية ، فقيل : هى أيله ، ويل : مدين ، وقيل : طبرية ، والعرب تسمي المدينة قرية ، وعن أبى عمرو بن العلاء : ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج ، يعني رجلين من أهل المدن ، ويعنى بالحسن : الحسن البصرى .

(٢) مخترمهم : مهلكهم ، يقال : اخترمته المنية ، أى أهلكته .

. ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ جواب للسؤال أي موعظتنا أنها عذر إلي الله حتي لا ننسب إلي تفريط في النهي عن المنكر . وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر أو العلة أي اعتذرنا به معذرة ووعظناهم معذرة . ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ إذ اليأس لا يحصل إلا بالهلاك .

﴿ فَلَمَّا نَسُوا ﴾ تركوا ترك الناسي . ﴿ مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ بالاعتداء ومخالفة أمر الله . ﴿ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾ شديد فعيل من بؤس يبؤس بؤساً إذا اشتد . وقرأ أبو بكر بيئس علي فيعل كضيغم ، وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمز على أنه بئس كحذر ، كما قرئ به خفف عينه بنقل حركتها إلى الفاء ككبد في كبد ، وقرأ نافع بيسٍ على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذئب أو على أنه فعل الذم وصف به فجعل اسماً ، وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس بالتخفيف كهين وبائس كفاعل. ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ بسبب فسقهم .

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ ﴾ تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تعالى: ﴿ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ (١) . ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ كقوله ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٢) ولظاهر يقتضى أن الله تعالى عذبهم أولاً بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ، ويجوز أن تكون الآية الثانية تقريراً وتفصيلاً للأولى . روى: أن الناهين لما أيسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم ، فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق ، فأصبحوا يوماً ولم يخرج إليهم أحد من المعتدين فقالوا : إن لهم شأناً فدخلوا عليهم فإذا هم قردة فلم يعرفوا أنسباءهم ولكن القردة تعرفهم ، فجعلت تأتي أنسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث . وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا أبدانهم (٣) .

---

(١) الأعراف : ٧٧ .　　(٢) النحل : ٤٠ .

(٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : يا ليت شعرى ما فُعل بهؤلاء الذين قالوا : لم تعظون قوما ؟ قال عكرمة : فقلت : جعلنى الله فداك ، ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا : لم تعظون قوما الله مهلكهم ، فلم أزل به حتى عرفته أنهم نجوا .

تعذيبهم ماض إلى يوم القيامة

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ﴾ أى أعلم تفعل من الإيذان بمعناه كالتوعد والإيعاد ، أو عزم لأن العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله فأجري مجرى فعل القسم ﴿ كعلم الله ﴾ و ﴿ شهد الله ﴾ ولذلك أجيب بجوابه وهو : ﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ والمعنى وإذ أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود ﴿ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ كالإذلال وضرب الجزية ، بعث الله عليهم بعد سليمان

وعن الحسن قال : نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان .

وروى أن اليهود أمروا باليوم الذى أمرنا به وهو يوم الجمعة ، فتركوه واختاروا يوم السبت، فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد ، وأمروا بتعظيمه ، فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض ـ النياق ـ لا يرى الماء من كثرتها ، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، فكانوا كذلك برهة من الدهر .. ثم جاء إبليس فقال لهم : إنمانهيتم عن أخذها يوم السبت ، فاتخذوا حياضا تسترقون الحيتان إليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها ، وتأخذونها يوم الأحد ، وأخذ رجل منهم حوتا وربط فى ذنبه خيطا إلى خشبة فى الساحل ، ثم شواه يوم الأحد ، فوجد جاره ريح السمك ، فتطلع فى تنوره فقال له : إنى أري الله سيعذبك ، فلما لم يره عُذب أخذ فى السبت القابل حوتين ، فلما رأوا أن العذاب لايعاجلهم ، صادوا وأكلواوملحوا وباعوا ، وكانوا نحو سبعين ألفا ، فصار أهل القرية : ثلث نهوا ، وكانوانحوا من اثني عشر ألفا ، وثلث قالوا : لم تعظون قوما ؟ وثلث هى أصحاب الخطيئة . . فلما لم ينتهوا قال المسلمون : إنا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب .

ولعنهم داود عليه السلام . فأصبح الناهون ذات يوم فى مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد ، فقالوا : إن للناس شأنا ، فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم ، فعرفت القرود أنسباءها من الإنس ، والإنس لا يعرفون أنسباءهم من القرود . فجعل القرد يأتى نسيبه فيشم ثيابه ويبكي ، فيقول له : ألم ننهك ؟ فيقول برأسه : بلي .
وقيل : صار الشباب قردة والشيوخ خنازير .

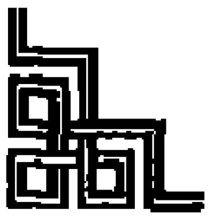
وعن الحسن : أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها ، أثقلها خزيا فى الدنيا وأطولها عذابا فى الآخرة ، هاه وايم الله ، ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ، ولكن الله جعل موعدا ، والساعة أدهي وأمر . ـ من تفسير الكشاف ـ .

عليه السلام بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبي نساءهم وذراريهم وضرب الجزية علي من بقي منهم ، وكانوا يؤدونها إلي المجوس حتي بعث الله محمداًﷺ ففعل مافعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة إلي آخر الدهر ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ عاقبهم في الدنيا .﴿ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾لمن تاب وآمن

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا ﴾وفرقناهم فيها بحيث لايكاد يخلو قطر منهم تتمة لأدبارهم حتي لايكون لهم شوكة قط وأمما مفعول ثان أوحال، ﴿ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ﴾ تقديره ومنهم أناس دون ذلك أي منحطون عن الصلاح، وهم كفرتهم وفسقتهم . ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾بالنعم والنقم . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ينهون فيرجعون عما كانوا عليه .

الآيات من ١٦٩ : ١٧٢

﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٦٩) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠) وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) ﴾ .



الخلف السيئ

﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾من بعد المذكورين . ﴿ خَلْفٌ ﴾بدل سوء مصدر نعت به

ولذلك يقع علي الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في ﴿ وَرِثُوا الْكِتَابَ ﴾ التوراة من أسلافهم يقرءونها ويقفون علي مافيها .﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ ﴾حطام هذا الشئ الأدني يعني الدنيا،وهو من الدنو أو الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشا في الحكومة وعلي تحريف الكلم ، والجملة حال من الواو . ﴿ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه ، وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند إلي الجار والمجرور ، أومصدر يأخذون ، ﴿ وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾ حال من الضمير في لنا أي: يرجون المغفرة مصرين علي الذنب عائدين إلي مثله غير تائبين عنه .﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ ﴾ أي في الكتاب . ﴿ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ عطف بيان للميثاق ، أومتعلق به أي بان يقولوا والمراد توبيخهم علي البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة علي أنه افتراء علي الله وخروج عن ميثاق الكتاب . ﴿ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾عطف علي ألم يؤخذ من حيث المعني فإنه تقرير ، أوعلي ورثوا وهو اعتراض . ﴿ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ مما يأخذ هؤلاء . ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فيعلموا ذلك ولايستبدلوا الأدني الدنئ المؤدي إلي العقاب بالنعيم المخلد، وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء علي التلوين .

نجاة المتمسكين بالكتاب

﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ عطف علي الذين يتقون وقوله . ﴿ أفلا يعقلون ﴾ اعتراض أومبتدأ خبره : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ علي تقدير منهم ، أووضع الظاهر موضع المضمر تنبيهاً علي أن الإصلاح كالمانع من التضييع وقرأ أبو بكر يمسكون بالتخفيف وإفراد الإقامة لإنافتها علي سائر أنواع التمسكات .

آية رفع الجبل

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾أي قلعناه ورفعناه فوقهم وأصل النتق الجذب . ﴿ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾سقيفة وهي ما أظلك . ﴿ وَظَنُّوا ﴾وتيقنوا . ﴿ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ ساقط عليهم لأن الجبل لايثبت في الجو ولأنهم كانوا يوعدون به ، وإنما أطلق الظن لأنه لم يقع متعلقه وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم ، وقيل لهم إن قبلتم ما فيها وإلا ليقعن عليكم . ﴿ خُذُوا ﴾ علي إضمار القول أي وقلنا خذوا أو قائلين خذوا . ﴿ مَا آتَيْنَاكُم ﴾ من الكتاب ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ بجد وعزم علي تحمل مشاقه ، وهو حال من الواو . ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾بالعمل به ولاتتركوه كالمنسي . ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق .

أخذ الميثاق منذ الأزل ومناسبته لما قبله

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾أي أخرج من أصلابهم نسلهم علي مايتوالدون قرنا بعد قرن ،ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض(٣٨٠) وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم . ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾أي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلي الإقرار بها حتي صاروا بمنزلة من قيل لهم : ألست بربكم : قالوا بلي فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه بمنزلة الإشهاد والاعتراف علي طريقة التمثيل ويدل عليه قوله : ﴿ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي كراهة أن تقولوا . ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ لم ننبه عليه بدليل .

---

(٣٨٠) ما المقصود من بنى آدم فى الاية ؟

المقصود بهم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله ، حيث قالوا : عزير ابن الله والمقصود بذرياتهم : الذين كانوا فى عهد رسول الله ﷺ من أخلافهم المقتدين بآبائهم .

ومن ذلك تظهر العلاقة بين هذه الآية وما قبلها من الآيات التى تتحدث عن اليهود .

الآيات من ١٧٣ : ١٧٥

﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) ﴾ .

﴿ أَوْ تَقُولُوا ﴾عطف علي أن تقولوا ، وقرأ أبو عمرو كليهما بالياء لأن أول الكلام علي الغيبة . ﴿ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ ﴾ فاقتدينا بهم لأن التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لايصلح عذراً ﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك ، وقيل لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله تعالي عنه ، وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح ، والمقصود من إيراد هذا الكلام ها هنا إلزام اليهود بمقتضي الميثاق العام بعد ما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم ، والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم علي النظر والاستدلال كما قال :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي عن التقليد واتباع الباطل .

مثل من كفران النعم وجحدهم النعمة :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾أي علي اليهود . ﴿ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾هو أحد علماء بني إسرائيل ، أوأمية بن أبي الصلت فإنه كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالي مرسل رسولاً في ذلك الزمان ، ورجا أن يكون هو فلما بعث محمد ﷺ حسده وكفر به ، أوبلعم بن باعوراء من الكنعانيين أوتي علم بعض كتب الله (٣٨١)

---

(٣٨١) جاء فى تفسير ابن كثير والقرطبي عن قصة بلعم بن باعوراء ما يأتى :

روى محمد بن إسحاق بن يسار عن سالم أبى النضر أنه حدث :

أن موسى عليه السلام لما نزل بأرض بنى كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام إليه ، فقالوا له : هذا موسى بن عمران فى بنى إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل ، وإنا قومك وليس لنا منزل ، وأنت رجل مجاب الدعوة ، فاخرج

﴿ فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾ من الآيات بأن كفر بها وأعرض عنها . ﴿ فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾ حتي لحقه وقيل استتبعه . ﴿ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾فصار من الضالين ، روي أن قومه سألوه أن يدعو علي موسي ومن معه فقال : كيف أدعو علي من معه الملائكة ، فألحوا حتي دعا عليهم فبقوا في التيه .

فادع الله عليهم .

قال : ويلكم هذا نبى الله ، معه الملائكة والمؤمنون . كيف أذهب أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم ؟

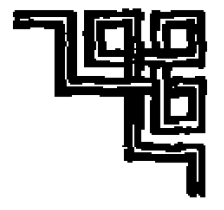
فلم يزالوا به حتى فتنوه فافتتن ، فسار متوجها إلي الجبل الذى يطل على عسكر بنى إسرائيل ، وهو جبل حسبان حتي إذا أشرف على رأس حسبان وعلى عسكر موسي وبنى إسرائيل جعل يدعو عليهم ، ولا يدعو عليهم بشر إلا صرف الله لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله لسانه إلى بنى إسراذيل فقال له قومه : اتدرى يا بلعام ما تصنع؟ إنماتدعو لهم وتدعو علينا . فقال : فهذا ما لا أملك ، هذا شيء قد غلب الله عليه .

ثم قال لهم : قد ذهب منى الآن الدنيا والآخرة ، ولم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأمكر لكم وأحتال : جملوا نساءكم وأعطوهن السلع ، ثم أرسلوهن إلى المعسكر يبعثها فيه ، ومروهن ألاّ تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، فإنهم إن زنى رجل منهم واحد كفيتموهم .

ففعلوا ، فلما دخلت النساء المعسكر مرت امرأة من الكنعانيين ـ قوم بلعم ـ برجل عظيم من بنى إسرائيل فلما رآها أعجبته ، فقام فأخذ بيدها ، وأتى بها موسى وقال : أظنك ستقول: هذا حرام عليك لا تقربها ؟ قال : أجل هى حرام عليك . قال : فوالله لا أطيعك في هذا .

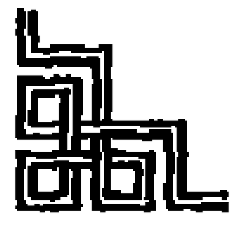
فدخل بها قبته فوقع عليها ، وأرسل الله الطاعون فى بنى إسرائيل وكان فنحاص بن العيزار ابن هارون صاحب موسى غائبا ، فجاء والطاعون يجوس فيهم ، فأخبر الخبر ، فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ، ثم دخل القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء وجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ، ورفع الطاعون .

فبلغ عدد الهالكين من بني إسرائيل سبعين ألفا ، وفى بلعام أنزل الله ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا ﴾ .



الآيات من ١٧٦ : ١٨٠

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾ .



﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ ﴾ إلي منازل الأبرار من العلماء ، ﴿ بِهَا ﴾ بسبب تلك الآيات وملازمتها . ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ ﴾ مال إلي الدنيا أو إلي السفالة . ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ في إيثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضي الآيات ، وإنما

* الإعجاز العلمى

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) ﴾

يريد الله سبحانه وتعالى أن يضرب لنا مثلا للقوم الذين كذبوا بآيات الله وكلامه فيضرب لذلك بالكلب الذى دائما يلهث فى حالة سكونه أو تعبه .

ورغم أن المراد من الآية الكريمة هو ضرب المثل لتوضيح صورة الذين كذبوا بآيات الله فاختار الله لهم تشبيها من البيئة التى يعيشون فيها . فضرب مثلا بالكلب كحيوان دائما يلهث فى كل حال ، وهم يرون ذلك ويقرونه إلا أن هذا المثل فى حد ذاته إعجاز علمى .

ذلك أن العلم الحديث أثبت أن جهاز التوازن الحرارى والتكييف فى معظم الحيوانات يتم عن طريق المسام فى الجلد (الغدد العرقية) حتى يحتفظ الجسم بدرجة حرارة ثابته

علق رفعه بمشيئة الله تعالي ثم استدرك عنه بفعل العبد ، تنبيهاً علي أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وأن عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء سببه، وأن السبب الحقيقي هو المشيئة وأن ما نشاهده من الأسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث أن المشيئة تعلقت به كذلك ، وكان من حقه أن يقول ولكنه أعرض عنها فأوقع موقعه أخلد إلي الأرض واتبع هواه ، مبالغة وتنبيهاً علي ما حمله عليه وأن حب الدنيارأس كل خطيئة ﴿ فَمَثَلُهُ ﴾ فصفته التي هي مثل في الخسة . ﴿ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾ كصفته في أخس أحواله وهو ﴿ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ أي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له ، بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده ، واللهث إدلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية (٣٨٢) في موضع الحال والمعني ، لاهثاً في الحالتين ، والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان ، وقيل : لما دعا علي موسي ﷺ خرج لسانه فوقع علي صدره وجعل يلهث كالكلب . ﴿ ذَّلِكَ مَثَل

(٣٨٢) الشرطية : أى الجملة الشرطية المبدوءة بإنْ .

* الإعجاز العلمى

مهما تغيرت درجة حرارة الجو المحيط من حيث ارتفاع درجة حرارة الجو أو انخفاض درجة حرارة الجو .

غير أن الكلب يختلف فى طريقه توازنه الحرارى حيث تتم هذه العملية عن طريق لسان الكلب لذلك حيث إنه لايوجد لدية غده عرقية .

يلاحظ أن الكلب دائما يلهث [أى يخرج جزءا من لسانه] لكى تتم عملية التوازن الحرارى لجسم الكلب سواء بذل مجهودا أو كان ساكنا .

أى أن الكلب يلهث دائما ليس من التعب ولكن لكى يقوم بعملية تلطيف وترطيب حرارى لجسده .

ويذكر القرآن العظيم هذا لنا فى زمن التنزيل ويقره العلم الحديث الآن والأجمل من ذلك أن الآية القرآنية الكريمة المراد من ضرب هذا المثل فيها هو تشبيه حال المكذبين وليس الغرض منها إظهار الإعجاز العلمى فى وصف الكلب كحيوان دائما مايلهث فى كل أحواله ولكنها حقيقة علميه أثبتها العلم الحديث الآن فسبحان الله العظيم .

الْقَوْمِ الَّذِيــنَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ القصة المذكورة علي اليهود فإنها نحو قصصهم . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ تفكراً يؤدي بهم إلي الاتعاظ.

﴿ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ ﴾ أي مثل القوم ، وقرئ ساء مثل القوم علي حذف المخصوص بالذم . ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم بها . ﴿ وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ إما أن يكون داخلاً في الصلة معطوفاً علي كذبوا بمعني : الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم ، أو منقطعاً عنها بمعني : وماظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لايتخطاها ولذلك قدم المفعول .

﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ تصريح بأن الهدي والضلال من الله ، وأن هداية الله تختص ببعض دون بعض وأنها مستلزمة للاهتداء والإفراد في الأول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ ، والمعني تنبيه علي أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين ، والاقتصار في الإخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء، وتنبيه علي أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها .

مثل الكفار كالأنعام

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ﴾ خلقنا . ﴿ لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾ يعني المصرين علي الكفر في علمه تعالي . ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ إذ لا يلقونها إلي معرفة الحق والنظر في دلائله . ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ أي لا ينظرون إلي ما خلق الله نظر اعتبار . ﴿ وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر . ﴿ أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ ﴾ في عدم الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر ، أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة إلي أسباب التعيش مقصورة عليها . ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار ، وتجتهد في جلبها ودفعها غاية جهدها ، وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم علي النار . ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ الكاملون في الغفلة .

النهي عن الإلحاد في أسماء الله تعالي

﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ لأنها دالة علي معان هي أحسن المعاني ، والمراد بها الألفاظ وقيل الصفات . ﴿ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ فسموه بتلك الأسماء . ﴿ وَذَرُوا

﴿**الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾ واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه ، إذ ربما يوهم معني فاسداً كقولهم : يا أبا المكارم يا أبيض الوجه ، أولا تبالوا بإنكارهم ما سمي به نفسه كقولهم : ما نعرف إلا رحمان (٣٨٣) اليمامة ، أو وذروهم وإلحادهم فيها باطلاقها علي الأصنام واشتقاق أسمائها منها كاللات من الله ، والعزي من العزيز ولا توافقوهم عليه أو أعرضوا عنهم فإن الله مجازيهم كما قال : ﴿ **سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ وقرأ حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بالفتح يقال : لحد وألحد إذا مال عن القصد (٣٨٤) .

---

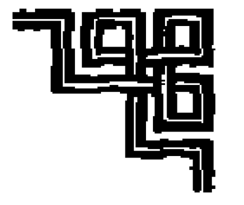
(٣٨٣) المقصود برحمان اليمامة : مسيلمة الكذاب ، كان قد سمى نفسه الرحمان .

(٣٨٤) أسماء الله الحسني كما ورد بها الحديث الشريف الذي رواه الشيخان ، والترمذي هي :

« هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المحصى ، المبدئ ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرءوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور » .

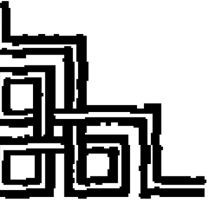
وورد فى حق هذه الأسماء « إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » .

إلا أنه هناك أسماء لا يعلمها إلا الله ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور



الآيات من ١٨١ : ١٨٦

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١٨٤) أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦) ﴾ .



﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ذكر ذلك بعد ما بين أنه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة علي أنه خلق أيضاً للجنة أمة هادين بالحق عادلين في الأمر ، واستدل به علي صحة الإجماع لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله ﷺ « لاتزال من أمتي طائفة علي الحق إلي أن يأتي أمر الله »(٣٨٥) إذ لو اختص بعهد الرسول ﷺ أو غيره لم يكن لذكره فائدة فإنه معلوم

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾ سنستدنيهم إلي الهلاك قليلاً قليلاً ، وأصل الاستدراج الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة . ﴿ مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾ ما نريد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله تعالي بهم ، فيزدادوا بطراً وانهماكاً في الغي حتي يحق عليهم كلمة العذاب .

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ وأمهلهم عطف علي سنستدرجهم . ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾إن أخذي شديد ، وإنما سماه كيداً لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان .

صدري وجلاء حزني وذهاب همى ، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحا ، فقيل: يا رسول الله : أفلا نتعلمها ؟ فقال : بلى ، ينبغى لكل من سمعها أن يتعلمها .

(٣٨٥) رواه السيوطى فى الجامع الصغير جـ ٢ ص ٢٠٧ من حديث عمر بلفظ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتي تقوم الساعة » .

وفي رواية للشيخين عن المغيرة « لا تزال طائفة من أ متى ظاهرين حتي يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » .

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم ﴾ يعني محمداً ﷺ . ﴿ مِّن جِنَّةٍ ﴾ من جنون، روي : أنه ﷺ صعد علي الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً يحذرهم بأس الله تعالي فقال : قائلهم إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلي الصباح (٣٨٦) فنزلت . ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ موضح إنذاره بحيث لايخفي علي ناظر .

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا ﴾ نظر استدلال . ﴿ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ مما يقع عليه اسم الشئ من الأجناس التي لايمكن حصرها ليدلهم علي كمال قدرة صانعها، ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ، ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه ، ﴿ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾ عطف علي ملكوت وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعني : أو لم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا إلي طلب الحق والتوجه إلي ما ينجيهم ، قبل مغافصة (٣٨٧) الموت ونزول العذاب . ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ ﴾ أي بعد القرآن . ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ إذا لم يؤمنوا به ، وهو النهاية في البيان كأنه إخبار عنهم بالطبع والتصميم علي الكفر بعد إلزام الحجة والإرشاد إلي النظر ، وقيل: هو متعلق بقوله : عسي أن يكون ، كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن، وماذا ينتظرون بعد وضوحه فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به وقوله :

﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ ﴾ كالتقرير والتعليل له . ﴿ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ بالرفع علي الاستئناف وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله ، وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفاً علي محل فلا هادي له ، كأنه قيل : لايهده أحد غيره ونذرهم . ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ حال من هم .

---

(٣٨٦) أخرجه الطبرى بإسناد صحيح إلى قتادة .

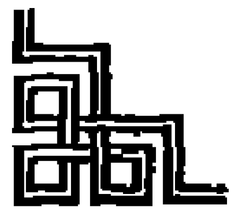
ومعني يهوِّت : يصيح .

(٣٨٧) مغافصة الموت : إتيانه لهم علي حين غفله .

الآيات من ١٨٧ : ١٨٩

﴿ يسأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنـدَ الـلَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الـنَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (١٨٧) قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ الـلَّهُ وَلَوْ كُنـتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيـفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) ﴾ .

سؤالهم عن الساعة :



﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ ﴾ أي عن القيامة ، وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها ، أو لأنها علي طولها عند الله كساعة ، . ﴿ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾متي إرساؤها أي إثباتها واستقرارها ورسو الشئ ثباته واستقراره، ومنه رسا الجبل وأرسي السفينة ، واشتقاق أيان من أي لأن معناه أي وقت ، وهو من أويت إليه لأن البعض أوي إلي الكل ، ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ استأثر به لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، ﴿ لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا ﴾ لايظهر أمرها في وقتها .﴿ إِلاَّ هُوَ ﴾ والمعني أن الخفاء بها مستمر علي غيره إلي وقت وقوعها ، واللام للتأقيت كاللام في قوله ، ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾(٣٨٨) ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ عظمت علي أهلها من الملائكة والثقلين لهولها ، وكأنه إشارة إلي الحكمة في إخفائها ، ﴿ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً ﴾ إلا فجأة علي غفلة ، كما قال ﷺ «إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه »(٣٨٩)

(٣٨٨) الإسراء : ٧٨ .

(٣٨٩) رواه الطبرى بإسناده إلى قتادة ، وجاء فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضي الله

﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ عالم بها ، فعيل من حفي عن الشئ إذا سأل عنه، فإن من بالغ في السؤال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه فيه ، ولذلك عدي بعن ، وقيل هي صلة يسألونك ، وقيل هو من الحفاوة بمعني الشفقة فإن قريشاً قالوا له : إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متي الساعة، والمعني يسألونك عنها كأنك حفي تتحفي بهم فتحضهم لأجل قرابتهم بتعليم وقتها ، وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه ، من حقي بالشئ إذا فرح أن تكثره لأنه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنـدَ اللَّه ﴾ كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة . ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أن علمها عند الله لم يؤته أحداً من خلقه .

﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا ﴾ جلب نفع ولا دفع ضر ، وهو إظهار للعبودية والتبري من ادعاء العلم بالغيوب . ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ من ذلك فيلهمني إياه ويوفقني له . ﴿ وَلَوْ كُنـــتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ ولو كنت أعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتي لايمسني سوء . ﴿ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيـرٌ ﴾ ما أنا إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة . ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ فإنهم المنتفعون بهما ويجوز أن يكون متعلقاً بالبشير ومتعلق النذير محذوف .

تذكير بخلق الإنسان ووسوسة الشيطان وإضلاله

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ هو آدم ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا ﴾ من جسدها من ضلع من أضلاعها ، أو من جنسها كقوله ﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾(٣٩٠) ﴿ زَوْجَهَا ﴾ حواء . ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ ليستأنس بها ويطمئن إليها اطمئنان الشئ إلي جزئه أوجنسه ، وإنما ذكر الضمير ذهاباً إلي المعني ليناسب . ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ أي جامعها . ﴿ حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا ﴾ خف عليها ولم تلق منه ماتلقي منه الحوامل غالباً من الأذي ، أو محمولاً خفيفاً وهو النطفة ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ فاستمرت به أي قامت وقعدت ، وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت به وفمارت

عنه : « لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه » .

(٣٩٠) النحل : ٧٢ .

من المور وهو المجئ والذهاب ، أو من المرية (٣٩١) أي فظنت الحمل وارتابت منه . ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَت ﴾ صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ علي البناء للمفعول أي أثقلها حملها . ﴿ دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا ﴾ ولداً سوياً قد صلح بدنه .﴿ لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ لك علي هذه النعمة المجددة .

الآيات من ١٩٠ : ١٩٥

﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ (١٩٥) ﴾ .

﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ أي جعل أولادهما له شركاء فيما آتي أولادهما فسموه عبد العزي وعبد مناف علي حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، ويدل عليه قوله : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

الأصنام لاتغني عن عابديها شيئا

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ يعني الأصنام ، وقيل : لما حملت حواء أتاها إبليس في صورة رجل فقال لها : ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة أوكلب ومايدريك من أين يخرج ، فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهما(٣٩٢) منه ثم عاد إليها وقال : إني من الله بمنزلة فإن دعوت الله أن يجعله خلقاً مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث ، وكان اسمه حارثاً بين الملائكة فتقبلت ، فلما ولدت سمياه عبد الحرث ، وأمثال ذلك لاتليق بالأنبياء.

---

(٣٩١) المرية : الشك .

(٣٩٢) فهما منه : اهتمَّا منه ، أي أصابهما الهمّ

ويحتمل أن يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش ، فإنهم خلقوا من نفس قصي وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله الولد فأعطاهما أربعة بنين فسمياهم : عبد مناف وعبد شمس ، وعبد قصي ، وعبد الدار ، ويكون الضمير في يشركون لهما ولأعقابهما المقتدين بهما .

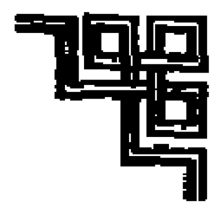
وقرأ نافع وأبو بكر شركاً أي شركة بان أشركا فيه غيره أو ذوي شرك وهم الشركاء ، وهم ضمير الأصنام جئ به علي تسميتهم إياها آلهة .

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ أي لعبدتهم . ﴿ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ فيدفعون عنها ما يعتريها .

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ ﴾ أي المشركين ﴿ إِلَى الْهُدَىٰ ﴾ إلي الإسلام ﴿ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء ، وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الأصنام أي: إن تدعوهم إلي أن يهدوكم لايتبعوكم إلي مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله . ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴾ وإنما لم يقل أم صمتم للمبالغة في عدم إفادة الدعاء من حيث إنه مسوي بالثبات علي الصمات ، أو لأنهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل: سواء عليكم إحداثكم دعاءهم واستمراركم علي الصمات عن دعائهم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة. ﴿ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ من حيث إنها مملوكة مسخرة . ﴿ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنهم آلهة ، ويحتمل أنهم لما نحتوها بصور الأناسي قال لهم : إن قصاري أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لايستحق بعضكم عبادة بعض ، ثم عاد بالنقض فقال:

﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ وقرئ إن الذين بتخفيف إن ونصب عباد علي أنها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ، ويبطشون بالضم ها هنا وفي القصص والدخان ، ﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴾ واستعينوا بهم في عداوتي . ﴿ ثُمَّ كِيدُونِ ﴾ فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكر، وهي أنتم وشركاؤكم ، ﴿ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ فلا تمهلون فإني لا أبالي بكم لوثوقي علي ولاية الله تعالي وحفظه .



الآيات ١٩٦ : ٢٠٢

﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٧) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ (١٩٨) خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) ﴾ .



الله يتولي الصالحين من عباده

﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ﴾القرآن . ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾أي ومن عادته تعالي أن يتولي الصالحين من عباده فضلاً عن أنبيائه .

﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم .

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا بصورة من ينظر إلي من يواجهه .

الأمر بالمعروف

﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولاتطلب ما يشق عليهم ، من العفو الذي هو ضد الجهد أو خذ العفو عن المذنبين أو الفضل ومايسهل من صدقاتهم ، وذلك قبل وجوب الزكاة، ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾المعروف المستحسن من الأفعال . ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فلا تمارهم ولاتكافئهم بمثل أفعالهم ، وهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق آمرة للرسول باستجماعها (٣٩٣) .

٣٩٣) ذكر ابن جرير في تفسيره : وابن أبي حاتم في سند متصل بأبي بن كعب : لما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، قال رسول الله ﷺ : ما هذا يا جبريل ؟ قال : إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك .

الاستعاذة بالله من وسوسة الشيطان

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ﴾ ينخسنك منه نخس أي وسوسة تحملك علي خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب وفكر ، والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس إغراء لهم علي المعاصي وإزعاجاً بغرز السائق ما يسوقه ، ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ ﴾ يسمع استعاذتك . ﴿ عَلِيمٌ ﴾ يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه ، أو سميع بأقوال من آذاك عليهم بأفعاله فيجازيه عليها مغنياً إياك عن الانتقام ومشايعة الشيطان (٣٩٤) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ ﴾ لمة منه ، وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر أن تؤثر فيهم ، أو من طاف به الخيال يطيف طيفاً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب طيف علي أنه مصدر أو تخفيف طيف كلين وهين ، والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره .﴿ تَذَكَّرُوا ﴾ ما أمر الله به ونهي عنه . ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولايتبعونه فيها ، والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله :

وذكر ابن كثير في تفسيره ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن أحد الداخلين على عمر رضي الله عنه أغضبه ، فقال له الحر بن قيس : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ وإن هذا من الجاهلين ، فوالله ما حاذرها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافًا عند كتاب الله عز وجل .

أخذ بعض الحكماء معني الآية فسبكه في بيتين فيهماجناس فقال :

خذ العفو وأمر بعرف كما ... أمرت وأعرض عن الجاهلين

ولن في الكلام لكل الأنام ... فمستحسن من ذوى الجاه لين .

(٣٩٤) قال أبو الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس في الالتجاء إلى الله والاستعاذة به من كيد شيطانه :

يا من ألوذ به فيما أؤمـــــله ... ومن أعوذ به مما أحــــاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظما أنت جابره .

مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٦٥ .

﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ أي وإخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين . ﴿ فِي الْغَيِّ ﴾ بالتزيين والحمل عليه ، وقرئ يمدونهم من أمد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال . ﴿ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴾ ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتي يردوهم ، ويجوز أن يكون الضمير للإخوان أي لايكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير إلي الجاهلين فيكون الخبر جارياً علي ما هو له .

الآيات من ٢٠٣ : ٢٠٦

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦) ﴾ .

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ ﴾ من القرآن أو مما اقترحوه . ﴿ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا ﴾ هلا جمعتها تقولاً من نفسك كسائر ما تقرؤه أوهلا طلبتها من الله . ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾ لست بمختلق للآيات أولست بمقترح لها . ﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب .﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ سبق تفسيره

وجوب الإنصات عند سماع القرآن

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له . وظاهر اللفظ يقتضي ويجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقاً وعامة العلماء علي استحبابهما خارج الصلاة، واحتج به من لايري وجوب القراءة علي المأموم وهو ضعيف (٣٩٥) .

(٣٩٥) روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى موسى الأشعرى أن النبي ﷺ قال « إنما

ذكر الله وكيفيته

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرهما ، أو أمر للمأموم بالقراءة سراً بعد فراغ الإمام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رضي الله تعالي عنه ، ﴿ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ متضرعاً وخائفاً . ﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ ومتكلماً كلاماً فوق السر ودون الجهر فإنه أدخل في الخشوع والإخلاص(٣٩٦) ﴿ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ بأوقات الغدو والعشيات ، وقرئ والإيصال وهو مصدر آصل إذا دخل في الأصيل وهو مطابق للغدو . ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ عن ذكر الله .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾يعني ملائكة الملأ الأعلي . ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ ﴾ وينزهونه ﴿ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ ويخصونه بالعبادة والتذلل لايشركون به غيره ، وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي ﷺ «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد أعتزل الشيطان يبكي فيقول : يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت**

جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ فأنصتوا » وروى الإمام أحمد فى مسنده وأهل السنن من حديث الزهرى عن أبى أكثمة الليثى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال : هل قرأ أحد منكم معى آنفا ؟ قال رجل : نعم يا رسول الله . قال : فإنى أقول : مالى أنازع القرآن ؟ قال : فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ فيماجهر فيه بالقراءة من الصلاة حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ .

وروى ابن جرير عن بشير بن جابر قال : صلى ابن مسعود فسمع ناساً يقرءون مع الإمام ـ فلما انصرف قال : أما آن لكم أن تفهموا ؟ أما آن لكم أن تعقلوا ؟ ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا** ﴾ كما أمركم الله .

(٣٩٦) خير الأمور الوسط . جاء فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى رضي الله تعالى عنه قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء فى بعض الأسفار ، فقال لهم النبى ﷺ : يأيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إن الذى تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته .

فلي النار » (٣٩٧) ..

من فضائل سورة الأعراف

وعنه ﷺ « من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة » (٣٩٨) .

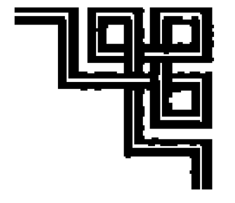
(٣٩٧) رواه السيوطى فى الجامع الصغير جـ ١ ص ٣٣ وقال : رواه أحمد ومسلم وابن ماجه من حديث أبى هريرة ورمز له السيوطى بالصحة والحسن .

(٣٩٨) رواه الزمخشرى فى تفسيره .

سورة الأنفال مدنية

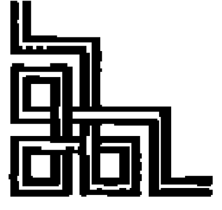
وآياتها خمس وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٤

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾ .



﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ ﴾ أي الغنائم يعني حكمها ، وإنما سميت الغنيمة نفلاً لأنها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشرطه الإمام لمقتحم خطر عطية له وزيادة علي سهمه (٣٩٩) ﴿ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾أي أمرها مختص بهما يقسمها الرسول علي ما يأمره الله به .

سبب نزول الآية

وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر أنها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منه أو الأنصار .

وقيل : شرط رسول الله ﷺ لمن كان له غناء أن ينفله ، فتسارع شبابهم حتي قتلوا سبعين وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم – وكان المال قليلا – فقال الشيوخ

---

(٣٩٩) قال لبيد بن ربيعة العامرى :

إن تقوى ربـنا خيرُ نَفَلْ ... وبإذن الله ريثى وَعَجَل

أحمد الله فلا ندَّ لـه ... بيديه الخيرُ ما شـاء فعل

من هداه سُبُلَ الخير اهتدي ... ناعم البال ، ومن شاء أضل .

جعل الثواب الذى يهبه الله تعالى لعباده علي التقوى نَفَلاً أى عطية خالصة منه لهم .

والوجوه الذين كانوا عند الرايات : كنا ردْءاً لكم وفئة تنحازون إلينا ، فنزلت(٤٠٠) فقسمها رسول الله ﷺ بينهم علي السواء ، ولهذا قيل : لايلزم الإمام أن يفي بما وعد وهو قول الشافعي رضي الله عنه .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالي عنه قال : لما كان يوم بدر قتل أخي عُمَيْر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه ، فأتيت به رسول الله ﷺ واستوهبته منه فقال : ليس هذا لي ولالك اطرحه في القبض فطرحته ، وبي مالايعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتي نزلت سورة الأنفال ، فقال لي رسول الله ﷺ سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذه(٤٠١) .

وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها علي اللام وإدغام نون عن فيها ، ويسألونك الانفال، أي يسألك الشبان ما شرطت لهم .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾في الاختلاف والمشاجرة . (٤٠٢) ﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره إلي الله والرسول . ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فيه ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فإن الإيمان يقتضي ذلك ، أو إن كنتم كاملي الإيمان فإن كمال الإيمان بهذه الثلاثة : طاعة الأوامر والاتقاء عن المعاصي ، وإصلاح ذات البين بالعدل والإحسان .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي الكاملون في الإيمان ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فزعت لذكره استعظاماً له وتنبيهاً من جلاله ، وقيل : هو الرجل يهم

---

(٤٠٠) أخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم من حديث أبى أمامة عن عبادة بن الصامت .

(٤٠١) رواه الإمام أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه والترمذى والنسائى من طريق أبى بكر بن عياش به ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح والقبض ـ على وزن سبب ـ المال المقبوض وهو هنا الغنائم .

(٤٠٢) روى أحمد عن أبى أمامة قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال ، فقال : نزلت فينا أصحاب بدر ، نزلت حين اختلفنا فى النَّفَل وساءت فيه أخلاقنا فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله ﷺ ، فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين .

بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفاً من عقابه ، وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت أي خافت . ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ لزيادة المؤمن به ، أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الأدلة ، أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء علي أن العمل داخل فيه . ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ يفوضون إليه أمورهم ولايخشون ولايرجون إلا إياه .

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٤٠٣)

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل ، ومحاسن أفعال الجوارح التي هي العيار عليها من الصلاة والصدقة ، وحقاً صفة مصدر محذوف (٤٠٤) أومصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا ،

﴿ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ كرامة وعلو منزلة وقيل: درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ لما فرط منهم . ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أعد لهم في الجنة لاينقطع عدده ولاينتهي أمده .

---

(٤٠٣) إقامة الصلاة : هى المحافظة على مواقيتهاووضوئها وتمام أركانها من الركوع والسجود وتلاوة القرآن فيها ، والاطمئنان فى الأركان ، والتشهد والصلاة على النبى ﷺ .
والإنفاق مما رزقهم الله يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب وليُعلم أن هذه الأموال إنما هي عوارى وودائع عندك يا بن آدم أوشكت أن تفارقها . . . ـ من تفسير ابن كثير ـ .
ونضيف : أن الرزق ليس مقصورا علي المال ، فالعلم رزق ، والصحة رزق ، والحياة رزق وكل ما أنعم الله به علي عبده رزق ، فلينفق الإنسان من ذلك الرزق ، أى لينفع به غيره ، فإن كان قويا فليساعد بقوته الضعيف ، وإن كان ذا جاه فليبذل جاهه لمن هو فى حاجه إليه وإن كان ذا منصب ، فليحاول أن يسخر منصبه في نفع من هو في حاجة إلي المعونة ومن لا يستطيع أن يأخذ حقه ، ومن كان ذا علم فليبذل علمه في منفعة غيره وهكذا .
(٤٠٤) حقًا : صفة لمصدر محذوف والتقدير : أولئك هم المؤمنون إيمانًا حقا .

الآيات من ٥ : ٧

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٦) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) ﴾

قصة بدر

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره : هذه الحال في كراهتهم إياها كحال إخراجك للحرب في كراهتهم له ، وهي كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة . أو صفة مصدر الفعل المقدر في قوله ﴿لله وللرسول ﴾ أي الانفال ثبتت لله والرسول ﷺ مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات إخراجك ربك من بيتك، يعني المدينة لأنها مهاجره ومسكنه أوبيته فيها مع كراهتهم . ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ في موقع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم ، وذلك أن عير (٤٠٥) قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام ، فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال ، فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة ، فنادي أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء علي كل صعب وذلول ، عيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبداً .

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب أن ملكاً نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلّق بها فلم يبق بيت في مكة إلا أصابه شئ منها ، فحدثت بها العباس وبلغ ذلك أبا جهل فقال : ماترضي رجالهم أن يتنبئوا حتي تتنبأ نساؤهم ، فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة ومضي بهم إلي بدر وهو ماء

---

(٤٠٥) العير : تطلق على القافلة التى تحمل التجارة .

كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة، وكان رسول الله ﷺ بوادي ذفران فنزل عليه جبريل عليه السلام بالوعد بإحدي الطائفتين إما العير وإما قريش ، فاستشار فيه أصحابه فقال بعضهم : هلا ذكرت لنا القتال حتي نتأهب له إنما خرجنا للعير ، فرد عليهم وقال : إن العير قد مضت علي ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل ، فقالوا : يارسول الله عليك بالعير ودع العدو ، فغضب رسول الله ﷺ فقام أبو بكر وعمر رضي الله تعالي عنهما وقالا فأحسنا ، ثم قام سعد بن عبادة فقال : انظر أمرك فامض فيه فوالله لو سرت إلي عدن أبين (٤٠٦) ما تخلف عنك رجل من الأنصار ،ثم قال مقداد بن عمرو (٤٠٧) : امض لما أمرك الله فإنا معك حيثما أحببت ، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسي ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون** ﴾(٤٠٨) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : «**أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم كانوا قد شرطوا حين بايعوه بالعقبة أنهم برآء من ذمامه حتي يصل إلي ديارهم ، فتخوف أن لايروا نصرته إلا علي عدو دهمه بالمدينة ، فقام سعد بن معاذ فقال : لكأنك تريدنا يارسول الله فقال : أجل قال : آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك علي ذلك عهودنا ومواثيقنا علي السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، ومانكره أن تلقي بنا عدونا ، وإنا لصبر عند الحرب صُدُقٌ عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا علي بركة الله تعالي ، فنشطه قوله ثم قال : سيروا علي بركة الله تعالي وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدي الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلي مصارع القوم وقيل : إنه ﷺ لما فرغ من بدر قيل له : عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه : لا يصلح ، فقال له : لم ؟ فقال : لأنه وعدك إحدي الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك ، فكره بعضهم قوله** (٤٠٩) .

---

(٤٠٦) عدن أبين : أبين اسم رجل نسبت إليه عدن ، فقيل عدن أبين ـ الصحاح .

(٤٠٧) هو المعروف بالمقداد بن الأسود .

(٤٠٨) المائدة : ٢٤ .

(٤٠٩) أخرجه الترمذي وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والبزار وابن حبان والحاكم من رواية إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما .

﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ ﴾في إيثارك الجهاد بإظهار الحق لإيثارهم تلقي العير عليه ، ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾لهم أنهم ينصرون أينما توجهوا بإعلام الرسول ﷺ ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾أي يكرهون القتال كراهة من يساق إلي الموت وهو يشاهد أسبابه ، وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم إذ روي أنهم كانوا رجالة وماكان فيهم إلا فارسان ، وفيه إيماء إلي أن مجادلتهم إنما كانت لفرط فزعهم ورعبهم .

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ﴾علي إضمار اذكر ، وإحدي ثاني مفعولي يعدكم وقد أبدل منها ، ﴿ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾بدل الاشتمال ، ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ يعني العير فإنه لم يكن فيها إلا أربعون فارساً ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعُدَدهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ ﴾ أي يثبته ويعليه ﴿ بِكَلِمَاتِهِ ﴾الموحي بها في هذه الحال، أو بأوامر ه للملائكة بالإمداد ، وقرئ بكلمته . ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ويستأصلهم ، والمعني : أنكم تريدون أن تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروهاً ، والله يريد إعلاء الدين وإظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين .

الآيات من ٨ : ١١

﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ .

﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ﴾أي فعل ما فعل وليس بتكرير ، لأن الأول لبيان المراد ومابينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي إلي حمل الرسول علي

وكان العباس قد أُسرَ يوم بدر ، لأنه كان في صفوف المشركين .

اختيار ذات الشوكة ونصره عليها . ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ذلك .

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ بدل من إذ يعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق ، أو علي إضمار اذكر ،واستغاثتهم أنهم لما علموا أن لامحيص (٤١٠) عن القتال أخذوا يقولون : أي رب انصرنا علي عدوك أغثنا ياغياث المستغيثين ، وعن عمر رضي الله تعالي عنه أنه ﷺ نظر إلي المشركين وهم ألف وإلي أصحابه وهم ثلاثمائة ، فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو : اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد في الأرض، فما زال كذلك حتي سقط رداؤه فقال أبو بكر يانبي الله : كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك (٤١١) .

﴿ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم ﴾بأني ممدكم ، فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ أبو عمرو بالكسر علي إرادة القول أو إجراء استجاب مجري قال لأن الاستجابة من القول ، ﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ متبعين المؤمنين أوبعضهم بعضاً من أردفته أنا إذا جئت بعده ، أومتبعين بعضهم بعض المؤمنين ، أو أنفسهم المؤمنين من أردفته إياه فردفه .

وقرأ نافع ويعقوب مردَفين بفتح الدال أي متبعين بمعني أنهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم. وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وأصله مرتدفين بمعني مترادفين فأدغمت التاء في الدال فالتقي ساكنان فحركت الراء بالكسر علي الأصل أو بالضم علي الاتباع ، وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور أن المراد بالألف الذين كانوا علي المقدمة أوالساقة ، أوجوههم وأعيانهم ، أو من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي أخبار تدل عليها .

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ ﴾أي الإمداد ﴿ إِلاَّ بُشْرَى ﴾ إلا بشارة لكم بالنصر ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم . ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾وإمداد الملائكة وكثرة العدد والأهب (٤١٢) ونحوهما وسائط لا تأثير لها فلاتحسبوا النصر منها ولاتيأسوا منه بفقدها . .

---

(٤١٠) لا محيص : لا مفر .

(٤١١) رواه مسلم فى صحيحه من رواية ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم .

(٤١٢) الأُهَب : جمع أُهْبه وهي الاستعداد .

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ ﴾ بدل ثان من إذ يعدكم لإظهار نعمة ثالثة أو متعلق بالنصر أوبما في عند الله معني الفعل ، أو بجعل أو بإضمار اذكر ، وقرأ نافع بالتخفيف من أغشيته الشئ إذا غشيته إياه والفاعل علي القراءتين هو الله تعالي : وقرأ ابن كثير وأبو عمر يغشاكم النعاس بالرفع .

﴿ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ أمنا من الله ، وهو مفعول له باعتبار المعني فإن قوله يغشيكم النعاس متضمن معني تنعسون ، ويغشاكم بمعناه ، والأمنة فعل لفاعله ويجوز أن يراد بها الإيمان فيكون فعل المغشي ، وأن تجعل علي القراءة الأخيرة فعل النعاس علي المجاز لأنها لأصحابه ، أو لأنه كان من حقه أن لايغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت له أمنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله :

يَهابُ النَّومُ أنْ يغْشي عُيُوناً تَهَابُكَ فَهُوَ نفَّارٌ شَرُودُ (٤١٣) .

---

(٤١٣) هذا البيت ذكره الزمخشري في تفسيره ، وقيل : هو له .
ومعناه أن النوم يخاف أن يغزو عيونا تخافك ، فالنوم كثير النفار والشرود ، وفي البيت تصوير حيث شبه النوم بحيوان يصبح منه الخوف .

* الإعجاز العلمي

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾

إن الأبحاث والعلوم الطبيه الحديثة أثبتت أن الإنسان البالغ يحتاج إلى عدد من الساعات لايقل عن ثمانى ساعات ينام خلالها حتى يستعيد الجسم نشاطه ويعود للذهن صفاؤه فيستطيع الإنسان أن يباشر حياته بهمة ونشاط وقوة وحيوية ولذلك نلاحظ أن الإنسان عندما يصاب بالأرق وقلة النوم تخور قواه ويصبح مشتت الفكر وغير قادر على الإنتاج أو الحركة والتخطيط السليم . هذا ما انتهت إليه أبحاث العلماء وأقره القرآن العظيم فى زمن التنزيل .

ويلاحظ فى سياق الأحداث التى تدور حولها الآية رقم ١١ أن المسلمين ذهبوا إلى موقعة « بدر » سائرين على الأقدام فأصابهم الجهد والمشقة وعز عليهم النوم نتيجة ترقب العدو وانتظار ما تسفر عنه الأحداث الأمر الذى لايجعلهم فى صورة مهيئة لملاقاة العدو

وقرئ أمنة كرحمة وهي لغة .

﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾ من الحدث والجنابة . ﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾ يعني الجنابة لأنها من تخييله ، أو وسوسته وتخويفه إياهم من العطش .

روي أنهم نزلوا في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام علي غير ماءونامو فاحتلم أكثرهم وقد غلب المشركون علي الماء ، فوسوس إليهم الشيطان وقال : كيف تنصرون ، وقد غلبتم علي الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون أنكم أولياء الله ، وفيكم رسوله فأشفقوا فأنزل الله المطر ، فمطر ليلاً حتي جري الوادي واتخذوا الحياض علي عُدْوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضئوا ، وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتي ثبتت عليه الأقدام وزالت الوسوسة . (٤١٤) ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ﴾ بالوثوق علي لطف الله بهم ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ أي بالمطر حتي لاتسوخ في الرمل ، أو بالربط علي القلوب حتي تثبت في المعركة .

---

(٤١٤) رواه الثعلبي ولم يسنده ، ورواه الطبراني وابن مردويه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما بأطول من هذا .

* الإعجاز العلمي

فتفضل عليهم الله عز وجل بنعمة النوم ويسبق النوم الشعور به « وهو النعاس » أى أنهم لم يسقطوا على الأرض فجأة نائمين بأمر قهرى ولكنهم دخلوا فيه بمراحله حتى استغرقوا نائمين حتى يستعيدوا نشاطهم وبعد النوم قاموا فى أتم صحه وأحسن حال متأهبين للقاء عدوهم الذى أعز الله فى عيون أعدائهم النوم فأصبحوا مرهقين وهكذا ....

وكانت نعمة الله أكبر عليهم إذ أنزل الماء على الأرض الرملية فجعلها ثابته تحت أقدامهم وهى نعمة أخرى لايعلمها إلا المتخصصون والمهندسون فى أبحاث التربة فدمك التربة الرملية بالماء يعطيها قوة وثباتا بنسب معينة إذا زاد الماء بعدها تحولت إلى أرض طينية ويحدثنا العلماء أن الماء الذى نزل من السماء وتحدثت به هذه الآية كان فى أرض المسلمين بالكمية التى تم بها تثبيت الأرض تحت أقدامهم .

وكان تحت أقدام الكافرين بالكمية الأكبر التى وحلت الأرض تحت أقدامهم إنها قدرة

الآيات من ١٢ : ١٥

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥)﴾ .

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾ بدل ثالث أو متعلق بيثبت ﴿إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾في إعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر علي إرادة القول أو إجراء الوحي مجراه ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالبشارة أو بتكثير سوادهم أو بمحاربة أعدائهم فيكون قوله : ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾كالتفسير لقوله إني معكم فثبتوا ، وفيه دليل علي أنهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين إما علي تغيير الخطاب أو علي أن قوله ﴿سألقي﴾ إلي قوله ﴿كل بنان﴾ تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال : قولوا لهم قولي هذا ﴿فَاضْرِبُوا

* **الإعجاز العلمي**

= **الله الذى أراد أن ينصر المسلمين رغم قلة عددهم ويعز الإسلام فى أول مواجهة بين المسلمين والكفار .**

إن الآية تحدثت عن موضعين للإعجاز العلمى توصل إليهما العلم الحديث منذ زمن قليل.

الموضوع الأول : حاجة جسم الإنسان إلى النوم الهادىء غير المؤرق حتى يستعيد قواه.

الموضوع الثانى : أبحاث تثبيت التربة التى تدرس الآن بكليات العلوم والهندسة وإضافة الماء لأنواع التربه المختلفة .

وتتابع الآيات لتؤكد لنا نتيجة هذين الموضعين من هذه الأحداث فتجد أن نهاية الآية رقم ١٨ « وأن الله موهن كيد الكافرين » .

بينما نهاية الآية رقم ١٩ « وأن الله مع المؤمنين » .

فَوْقَ الأَعْنَاقِ ﴾ أعاليها التي هي المذابح أو الرءوس ﴿ **وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ أصابع أي جزوا رقابهم واقطعوا أطرافهم .

﴿ **ذَلِكَ** ﴾ إشارة إلي الضرب أو الأمر به والخطاب للرسول ، أولكل أحد من المخاطبين قبل . ﴿ **بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لأن كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب . ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ تقرير للتعليل أو وعيد بما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا .

﴿ **ذَلِكُمْ** ﴾ الخطاب فيه مع الكفرة علي طريقة الالتفات ومحله الرفع أي : الأمر ذلكم أوذلكم واقع أو نصب بفعل دل عليه ﴿ **فَذُوقُوهُ** ﴾ أو غيره مثل باشروا أوعليكم فتكون الفاء عاطفة . ﴿ **وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ** ﴾ عطف علي ذلكم أو نصب علي المفعول معه ، والمعني ذوقوا ما عجل لكم مع ما أجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة علي أن الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما وقرئ ﴿ **وإن** ﴾ بالكسر علي الاستئناف .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا** ﴾ كثيرا بحيث يري لكثرتهم كأنهم يزحفون ، وهو مصدر زحف الصبي إذا دب علي مقعده قليلاً قليلاً سمي به وجمع علي زحوف وانتصابه علي الحال . ﴿ **فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ** ﴾بالانهزام فضلاًأن يكونوا مثلكم أوأقل منكم ، والأظهر أنها محكمة مخصوصة بقوله ﴿ **حرض المؤمنين علي القتال** ﴾ (٤١٥) الآية ويجوز أن ينتصب زحفاً حالاً من الفاعل والمفعول أي : إذا لقيتموهم متزحفين يدبون إليكم وتدبون إليهم فلاتنهزموا ، أو من الفاعل وحده ويكون إشعاراً بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر ألفاً .

---

(٤١٥) الأنفال : ٦٥ .

الآيات من ١٦ : ١٩

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٨) إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩) ﴾

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴾يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو، فإنه من مكايد الحرب. ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾أو منحازاً إلي فئة أخري من المسلمين علي القرب ليستعين بهم ، ومنهم من لم يعتبر القرب لما روي ابن عمر رضي الله عنهما : أنه كان في سرية بعثهم رسول الله ﷺ ففروا إلي المدينة فقلت : يا رسول الله نحن الفرارون فقال : بل أنتم العكارون وأنا فئتكم (٤١٦)

وانتصاب متحرفاً ومتحيزاً علي الحال ، وإلا لغو لا عمل لها ، أو الاستثناء من

---

(٤١٦) أخرجه أبو داود والترمذي والبخاري في الأدب المفرد ، ورواه كذلك أحمد وإسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبزار ، وقال الترمذي عنه : لا نعرفه إلا من رواية يزيد بن أبي زياد .

ويزيد بن زياد رواه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن عمر رضي الله عنهما .

ورواه ابن كثير في تفسيره من حديث أحمد ، ولفظه « عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ ، فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص ، فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ثم قلنا : لو دخلنا المدينة ثم بتنا، ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا علي رسول الله ﷺ فإن كان لناتوبة وإلا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : من القوم ؟ فقلنا : نحن الفرارون . فقال : لا بل أنتم العكارون أي الكرارون ، أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين ، قال : فأتيناه حتى قبلنا يده . قال ابن كثير : وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة . .

والعكارون : صيغة مبالغة من عكر إذا عطف ثم كرَّ .

المولين أي إلا رجلاً متحرفاً أومتحيزاً ، ووزن متحيز متفيعل لا متفعل وإلا لكان متحوزاً لأنه من حاز يحوز ﴿ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ هذا إذا لم يزد العدو علي الضعف لقوله ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ ﴾(٤١٧) الآية ، وقيل الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه في الحرب .

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ بقوتكم . ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ بنصركم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم . روي: أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال ﷺ : هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك ، اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام وقال له : خذ قبضة من تراب فارمهم بها ، فلما التقي الجمعان تناول كفاً من الحصباء فرمي بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه ، فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ، ثم لما انصرفوا أقبلوا علي التفاخر فيقول الرجل قتلت وأسرت ، فنزلت (٤١٨) والفاء جواب شرط محذوف تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم .

﴿ وَمَا رَمَيْتَ ﴾ يامحمد رمياً توصله إلي أعينهم ولم تقدر عليه . ﴿ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ أي إذ أتيت بصورة الرمي . ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ أتي بما هو غاية الرمي فأوصلها إلي أعينهم جميعاً حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم ، وقد عرفت أن اللفظ يطلق علي المسمي وعلي ما هو كماله والمقصود منه .

وقيل : معناه ما رميت بالرعب إذ رميت بالحصباء ولكن الله رمي بالرعب في قلوبهم ، وقيل : إنه نزل في طعنة طعن بها أبي بن خلف يوم أحد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتي مات ، أورمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فأصاب كنانة ابن أبي الحقيق علي فراشه ، والجمهور علي الأول.

---

(٤١٧) الأنفال : ٦٦ .

(٤١٨) رواه الواقدى في المغازى عن ابن أبي الزهرى عن الزهري عن عروة بن الزبير .
ورواه الطبرى من رواية علي بن أبى طلحة ، ورواه أيضا من طريق أسباط عن السُّدِّى ، ورواه أيضا من وجه آخرعن حكيم بن حزام بنحوه .

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين .

﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا ﴾ ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات فعل ما فعل ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾لاستغاثتهم ودعائهم . ﴿ عَلِيمٌ ﴾بنياتهم وأحوالهم .

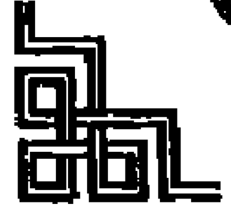
﴿ ذَلِكُمْ ﴾إشارة إلي البلاء الحسن ، أو القتل أو الرمي ، ومحله الرفع أي المقصود أو الأمر ذلكم وقوله ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ معطوف عليه أي المقصود إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حِيَلِهِمْ ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو مُوهِّن بالتشديد ، وحفص موهن كيد بالإضافة والتخفيف .

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ خطاب لأهل مكة علي سبيل التهمكم ، وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا : اللهم انصر أعلي الجندين وأهدي الفئتين وأكرم الحزبين . ﴿ وَإِن تَنتَهُوا ﴾عن الكفر ومعاداة الرسول ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين . ﴿ وَإِن تَعُودُوا ﴾لمحاربته ﴿ نَعُدْ ﴾ لنصرته عليكم . ﴿ وَلَن تُغْنِيَ ﴾ولن تدفع ﴿ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ ﴾ جماعتكم ﴿ شَيْئًا ﴾ من الإغناء أوالمضار ﴿ وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾ فئتكم . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وأن بالفتح علي تقدير ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك ، وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعني : إن تستنصروا فقد جاءكم النصر ، وإن تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا إليه نعد عليكم بالإنكار أو تهييج العدو ، ولن تغني حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر فإنه مع الكاملين في إيمانهم ويؤيد ذلك .

الآيات من ٢٠ : ٢٤

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ

لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) ﴾ .



الأمر بطاعة الله والرسول

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ** ﴾ أي ولا تتولوا عن الرسول ، فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والنهي عن الإعراض عنه ، وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه علي أن طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالي ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾[(٤١٩)] وقيل الضمير للجهاد أو للأمر الذي دل عليه الطاعة .

﴿ **وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ** ﴾ القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق.

﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا** ﴾ كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع .

﴿ **وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ** ﴾ سماعاً ينتفعون به فكأنهم لايسمعون رأساً.

﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ** ﴾ شر ما يدب علي الأرض ، أوشر البهائم .

﴿ **الصُّمُّ** ﴾ عن الحق ﴿ **الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾ إياه ، عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لإبطالهم ما ميزوا به وفضلوا لأجله .

﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا** ﴾ سعادة كتبت لهم أو انتفاعاً بالآيات ﴿ **لَّأَسْمَعَهُمْ** ﴾ سماع تفهم ﴿ **وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ** ﴾ وقد علم أن لاخير فيهم ﴿ **لَتَوَلَّوا** ﴾ ولم ينتفعوا به ، أو ارتدوا بعد التصديق والقبول ﴿ **وَّهُم مُّعْرِضُونَ** ﴾ لعنادهم ، وقيل كانوا يقولون للنبي ﷺ : أحي لنا قصياً فإنه كان شيخاً مباركاً حتي يشهد لك ونؤمن بك ، والمعني لأسمعهم كلام قصي[(٤٢٠)] .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ** ﴾ بالطاعة . ﴿ **إِذَا دَعَاكُمْ** ﴾

---

(٤١٩) النساء : ٨٠ .

(٤٢٠) قيل : إن هؤلاء القوم الذين وصفوا بذلك هم بنو عبد الدار بن قصي ، لم يسلم منهم إلا رجلان : مصعب بن عمير وسويد بن حرملة ، وكانوا يقولون : نحن صم بكم عما جاء به محمد ، لا نسمعه ولا نجيبه ، فقتلوا جميعاً بأحد وكانوا أصحاب اللواء .
وعن ابن جريج : المقصود بهم المنافقون ، وعن الحسن : هم أهل الكتاب .
الزمخشري في الكشاف .

وحد الضمير فيه لما سبق ولأن دعوة الله تسمع من الرسول وروي أنه ﷺ مر علي أبي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال : ما منعك عن إجابتي ؟ قال : كنت أصلي ، قال : ألم تخبر فيما أوحي إلي ﴿ استجيبوا لله وللرسول ﴾(٤٢١) .

واختلف فيه فقيل هذا لأن إجابته لاتقطع الصلاة فإن الصلاة أيضاً إجابة وقيل لأن دعاءه كان لأمر لايحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الأول .

﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ من العلوم الدينية فإنها حياة القلب والجهل موته قال :

لاتعجبَنَّ الجهُول حلته فَذاكَ مَيتٌ وثوبُهُ كَفن(٤٢٢) .

أو مما يورثكم الحياة الأبدية في النعيم الدائم من العقائد والأعمال ، أو من الجهاد فإنه سبب بقائكم إذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم ، أوالشهادة لقوله تعالي ﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾(٤٢٣)

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالي ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾(٤٢٤) وتنبيه علي أنه مطلع علي مكنونات القلوب مما عسي يغفل عنه صاحبها ، أوحث علي المبادرة إلي إخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أوغيره ، أوتصوير وتخييل لتملكه علي العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته وبينه وبين الإيمان إن قضي شقاوته .

---

(٤٢١) رواه الترمذى والنسائى ، ورواه ابن مردويه أيضا . وأبيّ هو أبى بن كعب رضي الله عنه . ورواه البخارى بسنده إلى أبى سعيد بن المعلى قال : كنت أصلى فمر بى النبى ﷺ فدعانى ، فلم آته حتى صليت ثم أتيته ، فقال : ما منعك أن تأتينى ؟ ألم يقل الله : ﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم .. ﴾ ثم قال : « ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن أخرج ؟ فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرت له . فقال : الحمد لله رب العالمين وهى السبع المثانى .

(٤٢٢) ذكره الزمخشرى فى تفسيره ، وقيل : هو له ، وفيه تصوير للجاهل بأنه ميت فى عدم النفع وفقدان الإدراك .

(٤٢٣) آل عمران : ١٦٩ . (٤٢٤) ق : ١٦ .

وقرئ بين المر بالتشديد علي حذف الهمزة وإلقاء حركتها علي الراء وإجراء الوصل مجري الوقف علي لغة من يشدد فيه . ﴿ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ فيجازيكم بأعمالكم .

الآيات من ٢٥ : ٢٨

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾ .

البلوي تعم والرحمة تخص

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ اتقوا ذنباً يعمكم أثره كإقرار المنكر بين أظهركم والمداهنة في الأمر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد علي أن قوله لاتصيبن إما جواب الأمر علي معني أن إصابتكم لاتصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم ، وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معني النهي ساغ فيه كقوله تعالي ﴿ ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم ﴾ (٤٢٥) وأما صفة لفتنة ، ولا للنفي وفيه شذوذ لأن النون لاتدخل المنفي في غير القسم ، أو للنهي علي إرادة القول كقوله :

حتي إذا جن الظلام واختلط ... جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط (٤٢٦) .

---

(٤٢٥) النحل : ١٨ .

(٤٢٦) هذا الشعر لأحد الرجاز ، وقيل هو للعجاج الراجز الإسلامي المشهور ، وهو يصف رجلا بالبخل ، بأنه أمسك الطعام عن الضيف حتى اشتد الظلام ، ثم قدم لهم مذقًا لونه يشبه الذئب ولهذا الشعر بقية تكمل معناه ، وهو بتمامه .

بتنا بحسان ومعزاه يئط ... يلحس أذنيه وحينا يمتخط

مازلت أسعى فيهمو وأختبط ... حتى إذا جن الظلام واختلط

جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط ؟

وإما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وإن اختلفا في المعني ، ويحتمل أن يكون نهياً بعد الأمر باتقاء الأخيرين للتبيين وفائدته التنبيه علي أن الظلم منكم أقبح من غيركم . ﴿ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ أرض مكة يستضعفكم قريش، والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فإنهم كانوا أذلاء في أيدي فارس والروم ، ﴿ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ ﴾ كفار قريش أو من عداهم فإنهم كانوا جميعاً معادين لهم مضادين لهم ﴿ فَآوَاكُمْ ﴾ إلي المدينة ، أو جعل لكم مأوي تتحصنون به عن أعاديكم ﴿ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ ﴾ علي الكفار أوبمظاهرة الأنصار ، أو بإمداد الملائكة يوم بدر ، ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ من الغنائم . ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ هذه النعم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ بتعطيل الفرائض والسنن ، أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون . أو بالغلول في المغانم .

سبب نزول الآية

وروي : « أنه ﷺ حاصر بني قريظة إحدي وعشرين ليلة ، فسألوه الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير علي أن يسيروا إلي إخوانهم بأذرعات وأريحاء بأرض الشام ، فأبي إلا أن ينزلوا علي حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا : أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله في أيديهم ، فبعثه إليهم فقالوا ما تري هل ننزل علي حكم سعد بن معاذ ؟ فأشار إلي حلقه أنه الذبح ، قال أبو لبابة : فما زالت قدماي حتي علمت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه علي سارية في المسجد وقال :والله لا أذوق طعاماً ولاشراباً حتي أموت أويتوب الله علي ، فمكث سبعة أيام حتي خر مغشياً عليه ، ثم تاب الله عليه فقيل له : قد تيب عليك فحل نفسك فقال : لا والله لا أحلها حتي يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني ،

والأطُّ هو صوت الجوف عند الجوع ، والاختباط : طلب المعروف من غير اهتداء ، يقول : نزلنا عند حسان ليلا فرأينا معزاه هزيلة جائعة تئط وتمتخط من الجوع والهزال وقد يكون البيت كناية عن كثرة معيزه ، حتى إذا اشتد الظلام لم يقدم لهم سوى المذق وهو اللبن المخلوط بالماء المتكدر ، الذى يشبه لون الذئب فى الكدرة .

فجاءه فحله بيده فقال إن من تمام توبتي أن أهجر دارقومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي فقال ﷺ يجزيك الثلث أن تتصدق به » (٤٢٧) وأصل الخون النقص كما أن أصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه ﴿ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف علي الأول أومنصوب علي الجواب بالواو﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنكم تخونون ، أو أنتم علماء تميزون الحسن من القبيح .

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ لأنهم سبب الوقوع في الإثم أوالعقاب ، أومحنة من الله تعالي ليبلوكم فيهم فلايحملنكم حبهم علي الخيانة كأبي لبابة . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾لمن آثر رضا الله عليهم وراعي حدوده فيهم ، فأنيطوا هممكم بما يؤديكم إليه .

الآيات من ٢٩ : ٣٢

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١) وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أونصراً يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين، أو مخرجاً من الشبهات ، أونجاة عما تحذرون في الدارين ، أو ظهوراً يشهر أمركم ويبث صيتكم من قولهم بت أفعل كذا حتي سطع الفرقان أي الصبح .

---

(٤٢٧) رواه ابن كثير فى تفسيره وقال : أخرجه عبد الرزاق عن قتادة والزهرى . وأبو لبابة هو ابن عبد المنذر الأنصارى .

وقيل : نزلت الآية فى أبى لبابة لا لهذا السبب المذكور ، بل لأنه تخلف عن النبى ﷺ فى غزوة تبوك .

﴿ وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ويسترها .﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ بالتجاوز والعفو عنكم ، وقيل : السيئات الصغائر والذنوب الكبائر ، وقيل : المراد ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر وقد غفرها الله تعالي لهم ، ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ تنبيه علي أن ما وعده لهم علي التقوي تفضل منه وإحسان ، وأنه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد إذا وعد عبده إنعاماً علي عمل .

إحباط مكر الكفارين

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه ، من مكرهم واستيلائه عليهم ، والمعني واذكر إذ يمكرون بك ﴿ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ بالوثاق أو الحبس ، أو الإثخان بالجرح من قوله ضربه حتي أثبته لاحراك به ولابراح، وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك ، ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ بسيوفهم ﴿ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ من مكة وذلك أنهم لما سمعوا بإسلام الأنصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال : أنا من نجد سمعت اجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً فقال أبو البحتري : رأيي أن تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها حتي يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو: رأيي أن تحملوه علي جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع ، فقال: بئس الرأي يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم ، فقال أبو جهل أنا أري أن تأخذوا من كل بطن غلاماً وتعطوه سيفاً صارماً فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوي بنو هاشم علي حرب قريش كلهم ،فإذا طلبوا العقل عقلناه فقال : صدق هذا الفتي فتفرقوا علي رأيه ، فأتي جبريل النبي ﷺ وأخبره الخبر وأمره بالهجرة ، فبيت علياً رضي الله عنه في مضجعه وخرج مع أبي بكر رضي الله تعالي عنه إلي الغار (٤٢٨)

---

(٤٢٨) أخرجه ابن إسحاق فى المغازى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وأخرجه الطبرى فى تفسيره ، وأبو نعيم فى دلائل النبوة ، ورواه عبد الرزاق فى مصنفه عن

﴿ ويَمْكُرُونَ ويَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ برد مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أوبمعاملة الماكرين معهم بأن أخرجهم إلي بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتي حملوا عليهم فقتلوا . ﴿ واللَّهُ خيرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره وإسناد أمثال هذا ما يحسن للمزاوجة ولايجوز إطلاقها ابتداء لما فيه من إيهام الذم .

الكفار يتحدون ويطلبون العذاب

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾هو قول النضر بن الحارث وإسناده إلي الجميع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم فإنه كان قاصهم ، أوقول الذين ائتمروا في أمره ﷺ وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم ، إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاءوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصاً في باب البيان ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ ما سطره الأولون من القصص .

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ هذا أيضاً من كلام ذلك القائل أبلغ في الجحود روي أنه لما قال النضر إن هذا إلا أساطير الأولين قال له النبي ﷺ ويلك إنه كلام الله فقال ذلك ، والمعني إن كان هذا حقاً منزلاً فأمطر الحجارة علينا عقوبة علي إنكاره ، أو ائتنا بعذاب أليم سواه ، والمراد منه التهكم وإظهار اليقين والجزم التام علي كونه باطلاً وقرئ الحق بالرفع علي أن هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة علي أن المعلق به كونه حقاً بالوجه الذي يدعيه النبي ﷺ وهو تنزيله لا الحق مطلقاً لتجويزهم أن يكون مطابقاً للواقع غير منزل كأساطير الأولين (٤٢٩)

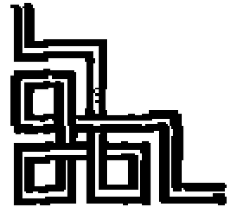
معمر عن الزهري عن عروة .

ويسمى هذا اليوم الذي اجتمع فيه القرشيون بدار الندوة ليتآمروا بيوم الرحمة .

(٤٢٩) وتدل هذه الآية على شدة حمق الكفار إذ يطلبون من الله العذاب بدل الرحمة ، وقد جاء ذلك على لسان رجل من اليمن تناظر مع قرشى ، . قال القرشى : ما أحمق قومك إذ ولّوا عليهم امرأة . فقال اليمنى : ما أحمق قومك إذ قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، أفلا قالوا : إن كان هذا هو الحق فاهدنا إليه ؟؟

الآيات من ٣٣ : ٣٥

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٣٤) وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) ﴾.



رحمة النبي ﷺ في قومه :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ بيان لما كان الموجب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم ، واللام لتأكيد النفي والدلالة علي أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي ﷺ بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه ، والمراد باستغفارهم إما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين ، أوقولهم اللهم غفرانك ، أو فرضه علي معني لو استغفروا لم يعذبوا كقوله ﴿ وما كان ربك ليهلك القري بظلم وأهلها مصلحون ﴾ (٤٣٠) .

ولاية البيت لأهل الإيمان

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ﴾وما لهم مما يمنع تعذيبهم متي زال ذلك وكيف لايعذبون . ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ وحالهم ذلك ومن صدهم عنه إلجاء رسول الله ﷺ والمؤمنين إلي الهجرة وإحصارهم عام الحديبية . ﴿ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ﴾ مستحقين ولاية أمره مع شركهم ، وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء. ﴿ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ ﴾ من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره ،وقيل الضميران لله .﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أن لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالأكثر أن منهم من يعلم ويعاند ، أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم .

﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ ﴾ أي دعاؤهم أوما يسمونه صلاة ، أو ما

---

(٤٣٠) هود : ١١٧

يضعون موضعها ، ﴿ إِلاَّ مُكَاءً ﴾ صفيراً فعال من مكا يمكو إذا صفر ، وقرئ بالقصر كالبكا . ﴿ وَتَصْدِيَةً ﴾ تصفيقاً تفعلة من الصدا ، أو من الصد علي إبدال أحد حرفي التضعيف بالياء، وقرئ صلاتهم بالنصب علي أنه الخبر المقدم ، ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أوعدم ولايتهم للمسجد فإنها لاتليق بمن هذه صلاته ، روي : أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون ، وقيل : كانوا يفعلون ذلك إذا أراد النبي ﷺ أن يصلي يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون أيضاً . ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾يعني القتل والأسر يوم بدر ، وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل أن تكون للعهد والمعهود : ائتنا بعذاب ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ اعتقاداً وعملاً .

الآيات من ٣٦ : ٣٩

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧) قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر، أو في أبي سفيان استأجر ليوم أحد ألفين من العرب سوي من استجاش(٤٣١) من العرب ، وأنفق عليهم أربعين أوقية ، أو في أصحاب العير فإنه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم أعينوا بهذا المال علي حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا ، والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله . ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ﴾ بتمامها ولعل الأول إخبار عن إنفاقهم في تلك الحال وهو إنفاق بدر ، والثاني إخبار عن إنفاقهم فيما يستقبل وهو

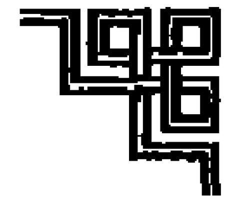
(٤٣١) استجاش : استثار .

إنفاق أحد ، ويحتمل أن يراد بهما واحد علي أن مساق الأول لبيان غرض الإنفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وإنه لم يقع بعد . ﴿ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ ندماً وغماً لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة إنفاقها مبالغة، ﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ آخر الأمر وإن كان الحرب بينهم سجالاً قبل ذلك ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي الذين ثبتوا علي الكفر منهم إذ أسلم بعضهم ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ يساقون .

﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح ، واللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون أوما أنفقه المشركون في عداوة رسول الله ﷺ مما أنفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ﴿ ثم تكون عليهم حسرة ﴾ وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز ، ﴿ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا ﴾ فيجمعه ويضم بعضه إلي بعض حتي يتراكبوا لفرط ازدحامهم ، أويضم إلي الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين . ﴿ فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ﴾ كله . ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ إشارة إلي الخبيث لأنه مقدر بالفريق الخبيث أو إلي المنفقين ، ﴿ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم .

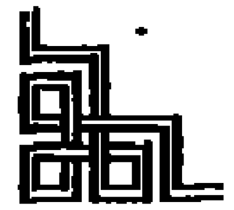
﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه والمعني قل لأجلهم ﴿ إِن يَنتَهُوا ﴾ عن معاداةِ الرسول ﷺ بالدخول في الإسلام ﴿ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف علي أنه خاطبهم ويغفر علي البناء للفاعل وهو الله تعالي ﴿ وَإِن يَعُودُوا ﴾ إلي قتاله ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الذين تحزبوا علي الأنبياء بالتدمير كما جري علي أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك .

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ لايوجد فيهم شرك . ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ وتضمحل عنهم الأديان الباطلة . ﴿ فَإِنِ انتَهَوْا ﴾ عن الكفر ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيجازيهم علي انتهائهم عنه وإسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء علي معني فإن الله بما تعملون من الجهاد والدعوة إلي الإسلام والإخراج من ظلمة الكفر إلي نور الإيمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة علي أنه كما يستدعي إثابتهم للمباشرة يستدعي إثابة مقاتليهم للتسبب .



الآيات من ٤٠ : ٤٢

﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾.



﴿ وَإِن تَوَلَّوْا ﴾ولم ينتهوا . ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ﴾ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم . ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ ﴾ لايضيع من تولاه . ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ لايغلب من نصره .

تقسيم الغنائم

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم ﴾ أى الذى أخذتموه من الكفار قهراً . . ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط . ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ مبتدأ خبره محذوف أى : فثابت أن لله خمسه . وقرئ فإن بالكسر والجمهور علي أن ذكر الله للتعظيم كما في قوله ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ (٤٣٢) . وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين . ﴿ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ فكأنه قال : فإن لله خمسه يصرف إلى هؤلاء الأخصين به ، وحكمه بعد باق غير أن سهم الرسول ﷺ يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى الله تعالى عنهما . وقيل إلى الإمام . وقيل إلى الأصناف الأربعة .

وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار

(٤٣٢) التوبة : ٦٢ .

الكل مصروفًا إلى الثلاثة الباقية .

وعن مالك رضي الله تعالى عنه الأمر فيه مفوض إلى رأى الإمام يصرفه إلي ما يراه أهم .

وذهب أبو العالية إلى ظاهر الآية فقال : يقسم ستة أقسام ويصرف سهم الله إلى الكعبة لما روي (أنه ﷺ كان يأخذ قبضة منه فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة) . وقيل : سهم الله لبيت المال . وقيل : هو مضموم إلى سهم الرسول ﷺ . وذوو القربى : بنو هاشم ، وبنو المطلب . لما روي (أنه ﷺ قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما : هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم ، أرأيت إخواننا من بنى المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة ، فقال ﷺ : إنهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا إسلام وشبك بين أصابعه » (٤٣٣) وقيل : بنو هاشم وحدهم. وقيل : جميع قريش الغني والفقير فيه سواء . وقيل : هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل . وقيل : الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص . والآية نزلت ببدر . وقيل : الخمس كان فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة .

﴿ إن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا أى: إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه إليهم واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية، فإن العلم العملي إذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لأنه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل . ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ محمد ﷺ من الآيات والملائكة والنصر . وقرئ عبدنا بضمتين أى الرسول ﷺ والمؤمنين ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾ يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق والباطل . ﴿ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ المسلمون والكافرون . ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فيقدر على نصر القليل على الكثير والإمداد بالملائكة.

---

(٤٣٣) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة من طريق سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم ، وهو فى الصحيح دون قوله « لم يفارقوني » .

موقف الفريقين يوم بدر

﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ بدل من يوم الفرقان ، والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادى وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثيروأبى عمرو ويعقوب . ﴿ وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ ﴾ البعدى من المدينة ، تأنيث الأقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الأصل كالقود وهو أكثر استعمالا من القصيا . ﴿ وَالرَّكْبُ ﴾ أى العير أو قوادها . ﴿ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ فى مكان أسفل من مكانكم يعنى الساحل ، وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله ، وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين أنفسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم ، وضعف شأن المسلمين والتباث أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة ، وكذا ذكر مراكز الفريقين فإن العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ولم يكن بها ماء ، بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله : ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾ أى لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم أنتم فى الميعاد هيبة منهم ، ويأساً من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس إلا صنعاً من الله تعالى خارقًا للعادة فيزدادوا إيمانًا وشكراً . ﴿ وَلَكِن ﴾ جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد . ﴿ لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾ حقيقا بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه ، وقوله : ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ بدل منه أو متعلق بقوله مفعولا والمعنى : ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة ، فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة . أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام ، والمراد بمن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحياة ، أو من هذا حاله في علم الله وقضائه . وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب من حيى بفك الإدغام للحمل على المستقبل . ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ بكفر من كفر وعقابه ، وإيمان من آمن وثوابه ، ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الأمرين علي القول والاعتقاد .

الآيات من ٤٣ : ٤٧

﴿ إذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (٤٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) ﴾

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً ﴾ مقدر باذكر أو بدل ثان من يوم الفرقان ، أو متعلق بعليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم فى عينك فى رؤياك ، وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ﴿ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ ﴾ لجبنتم ﴿ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ فى أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار . ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ﴾أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ يعلم ما سيكون فيها وما يغير أحوالها ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً ﴾ الضميران مفعولا يرى وقليلاً حال من الثاني ، وإنما قللهم فى أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله تعالي عنه لمن إلى جنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة ، تثبيتاً لهم وتصديقاً لرؤيا الرسول ﷺ . ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ حتى قال أبو جهل : إن محمدا وأصحابه أكلة جزور(٤٣٤) ، وقللهم فى أعينهم قبل التحام القتال ليجترءوا عليهم ولا يستعدوا لهم ، ثم كثرهم حتي يرونهم مثليهم لتفجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم ، وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلاً والقليل كثيراً لكن لا على هذا الوجه ولا إلي هذا الحد ، وإنما يتصور ذلك بصد الله الأبضار عن إبصار بعض دون بعض مع التساوى فى الشروط . ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾ كرره لاختلاف الفعل المعلل به ، أو لأن المراد بالأمر ثمة الاكتفاء على الوجه المحكى وها هنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الإشراك وحزبه . ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾

(٤٣٤) جزور: جمل . والتعبير كناية عن قلة العدد .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ حاربتهم جماعة ولم يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار ، واللقاء مما غلب في القتال . ﴿ فَاثْبُتُوا ﴾ للقائهم . ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً ﴾ في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره . ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ تظهرون بمرادكم من النصرة والمثوبة ، وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله ، وأن يلتجيء إليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأحوال .

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا ﴾ باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر أو أحد . ﴿ فَتَفْشَلُوا ﴾ جواب النهي . وقيل عطف عليه ولذلك قرىء ﴿ وَتَذْهَبْ رِيحُكُمْ ﴾ بالجزم ، والريح مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها . وقيل المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » . ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ بالكلاءة والنصرة .

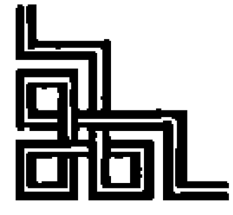
﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم ﴾ يعني أهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير . ﴿ بَطَراً ﴾ فخراً وأشراً . ﴿ وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾ ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة ، وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل : لا والله حتي نقدم بدراً ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيان(٤٣٥) ونطعم بها من حضرنا من العرب ، فوافوها ولكن سُقُوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح ، فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين ، وأمرهم بأن يكونوا أهل تقوى وإخلاص من حيث إن النهي عن الشيء أمر بضده . ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ معطوف على بطراً إن جعل مصدراً في موضع الحال وكذا إن جعل مفعولاً له لكن على تأويل المصدر . ﴿ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ فيجازيكم عليه .

الآيات من ٤٨ : ٥١

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ

(٤٣٥) تعزف : تلعب بآلات الغناء ، والقيان : جمع قينة مغنية كانت أو غير مغنية .

إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾



الشيطان يتخلى عن أوليائه وقت الشدة

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ مقدر باذكر . ﴿ أَعْمَالَهُمْ ﴾ في معاداة الرسول ﷺ وغيرها بأن وسوس إليهم . ﴿ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ مقالة نفسانية والمعني : أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم ، وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا : اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين ، ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته وإلا لانتصب كقولك : لا ضارباً زيداً عندنا . ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ ﴾ أي تلاقي الفريقان . ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ رجع القهقرى أي بطل كيده وعاد ما خيل إليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم . ﴿ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ﴾ أي تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى إمداد الله المسلمين بالملائكة ، وقيل : لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الإحنة وكان ذلك يثنيهم ، فتمثل لهم إبليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم من بني كنانة، فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له: إلى أين أتخذ لنا في هذه الحالة قال إني أري ما لا ترون ، ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا ، فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال : والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم . فلما أسلموا علموا أنه الشيطان(٤٣٦) . وعلى هذا يحتمل أن يكون معني قوله ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ﴾ إني أخافه أن يصيبني بمكروه من الملائكة أو يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود

---

(٤٣٦) ذكره ابن كثير في تفسيره بلفظ مقارب وقال : رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما . ـ مختصر ابن كثير جـ ٢ ص ٢٩٩ ـ .

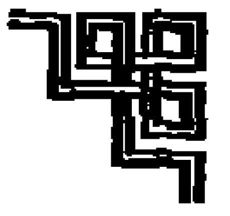
إذ رأى فيه ما لم ير قبله ، والأول ماقاله الحسن واختاره ابن بحر . ﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفًا .

موقف المنافقين

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِيـــنَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ والذين لم يطمئنوا إلى الإيمان بعد وبقى فى قلوبهم شبهة . وقيل هم المشركون .، وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين . ﴿غَرَّ هَؤُلاءِ ﴾ يعنون المؤمنين . ﴿ دِينُهُمْ ﴾ حتى تعرضوا لما لايدى لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء آلف . ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ جواب لهم . ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ غالب لا يذل من استجار به وإن قل . ﴿حَكِيمٌ ﴾ يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه .

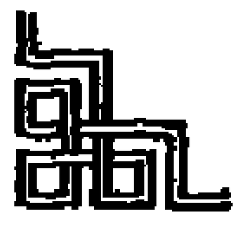
﴿ وَلَوْ تَرَىٰ ﴾ ولو رأيت فإن لو تجعل المضارع ماضيًا عكس إن . ﴿ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ ﴾ ببدر ، وإذ ظرف ترى والمفعول محذوف أى ولو ترى الكفرة أو حالهم حينئذ ، والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز أن يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره ﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ﴾والجملة حال من الذين كفروا ، واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو علي الأول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين . ﴿ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ ظهورهم أو أستاههم ، ولعل المراد تعميم الضرب أى يضربون ما أقبل منهم وما أدبر. ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيـــقِ ﴾ عطف على يضربون بإضمار القول أى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة ، وقيل : كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها ، وجواب لو محذوف لتفظيع الأمر وتهويله .

﴿ ذَلِكَ ﴾ الضرب والعذاب . ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ بسبب ما كسبت من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ عطف على ما للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم لا أن لا يعذبهم بذنوبهم . فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعًا ولا عقلاً حتى ينتهض نفى الظلم سببًا للتعذيب وظلام التكثير لأجل العبيد .



الآيات من ٥٢ : ٥٥

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) ﴾



﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ أى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى دأبوا فيه أى داموا عليه . ﴿ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من قبل آل فرعون . ﴿ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ تفسير لدأبهم . ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ كما أخذ هؤلاء . ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ لا يغلبه في دفعه شيء .

﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى ما حل بهم . ﴿ بِأَنَّ اللَّهَ ﴾ بسبب أن الله . ﴿ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ مبدلاً إياها بالنقمة . ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ يبدلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوأ ، كتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ﷺ ومن تبعه منهم ، والسعى فى إراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها إلى غير ذلك مما أحدثوه بعد المبعث ، وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرى عادته تعالي على تغييره متى يغيروا حالهم ، وأصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفاً . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لما يقولون . ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما يفعلون .

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله ﴿ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ وبيان ما أخذ به آل فرعون . وقيل الأول لتشبيه الكفر والأخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم .

﴿ وَكُلٌّ ﴾ من الفرق المكذبة ، أو من غرقى القبط وقتلى قريش . ﴿ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي .

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أصروا على الكفر ورسخوا فيه . ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فلا يتوقع منهم إيمان ، ولعله إخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون ، والفاء للعطف والتنبيه على أن تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف ، وقوله :

الآيات من ٥٦ : ٦٠

﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) ﴾ .

حديث عن اليهود ونقضهم العهود

﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ﴾ بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص ، وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله ﷺ أن لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا : نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالئوهم عليه يوم الخندق ، وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم . ومن لتضمين المعاهدة معنى الأخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة أو المحاربة . ﴿ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ سبة الغدر ومغبته ، أو لا يتقون الله فيه أو نصره للمؤمنين وتسليطه إياهم عليهم .

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ ﴾ فإما تصادفنهم وتظفرن بهم ، ﴿ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم ﴾ ففرق عن مناصبتك (٤٣٧) ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم ﴿ مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ من

---

(٤٣٧) مناصبتك : محاربتك .

وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب . وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم ، والمعنى واحد فإنه إذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ لعل المشردين يتعظون .

جواز نبذ العهد لمن يخشى منه الخيانة

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ ﴾ معاهدين . ﴿ خِيَانَةً ﴾ نقض عهد بأمارات تلوح لك . ﴿ فَانبِذْ إِلَيْهِمْ ﴾ فاطرح إليهم عهدهم . ﴿ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فإنه يكون خيانة منك ، أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الأول أي ثابتاً على طريق سوى أو منه أو من المنبوذ إليهم أو منهما علي غيره ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ تعليل للأمر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف (٤٣٨) .

﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ ﴾ خطاب للنبي ﷺ ، وقوله : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ﴾ مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير أحد أو من خلفهم، أو الذين كفروا والمفعول الأول أنفسهم فحذف للتكرار ، أو علي تقدير أن سبقوا وهو ضعيف لأن أن المصدرية كالموصول فلا تحذف أو على إيقاع الفعل على. ﴿ إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ ﴾ بالفتح على قراءة ابن عامر وأن لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين أي مفلتين ، والأظهر أنه تعليل للنهي أي : لا تحسبنهم سبقوا فأفلتوا لأنهم لا يفوتون الله ، أو لا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم وكذا إن كسرت إن

---

(٤٣٨) من الآثار التي رواها ابن كثير في تفسيره حول هذه الآية ، ما عزاه إلى أحمد في مسنده عن سليم بن عامر قال : كان معاوية يسير في أرض الروم ، وكان بينه وبينهم أمد ، فأراد أن يدنو منهم ، فإذا انقضى الأمد غزاهم ، فإذا شيخ على دابة يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، وفاء لا غدر ، إن رسول الله ﷺ قال : ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتي ينقضي أمدها ، أو ينبذ إليهم على سواء فبلغ ذلك معاوية فرجع ، فإذا الشيخ عمرو بن عنبسة رضي الله عنه » رواه أبو داود الطيالسي ، عن شعبة ، وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه . وقال الترمذي : حسن صحيح .

إلا أنه تعليل على سبيل الاستئناف ، ولعل الآية إزاحة لما يحذر به من نبذ العهد وإيقاظ العدو ، وقيل نزلت فيمن أفلت من فل المشركين .

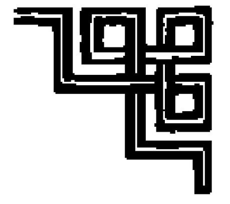
وجوب إعداد العدة للعدو

﴿ وَأَعِدُّوا ﴾ أيها المؤمنون ﴿ لَهُم ﴾ لناقضي العهد أو الكفار . ﴿ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ من كل ما يتقوي به في الحرب . وعن عقبة بن عامر سمعته ﷺ يقول على المنبر : « ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثًا » (٤٣٩) ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لأنه أبقاه . ﴿ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ، فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به يقال ربط ربطًا ورباطًا ورابط مرابطة ورباطًا ، أو جمع ربيط كفصيل وفصال . وقرئ رُبُط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة . ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ ﴾ تخوفون به ، وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم أو للإعداد . ﴿ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ يعني كفار مكة . ﴿ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ﴾ من غيرهم من الكفرة . قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس . ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ تعرفونهم بأعيانهم . ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ يعرفهم . ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ ﴾ جزاؤه . ﴿ أَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ بتضييع العمل أو نقص الثواب .

---

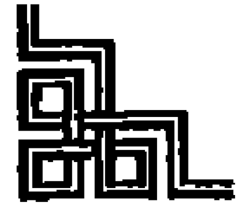
(٤٣٩) يدخل في مضمون هذه الآية كل ما يمكن إعداده من قوة تظهر على مدى الأيام فالتنكير يفيد العموم ، والنص على الخيل فيها لأنها كانت عدة الحرب في تلك الأيام ، ويقاس عليها كل ما يظهر من الآلات الحديثة التي تؤثر تأثيرا قاطعا في المعركة ، . والاستعداد لها من تدريبات ـ فقد روى الإمام مسلم عن عقبة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي » .

وروى عقبة أيضا ـ فيما أخرجه الإمام أحمد في مسنده « ارموا واركبوا وأن ترموا خير من أن تركبوا » .



الآيتان من ٦١ : ٦٢

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) ﴾



﴿ وَإِن جَنَحُوا ﴾ مالوا ومنه الجناح . وقد يعدى باللام وإلى . ﴿ لِلسَّلْمِ ﴾ للصلح أو الاستسلام . وقرأ أبو بكر بالكسر . ﴿ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه . قال :

السلمُ تأخذُ منها ما رَضيتَ به ... والحربُ يكفيكَ منْ أنفاسِهَا جُرَعُ (٤٤٠)

وقرئ فاجنح بالضم . ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ ولا تخف من إبطانهم خداعًا فيه، فإن الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم . ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوالهم . ﴿ الْعَلِيمُ ﴾بنياتهم . والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف .

﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ﴾ فان محسبك الله وكافيك قال جرير :

إني وَجدْتُ من المكارمِ حَسبكُم ... أنْ تَلبسُوا حرَّ الثيابِ وتَشبعُوا (٤٤١) .

﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ جميعا .

---

(٤٤٠) مر شرح هذا الشاهد في الجزءالأول .

(٤٤١) هذا البيت لجرير وبعده :

فإذا تذوكرت المكارم مرةً ... في مجلس أنتم به فتقنعوا

وهو من أبيات الهجاء ، يقول لمن يهجوه : حسبكم من المكارم لبس الخز والشبع من الطعام ، أما إذا تذاكر الناس المكارم والأمجاد فغطوا وجوهكم كالنساء لأنكم لا حظٌ لكم فيها .

الآيات من ٦٣ : ٦٦

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥) الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦) ﴾.

الله هو القادر علي تأليف القلوب :

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ مع ما فيهم من العصبية والضغينة في أدني شئ، والتهالك علي الانتقام بحيث لايكاد يأتلف فيهم قلبان حتي صاروا كنفس واحدة ، وهذا من معجزاته ﷺ وبيانه :﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي تناهي عداوتهم إلي حد لو أنفق منفق في إصلاح ذات بينهم ما في الأرض من الأموال لم يقدر علي الألفة والإصلاح . ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ بقدرته البالغة ، فإنه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء، ﴿ إِنَّهُ عَزِيزٌ ﴾ تام القدرة والغلبة لايعصي عليه ما يريده .﴿ حَكِيمٌ ﴾يعلم أنه كيف ينبغي أن يفعل ما يريده ، وقيل الآية في الأوس والخزرج كان بينهم محن لاأمد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم ، فأنساهم الله ذلك وألف بينهم بالإسلام حتي تصافوا وصاروا أنصاراً.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾كافيك ﴿ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إما في محل النصب علي المفعول معه كقوله :

إذا كانت الهيجاء واشتجر القنا فَحَسبك والضَّحاكُ سيْفٌ مُهَنَّد (٤٤٢) .

---

(٤٤٢) الهيجاء : الحرب ـ اشتجر القنا : شرعت الرماح وتشابكت والقنا : جمع قناة وهي

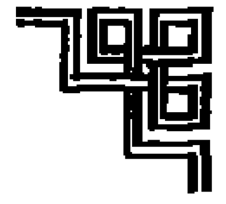
أو الجر عطفاً علي المكني عند الكوفيين ، أو الرفع عطفاً علي اسم الله تعالي أي كفاك الله والمؤمنون ، والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر ، وقيل أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ، ثم أسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ، ولذلك قال ابن عباس رضي الله تعالي عنهما نزلت في إسلامه .

تحريض المؤمنين علي قتال الكفار

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** ﴾ بالغ في حثهم عليه ، وأصله الحرض وهو أن ينهكه المرض حتي يشفي علي الموت وقرئ حرص من الحرص . ﴿ **إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ شرط في معني الأمر بمصابرة الواحد للعشرة ، والوعد بأنهم إن صبروا غلبوا بعون الله وتأييده ، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في وإن تكن منكم مائة . ﴿ **بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ** ﴾ بسبب أنهم جهلة بالله واليوم الآخر لايثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قَتَلُوا أو قُتِلُوا ولا يستحقون من الله إلا الهوان والخذلان .

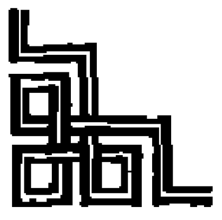
﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ لما أوجب علي الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فأمروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم ، وتكرير المعني الواحد بذكر الأعداء المتناسبة للدلالة علي أن حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن ، وقيل : ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها ، وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين ﴿ **وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ بالنصر والمعونة فكيف لايغلبون .

الرمح ، والسيف المهند : المنسوب إلى الهند .



الآيات من ٦٧ : ٧٠

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾



قصة فداء أسري بدر

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ ﴾ وقرئ للنبي علي العهد . ﴿ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ ﴾ وقرأ البصريان بالتاء ﴿ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ يكثر القتل ويبالغ فيه حتي يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي أهله ، من أثخنه المرض إذا أثقله وأصله الثخانة ، وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة . ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾حطامها بأخذكم الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾يريد لكم ثواب الآخرة أو سبب نيل ثواب الآخرة من إعزاز دينه وقمع أعدائه ، وقرئ بجر الآخرة علي إضمار المضاف كقوله .

أكُلَّ امْرِيءٍ تَحْسبينَ امْرَأً ونارٍ تُوقدُ باللَّيلِ ناراً (٤٤٣) .

﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴾يغلب أولياءه علي أعدائه ، ﴿حَكِيمٌ ﴾يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها ، كما أمر بالإثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين ، وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين .

روي أنه ﷺ أتي يوم بدر بسبعين أسيراً فيهم العباس وعقيل بن أبي طالب فاستشار فيهم ، فقال أبو بكر رضي الله تعالي عنه : قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك ، وقال عمر رضي الله عنه : اضرب أعناقهم فإنهم أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء ، مكني من فلان ـ

---

(٤٤٣) هذا البيت لأبى داود الإيادى ، وقيل : لحارثة بن حمران الإيادى ، والشاهد فيه هو حذف المضاف قبل نار ، وتقديره : كل نار ومعنى البيت : لا تحسبى أن كل رجل رجل كامل ، وأن كل نار نار توقد لقرى الأضياف .

لنسيب له – ومكن علياً وحمزة من أخويهما فنضرب أعناقهم ، فلم يهو ذلك رسول الله ﷺ وقال : إن الله ليلين قلوب رجال حتي تكون ألين من اللين ، وإن الله ليشدد قلوب رجال حتي تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال ﴿ **فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم** ﴾ (٤٤٤) ومثلك يا عمر مثل نوح قال ﴿ **رب لاتذر علي الأرض من الكافرين دياراً** ﴾ (٤٤٥) فخير أصحابه فأخذوا الفداء ، فنزلت فدخل عمر رضي الله تعالي عنه علي رسول الله ﷺ فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال : يارسول الله أخبرني فإن أجد بكاء بكيت وإلا تباكيت فقال : « **أبكي علي أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدني من هذه الشجرة ، لشجرة قريبة** » (٤٤٦) والآية دليل علي أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وأنه قد يكون خطأ ولكن لايقرون عليه .

﴿ **لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ** ﴾ لولا حكم من الله سبق إثباته في اللوح المحفوظ ، وهو أن لايعاقب المخطئ في اجتهاده أوأن لايعذب أهل بدر أوقوماً بما لم يصرح لهم بالنهي عنه ، أوأن الفدية التي أخذوها ستحل لهم .

﴿ **لَمَسَّكُمْ** ﴾ لنالكم . ﴿ **فِيمَا أَخَذْتُمْ** ﴾ من الفداء . ﴿ **عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ روي أنه ﷺ قال : « **لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ** »(٤٤٧) وذلك لأنه أيضاً أشار بالإثخان .

---

(٤٤٤) إبراهيم : ٣٦ .

(٤٤٥) نوح : ٢٦.

(٤٤٦) رواه مسلم عن ابن عباس فى حديث طويل ، ورواه الأعمش عن عبد الله بن مسعود ، بالفاظ مقاربة ، ورواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم فى المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٤٤٧) أخرجه الطبرى فى تفسيره من طريق ابن إسحاق قال : لم يكن أحد من المؤمنين ممن حضر بدرا إلا أحب الغنائم غير عمر بن الخطاب ، فإنه جعل لا يلقى أسيراً إلا ضرب عنقه ، وقال سعد بن معاذ : يا رسول الله الإثخان في القتل أحب إلى من استبقاء الرجال . فقال رسول الله ﷺ الحديث المذكور .

ورواه الواقدي فى المغازي من وجه آخر ، وروي ابن مردويه من حديث ابن عمر مرفوعا : لو نزل العذاب ما أفلت منه إلا ابن الخطاب .

=

﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ ﴾ من الفدية فإنها من جملة الغنائم ، وقيل أمسكوا عن الغنائم فنزلت . والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره : أبحت لكم الغنائم فكلوا ، وبنحوه تشبث من زعم أن الأمر الوارد بعد الحظر للإباحة ﴿ حَلالاً ﴾ حال من المغنوم أوصفة للمصدر أي أكلاً حلالاً ، وفائدته إزاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة ، أو حرمتها علي الأولين ولذلك وصفه بقوله : ﴿ طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في مخالفته .﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ غفر لكم ذنبكم . ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ أباح لكم ما أخذتم .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ ﴾ وقرأ أبو عمرو من الأساري، ﴿ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً ﴾ إيماناً وإخلاصاً ﴿ يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ من الفداء روي « أنها نزلت في العباس رضي الله عنه كلفه رسول الله ﷺ أن يفدي نفسه وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال : يا محمد تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت فقال : أين الذهب الذي دفعته إلي أم الفضل وقت خروجك وقلت لها : إني لاأدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله و الفضل وقثم ؟ فقال العباس : وما يدريك ؟ قال أخبرني به ربي تعالي ، قال : فأشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك رسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل ، قال العباس فأبدلني الله خيراً من ذلك لي الآن عشرون عبداً إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا انتظر المغفرة من ربكم » (٤٤٨) يعني الموعود بقوله ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

= وفي الحديث الذى رواه ابن مسعود أن ممن أشار بالتخلص من الأسرى بقتلهم عبد الله بن رواحة ، فقد قال : يا رسول الله أنت فى واد كثير الحطب فاضرم الوادى عليهم نارا ثم ألقهم فيه .

(٤٤٨) أشار إلى ذلك السيوطى فى كتابه لباب النقول فى أسباب النزول وعزاه إلى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنه .

وأخرجه ابن اسحاق فى المغازى وأخرجه الحاكم في المستدرك من طريقه ، ورواه ابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وأبو نعيم فى دلائل النبوة ، ورواه =

الآيات من ٧١ : ٧٥

﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥) ﴾

﴿ وَإِن يُرِيدُوا ﴾ يعني الأسري . ﴿ خِيَانَتَكَ ﴾ نقض ما عاهدوك . ﴿ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ ﴾ بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل . ﴿ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ أي فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر فإن أعادوا الخيانة فسيمكنك منهم . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

الهجرة من شرائط الإيمان الحق

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾ هم المهاجرون هجروا أوطانهم حباً لله ولرسوله . ﴿ وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ ﴾فصرفوها في الكراع والسلام وأنفقوها علي المحاويج . ﴿ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بمباشرة القتال . ﴿ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا ﴾ هم الأنصار آووا المهاجرين إلي ديارهم ونصروهم علي أعدائهم . ﴿ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ

= يونس بن بكير عن الزهرى عن جماعة سماهم ـ تفسير ابن كثير ـ .

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتي نسخ بقوله .﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولي ببعض ﴾ أوبالنصرة والمظاهرة . ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ أي من توليهم في الميراث ، وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والإمارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملاً . ﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾فواجب عليكم أن تنصروهم علي المشركين ﴿ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ عهد فإنه لاينقض عهدهم لنصرهم عليهم . ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ في الميراث أوالمؤازرة ، وهو بمفهومه يدل علي منع التوارث أوالمؤازرة بينهم وبين المسلمين ، ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ ﴾ إلا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتي في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار . ﴿ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ ﴾ تحصل فتنة فيها عظيمة ، وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر ﴿ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ في الدين وقرئ كثير .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بين أن الكاملين في الإيمان منهم هم الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ، ووعد لهم الموعد الكريم فقال ﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ لاتبعة له ولا منة فيه ، ثم ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ﴾ أي من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار ، ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ في التوارث من الأجانب ﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ في حكمه ، أو في اللوح أو في القرآن

واستدل به علي توريث ذوي الأرحام ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ من المواريث والحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام والمظاهرة ، أولاً واعتبار القرابة ثانيا .

فضائل سورة الأنفال

عن النبي ﷺ : « **من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة ، وشاهد أنه بريئ من النفاق ، وأعطي حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته** » (٤٤٩) .

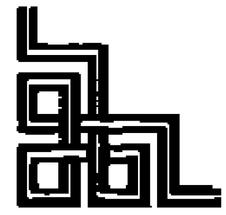
(٤٤٩) رواه الزمخشرى فى تفسيره الكشاف ولم يسنده إلى أحد من الرواة .

سورة التوبة مدنية

وآياتها تسع وعشرون ومائة

وقيل إلا آيتين من قوله ﴿ لقد جاءكم رسول ﴾ (١)

﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) ﴾.



أسماء سورة التوبة :

وهي آخر مانزل (٢) ولها أسماء أخر، التوبة ، والمقشقشة ، والبحوث ، والمبعثرة، والمنقرة ، والمثيرة ، والحافزة، والمخزية، والفاضحة، والمنكلة ، والمشردة والمدمدمة، وسورة العذاب ، لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه ، والبحث عن حال المنافقين وإثارتها ، والحفر عنها ومايخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم .

وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون ، وإنما تركت التسمية فيها لأنها نزلت لرفع الأمان ، وبسم الله أمان، وقيل كان النبي ﷺ إذا نزلت عليه سورة أو آية بين موضعها ، وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الأنفال وتناسبها لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت إليها ، وقيل: لما اختلفت الصحابة

---

(١) الآية رقم ١٢٨ والتى تليها ١٢٩ .

(٢) روى البخارى عن البراء بن عازب قال : آخر آية نزلت ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ﴾ النساء :١٧٦ ، وآخر سورة نزلت : براءة ، وإنما لم يبسمل فى أولها لأن الصحابة لم يكتبوا البسملة فى أولها في المصحف الإمام بل اقتدوا فى ذلك بأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرضاه » .

في أنهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال أوسورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله .

﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي هذه براءة ، ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ، ويجوز أن تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر . ﴿ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وقرئ بنصبها علي اسمعوا براءة ، والمعني : أن الله ورسوله برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين ، وإنما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة علي أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن كانت صادرة بإذن الله تعالي واتفاق الرسول فإنهما برئا منها ، وذلك أنهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا إلا أناسا منهم بنو ضمرة وبنو كنانة فأمرهم بنبذ العهد إلي الناكثين وأمهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاءوا فقال: ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لأنها نزلت في شوال ، وقيل : هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشر من ربيع الآخر لأن التبليغ كان يوم النحر لما روي (أنها لما نزلت أرسل رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها علي أهل الموسم ، وكان قد بعث أبا بكر رضي الله تعالي عنه أميراً علي الموسم فقيل له : لو بعثت بها إلي أبي بكر فقال لا يؤدي عني إلا رجل مني فلما دنا علي رضي الله تعالي عنه سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال : هذا رغاء ناقة رسول الله ﷺ فلما لحقه قال : أمير أو مأمور قال مأمور ، فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضي الله تعالي عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال : أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم ، فقالوا : بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أوأربعين آية ثم قال : أمرت بأربع : أن لايقرب البيت بعد هذا العام مشرك ، ولايطوف بالبيت عريان ، ولايدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة ، وأن يتم إلي كل ذي عهد عهده)[٣] ولعل قوله ﷺ لايؤدي عني إلا رجل مني ليس علي العموم ، فإنه ﷺ بعث لأن يؤدي

---

(٣) هذا الحديث روى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة مثله . قال : كنت مع على بن أبى طالب حين بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ببراءة فقال : « ما كنتم تنادون ؟ قال: كنا ننادى أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنه ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن

عنه كثير لم يكونوا من عترته ، بل هو مخصوص بالعهود فإن عادة العرب أن لا يتولي العهد ونقضه علي القبيلة إلا رجل منه ، ويدل عليه أنه في بعض الروايات « لاينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي » .

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ لا تفوتونه وإن أمهلكم . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾ بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب في الآخرة .

نبذ عهود المشركين

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ ﴾ أي إعلام فعال بمعني الإفعال كالأمان والعطاء ، ورفعه كرفع براءة علي الوجهين . ﴿ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ ﴾ يوم العيد لأن فيه تمام الحج معظم أفعاله ، ولأن الإعلام كان فيه ولما روي أنه ﷺ وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال « **هذا يوم الحج الأكبر** »(٤) وقيل : يوم عرفة لقوله ﷺ « **الحج عرفة** » (٥) .

ووصف الحج الأكبر لأن العمرة تسمي الحج الأصغر ، أو لأن المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله فإنه أكبر من باقي الأعمال ، أو لأن ذلك الحج اجتمع فيه

كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فإن أجله أو مدته إلى أربعة أشهر فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله برئ من المشركين ورسولهُ ، ولا يحج هذا البيت بعد عامنا هذا مشرك ، قال : كنت أنادي حتى صحل صوتى .

وروى ابن جرير عن على رضي الله عنه قال : بعثنى رسول الله ﷺ حين أنزلت براءة بأربع : أن لا يطوف بالبيت عريان ، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فهو إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة أما الحديث الذى ذكر هو ملفق من مواضع .

(٤) أخرجه البخارى تعليقاً ، وأبو داود والحاكم من رواية هشام بن الغاز عن نافع عن ابن عمر مطولا .

ورواه الطبراني ، والطبرى وأبو نعيم فى الحلية ، وابن أبى حاتم مختصراً .

(٥) رواه السيوطى فى الجامع الصغير بأطول من هذا فقال : « الحج عرفة من جاء قبل طلوع الفجر من ليلة جمع فقد أدرك الحج ، أيام مني ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » رواه أحمد وأصحاب السنن والحاكم و البيهقى عن عبد الرحمن بن يعمر ، ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير جـ ١ ص ١٥٥ بالصحة والحسن.

المسلمون والمشركون ووافق عيده أعياد أهل الكتاب ، أولأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين . ﴿ أَنَّ اللَّهَ ﴾ أي بأن الله . ﴿ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي من عهودهم . ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ عطف علي المستكن في برئ ، أو علي محل إن واسمها في قراءة من كسرها إجراء للأذان مجري القول ، وقرئ بالنصب عطفاً علي اسم إن أولأن الواو بمعني مع ولاتكرير فيه ، فإن قوله براءة من الله إخبار بثبوت البراءة وهذه إخبار بوجوب الإعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين . ﴿ فَإِن تُبْتُمْ ﴾ من الكفر والغدر . ﴿ فَهُوَ ﴾ فالتوب ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ عن التوبة أو ثبتم غلي التولي عن الإسلام والوفاء .﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ لاتفوتونه طلباً ولا تعجزونه هرباً في الدنيا . ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ في الآخرة.

الآيات من ٤ : ٦

﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ استثناء من المشركين ، أو استدراك فكأنه قيل لهم بعد أن أمروا بنبذ العهد إلي الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم . ﴿ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا ﴾ من شروط العهد ولم ينكثوه أو لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط. ﴿ وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا ﴾ من أعدائكم ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ إلي تمام مدتهم ولا تجروهم مجري الناكثين . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ تعليل وتنبيه علي أن إتمام عهدهم من باب التقوي .

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ ﴾ انقضي ، وأصل الانسلاخ خروج الشئ مما لابسه من سلخ

الشاة. ﴿ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾ التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها ، وقيل: هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وهذا مخل بالنظم مخالف للإجماع فإنه يقتضي بقاء حرمة الأشهر الحرم إذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها . ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ الناكثين ﴿ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ من حل أوحرم . ﴿ وَخُذُوهُمْ ﴾ وأسروهم ، والأخيذ الأسير . ﴿ وَاحْصُرُوهُمْ ﴾ واحبسوهم أوحيلوا بينهم وبين المسجد الحرام . ﴿ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد ! وانتصابه علي الظرف ﴿ فَإِن تَابُوا ﴾ عن الشرك بالإيمان . ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾ تصديقاً لتوبتهم وإيمانهم . ﴿ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ فدعوهم ولاتتعرضوا لهم بشئ من ذلك، وفيه دليل علي أن تارك الصلاة ومانع الزكاة لايخلي سبيله . ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ تعليل للأمر أي فخلوهم لأن الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف وعدلهم الثواب بالتوبة.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ المأمور بالتعرض لهم . ﴿ اسْتَجَارَكَ ﴾ استأمنك وطلب منك جوارك . ﴿ فَأَجِرْهُ ﴾ فأمنه .﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾ ويتدبره ويطلع علي حقيقة الأمر ، ﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ موضع أمنه إن لم يسلم ، وأحدٌ رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لأن إن من عوامل الفعل . ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الأمن أوالأمر . ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ما الإيمان وماحقيقة ما تدعوهم إليه فلابد من أمانهم ريثما يسمعون ويتدبرون .

الآيات من ٧ : ١٠

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) ﴾ .

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ﴾ استفهام بمعني الإنكار والاستبعاد لأن يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم ، أو لأن يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه ، وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام أو للمشركين أوعند الله وهو علي الأولين صفة للعهد أو ظرف له أوليكون ، وكيف علي الأخيرين حال من العهد وللمشركين إن لم يكن خبراً فتبيين . ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ هم المستثنون قبل ومحله النصب علي الاستثناء أو الجر علي البدل أو الرفع علي أن الاستثناء منقطع أي: ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ أي فتربصوا أمرهم فإن استقاموا علي العهد فاستقيموا علي الوفاء وهو كقوله ﴿ فأتموا إليهم عهدهم إلي مدتهم ﴾ (٦) غير أنه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ سبق بيانه .

﴿ كَيْفَ ﴾ تكرار لاستبعاد ثباتهم علي العهد أوبقاء حكمه مع التنبيه علي العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله :

وخبر تماني أنما الموتُ بالقُري ... فَكَيْفَ وهاتَا هَضْبةٌ وَقَليبُ(٧)

أي فكيف مات ﴿ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ أي وحالهم أنهم إن يظفروا بكم . ﴿ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ ﴾ لايراعوا فيكم . ﴿ إِلاًّ ﴾ حلفاً وقيل قرابة قال حسان :

لعمْرُكَ إنَّ إلَّكَ مِنْ قُرَيْش ... كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأَلِ النَّعَامِ(٨)

---

(٦) التوبة : ٤ .

(٧) هذا البيت لكعب الغنوى من أبيات يرثى فيها أخاه ، وقبله :

لعمر أبى إن البعيد الذى مضى ... وإن الذى يأتى غدا لقريب

والمقصود بالهضبة : الصخرة العظيمة .

وتمثل الشاعر مخاطبين على عادة العرب ولو لم يوجدا .

يقول : إنكما تقولان إن الموت يكثر فى القرى لما فيها من الوباء فكيف يكون ذلك وقد مات أخى بالبرية .

(٨) البيت لحسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ ، والإل : العهد والقرابة ، والسقب : ابن

وقيل : ربوبية ، ولعله اشتق للحلف من الإل وهو الجؤار (٩) لأنهم كانوا إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه ، ثم استعير للقرابة لأنها تعقد بين الأقارب مالا يعقده الحلف، ثم للربوبية والتربية ، وقيل: اشتقاقه من ألل الشئ إذا حدده أو من أل البرق إذا لمع ، وقيل: إنه عبري بمعني الإله لأنه قرئ ايلا كجبرئل وجبرئيل.

﴿ وَلا ذِمَّةً ﴾ عهداً أوحقاً يعاب علي إغفاله . ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم علي العهد المؤدية إلي عدم مراقبتهم عند الظفر، ولايجوز جعله حالاً من فاعل لا يرقبوا فإنهم بعد ظهورهم لايرضون ولأن المراد إثبات إرضائهم المؤمنين بوعد الإيمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال، واستبطان الكفر والمعاداة بحيث إن ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه ﴿ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ ما تتفوه به أفواههم . ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾متمردون لاعقيدة تزعهم ولامروءة تردعهم ، وتخصيص الأكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر إلي أحدوثة السوء.

﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ استبدلوا بالقرآن ﴿ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ عرضاً يسيراً وهو اتباع الأهواء والشهوات ﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ﴾ دينه الموصل إليه، أوسبيل بيته بحصر الحجاج والعمار، والفاء للدلالة علي أن اشتراءهم أداهم إلي الصد . ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ عملهم هذا أوما دل عليه قوله .

﴿ لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً ﴾ فهو تفسير لاتكرير ، وقيل : الأول عام في الناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود ، أوالأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم . ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ في الشرارة.

الناقة، ويقال له الحوار أيضا ، والرأل : ولد النعامة .

يقول حسان : لعمرك أي وحياتك إن قرابتك من قريش بعيد كبعد قرابة ولد الناقة من ولد النعام .

(٩) الجؤار ـ بضم الجيم ـ رفع الصوت .

الآيات من ١١ : ١٣

﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢) أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣) ﴾ .

﴿ فَإِن تَابُوا ﴾ عن الكفر ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ فهم إخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم . ﴿ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ اعتراض للحث علي تأمل ما فصل من أحكام المعاهدين أوخصال التائبين .

قتال الناكثين

﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ﴾ وإن نكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان أوالوفاء بالعهود . ﴿ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ بصريح التكذيب وتقبيح الأحكام ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ أي فقاتلوهم ، فوضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة علي أنهم صاروا بذلك ذوي الرئاسة والتقدم في الكفر أحقاء بالقتل ، وقيل: المراد بالأئمة رؤساء المشركين فالتخصيص إما لأن قتلهم أهم وهم أحق به أو للمنع من مراقبتهم ، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهمزتين علي الأصل والتصريح بالياء لحن.

﴿ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ ﴾ أي لا أيمان لهم علي الحقيقة وإلا لما طعنوا ولم ينكثوا، وفيه دليل علي أن الذمي إذا طعن في الإسلام فقد نكث عهده ، واستشهد به الحنفية علي أن يمين الكافر ليست يميناً ، وهو ضعيف لأن المراد نفي الوثوق عليها لا أنها ليست بأيمان لقوله تعالي ﴿ وإن نكثوا أيمانهم ﴾ وقرأ ابن عامر لا أيمان لهم بمعني لا أمان أولا إسلام ، وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد ، وهو ضعيف لجواز أن يكون بمعني لا يؤمنون علي الإخبار عن قوم معينين أوليس لهم إيمان فيراقبوا

لأجله . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ متعلق بقاتلوا أي ليكن غرضكم في المقاتلة أن ينتهوا عما هم عليه لا إيصال الأذية بهم كما هو طريقة المؤذين .

﴿ أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا ﴾ تحريض علي القتال لأن الهمزة دخلت علي النفي للإنكار فأفادت المبالغة في الفعل ﴿ نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾ التي حلفوها مع الرسول ﷺ والمؤمنين علي أن لايعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر علي خزاعة .

﴿ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾ حين تشاوروا في أمره بدار الندوة علي ما مر ذكره في قوله ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ (١٠) وقيل : هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا بإخراجه من المدينة ﴿ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾بالمعاداة والمقاتلة لأنه ﷺ بدأهم بالدعوة وإلزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته إلي المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم أن تعارضوهم وتصادموهم ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾ فقاتلوا أعداءكم ولاتتركوا أمره . ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فإن قضية الإيمان أن لايخشي إلا منه .

الآيات من ١٤ : ١٧

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

﴿ قَاتِلُوهُمْ ﴾ أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ علي تركه والتوعيد عليه .

﴿ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾وعد لهم إن قاتلوهم بالنصر

---

(١٠) الأنفال : ٣٠ .

عليهم والتمكن من قتلهم وإذلالهم . ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾يعني بني خزاعة (١١) وقيل: بطوناً من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذي شديداً فشكوا إلي رسول الله ﷺفقال أبشروا فإن الفرج قريب .

﴿ ويُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ لما لقوا منهم وقد أوفي الله بما وعدهم والآية من المعجزات . ﴿ ويَتوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾ ابتداء إخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك أيضاً وقرئ ويتوب بالنصب علي إضمار أن علي أنه من جملة ما أجيب به الأمر فإن القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾بما كان وما سيكون﴿ حَكِيمٌ﴾ لايفعل ولايحكم إلا علي وفق الحكمة .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال ، وقيل للمنافقين وأم منقطعة ومعني الهمزة فيها التوبيخ علي الحسبان . ﴿ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم ، نفي العلم وأراد نفي المعلوم للمبالغة فإنه كالبرهان عليه من حيث إن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه .﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوا ﴾ عطف علي جاهدوا داخل في الصلة ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾ بطانة يوالونهم ويفشون إليهم أسرارهم . وما في ﴿لما ﴾ من معني التوقع منبه علي أن تبين ذلك متوقع .﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا

---

(١١) كان بنو خزاعة أحلاف النبى ﷺ ، وقد اعتدت عليهم بكر وحالفت قريش بكرا عليهم، وبذلك تكون قريش قد نقضت عهدها مع النبى ﷺ الذى أبرمته معه في الحديبية . وجاء وفد من خزاعة يخبر النبى ﷺ بنقض العهد ، وقال عمرو بن سالم الخزاعي :

لا هم إنى ناشد محـــــمداً ... حلف أبينا وأبيك الأتلــــدا
إن قريشًا أخلفوك الموعــــدا ... ونقضوا ذمامك المؤكــــدا
هم بيّتونا بالحطيـــــم هُجّدا ... وقتلونا ركعًا وسُـــــجداً
فانصر هداك الله نصرا أعـــتدا ... وادع عباد الله يأتوا مـــددا
فيهم رسول الله قد تجـــــردا ... فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا
أبيض مثل الشمس يسمو صعدا ... إن شيم خطب وجـــهه تربّدا

فقال النبى ﷺ : لا نصرت إن لم أنصركم .

تعملون ﴾ يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ﴿ **ولما يعلم** ﴾

لايعمر بيت الله إلا المؤمنون

﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ** ﴾ ما صح لهم .﴿ **أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّه** ﴾ شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام . وقيل هو المراد وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب بالتوحيد .﴿ **شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ** ﴾ بإظهار الشرك وتكذيب الرسول ، وهو حال من الواو والمعني ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره، روي « أنه لما أسر العباس عيَّره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له علي رضي الله تعالي عنه في القول فقال : ما بالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني »(١٢) فنزلت ﴿ **أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ** ﴾ التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك ﴿ **وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ** ﴾لأجله .

---

(١٢) رواه السيوطى فى كتابه لباب النقول فى أسباب النزول وقال : أخرجه ابن أبى حاتم من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما .

وهناك رواية أخرى فى سبب نزول الآية ذكرها السيوطى أيضا وعزاها إلى مسلم وابن حبان وأبى داود عن النعمان بن بشير قال : كنت عند منبر رسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه ، فقال رجل منهم : ما أبالى أن لا أعمل لله عملا بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج ، وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام ، وقال آخر : بل الجهاد فى سبيل الله خير مما قلتم ، فزجره عمر وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه ، فأنزل الله : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج ... ﴾

وذكر أيضا رواية أخرى ، وعزاها الى الفريابى عن ابن سيرين قال : قدم على بن أبى طالب مكة فقال للعباس : أى عم ألا تهاجر ؟ ألا تلحق برسول الله ﷺ ؟ فقال : أعمر المسجد وأحجب البيت . فأنزل الله الآية .

الآيات من ١٨ : ٢٢

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢) ﴾ .

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾ أي إنما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسُّرج وإدامة العبادة والذكر ودروس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا ، وعن النبي ﷺ «**قال الله تعالي إن بيوتي في أرضي المساجد ، وإن زواري فيها عمارها ، فطوبي لعبد تطهر في بيته ثم زارني بي بيتي فحق علي المزور أن يكرم زائره** » (١٣) .

وإنما لم يذكر الإيمان بالرسول ﷺ لما علم أن الإيمان بالله قرينة وتمامه الإيمان به ولدلالة قوله وأقام الصلاة وآتي الزكاة عليه .

﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ أي في أبواب الدين فإن الخشية عن المحاذير جبلية لايكاد العاقل يتمالك عنها . ﴿ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ ذكره بصيغة التوقع قطعاً لأطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع بأعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بأنهم مهتدون ، فان هؤلاء مع كمالهم إذا كان اهتداؤهم دائراً بين عسي

---

(١٣) رواه الطبراني من حديث سلمان وعبد الرزاق بألفاظ مقاربة ، وكذلك أخرجه عبد الله ابن المبارك في الزهد .

ورواه السيوطى فى الجامع الصغير بلفظ « إن بيوت الله فى الأرض المساجد وإن حقا على الله أن يكرم من زاره فيها » وقال : رواه الطبراني عن ابن مسعود ورمز له بالضعف .

ولعل فما ظنك بأضدادهم ، ومنعاً للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم ويتكلوا عليها .

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ السقاية والعمارة مصدر أسقي وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لابد من إضمار تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن ، أو أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن ، ويؤيد الأول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعني إنكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله ﴿ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ﴾ وبين عدم تساويهم بقوله : ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول ﷺ منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب ، وقيل : المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ﴾أعلي رتبة وأكثر كرامة ممن لم تستجمع فيه هذه الصفات أومن أهل السقاية والعمارة عندكم . ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾بالثواب ونيل الحسني عند الله دونكم .

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا ﴾ في الجنات ﴿ نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ دائم ، وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف ، وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء التعيين والتعريف .

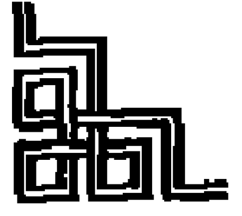
﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد يستعمل للمكث الطويل .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ يستحقر دونه ما استوجبوه لأجله أونعيم الدنيا .

الآيات من ٢٣ : ٢٦

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ

فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ﴾ .



موالاة الله ورسوله أولي من موالاة الأقرباء الكافرين

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة قالوا : إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهياً عن موالاةالتسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة (١٤) والمعني لاتتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله : ﴿ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ ﴾ إن اختاروه وحرصوا عليه .﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ بوضعهم الموالاة في غير موضعها .

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ أقرباؤكم مأخوذ من العشرة ، وقيل من العشرة فإن العشيرة جماعة ترجع إلي عقد كعقد العشرة، وقرأ أبو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم ﴿ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾اكتسبتموها .﴿ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾ فوات وقت نفاقها ﴿ وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴾ الحب الاختياري دون الطبيعي فإنه لايدخل تحت التكليف في التحفظ عنه ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ جواب ووعيد والأمر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل فتح مكة .

---

(١٤) روى الحافظ البيهقى عن عبد الله بن شوذب أن الآية نزلت في أبى عبيدة بن الجراح لما حاول أبوه الجراح أن يقتله ، بينما أبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر الجراح قتله ابنه أبو عبيدة وذلك يوم بدر ، فأنزل الله تعالى قوله ﴿ **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله** ﴾ المجادلة ٢٢ ثم توعد الله آثر أهله وقرابته على الله ورسوله بقوله تعالى : ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم ..** ﴾ مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٢٣ .

﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾لايرشدهم ، وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص منه (١٥)

غزوة حنين وما أنزل فيها من خوارق

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾يعني مواطن الحرب وهي مواقفها . ﴿ ويوم حنين ﴾ وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر في أيام مواطن أويفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولايمنع إبدال قوله ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾منه أن يعطف علي موضع في مواطن فإنه لايقتضي تشاركهما فيما أضيف إليه المعطوف حتي يقتضي كثرتهم وإعجابها إياهم في جمع المواطن .

وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله ﷺ والمسلمون وكانوا اثني عشر ألفاً ، العشرة الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا إليهم من الطلقاء (١٦) هوازن وثقيفاً وكانوا أربعة آلاف فلما التقوا قال النبي ﷺ أو أبو بكر رضي الله تعالي عنه أوغيره من المسلمين : لن نغلب اليوم من قلة (١٧) ، إعجاباًبكثرتهم

---

(١٥) جاء فى إيثار الله ورسوله علي ما عداهما من النفس والأهل والأقارب ما رواه الإمام أحمد عن زهرة بن معبد عن جده قال : كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال : والله يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسى فقال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه » فقال عمر : فأنت الآن والله أحب إلي من نفسى ، فقال رسول الله ﷺ : « الآن ياعمر » .

وثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ قال : « والذي نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » .

ومن علامات آخر الزمان ما رواه الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له عن ابن عمر رضي الله عنهما « سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » .

والحديث يشير إلى تفضيل الدنيا على الآخرة، والانشغال بجمعها عن الجهاد فى سبيل الله والعمل على تعمير الآخرة . وهذا من علامات الساعة .

(١٦) الطلقاء : جمع طليق ، وهم الذين مَنَّ النبى ﷺ عليهم من أهل مكة وأطلقهم ولم يأسرهم ، فقد جمعهم غداة الفتح وقال لهم : يا أهل مكة ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ فقالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء ».

واقتتلوا قتالاً شديداً فأدرك المسلمين إعجابهم واعتمادهم علي كثرتهم فانهزموا حتي بلغ فَلُّهم [١٨] مكة وبقي رسول الله ﷺ في مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذاً بلجامه وابن عمه أبو سفيان بن الحارث ، وناهيك [١٩] بهذا شهادة علي تناهي شجاعته فقال للعباس – وكان صيتاً – [٢٠] صح بالناس ، فنادي : ياعباد الله ياأصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة ، فكروا عنقا[٢١] واحدا يقولون : لبيك لبيك ، ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال ﷺ هذا حين حمي الوطيس[٢٢] ثم أخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال : انهزموا ورب الكعبة فانهزموا.

﴿ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ ﴾ أي الكثرة . ﴿ شَيْئًا ﴾ من الإغناء أومن العدو . ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ برحبها أي بسعتها لاتجدون فيها مفراً تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب أولاتثبتون فيها كمن لايسعه مكانه ، ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم ﴾ الكفار ظهوركم .﴿ مُّدْبِرِينَ ﴾ منهزمين والإدبار الذهاب إلي خلف خلاف الإقبال .

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ ﴾ رحمته التي سكنوا بها وأمنوا ، ﴿ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذين انهزموا وإعادة الجار للتنبيه علي اختلاف حاليهما ، وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ﷺ ولم يفروا .﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ بأعينكم أي الملائكة وكانوا خمسة آلاف أوثمانية أوستة عشر علي اختلاف الأقوال .
﴿ وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالقتل والأسر والسبي ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾أي مافعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا .

---

(١٧) قال ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف : لايوجد بهذا السياق عن النبى ﷺ وإنما الذى يوجد « لن تغلب اثنا عشر عن قلة » فى حديث غير هذا .

(١٨) الفَلُّ : بقية الجيش المنهزم ، ويجمع على فلول .

(١٩) ناهيك : يكفيك .

(٢٠) صَيِّتًا : عالى الصوت جهيرة .

(٢١) عنقا واحدا : يقال : هم عنق إليك يعنى مائلون إليك ، أى بدون تفرق أو تراجع .

(٢٢) أول من قالها النبى ﷺ ، وهى تعنى اشتداد المعركة و اشتعال نارها .

الآيات من ٢٧ : ٢٩

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) ﴾.

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾منهم بالتوفيق للإسلام.﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي (أن ناسا منهم جاءوا رسول الله ﷺ وأسلموا وقالوا : يارسول الله أنت خير الناس وأبرهم وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا – وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لايحصي – فقال ﷺ : اختاروا إما سباياكم وإما أموالكم ؟ فقالوا : ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً فقام رسول الله ﷺ وقال : إن هؤلاء جاءوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه ، ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتي نصيب شيئاً فنعطيه مكانه فقالوا : رضينا وسلمنا فقال : إني لا أدري لعل فيكم من لايرضي فمروا عرفاءكم فليرفعوا إلينا فرفعوا أنهم قد رضوا)(٢٣) .

---

(٢٣) رواه الثعلبى فى تفسيره بدون سند ، وذكره ابن إسحاق فى المغازي من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده مطولا .

وكان النبى ﷺ قد أعطى المؤلفة قلوبهم عطاء فائقا ، حتى تغيرت قلوبهم من الكفر إلى الإيمان ، وذهبت أحقادهم ، وعلموا أن الذى يجود بكل هذا العطاء ليس رجلا عاديا بل هو مؤيد من عند الله ، وكان ممن أعطى فامتدح النبى ﷺ مالك بن عوف الذى كان زعيم هوازن وقائدها ، وكان مما قاله :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ... فى الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ... ومتى يشأ يخبرك عما فى غد .

منع المشركين من البيت الحرام

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ لخبث باطنهم أولأنه يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الأنجاس ، أو لأنهم لايتطهرون ولايتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالباً ، وفيه دليل علي أن ما الغالب نجاسته نجس، وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب ، وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد وأكثر ما جاء تابعاً لرجس ، ﴿ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ لنجاستهم ، وإنما نهي عن الاقتراب للمبالغة أو للمنع عن دخول الحرم .

وقيل : المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقاً وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالي وقاس مالك سائر المساجد علي المسجد الحرام في المنع ، وفيه دليل علي أن الكفار مخاطبون بالفروع ، ﴿ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل : سنة حجة الوداع .

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ فقراً بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ماكان لكم من قدومهم من المكاسب والأرفاق . ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِه ﴾من عطائه أوتفضله بوجه آخر وقد أنجز وعده بأن أرسل السماء عليهم مدراراً ، ووفق أهل تبالة وجرش (٢٤) فأسلموا وامتاروا لهم ، ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض . وقرئ عائلة علي أنها مصدر كالعافية أوحال . ﴿ إِن شَاءَ ﴾قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال إلي الله تعالى ولينبه علي أنه تعالي متفضل في ذلك وأن الغني الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام . ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ بأحوالكم . ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما يعطي ويمنع .

وإذا الكتيبة عَرَّدَتْ أنيابها   بالسمهرى وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشبالـــه   وسط المباءة خادر في مرصد .

(٢٤) تبالة وجُرَش بلدان فى اليمن
وامتاروا :قدموا المِيرة وهى الطعام .

الأمر بجهاد المشركين

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ أي لا يومنون بهما علي ما ينبغي كما بيناه في أول البقرة فإن إيمانهم كلا إيمان . ﴿ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة، وقيل : رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعني أنهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقاداً وعملاً . ﴿ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ﴾ الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ومبطلها . ﴿ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ بيان للذين لا يؤمنون .

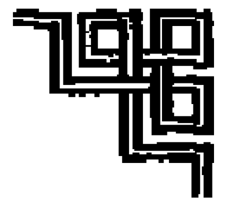
ممن تؤخذ الجزية

﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ ما تقرر عليهم أن يعطوه مشتق من جزي دينه إذا قضاه . ﴿ عَن يَدٍ ﴾ حال من الضمير أي عن يد مؤاتية بمعني منقادين ، أو عن يدهم بمعني مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم ، ولذلك منع من التوكيل فيه ، أو عن غني ولذلك قيل: لا تؤخذ من الفقير ،أو عن يد قاهرة عليهم بمعني عاجزين أذلاء أو من الجزية بمعني نقداً مسلمة عن يد إلي يد أو عن إنعام عليهم فإن إبقاءهم بالجزية نعمة عظيمة .﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾أذلاء عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما قال :تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه .

ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية بأهل الكتاب ويؤيده أن عمر رضي الله تعالي عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتي شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالي عنه ، أنه ﷺ أخذها من مجوس هجر وأنه قال « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » وذلك لأن لهم شبهة كتاب فألحقوا بالكتابيين .

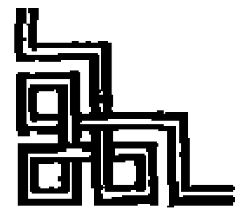
وأما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا ، وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالي تؤخذ منهم إلا مشركي العرب لما روي الزهري أنه ﷺ صالح عبدة الأوثان إلا من كان من العرب .

وعن مالك رحمه الله تعالي تؤخذ من كل كافر إلا المرتد وأقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير ، وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالي علي الغني ثمانية وأربعون درهما وعلي المتوسط نصفها وعلي الفقير الكسوب ربعها ولاشئ علي الفقير غير الكسوب .



الآيات من ٣٠ : ٣٣

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) ﴾.



شرك أهل الكتاب

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾إنما قاله بعضهم من متقدميهم أوممن كانوا بالمدينة ، وإنما قالوا ذلك لأنه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة، وهو لما أحياه الله بعد مائة عام أملي عليهم التوراة حفظاً فتعجبوا من ذلك وقالوا : ما هذا إلا أنه ابن الله ، والدليل علي أن هذا القول كان فيهم أن الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم علي التكذيب .

وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين علي أنه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الأخري إما لمنع صرفه للعجمة والتعريف ، أولالتقاء الساكنين تشبيهاً للنون بحروف اللين أولأن الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا أوصاحبنا وهو مزيف لأنه يؤدي إلي تسليم النسب وإنكار الخبر المقدر.

﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ هو أيضاً قول بعضهم ، وإنما قالوه استحالة لأن يكون ولد بلا أب أولأن يفعل ما فعله من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتي من لم يكن إلهاً .

﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾إما تأكيد لنسبة هذا القول إليهم ونفي للتجوز عنها، أوإشعار بأنه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الأفواه

ولايوجد مفهومه في الأعيان ﴿ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي يضاهي [٢٥] قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .﴿ مِن قَبْلُ ﴾أي من قبلهم والمراد قدماؤهم علي معني أن الكفر قديم فيهم ،أو المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله ، أو اليهود علي أن الضمير للنصاري ، والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه ، وقرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيء علي فعيل للتي شابهت الرجال في أنها لاتحيض .

﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ دعاء عليهم بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك ، أوتعجب من شناعة قولهم . ﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ كيف يصرفون عن الحق إلي الباطل .

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله أو بالسجود لهم ﴿ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ بأن جعلوه ابناً لله ﴿ وَمَا أُمِرُوا ﴾وما أمروا أي وما أمر المتخذون أوالمتخذون أرباباً فيكون كالدليل علي بطلان الاتخاذ . ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُوا ﴾ ليطيعوا .﴿ إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ وهو الله تعالي وأما طاعة الرسول وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة لله .﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ صفة ثانية أواستئناف مقرر للتوحيد . ﴿ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾تنزيه له عن أن يكو ن له شريك .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا ﴾ يخمدوا . ﴿ نُورَ اللَّهِ ﴾ حجته الدالة علي وحدانيته وتقدسه عن الولد ، أو القرآن أونبوة محمد ﷺ .﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ بشركهم أوبتكذيبهم ‹ ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ ﴾ أي لايرضي .﴿ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ ﴾بإعلاء التوحيد وإعزاز الإسلام ، وقيل: إنه تمثيل لحالهم في طلبهم إبطال نبوة محمد ﷺ بالتكذيب بحال من يطلب إطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده بنفخه ، وإنما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لأنه في معني النفي .﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه .

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾كالبيان لقوله ﴿ ويأبي الله إلا أن يتم نوره ﴾ ولذلك كرر ﴿وَلَوْ كَرِهَ

---

(٢٥) يضاهي : يشابه .

﴿ الْمُشْرِكُونَ ﴾غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة علي أنهم ضموا الكفر بالرسول إلي الشرك بالله ، والضمير في ليظهره للدين الحق ، أو للرسول ﷺ في الدين للجنس أي علي سائر الأديان فينسخها ، أو علي أهلها فيخذلهم .

الآيات من ٣٤ : ٣٦

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦) ﴾ .

وعيد لأهل البخل الكانزين الذين لايؤدون حق الله في أموالهم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ يأخذونها بالرشا في الأحكام سمي أخذ المال أكلاً لأنه الغرض الأعظم منه . . ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ دينه ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص علي المال والضن به وأن يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولايؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ ، ويدل عليه أنه لما نزل كبر علي المسلمين فذكر عمر رضي الله تعالي عنه لرسول الله ﷺ فقال « **إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم** » (٢٦)

(٢٦) رواه أبو داود والحاكم في المستدرك وابن مردويه من حديث يحيى بن يعلى ، وله بقية، وهي : « وإنما فرض المواريث من أموال تبقى بعدكم » قال فكبر عمر ثم قال له النبي ﷺ : « ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء ؟ المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته » .

وقوله ﷺ « **ما أدي زكاته فليس بكنز** » (٢٧) أي بكنز أوعد عليه ، فإن الوعيد علي الكنز مع عدم الإنفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه ، وأما قوله ﷺ « **من ترك صفراء أوبيضاء كوي بها** »(٢٨) ونحوه فالمراد منها مالم يؤد حقها لقوله ﷺ فيما أورده الشيخان مروياً عن أبي هريرة رضي الله تعالي عنه « **ما من صاحب ذهب ولافضة لا يؤدي منها حقها إلا إذاكان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوي بها جبينه وجنبه وظهره** »(٢٩) ﴿ **فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ هو الكي بهما .

﴿ **يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ** ﴾ أي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها، وأصله تحمي بالنار فجعل الإحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار وأسند الفعل إلي الجار والمجرور تنبيهاً علي المقصود فانتقل من صيغة التأنيث إلي صيغة التذكير ، وإنما قال عليها والمذكور شيئان لأن المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله تعالي عنه : أربعة آلاف وما دونها نفقة ومافوقها كنز ، وكذا قوله تعالي ﴿ **ولاينفقونها** ﴾وقيل الضمير فيهما للكنوز أو للأموال فإن الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لأنهما قانون التمول ، أو للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها علي أن الذهب أولي بهذا الحكم . ﴿ **فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ** ﴾ لأن جمعهم وإمساكهم إياه كان لطلب الوجاهة بالغني والتنعم

ورواه ابن كثير فى تفسيره عن ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢٧) أخرجه البيهقى من طريق محمد بن جبير عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعا بلفظ « كل ماأدى زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا ، وكل ما لا يؤدى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرا » وقال البيهقى : ليس هذا بمحفوظ .

(٢٨) رواه البخارى فى التاريخ ، والطبرى وابن مردويه قال : كان نعل سيف أبى هريرة من فضة ، فنهاه عنه أبو ذر ، وقال : إن رسول الله ﷺ قال : « من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها » .

وأخرج الطبرانى من حديث أبى أمامة « ما من عبد يموت فيترك صفراء أو بيضاء إلا كوى بها » .

(٢٩) رواه مسلم من حديث أبى هريرة ، وله تتمة هي : « فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » .

بالمطاعم الشهية والملابس البهية ، أو لأنهم أزوروا عن السائل وأعرضوا عنه وولوه ظهورهم ، أولأنها أشرف الأعضاء الظاهرة فإنها المشتملة علي الأعضاء الرئيسية التي هي الدماغ والقلب والكبد ، أو لأنها أصول الجهات الأربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه ، ﴿ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ علي إرادة القول ﴿لأَنفسكُمْ﴾ لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها . ﴿ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ أي وبال كنزكم أو ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون .

عدة الشهور والأشهر الحرم

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ ﴾ أي مبلغ عددها ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ معمول عدة لأنها

---

* **الإعجاز العلمى**

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾

إن الإعجاز العلمى الموجود فى هذه الآية الكريمة ليجعل كثيرا من العلماء فى حالة ذهول لما تقرره هذا الآية من أمرين :

أولا : أن الله هو وحده خالق هذا الكون وواضع لنظامه وليس معه إله آخر يعدل عليه أو يغير نظامه فى قوله « إن عدة الشهور عند الله . . . »

ومنذ أن خلق الكون إلي يومنا هذا لم يتغير هذا النظام ونحن نسأل الكفار والملحدين ونقول لهم إن الله المعبود الحق هو الذى نظم الشهور والسنين كما أخبرنا ، ونسب كل هذه المقدره إلى نفسه فهل عندكم من إله غيره يدعى لنفسه هذه القدرة أو يستطيع أن يغير هذا النظام بأن يجعل السنه مثلا ستة أشهر .

ثانيا : عندما أشار القرآن الكريم إلى خصائص الزمن الفلكية باعتباره مترتبا على حركة الأفلاك تحدث عن وظيفة القمر فى ذلك النظام الكونى الذى أبدع الخالق الأعظم رسم هندسته فى عالم الزمان والمكان . فجعل للقمر منازل على أبعاد مكانية مقدرة وأشكال متوالية ، ويتخذ خلال تجواله عبر هذه الأبعاد أشكالاً خاصة تكون بحجم محدد وزمن مقدر تقديراً دقيقاً جداً ، وبترتيب تصاعدى فى النصف الأول من الشهر .. ثم بترتيب تنازلى فى النصف الأخير من الشهر . وهذا التنظيم المحكم ثابت لايضطرب ولا ينحرف ، فالشمس فى حركتها ونظامها ، والقمر كذلك فى حركته ونظامه ، ولايطغى أحدهما على الآخر .

ويؤكد القرآن هذه الحقيقة مرة أخرى حين يقول : « الشمس والقمر بحسبان » .. أى =

مصدر، ﴿ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّه ﴾ في اللوح المحفوظ ، أو في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله ، ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ متعلق بما فيه من معني الثبوت أوبالكتاب إن جعل مصدراً والمعني :أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر مذ خلق الله الأجرام والأزمنة ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام والعرب ورثوه منهما ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ بهتك حرمتها وارتكاب حرمها والجمهور علي أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة ، وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن

*** الإعجاز العلمي**

أن الشمس والقمر يتحركان ويجريان فى بروجهما ومنازلهما بحساب مقدر منتظم يترتب عليه تنظيم أمور الكائنات الأرضية وتعاقب الفصول والأوقات .

كما أشار القرآن الكريم إلى أن عدد السنين وحسابها على سطح الأرض مترتب على العلاقة بين الأرض والشمس أو بين الأرض والقمر ، وعلى الوحدة الزمنية التى يملؤها النهار والليل حتى يعقبها شروق شمس يوم جديد .. وفى ذلك إشارة خفية إلى دوران الأرض حول نفسها فى أربع وعشرين ساعة أمام الشمس فينتج اليوم بنهاره وليله .. ودوران القمر حول الأرض فى سبعة وعشرين يوماً وربع يوم ، وخلال ذلك يدور القمر حول محوره مرة واحدة فى نفس الوقت الذى يستغرقه لإكمال مداره حول الأرض .

ونجد تفسيراً لكل ذلك فى قوله تعالى :

﴿ يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾ .

القمر :

قال تعالى :

﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾ .

وقال :

﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ .

وقال :

فإنه أعظم وزراً كارتكابها في الحرم وحال الإحرام ، وعن عطاء أنه لايحل للناس أن يغزوا في الحرم في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا ويؤيد الأول ماروي « أنه ﷺ حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة.

﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ جميعاً وهو مصدر كف عن الشئ فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال . ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم .

الآيات من ٣٧ : ٤٠

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ

* الإعجاز العلمى

﴿ وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ﴾ .

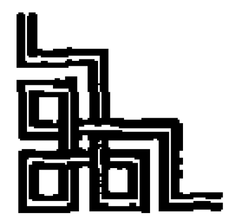
ومعنى هذا أن الله الذى أخبرنا فى القرآن العظيم عن أن عدد الشهور فى السنة اثنا عشر شهرا هو خالق الشمس والأرض والقمر وكل شيء .

وهذه الآية القرآنية تربط أمرين معا : فدوران القمر حول الأرض ينتج عنه تتابع الشهور ودوران الأرض حول الشمس ينتج عنه تتابع السنين فالوقت الذى يستغرقه كوكب الأرض فى الدوران حول الشمس مرة واحدة يسمى سنة مقدارها $\frac{1}{4}$ ٣٦٥ يوم وفى نفس الوقت يكون القمر قد أكمل عددا من الدورات حول الأرض بعدد شهور السنة لأنه يحتاج لكى يدور مرة واحدة حول محوره ٢٧ يوما وربع يوم وهى نفس المدة التى يدور بها حول الأرض .

إن هذا النظام المبدع لايمكن أن يقوم به إلا إله واحد هو الله لا إله إلا هو .

ونحن كمسلمين نفتخر بأن القرآن ذكر لنا هذه الثوابت الكونية فى زمن التنزيل بينما العلم الحديث لم يتوصل إلى هذه الحقائق إلا منذ زمن يسير .

الـدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيـلٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ تَنـفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيـمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَالـلَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيـرٌ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ تَنـصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ الـلَّهَ مَعَنَا فَأَنـزَلَ الـلَّهُ سَكِيـنَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِيـنَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.



النسيء وحكمه

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ ﴾ أي تأخير حرمة الشهر إلي شهر آخر ، كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد ، وعن نافع برواية ورش إنما النسيّ بقلب الهمزة ياء وإدغام الياء فيها ، وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه إذا أخره ﴿ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ لأنه تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر آخر ضموه إلي كفرهم ﴿ يُضَلُّ بِهِ الَّذِيـنَ كَفَرُوا ﴾ ضلالا زائداً . وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل علي البناء للمفعول ، وعن يعقوب يضل علي أن الفعل لله تعالي .﴿ يُحِلُّونَهُ عَامًا ﴾يحلون المنسي من الأشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهراً آخر.﴿ وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ﴾ فيتركونه علي حرمته ، قيل : أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم علي جمل في الموسم فينادي: إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادي في القابل إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه (٣٠أ) والجملتان تفسير للضلال أو حال . ﴿ لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾

(٣٠/أ) كان أول من نسأ الشهور على العرب فأحل منها ما حرم الله وحرم منها ما أحل الله عز وجل يقال له القلمس وهو حذيفة بن عبد فقيم بن عدى بن عامر، ويتصل نسبه بمالك ابن كنانة بن خزيمة إلى معد بن عدنان ، ثم خلفه من بعده أبناوه وأحفاده فى ذلك ، إلى أن كان آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف ، كان يوا فى الموسم فى كل عام فينادى : ألا إن أبا ثمامةلا يجاب ولا يعاب ، ألا وإن صفر العام الأول ، العام حلال فيحله الناس، فيحرم صفرا عاما ويحرم المحرم عاماً .

وقيل : إنهم كانوا ذا الحجة المحرم والمحرم صفرا وصفر ربيعا وهكذا . إلي أن يكون ذو القعدة هو ذا الحجة فيحجون فى الحقيقة بذى القعدة وهم يسمونه ذا الحجة ويقال :

أي ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة ، واللام متعلقة بيحرمونه أو بما يدل عليه مجموع الفعلين . ﴿ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت . ﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ﴾ وقرئ علي البناء للفاعل وهو الله تعالي، والمعني خذلهم وأضلهم حتي حسبوا قبيح أعمالهم حسناً . ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ هداية موصلة إلي الاهتداء.

دعوة للجهاد وغزوة تبوك

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ تباطأتم ،وقرئ تثاقلتم علي الأصل وأثاقلتم علي الاستفهام للتوبيخ (٣٠ب) ﴿ إِلَى الأَرْضِ ﴾ متعلق به كأنه ضمن معني الإخلاد والميل فعدي بإلي ، وكان ذلك في غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ﴿ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وغرورها ﴿ مِنَ الآخِرَةِ ﴾بدل الآخرة ونعيمها . ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾فما التمتع بها ﴿ فِي الآخِرَةِ ﴾ في جنب الآخرة ﴿ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾مستحقر .

﴿ إِلاَّ تَنفِرُوا ﴾ إن لاتنفروا إلي ما استنفرتم إليه . ﴿ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيما ﴾بالإهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ﴿ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ ويستبدل بكم آخرين مطيعين كأهل اليمن وأبناء فارس . ﴿ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا ﴾ إذ لايقدح تثاقلكم في نصر دينه شيئاً فإنه الغني عن كل شئ وفي كل أمر ، وقيل الضمير للرسول ﷺ أي ولاتضروه فإن الله سبحانه وتعالي وعد له بالعصمة والنصر

إنه وافق حجة أبى بكر . . قاله مجاهد وفيه نظر .

من تفسير ابن كثير ـ مختصر ابن كثير جـ ٢ ص ٣٧ .

(٣٠/ب) لفتة بلاغية : كلمة اثاقلتم من أدق الكلمات أداء للمعنى فى موضعها جاء فى كتاب : ألوان من الإعجاز القرآني: لو أدرنا لسان العرب كله على أن يوجد لنا لفظة أحسن من لفظة « اثاقلتم » لما استطاع أن يأتي بأحسن منها في هذا المكان مع أدائها لمعناها كاملا معبرةعنه بوضوح وحركة وإحكام ، ولو رفعناهاعن مكانها لما استطعنا التعويض عنها إلا بعدة ألفاظ وكلمات .

ـ ألوان من الإعجاز القرآني ص ٦٣ لمحمد وفا الأميرى خريج الأزهرالشريف ـ مطبعة الشرق ـ حلب .

ووعده حق . ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾فيقدر علي التبديل وتغيير الأسباب والنصرة بلا مدد كما قال .

﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾ أي إن لم تنصروه فسينصره الله كما نصره . ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ ﴾ ولم يكن معه إلا رجل واحد ، فحذف الجزاء وأقيم ما هو كالدليل عليه مقامه ، أو إن لم تنصروه فقد أوجب الله له النصر حتي نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره وإسناد الإخراج إلي الكفرة لأن همهم بإخراجه أوقتله تسبب لإذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون علي لغة من يجري المنقوص مجري المقصور في الاعراب ونصبه علي الحال . ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ بدل من إذ أخرجه بدل البعض إذ المراد به زمان متسع ، والغار نقب في أعلي ثور وهو جبل في يمني مكة علي مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثاً . ﴿ إِذْ يَقُولُ ﴾ بدل ثان أو ظرف لثاني ﴿ لِصَاحِبِهِ ﴾ وهو أبو بكر رضي الله تعالي عنه ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ بالعصمة والمعونة . روي « أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي الله تعالي عنه علي رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه » وقيل: لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه(٣١) ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ ﴾ أمنته التي تسكن عندها القلوب . ﴿ عَلَيْهِ ﴾ علي النبي ﷺ أو علي صاحبه وهو الأظهر لأنه كان منزعجاً .﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ يعني الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار أوليعينوه علي العدو يوم بدر والأحزاب وحنين ، فتكون الجملة معطوفة علي قوله نصره الله ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ﴾ يعني الشرك أودعوة الكفر . ﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ يعني التوحيد أودعوة الإسلام والمعني وجعل ذلك بتخليص الرسول ﷺ عن أيدي الكفار إلي المدينة فإنه المبدأ له ، أو بتأييده إياه بالملائكة في هذه المواطن أوبحفظه

(٣١) أخرجه البزار من طريق عوف بن عمرو عن أبى مصعب المكى ، قال : سمعت أنس بن مالك وغيره أن النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله تعالى صخرة فثبتت في وجه النبى ﷺ فسترته ، وأمر العنكبوت فنسجت في وجهه فسترته ، وأمر حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار .

ونصره له حيث حضر ، وقرأ يعقوب وكلمة الله بالنصب عطفاً علي كلمة الذين ، والرفع أبلغ لما فيه من الإشعار بأن كلمة الله عالية في نفسها وإن فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل. ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ في أمره وتدبيره .

الآيات من ٤١ : ٤٥

﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) ﴾ .

﴿ انفِرُوا خِفَافًا ﴾ لنشاطكم له . ﴿ وَثِقَالاً ﴾ عنه لمشقته عليكم (٣٢) أو لقلة عيالكم ولكثرتها أوركباناً ومشاة ، أو خفافاً وثقالاً من السلاح ، أوصحاحاً ومراضاً ولذلك لما قال ابن أم مكتوم لرسول الله ﷺ : أعلي أن أنفر ؟ قال : نعم حتي نزل ﴿ ليس علي الأعمي حرج ﴾ (٣٣) ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ

---

(٣٢) روى على بن زيد عن أنس عن أبى طلحة قال : كهولاً وشبانا ، ما سمع الله عذر أحد ثم خرج إلى الشام فقاتل حتي قتل .

وفى رواية : قرأ أبو طلحة سورة براءة فاتى على هذه الآية ﴿ انفروا خفافا وثقالا .. ﴾ فقال : أرى ربنا استنفرنا شيوخا وشبانا جهزوني يا بنى ـ فقال بنوه : يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ، ومع أبى بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك . فأبى ، فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد تسعة أيام فلم يتغير ، فدفنوه فيها .

وقيل : إن هه الآية أول ما نزل من سورة براءة ، قاله سفيان الثورى عن مسلم بن صبيح ـ مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٣٩ .

(٣٣) النور : ٦١ ، الفتح : ١٧ .

اللّه ﴾ بما أمكن لكم منهما كليهما أوأحدهما . ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ من تركه ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الخير علمتم أنه خير ، أوإن كنتم تعلمون أنه خير إذ إخبار اللّه تعالي به صدق فبادروا إليه .

من أحوال المنافقين في تبوك

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا ﴾ أي لو كان ما دعوا إليه نفعاً دنيوياً ﴿ قَرِيبًا ﴾ سهل المأخذ ﴿ وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾ متوسطاً ﴿ لَّاتَّبَعُوكَ ﴾ لوافقوك . ﴿ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾أي المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴾ أي المتخلفون إذا رجعت من تبوك معتذرين ﴿ لَوِ اسْتَطَعْنَا ﴾ يقولون لو كان لنا استطاعة العدة أو البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله ﴿ اشتروا الضلالة ﴾ (٣٤) ﴿ لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾ ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لأنه إخبار عماوقع قبل وقوعه . ﴿ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ بإيقاعهافي العذاب ، وهو بدل من سيحلفون لأن الحلف الكاذب إيقاع للنفس في الهلاك أوحال من فاعله . ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ في ذاك لأنهم كانوا مستطيعين الخروج .

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ ﴾ كناية عن خطئه في الإذن فإن العفو من روادفه ﴿ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه ، والمعني لاي شئ أذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا بأكاذيب وهلا توقفت . ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ في الاعتذار . ﴿ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ فيه . قيل إنما فعل رسول اللّه ﷺ شيئين لم يؤمر بهما ، أخذه للفداء وإذنه للمنافقين فعاتبه اللّه عليهما .

﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فإن الخلص منهم يبادرون إليه ولايتوقفون علي الإذن فيه فضلاً أن يستأذنونك في التخلف عنه

---

(٣٤) البقرة : ١٦ .

أو أن يستأذنوك في التخلف كراهة أن يجاهدوا ، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ شهادة لهم بالتقوي وعدة لهم بثوابه .

﴿ إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ ﴾ في التخلف ﴿ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ تخصيص الإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر في الموضعين للإشعار بأن الباعث علي الجهاد والوازع عنه الإيمان وعدم الإيمان بهما . ﴿ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ يتحيرون .

الآيات من ٤٦ : ٥٠

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩) إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ (٥٠) ﴾ .

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ ﴾ للخروج .﴿ عُدَّةً ﴾ أهبة وقرئ عد بحذف التاءعند الإضافة كقوله :

إنَّ الخليطَ أجدوا البين فانجردوا وأخلفوك عدا الأمْرِ الذي وعدوا (٣٥)

وعدة بكسر العين بالإضافة وعدة بغيرها . ﴿ وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ ﴾ استدراك عن مفهوم قوله ﴿ ولو أرادوا الخروج ﴾ كأنه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لأنه تعالي كره انبعاثهم أي نهوضهم للخروج. ﴿ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ فحبسهم بالجبن والكسل ﴿ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ تمثيل لإلقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم ، أو وسوسة الشيطان بالأمر بالقعود ، أوحكاية قول بعضهم لبعض ، أو

(٣٥) سبق الحديث عن هذا الشاهد .

إذن الرسول ﷺ لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلي الوجهين لايخلو عن ذم .

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ ﴾ بخروجهم شيئاً . ﴿ إِلاَّ خَبَالاً ﴾ فساداً وشراً ولايستلزم ذلك أن يكون لهم خبال حتي لو خرجوا زادوه لأن الزيادة باعتبار أعم العام الذي وقع منه الاستثناء ، ولأجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لأنه لايكون مفرغاً .﴿ وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ ﴾ ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب أو الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعاً إذا أسرع . ﴿ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾ يريدون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم أو الرعب في قلوبكم ، والجملة حال من الضمير في أوضعوا . ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم ، أو نمامون يسمعون حديثكم للنقل إليهم ، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾فيعلم ضمائرهم وما يتأتي منهم .

﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ ﴾ تشتيت أمرك وتفريق أصحابك . ﴿ مِن قَبْلُ ﴾يعني يوم أحد فإن ابن أبي وأصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول ﷺ إلي ذي جدة أسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم أحد . ﴿ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ ﴾ ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في إبطال أمرك ، ﴿ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ بالنصر والتأييد الإلهي . ﴿ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ وعلا دينه . ﴿ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾. أي علي رغم منهم ، والآيتان لتسلية الرسول ﷺ والمؤمنين علي تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لأجله وكره انبعاثهم له وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وإزاحة اعتذارهم تداركاً لما فوت الرسول ﷺ بالمبادرة إلي الإذن ولذلك عوتب عليه . ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي ﴾ في القعود . ﴿ وَلاَ تَفْتِنِّي ﴾ ولاتوقعني في الفتنة أي في العصيان والمخالفة بأن لاتأذن لي ، وفيه إشعار بأنه لامحالة متخلف أذن له أم لم يأذن ، أوفي الفتنة بسبب ضياع المال والعيال إذ لاكافل لهم بعدي ، أوفي الفتنة بنساء الروم لما روي : أن جد بن قيس (٣٦) قال : قد علمت الأنصار أني مولع

---

(٣٦) وكان الجد بن قيس مشهورا بالنفاق ، ويقال إنه اختبأ في بيعة الرضوان تحت ناقته فلم يبايع ، وكان بخيلا ، وعلي الرغم من ذلك كان سيدا في قومه ، كان سيد بني سلمة من الأنصار ، وملَّ قومه سيادته لبخله . سألهم النبي ﷺ : من سيدكم ؟ قالوا : الجد

بالنساء فلا تفتني ببنات الأصفر ولكني أعينك بمالي فاتركني ﴿ أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ أي أن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف أوظهور النفاق لاما احترزوا عنه . ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ جامعا لهم يوم القيامة ، أوالآن لأن إحاطة أسبابها بهم كوجودها .

﴿ إِن تُصِبْكَ ﴾ في بعض غزواتك ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ ظفر وغنيمة ﴿ تَسُؤْهُمْ ﴾ لفرط حسدهم . ﴿ وَإِن تُصِبْكَ ﴾ في بعضها ﴿ مُصِيبَةٌ ﴾ بكسر أوشدة كما أصاب يوم أحد . ﴿ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ﴾ تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم في التخلف . ﴿ وَيَتَوَلَّوْا ﴾ عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له ، أو عن الرسول ﷺ ﴿ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ مسرورون .

الآيات من ٥١ : ٥٦

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢) قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤) فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥) وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) ﴾ .

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ إلا ما اختصنا بإثباته وإيجابه من النصرة، أوالشهادة أوما كتب لأجلنا في اللوح المحفوظ لايتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم ، وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لأنه من بنات

ابن قيس على بخل فيه ، فقال : وهل هناك داء أدوأ من البخل ، فخلعه ، وسوَّد مكانه بشر بن البراء بن معرور .

الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لأنه وقوع الشئ فيما قصد به ، وقيل من الصواب ﴿ هُوَ مَوْلانَا ﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾لأن حقهم أن لا يتوكلوا علي غيره

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا ﴾ تنتظرون بنا . ﴿ إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ﴾ إلا إحدي العاقبتين اللتين كل منهما حسني العواقب : النصرة والشهادة ، ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ ﴾ أيضاً إحدي السوأيين ﴿ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ ﴾بقارعة من السماء . ﴿ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ أو بعذاب بأيدينا وهو القتل علي الكفر ﴿ فَتَرَبَّصُوا ﴾ ما هو عاقبتنا ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ ما هو عاقبتكم .

رد الله نفقات المنافقين

﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ أمر في معني الخبر ، أي لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعاً أو كرهاً ، وفائدته المبالغة في تساوي الإنفاقين في عدم القبول كأنهم أمروا بأن يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم ، وهو جواب قول جد بن قيس وأعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل أمرين أن لايؤخذ منهم وأن لا يثابوا عليه وقوله : ﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ تعليل له علي سبيل الاستئناف ومابعده بيان وتقرير له .

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﴾ أي وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم ، وقرأ حمزة والكسائي أن يقبل بالياء لأن تأنيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل علي أن الفعل لله . ﴿ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ متثاقلين ﴿ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ لأنهم لايرجون بهما ثواباً ولايخافون علي تركهما عقاباً .

﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ ﴾ فإن ذلك استدراج ووبال لهم كما قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجاً لهم ، وأصل الزهوق الخروج بصعوبة .

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ إنهم لمن جملة المسلمين ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ لكفر قلوبهم ﴿ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الإسلام تقية .

الآيات ٥٧ : ٦٠

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧) وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (٥٩) إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) ﴾ .

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا ﴾ حصناً يلجئون إليه . ﴿ أَوْ مَغَارَاتٍ ﴾ غيراناً . ﴿ أَوْ مُدَّخَلاً ﴾ نفقاً ينجحرون فيه مفتعل من الدخول ، وقرأ يعقوب مدخلاً من دخل ، وقرئ مدخلاً أي مكاناً يدخلون فيه أنفسهم ومتدخلاً ومندخلاً من تدخل واندخل . ﴿ لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ ﴾ لأقبلوا نحوه ﴿ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ يسرعون إسراعاً لايردهم شئ كالفرس الجموح ، وقرئ يجمزون ومنه الجمازة .

طعن المنافقين في توزيع الصدقات

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴾ يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك ﴿ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ في قسمها . ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾قيل إنها نزلت في أبي الجواظ المنافق فقال : ألا ترون إلي صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل [٣٧] وقيل في ابن ذي

---

(٣٧) ذكره الزمخشري في الكشاف ، وله تتمة هي : فقال رسول الله ﷺ : لا أبالك أما كان موسى راعيا ، أما كان داود راعيا ؟ فلما ذهب قال ﷺ : احذروا هذا وأصحابه فإنهم منافقون . ـ تفسير الكشاف ـ .

الخويصرة رأس الخوارج ، كان رسول الله ﷺ يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال : اعدل يارسول الله فقال : « **ويلك إن لم أعدل فمن يعدل** » (٣٨) وإذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية .

﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** ﴾ ما أعطاهم الرسول من الغنيمة أوالصدقة ، وذكر الله للتعظيم وللتنبيه علي أن ما فعله الرسول ﷺ كان بأمره ، ﴿ **وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ** ﴾ كفانا فضله ﴿ **سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ صدقة أو غنيمة أخري ﴿ **وَرَسُولُهُ** ﴾ فيؤتينا أكثر مما آتانا . ﴿ **إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ** ﴾ في أن يغنينا من فضله ، والآية بأسرها في حيز الشرط ، والجواب محذوف تقديره لكان خيراً لهم ، ثم بين مصارف الصدقات تصويباوتحقيقاً لما فعله الرسول ﷺ فقال ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ أي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم ، وهو دليل علي أن المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم ، والفقير من لا مال له ولاكسب يقع موقعاً من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره ، والمسكين من له مال أوكسب لايكفيه من السكون كأن العجز أسكنه ، ويدل عليه قوله تعالي ﴿ **أما السفينة فكانت لمساكين** ﴾ (٣٩) وأنه ﷺ كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالي ﴿ **أومسكيناً ذامتربة** ﴾ . ﴿ **وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا** ﴾الساعين في تحصيلها وجمعها ، ﴿ **وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ** ﴾ قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم أو أشراف قد يترتب بإعطائهم ومراعاتهم إسلام نظرائهم ، وقد أعطي رسول الله ﷺ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك، وقيل أشراف يستألفون علي أن يسلموا فإنه ﷺ كان يعطيهم والأصح أنه كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله ، وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها علي قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل : كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله وأكثر أهله سقط . ﴿ **وَفِي الرِّقَابِ** ﴾ وللصرف في فك الرقاب بأن يعاون المكاتب بشئ منها علي أداء النجوم (٤٠) وقيل : بأن تبتاع

(٣٨) متفق عليه من حديث أبي سعيد ، واللفظ للبخاري .

(٣٩) الكهف : ٧٩ .

(٤٠) النجوم : الأقساط .

الرقاب فتعتق وبه قال مالك وأحمد أوبأن يفدي الأساري والعدول عن اللام إلي في للدلالة علي أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب ، وقيل: للإيذان بأنهم أحق بها . ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ والمديونين لأنفسهم في غير معصية ومن غير إسراف إذا لم يكن لهم وفاء، أو لإصلاح ذات البين وإن كانوا أغنياء لقوله ﷺ **«لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لغاز في سبيل الله أو لغارم ، أولرجل اشتراها بماله ، أولرجل له جار مسكين فتصدق علي المسكين فأهدي المسكين للغني أولعامل عليها »** (٤١)

﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وللصرف في الجهاد بالإنفاق علي المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح، وقيل وفي بناء القناطر والمصانع ، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع عن ماله . ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر لما دل عليه الآية الكريمة أي فرض لهم الله الصدقات فريضة ، أو حال من الضمير المستكن في للفقراء . وقرئ بالرفع علي تلك فريضة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء في مواضعها ، وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف إلي كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك وإليه ذهب الشافعي رضي الله تعالي عنه، وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين جواز صرفها إلي صنف واحد، وبه قال الأئمة الثلاثة واختاره بعض أصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله تعالي علي أن الآية بيان أن الصدقة لاتخرج منهم لا إيجاب قسمها عليهم (٤٢) .

---

(٤١) رواه الإمام أبو داود وابن ماجة عن أبى سعيد رضي الله عنه ، ورواه ابن كثير فى تفسيره.

(٤٢) أكد النبى ﷺ المصارف الثمانية ، روى الإمام أبو داود عن زياد بن الحارث الصدائى رضي الله عنه قال : أتيت النبى ﷺ فبايعته ، فأتى رجل فقال : أعطنى من الصدقة . فقال له : إن الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أصناف ، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك » .

الآيات من ٦١ : ٦٤

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٦٣) يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤) ﴾ .

لون آخر من إيذاء المنافقين :

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ يسمع كل ما يقال له ويصدقه ، سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عيناً لذلك، أو اشتق له فعل من أذن إذا استمع كأنف وشلل ، روي أنهم قالوا محمد أذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول . ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا علي الوجه الذي ذموا به بل من حيث أنه يسمع الخير ويقبله ، ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ يصدق به لما قام عنده من الأدلة ﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ويصدقهم لما علم من خلوصهم ، واللام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق فإنه بمعني التسليم وإيمان الأمان ، ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ أي وهو رحمة ﴿ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ﴾ لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولايكشف سره ، وفيه تنبيه علي أنه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم بل رفقاً بكم وترحماً عليكم ، وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفاً علي خير ، وقرئ بالنصب علي أنها علة فعل دل عليه أذن خير أي يأذن لكم رحمة ، وقرأ نافع أذن بالتخفيف فيهما وقرئ أذن خير علي أن خير صفة له أو خبر ثان ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾بإيذائه ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ ﴾ علي معاذيرهم فيما قالوا أوتخلفوا ﴿ لِيُرْضُوكُمْ ﴾ لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ أحق بالإرضاء بالطاعة والوفاق ، وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين أولأن الكلام في إيذاء

الرسول ﷺ وإرضائه ، أو لأن التقدير والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك. ﴿ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ صدقاً .

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ ﴾ أن الشأن وقرئ بالتاء. ﴿مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ يشاقق مفاعلة من الحد ، ﴿ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ﴾ علي حذف الخبر أي فحق أن له ، أوعلي تكرير أن للتأكيد ويحتمل أن يكون معطوفاً علي أنه ويكون الجواب محذوفاً تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك ، وقرئ فإن بالكسر ﴿ ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ يعني الهلاك الدائم.

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ﴾ علي المؤمنين ﴿ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ وتهتك عليهم أستارهم ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين فإن النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث إنه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل علي ترددهم أيضاً في كفرهم وأنهم لم يكونوا علي بت في أمر الرسول ﷺ بشئ وقيل إنه خبر في معني الأمر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله . ﴿ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ﴾ مبرز أو مظهر ﴿ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ أي ما تحذرونه من إنزال السورة فيكم ، أوما تحذرون إظهاره من مساويكم .

الآيات من ٦٥ :٦٨

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨) ﴾ .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ روي : أن ركب المنافقين مروا علي رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقالوا : انظروا إلي هذا الرجل يريد أن يفتح

قصور الشام وحصونه هيهات هيهات ، فأخبر الله تعالي به نبيه فدعاهم فقال : قلتم كذا وكذا ، فقالوا: لا والله ماكنا في شئ من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا في شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا علي بعض السفر (٤٣) ﴿ قُلْ أَبِاللَّه وَآيَاته وَرَسُوله كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ توبيخاً علي استهزائهم بمن لايصح الاستهزاء به، وإلزاما للحجة عليهم ولاتعبأ باعتذارهم الكاذب.

﴿ لا تَعْتَذِرُوا ﴾ لاتشتغلوا باعتذارتكم فإنها معلومة الكذب . ﴿ قَدْ كَفَرْتُمْ ﴾ قد أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول ﷺ والطعن فيه . ﴿ بَعْدَ إِيمَانكُمْ ﴾ بعد إظهاركم الإيمان . ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَائفَة منكُمْ ﴾ لتوبتهم وإخلاصهم ، أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء . ﴿ نُعَذِّبْ طَائفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ من المصرين علي النفاق أومقدمين علي الإيذاء والاستهزاء . وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وإن تعف بالتاء والبناء علي المفعول ذهاباً إلي المعني كأنه قال : إن ترحم طائفة.

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾أي متشابهة في النفاق والبعد عن الإيمان كأبعاض الشئ الواحد وقيل إنه تكذيب لهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقولهم وماهم منكم وما بعده كالدليل عليه، فإنه يدل علي مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله : ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ ﴾ بالكفر والمعاصي . ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ عن الإيمان والطاعة . ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ عن المبارّ (٤٤) وقبض اليد عن الشح . ﴿ نَسُوا اللَّهَ ﴾ غفلوا عن ذكر الله وتركوا طاعته . ﴿ فَنَسِيَهُمْ ﴾ فتركهم من لطفه وفضله . ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ مقدرين

---

(٤٣) ذكره السيوطى فى كتابه لباب النقول فى أسباب النزول وعزاه إلى ابن جرير الطبرى في تفسيره .

وذكره الواحدي كذلك فى أسباب النزول عن قتادة بدون سند .

(٤٤) المبارّ : أفعال البرّ .

الخلود . ﴿ هِيَ حَسْبُهُمْ ﴾ عقاباً وجزاء وفيه دليل علي عظم عذابها .﴿ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ أبعدهم من رحمته وأهانهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ لاينقطع والمراد به ما وعدوه أو ما يقاسونه من تعب النفاق .

الآيات من ٦٩ : ٧١

﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾ .

تحذير المنافقين من أن نهايتهم كنهاية الكفار السابقين

﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي أنتم مثل الذين ، أوفعلتم مثل فعل الذين من قبلكم ﴿ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا ﴾ بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم . ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ ﴾ نصيبهم من ملاذ الدنيا ، واشتقاقه من الخلق بمعني التقدير فإنه ما قدر لصاحبه ، ﴿ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاقِهِمْ ﴾ ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم . ﴿ وَخُضْتُمْ ﴾ ودخلتم في الباطل ﴿ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ كالذين خاضوا ، أو كالفوج الذي خاضوا ، أوكالخوض الذي خاضوه . ﴿ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ لم يستحقوا عليها ثواباً في الدارين . ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ الذين خسروا الدنيا والآخرة .

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ أغرقوا بالطوفان ﴿ وَعَادٍ ﴾ أهلكوا بالريح ﴿ وَثَمُودَ ﴾ أهلكوا بالرجفة ﴿ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ ﴾أهلك نمروذ ببعوض وأهلك أصحابه ﴿ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ ﴾ وأهل مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾ قريات قوم لوط ائتفكت بهم أي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلي الشر ﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم ﴾ يعني الكل ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ أي لم يك من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ﴿ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب

ثواب المؤمنين

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ في مقابلة قوله : ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾[45] ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في سائر الأمور ، ﴿ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ لامحالة فإن السين مؤكدة للوقوع ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ غالب علي كل شئ لايمتنع عليه من يريده . ﴿ حَكِيمٌ ﴾ يضع الأشياء مواضعها .

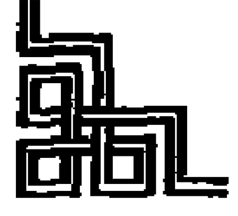
الآيات من ٧٢ : ٧٥

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن

---

(٤٥) التوبة : ٦٧ .

وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (٧٤) وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) ﴾ .



﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً ﴾ تستطيبها النفس أو يطيب فيها العيش وفي الحديث «أنها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر» . ﴿ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ إقامة وخلود ، وعنه ﷺ «عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر علي قلب بشر لايسكنها غير ثلاثة : النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالي : طوبي لمن دخلك»(٤٦) . ومرجع العطف فيها يحتمل أن يكون إلي تعدد الموعود لكل واحد أو للجميع على سبيل التوزيع ، أو إلى تغاير وصفه فكأنه وصفه أولاً بأنه من جنس ما هو أبهى الأماكن التى يعرفونها لتميل إليه طباعهم أول ما يقرع أسماعهم ، ثم وصفه بأنه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لا تخلو عن شيء منها أماكن الدنيا وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين ، ثم وصفه بأنه دار إقامة وثبات في جوار عليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ، ثم وعدهم بما هو أكبر من ذلك فقال تعالى ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ لأنه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى إلى نيل الوصول والفوز باللقاء ، وعنه ﷺ « إن الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون : وأى شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً » (٤٧) ﴿ ذَلِكَ ﴾ أى الرضوان أو جميع ما تقدم . ﴿ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ الذى تستحقر دونه الدنيا وما فيها .

---

(٤٦) رواه البزار من طريق زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عنه ، وقال : لا نعلمه إلا من هذا الوجه

(٤٧) متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه

ورواه ابن كثير فى تفسيره وقال : رواه الإمام مالك فى الموطأ من حديث أبى سعيد رضي الله عنه .

دعوة إلى مجاهدة المنافقين مع مجاهدة الكفار

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ ﴾ بالسيف . ﴿ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ بإلزام الحجة وإقامة الحدود . ﴿ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ فى ذلك ولا تحابهم . ﴿ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ مصيرهم .

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ﴾ روى أنه ﷺ أقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد : لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقًا لنحن شر من الحمير ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستحضره فحلف بالله ما قلت فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته (٤٨) . ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ وأظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ من فتك الرسول ، وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادى إذا تسنم العقبة بالليل ، فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها ، فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وقعقعة السلاح فقال : إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا (٤٩) أو

---

(٤٨) أخرجه الثعلبى فى تفسيره عن الكلبى ، ورواه ابن سعد فى طبقاته ، وعبد الرزاق فى المصنف ، والطبرى في تفسيره من رواية هشام بن عروة عن أبيه . قال : كانت أم عمير بنت سعيد عند الجلاس ، فقال الجلاس بن سويد فى غزوة تبوك : إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير ، فقال له عامر بن قيس الأنصاري وهو ابن عمه : أجل والله إن محمدا لصادق وانت شر من الحمار ، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فاستحضره فحلف بالله ما قال ، فرفع عامر يده فقال: اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق ، وتكذيب الكاذب فنزلت ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ﴾ فقال الجلاس : يا رسول الله لقد عرض الله على التوبة ، والله لقد قلته وصدق عامر ، فتاب الجلاس وحسنت توبته .

(٤٩) روى الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال : كنت آخذ بخطام ناقةرسول الله ﷺ أقود به ، وعمار يسوق الناقة ، أو أناأسوقه وعمار يقوده ، حتى إذا كنا بالعقبة فإذا باثنى عشر راكبا قد اعترضوه فيها ، قال : فانتهرهم رسول الله ﷺ وصرخ بهم فولو مدبرين ، فقال لنا رسول الله ﷺ : هل عرفتم

إخراجه وإخراج المؤمنين من المدينة أو بأن يتوجوا عبد الله بن أبى وإن لم يرض رسول الله ﷺ . ﴿ وَمَا نَقَمُوا ﴾ وما أنكروا أو ما وجدوا ما يورث نقمتهم . ﴿ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ فإن أكثر أهل المدينة كانوا محاويج فى ضنك من العيش ، فلما قدمهم رسول الله ﷺ أَثْرَوا بالغنائم ، وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله ﷺ بديته اثنى عشر ألفًا فاستغني .

والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو العلل . ﴿ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَّهُمْ ﴾ وهو الذى حمل الجلاس على التوبة والضمير فى يك للتوب . ﴿ وَإِن يَتَوَلَّوْا ﴾ بالإصرار على النفاق . ﴿ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ بالقتل والنار . ﴿ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ فينجيهم من العذاب .

قصة ثعلبة بن حاطب

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ نزلت فى ثعلبة بن حاطب أتى النبى ﷺ فقال : ادع الله أن يرزقنى مالاً فقال ﷺ : يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ، فراجعه وقال : والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالاً لأعطين كل ذى حق حقه ، فدعا له فاتخذ غنماً ، فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة ، فنزل واديًا وانقطع عن الجماعة والجمعة ، فسأل عنه رسول الله ﷺ ، فقيل : كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال : يا ويح ثعلبة، فبعث رسول الله ﷺ مصدقين (٥٠) لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس

القوم ؟ قلنا :لا يا رسول الله قد كانوا متلثمين ، ولكناقد عرفنا الركاب . قال : هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟ قلنا لا . قال : أرادوا أن يزاحموا رسول الله فى العقبة فيلقوه منها . قلنا : يا رسول الله ، أفلا نبعث إلى عشائرهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم ؟ قال :لا ، أكره أن تتحدث العرب بينها أن محمدا قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم ، ثم قال : اللهم ارمهم بالدُّبَيْلَة ـ قلنا : يا رسول الله ، وما الدبيلة ؟ قال : شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك .

مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٥٦ .

(٥٠) المصدقين : جمع مصدق وهو الذى يجمع الصدقات وهى أموال الزكاة .

بصدقاتهم، ومرا بثعلبة فسألاه الصدقةوأقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية ، فارجعا حتى أرى رأيى فنزلت ، فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبى ﷺ : إن الله منعنى أن أقبل منك ، فجعل يحثو التراب على رأسه فقال : هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى ، فقبض رسول الله ﷺ فجاء بها إلى أبى بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها ، ثم جاء إلى عمر رضى الله عنه فى خلافته فلم يقبلها ، وهلك فى زمان عثمان رضي الله تعالى عنه (٥١) .

الآيات من ٧٦ : ٧٨

﴿ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨) الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) ﴾

﴿ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ ﴾ منعوا حق الله منه . ﴿ وَتَوَلَّوْا ﴾ عن طاعة الله . ﴿ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ وهم قوم عادتهم الإعراض عنها .

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد فى قلوبهم ، ويجوز أن يكون الضمير للبخل والمعنى فأورثهم البخل نفاقا متمكنًا فى قلوبهم . ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ يلقون الله بالموت أو يلقون عملهم أى

---

(٥١) هذه القصة رواها ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، ورواها الطبرانى والبيهقى فى الدلائل وفى شعب الإيمان وابن مردويه كلهم من طريق على بن زيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أمامة . قال الحافظ ابن حجر : وهذا إسناد ضعيف جداً .

وقال السهيلى : ثعلبة بن حاطب من البدويين ، وقال بعضهم : من المنافقين ولعلهما اثنان بهذا الاسم أحدهما بدوى ، والآخر منافق هو الذي نزلت فيه هذه الآية .

ورواه السيوطى فى لباب النقول فى أسباب النزول وعزاه إلى الطبرانى وابن مردويه وابن أبى حاتم والبيهقى فى الدلائل وقال : إسناده ضعيف .

جزاءه وهو يوم القيامة ﴿ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ﴾ بسبب إخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح . ﴿ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ وبكونهم كاذبين فيه فإن خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين أو المقال مطلقًا وقرئ يكذبون بالتشديد .

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا ﴾ أى المنافقون أو من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات . ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ ﴾ ما أسروه فى أنفسهم من النفاق أو العزم علي الإخلاف . ﴿ وَنَجْوَاهُمْ ﴾ وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن ، أو تسمية الزكاة جزية . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ فلا يخفى عليه ذلك .

الذين يلمزون المتصدقين

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ ﴾ ذم مرفوع أو منصوب أو بدل من الضمير في سرهم . وقرئ يلمزون بالضم . ﴿ الْمُطَّوِّعِينَ ﴾ المتطوعين . ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ روي : أنه ﷺ حث على الصدقة ، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربى أربعة وأمسكت لعيالى أربعة ، فقال رسول الله ﷺ : بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت ، فبارك الله له حتى صولحت إحدى امرأتيه عن نصف الثُّمن علي ثمانين ألف درهم ، وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر ، وجاء أبو عقيل الأنصارى بصاع تمر فقال : بت ليلتى أجر بالجرير علي صاعين فتركت صاعًا لعيالي وجئت بصاع ، فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره علي الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا : ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبى عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات (٥٢) . فنزلت ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ إلا طاقتهم . وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد فى الأمر إذا بالغ فيه .

---

(٥٢) رواه البخارى جـ٤ ص ٢٥ وفى كتاب التفسير جـ ٩ ص ٤٠٠ وأخرجه مسلم فى كتاب الزكاة جـ ٧ ص ١٠٥ ، وابن أبى حاتم جـ ٤ ص ٧٣ ،وابن جريرجـ ١٠ ص١٩٦ والطيالسي جـ ٢ ص ١٩ ، وابن حبان في موارد الظمآن ص ٤٣١ ، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ، والسيوطى فى لباب المنقول . والحديث مروى عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه .

﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ﴾ يستهزئون منهم . ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ جازاهم علي سخريتهم كقوله تعالي . ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ (٥٣) ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ علي كفرهم .

الآية من ٨٠ : ٨١

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠) فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) ﴾.

النهي عن الاستغفار للمنافقين

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ يريد به التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة لهم كما نص عليه بقوله : ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل رسول الله ﷺ في مرض أبيه أن يستغفر له ، ففعل ﷺ فنزلت ، فقال ﷺ : لأزيدن علي السبعين فنزلت ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (٥٤)

---

(٥٣) البقرة : ١٥ .

(٥٤) المنافقون : ٦

وجاء فى سبب نزولها ما رواه السيوطى فى « لباب النقول فى أسباب النزول » عن عروة قال : لما نزلت ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ قال النبى ﷺ : لأزيد على السبعين ، فأنزل الله الآية المذكورة ، وأخرج عن مجاهد وقتادة مثله ، وأخرجه عن طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما . لباب النقول ـ سورة المنافقون .

وجاء فى تفسير ابن كثير : قال الشعبى : لما ثقل عبد الله بن أبى انطلق ابنه إلى النبى ﷺ فقال : إن أبى قد احتضر فاحب أن تشهده وتصلي عليه ، فقال النبى ﷺ : ما

وذلك لأنه ﷺ فهم من السبعين العدد المخصوص لأنه الأصل فجوز أن يكون ذلك حداً يخالفه حكم ما وراءه ، فبين له أن المراد به التكثير دون التحديد ، وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة علي جملة أقسام العدد فكأنه العدد بأسره،

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ إشارة إلي أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولاقصور فيك ، بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها .

﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ المتمردين في كفرهم وهو كالدليل علي الحكم السابق فإن مغفرة الكافر بالإقلاع عن الكفر والإرشاد إلي الحق ، والمنهمك في كفره المطبوع عليه لاينقلع ولايهتدي ، والتنبيه علي عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه من إيمانهم مالم يعلم أنهم مطبوعون علي الضلالة ، والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالي ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (٥٥).

كراهة المنافقين الجهاد

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾بقعودهم عن الغزو خلفه يقال أقام خلاف الحي أي بعدهم ، ويجوز أن يكون بمعني المخالفة فيكون انتصابه علي العلة أوالحال ،﴿ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ إيثاراً للدعة والخفض علي طاعة الله ، وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الأموال والمهج . ﴿ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾ أي قال بعضهم لبعض

اسمك ؟ قال : الحباب بن عبد الله ـ قال : بل أنت عبد الله بن عبد الله ، إن الحباب اسم شيطان، فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عرق ، وصلي عليه . فقيل له : أتصلى عليه ؟ وقال : إن الله قال إن تستغفر لهم سبعين مرة ولاستغفرن لهم سبعين وسبعين ـ قال : وكذا روى عن عروة بن الزبير ومجاهد وقتادة بن دعامة ، ورواه ابن جرير بأسانيده . مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٥٩ .

(٥٥) التوبة : ١١٣.

أوقالوه للمؤمنين تثبيطاً . ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ وقد آثرتموها بهذه المخالفة . ﴿ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ أن مآبهم إليها ، أوأنها كيف هي ما اختازوها بإيثار الدعة علي الطاعة.

الآيات من ٨٢ : ٨٥

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣) وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤) وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥) ﴾.

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ إخبار عمايؤول إليه حالهم في الدنيا والآخرة أخرجه علي صيغة الأمر للدلالة علي أنه حتم واجب ، ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم.

إسقاطهم من ديوان الجهاد

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ فإن ردك إلي المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فإن كلهم لم يكونوا منافقين ، أو من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا . ﴿ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ﴾ إلي غزوة أخري بعد تبوك . ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ إخبار في معني النهي للمبالغة ﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ تعليل له وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم علي تخلفهم وأول مرة هي الخرجة إلي غزوة تبوك . ﴿ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ أي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين علي قصر الخالفين .

﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً ﴾ روي : (أن عبد الله بن أبي دعا رسول الله ﷺ في مرضه ، فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويكفنه في شعاره

الذي يلي جسده.ويصلي عليه فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه »[٥٦] فنزلت وقيل : صلى عليه ثم نزلت ، وإنما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهي عن الصلاة عليه لأن الضن بالقميص كان مخلاً بالكرم ولأنه كان مكافأة لإلباسه العباس قميصه حين أسر ببدر [٥٧] .

والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي علي قوله ﴿ مات أبداً ﴾ يعني الموت علي الكفر فإن إحياء الكفار للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحي ﴿ وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾ ولاتقف عند قبره للدفن أو الزيارة ﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾تعليل للنهي أولتأبيد الموت .

﴿ وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ تكرير للتأكيد والأمر حقيق به فإن الأبصار طامحة إلي الأموال والأولاد والنفوس مغتبطة عليها ، ويجوز أن تكون هذه في طريق غير الأول .

الآيات من ٨٦ : ٩٠

﴿ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ (٨٦) رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ (٨٧) لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩) وَجَاءَ

---

(٥٦) رواه السيوطى فى لباب النقول وقال : رواه الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥٧) أخرجه البخارى من رواية عمرو بن دينار ، ورواه الحاكم في المستدرك من حديث جابر.

الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠) ﴾ .

﴿ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ من القرآن ويجوز أن يراد بها بعضها . ﴿ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ ﴾ بأن آمنوا بالله ويجوز أن تكون أن المفسرة . ﴿ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ ذوو الفضل والسعة . ﴿ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ الذين قعدوا لعذر .

﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لاخير فيه . ﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة.

﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ أي إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم ﴿ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ﴾ منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله تعالى ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾(٥٨) وهي جمع خيرة تخفيف خيرة . ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾الفائزون بالمطالب .

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ بيان لما لهم من الخيرات الأخروية .

المعذرون من الأعراب

﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ يعني أسداً وغطفان استأذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال ، وقيل: هم رهط عامر بن الطفيل قالوا : إن غزونا معك أغارت طيئ علي أهالينا ومواشينا .

والمعذر إما من عذر في الأمر إذا قصر فيه موهماً أن له عذراً ولا عذر له . أو من اعتذر إذا مهد العذر بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلي العين ، ويجوز كسر

---

(٥٨) الرحمن ٧٠ .

العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما ، وقرأ يعقوب المُعْذرون من أعذر إذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال علي أنه من تعذر بمعني اعتذر وهو لحن إذ التاء لاتدغم في العين ، وقد اختلف في أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله . ﴿ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في غيرهم وهم منافقو الأعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان وإن كانوا هم الأولين فكذبهم بالاعتذار . ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ ﴾ من الأعراب أو من المعذرين فإن منهم من اعتذر لكسله لا لكفره ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ بالقتل والنار .

الآيات من ٩١ : ٩٤

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ (٩٢) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩٣) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤) ﴾ .

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ ﴾ كالهرمي والزمني (٥٩) ﴿ وَلَا عَلَى

---

(٥٩) روي ابن أبى حاتم عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب لرسول الله ﷺ فكنت أكتب براءة ، فإنى لواضع القلم على أذنى إذ أمرنا بالقتال ، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه إذ جاء أعمى فقال : كيف بى يا رسول الله وأنا أعمى ؟ فنزلت : ﴿ ليس على الضعفاء ﴾ الآية .

وقال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية وذلك : أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه ، فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل بن مقرن المزنى فقالوا : =

﴿الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة. ﴿حَرَجٌ﴾ إثم في التأخر ، ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بالإيمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح ، أوبما قدروا عليه فعلاً أوقولاً يعود علي الإسلام والمسلمين بالصلاح .﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ أي ليس عليهم جناح ولا إلي معاتبتهم سبيل وإنما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة علي أنهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك . ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لهم أو للمسيء فكيف للمحسن .

البكاءون

﴿ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ عطف علي الضعفاء أوعلي المحسنين، وهم البكاءون سبعة من الأنصار : معقل بن يسار ، وصخر بن خنساء، وعبد الله بن كعب ، وسالم بن عمير ، وثعلبة بن غنمة ، وعبد الله بن مغفل ، وعلية ابن زيد، أتوا رسول الله ﷺ وقالوا : قد نذرنا الخروج فاحملنا علي الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك ، فقال ﷺ : لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون ، وقيل: هم بنو مقرن معقل ، وسويد، والنعمان وقيل: أبو موسي وأصحابه ، ﴿ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ حال من الكاف في أتوك بإضمار قد ﴿تَوَلَّوْا﴾ جواب إذا . ﴿ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ ﴾ تسيل ﴿ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ أي دمعاً فإن من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب علي التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها ، لأنه يدل علي أن العين صارت دمعاً فياضاً . ﴿حَزَنًا﴾ نصب علي العلة أوالحال أو المصدر لفعل دل عليه ما قبله ﴿ أَلاَّ يَجِدُوا ﴾ لئلا يجدوا متعلق بحزناً أو بتفيض . ﴿ مَا يُنفِقُونَ﴾ في مغزاهم .

= يا رسول الله احملنا ، فقال لهم : والله لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملا ، فلما رأى حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم فى كتابه فقال : ﴿ ليس على الضعفاء ﴾ الآية .

وجاء فى الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إن بالمدينة أقواما ما قطعتم واديا ولا سرتم سيرا إلا وهم معكم . قالوا : وهم بالمدينة ؟ قال : نعم حبسهم العذر » تفسير ابن كثير .

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ ﴾ بالمعاتبة . ﴿ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ﴾ واجدون الأهبة . ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف إيثاراً للدعة . ﴿ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ حتي غفلوا عن وخامة العاقبة . ﴿ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾مغبته .

اعتذار المنافقين بعد الرجوع من الغزوة

﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ من هذه السفرة ﴿ قُل لاَّ تَعْتَذِرُوا ﴾ بالمعاذير الكاذبة لأنه : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ لن نصدقكم لأنه ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ أعلمنا بالوحي إلي نبيه بعض أخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد . ﴿ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ أتتوبون عن الكفر أم تثبتون عليه فكأنه استتابة وإمهال للتوبة . ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أي إليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلة علي أنه مطلع علي سرهم وعلنهم لايفوت عن علمه شيء من ضمائرهم وأعمالهم ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالتوبيخ والعقاب عليه .

الآيات من ٩٥ : ٩٩

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ فلا تعاتبوهم . ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ ولا توبخوهم ﴿ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾ لاينفع فيهم التأنيب فإن المقصود منه التطهير بالحمل علي الإنابة وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير فهو علة الإعراض وترك المعاتبة . ﴿ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ من تمام التعليل وكأنه قال : إنهم أرجس من أهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة أو تعليل ثان والمعني : أن النار كفتهم عتاباً فلا تتكلفوا عتابهم ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ يجوز أن يكون مصدراً وأن يكون علة .

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ﴾ بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم ﴿ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ أي فإن رضاكم لايستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لاينفعهم إذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه، وإن أمكنهم أن يلبسوا عليكم لايمكنهم أن يلبسوا علي الله فلايهتك سترهم ولاينزل الهوان بهم ، والمقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الأمر بالإعراض وعدم الالتفات نحوهم .

جفاء الأعراب

﴿ الأَعْرَابُ ﴾ أهل البدو ﴿ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾من أهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لأهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة، ﴿ وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا ﴾وأحق بأن لايعلموا . ﴿ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾ من الشرائع فرائضها وسننها . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر . ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقاباً وثواباً .

﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ ﴾ يعد . ﴿ مَا يُنفِقُ ﴾ يصرفه في سبيل الله ويتصدق به ﴿ مَغْرَمًا ﴾غرامة وخسراناً إذ لايحتسبه قربة عند الله ولايرجو عليه ثواباً وإنما ينفق رياء أوتقية .﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ﴾ دوائر الزمان ونوبه لينقلب الأمر عليكم فيتخلص من الإنفاق . ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون أو الإخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم ، والدائرة في الأصل مصدر أواسم فاعل من دار يدور وسمي به عقبة الزمان ، والسوء بالفتح مصدر أضيف إليه للمبالغة كقولك رجل صدق ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو السوء

هنا وفي الفتح بضم السين . ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لما يقولون عند الإنفاق ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما يضمرون .

من الأعراب صادقون

﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ ﴾ سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ ، وعند الله صفتها أو ظرف ليتخذ ، ﴿ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ﴾ وسبب صلواته لأنه ﷺ كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ، ولذلك سن للمتصدق عليه أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته لكن ليس له أن يصلي عليه كما قال ﷺ :«اللهم صل علي آل أبي أوفي » لأنه منصبه فله أن يتفضل به علي غيره ﴿ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ﴾ شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم علي الاستئناف مع حرف التنبيه وإن المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء. ﴿ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ وعدلهم بإحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله :﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لتقريره . وقيل الأولي في أسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه .

الآيات من ١٠٠ : ١٠٢

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

الثناء علي السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ هم الذين صلوا إلي القبلتين أوالذين شهدوا بدرا أو الذين أسلموا قبل الهجرة . ﴿ وَالأَنصَارِ ﴾ أهل بيعة العقبة الأولي، وكانوا سبعة وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو

زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفاً علي والسابقون . ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾ اللاحقون بالسابقين من القبيلتين ، أو من اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلي يوم القيامة . ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم ، ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية. ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ ﴾وقرأ ابن كثير من تحتها الأنهار كما في سائر المواضع . ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

الذين لايقبل عذرهم من منافقي الأعراب

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم ﴾ أي وممن حول بلدتكم يعني المدينة ، ﴿ مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ﴾ هم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها . ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ﴾ عطف علي ممن حولكم أوخبر لمحذوف صفته . ﴿ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ﴾ ونظيره في حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه قوله :

أنَا ابنُ جلا وطلاَّع الثنايَا (٦٠)

وعلي الأول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف علي الخبر أوكلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق .

﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ ﴾ لاتعرفهم بأعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم إلي حد أخفي عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك .

﴿ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ ونطلع علي أسرارهم إن قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا أن

---

(٦٠) هذا صدر بيت لسحيم بن وثيل الرياحى وعجزه هو :

متى أضع العمامة تعرفونى

وبعده :

وماذا تبتغى الشعراء مني ... وقد جاوزت حد الأربعين

كان سحيم عبداً حبشيا واتهم ببنت مولاه فقتله .

وقيل : البيت للمثقب العيدى

ومعنى البيت أنا ابن رجل جلا الأمور وكشفها وظهر أمره في الشجاعة ، والعمامة المقصود بها بيضة الحرب متى أضعها فوق رأسى تعرفونى .

يلبسوا علينا .

﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ بالفضيحة والقتل أو بأحدهما وعذاب القبر ، أو بأخذ الزكاة ونهك الأبدان . ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ إلي عذاب النار .

حال الذين اعترفوا بذنوبهم

﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة . وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم علي سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين ، فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد علي عادته فصلي ركعتين ، فرآهم فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لايحلوا أنفسهم حتي تحلهم فقال : وأنا أقسم أن لا أحلهم حتي أومر فيهم فنزلت فأطلقهم . ﴿ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ خلطوا الفعل الصالح الذي هو إظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة أهل النفاق ، والواو إما بمعني الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهماً أو للدلالة علي أن كل واحد منهما مخلوط بالآخر، ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ أن يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه .

الآيات من ١٠٣ : ١٠٧

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) ﴾ .

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾روي «أنهم لما أطلقوا قالوا يارسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال : «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً» فنزلت ﴿ تُطَهِّرُهُمْ ﴾ من الذنوب أو حب المال المؤدي بهم إلي مثله وقرئ تطهرهم من أطهره بمعني طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للأمر ﴿ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾وتنمي بها حسناتهم وترفعهم إلي منازل المخلصين . ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾واعطف عليهم بالدعاء، والاستغفار لهم . ﴿ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ تسكن إليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم ، وجمعها لتعدد المدعو لهم ، وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد . ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لاعترافهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بندامتهم .

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا ﴾ الضمير إما للمتوب عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم ، أو لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما . ﴿ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ إذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معني التجاوز . ﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ يقبلها قبول من يأخذ شيئاً ليؤدي بدله . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾وأن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم .

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا ﴾ ماشئتم . ﴿ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ فإنه لايخفي عليه خيراً كان أوشراً . ﴿ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ فإنه تعالي لايخفي عنهم كما رأيتم وتبين لكم . ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ بالموت . ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بالمجازاة عليه.

المرجئون لأمر الله

﴿ وَآخَرُونَ ﴾ من المتخلفين ﴿ مُرْجَوْنَ ﴾ مؤخرون أي موقوف أمرهم من أرجأته إذا أخرته ، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان ﴿ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴾ في شأنهم،﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ﴾ إن أصروا علي النفاق ﴿ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ إن تابوا والترديد للعباد وفيه دليل علي أن كلا الأمرين بإرادة الله تعالي . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بأحوالهم .﴿حَكِيمٌ ﴾ فيما يفعل بهم ، وقرئ والله غفور رحيم، والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ، أمر الرسول ﷺ أصحابه

أن لايسلموا عليهم ولا يكلموهم ، فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وفوضوا أمرهم إلي الله فرحمهم الله تعالي .

قصة مسجد الضرار

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ﴾ عطف علي وآخرون مرجئون ، أومبتدأ خبره محذوف أي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا أومنصوب علي الاختصاص ، وقرأ نافع وابن عامر بغير الواو ، ﴿ ضِرَاراً ﴾ مضارة للمؤمنين ، وروي : «أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم فأتاهم فصلي فيه فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف ، فبنوا مسجداً علي قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب (٦١) إذا قدم من الشام فلما أتموه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : إنا قد بنينا مسجداً لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتي تتخذه مصلي ، فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت ، فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم : انطلقوا إلي هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة »(٦٢) ﴿ وَكُفْراً ﴾ وتقوية للكفر الذي يضمرونه ﴿ وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قباء .﴿ وَإِرْصَاداً ﴾ ترقباً . ﴿ لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ﴾ يعني الراهب فإنه قال لرسول الله ﷺ يوم أحد ، لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم ، فلم يزل يقاتله إلي يوم حنين حتي انهزم مع هوازن وهرب إلي الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ﷺ ومات بقنسرين وحيداً وقيل كان يجمع

---

(٦١) أبو عامر الراهب، وهو والد حنظلة شهيد أحد ، فشتان بين الوالد والولد – كان أبو عامر في المدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ وتنصر في الجاهلية ، فلما جاء النبي ﷺ المدينة دعاه إلي الإسلام فابي وتمرد وفر إلي مكة ثم إلي هرقل واستنصره علي حرب المسلمين فوعده ومناه وأقام عنده ، ثم كتب إلي جماعة من قومه بانه سيقدم بجيش يرد به محمداً عما هو فيه ، وأمرهم أن يتخذوا معقلا ومرصداً ، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء . هو مسجد الضرار الذي تشير إليه الآية

وأطلق علي أبي عامر الراهب أبو عامر الفاسق لكفره وكيده للمسلمين ، ومات غريباً طريداً بقنسرين بالشام .

(٦٢) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف .

الجيوش يوم الأحزاب فلما انهزموا خرج إلي الشام ، ومن قبل متعلق بحارب أوباتخذوا أي اتخذوا مسجداً من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف ، لما روي أنه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتيه فقال : أنا علي جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ ﴾ ما أردنا ببنائه إلا الخصلة الحسني أو الإرادة الحسني وهي الصلاة والذكر والتوسعة علي المصلين ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ في حلفهم .

الآيات من ١٠٨ : ١٠٩

﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) ﴾

﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾للصلاة .﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ ﴾ يعني مسجد قباء أسسه رسول الله ﷺ وصلي فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين إلي الجمعة لأنه أوفق للقصة ، أو مسجد رسول الله ﷺ لقول أبي سعيد رضي الله عنه، سالت رسول الله ﷺ عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة . ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ من أيام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله :

لمَنِ الدِّيارُ بقُنةِ الحَجرِ ... أَقْوَيْنَ مِنْ حجَجٍ وَمِنْ دَهرِ (٦٣)

﴿ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ أولي بأن تصلي فيه ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ﴾ من المعاصي والخصال المذمومة طلباً لمرضاة الله سبحانه وتعالي ، وقيل من الجنابة فلاينامون عليها ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾يرضي عنهم ويدنيهم من جنابه تعالي إدناء المحب حبيبه .

---

(٦٣) قنة الحجر : اسم موضع ،وأقوين : تعرضن للإقواء وهو الفناء والاندثار .

والحجج: جمع حجة وهي السنه ، وفي القرآن الكريم ﴿ علي أن تأجرني ثماني حجج ﴾ أي ثماني سنوات .

قيل لما نزلت مشي رسول الله ﷺ ومعه المهاجرون حتي وقف علي باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال ﷺ : «**أمؤمنون أنتم**»؟ فسكتوا .. فأعادها فقال عمر :إنهم مؤمنون وأنا معهم ، فقال ﷺ : «**أترضون بالقضاء**»؟ قالوا : نعم . قال ﷺ : « **أتصبرون علي البلاء**»؟ قالوا : نعم ، قال : «**أتشكرون في الرخاء**»؟ قالوا : نعم فقال ﷺ : « **أنتم مؤمنون ورب الكعبة**» فجلس ثم قال : «**يامعشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثني عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط**»؟ فقالوا : يارسول الله نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا النبي : ﴿ **فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا** ﴾ (٦٤) .

﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ** ﴾ بنيان دينه ﴿**عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ** ﴾ علي قاعدة محكمة هو التقوي من الله وطلب مرضاته بالطاعة. ﴿**أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ** ﴾ علي قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها ﴿ **فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ** ﴾ فأدي به لخوره وقلة استمساكه إلي السقوط في النار .

وإنما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوي تمثيلاً لما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ، ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيهاً علي أن تأسيس ذلك علي أمر يحفظه من النار ويوصله إلي رضوان الله ومقتضياته التي الجنة أدناها ، وتأسيس هذا علي ما هم بسببه علي صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم إن مصيرهم إلي النار لامحالة.

وقرأ نافع وابن عامر أسس علي البناء للمفعول ، وقرئ أساس بنيانه علي الإضافة وأسس وآساس بالفتح والمد وإساس بالكسر وثلاثتها جمع أس ، وتقوي بالتنوين

---

(٦٤) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف وعلق عليه الحافظ ابن حجر بقوله : لم أجده هكذا ، وكأنه ملفق من حديثين أولهما من الطبراني في الأوسط قال : حدثنا الهيثم بن خلف الدوري بسنده إلي ابن عباس رضي الله عنهما قال : دخل رسول الله ﷺ علي عمر ومعه أناس فقال : أمؤمنون أنتم ؟ فسكتوا ثلاث مرات فقال عمر رضي الله عنه : يارسول الله ، نؤمن بما أتيتنا به ونحمد الله في الرخاء ونصبر في البلاء ونرضي بالقضاء ، فقال : مؤمنون ورب الكعبة.

وأما الثاني فروي ابن مردويه من طريق ابن عباس مثله.

علي أن الألف للإلحاق لا للتأنيث كتتري وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر جرف بالتخفيف . ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ إلي ما فيه صلاحهم ونجاحهم .

الآيات من ١١٠ : ١١٢

﴿ لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠) إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) ﴾ .

﴿ لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا ﴾ بناؤهم الذي بنوه مصدر أريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله : ﴿ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي شكا ونفاقاً ، والمعني أن بناءهم هذا لايزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فإنه حملهم علي ذلك ثم لما هدمه الرسول ﷺ رسخ ذلك في قلوبهم وازدادبحيث لايزول وسمه عن قلوبهم . ﴿ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ قطعاً بحيث لايبقي لها قابلية الإدراك والإضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء ، من أعم الأزمنة .

وقيل: المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل أو في القبر أو في النار ، وقيل التقطع بالتوبة ندماً وأسفاً ، وقرأ يعقوب إلي بحرف الانتهاء وتقطع بمعني تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم علي خطاب الرسول ﷺ ، أو كل مخاطب ولو قطعت علي البناء للفاعل والمفعول، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بنياتهم . ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما أمر بهدم بنيانهم .

تضحية المؤمنين بالمال والنفس

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة علي بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله﴿ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾استئناف بيان ما لأجله الشراء ، وقيل يقاتلون في معني الأمر .

وقرأ حمزةوالكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت أن الواو لاتوجب الترتيب وأن فعل البعض قد ينسد إلي الكل .

﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾مصدر مؤكد لما دل عليه الشراء فإنه في معني الوعد . ﴿ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ مذكوراً فيهما كما أثبت في القرآن ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾مبالغة في الإنجاز وتقرير لكونه حقاً ﴿ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ﴾ فافرحوا به غاية الفرح فإنه أوجب لكم عظائم المطالب كما قال : ﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٦٥) .

﴿ التَّائِبُونَ ﴾ رفع علي المدح أي هم التائبون ، والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا لقوله ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾(٦٦) أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر علي الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال ، وقرئ بالياء نصباً علي المدح أو جراً صفة للمؤمنين . ﴿ الْعَابِدُونَ ﴾ الذين عبدوا الله مخلصين له الدين .

﴿ الْحَامِدُونَ ﴾ لنعمائه أولما نابهم من السراء والضراء ﴿ السَّائِحُونَ ﴾ الصائمون لقوله ﷺ « سياحة أمتي الصوم »(٦٧) شبه بها لأنه يعوق عن

---

(٦٥) روي في سبب نزول هذه الآية : عن محمد بن كعب القرظي وغيره عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ ليلة العقبة : اشترط لربك ولنفسك ماشئت فقال : اشترط لربي ان تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : الجنة. قالوا : ربح البيع لانقيل ولانستقيل ، فنزلت .

أخرجه الطبري في تفسيره . ورواه ابن كثير عنه في تفسيره .

(٦٦) النساء ٩٥

(٦٧) روي ابن جرير عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : « السائحون هم الصائمون » . =

الشهوات أولأنه رياضة نفسانية يتوصل بها إلي الاطلاع علي خفايا الملك والملكوت، أوالسائحون للجهاد (٦٨) أو لطلب العلم ﴿ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ ﴾ في الصلاة.

﴿ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ بالإيمان والطاعة. ﴿ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ عن الشرك والمعاصي ، والعاطف فيه للدلالة علي أنه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال : الجامعون بين الوصفين وفي قوله تعالي : ﴿ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾ أي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه علي أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها ، وقيل إنه للإيذان بأن التعداد قد تم بالسابع من حيث أن السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه علي أن إيمانهم دعاهم إلي ذلك ، وأن المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل : وبشرهم بما يجل عن إحاطة الأفهام وتعبير الكلام .

الآيات من ١١٣ : ١١٦

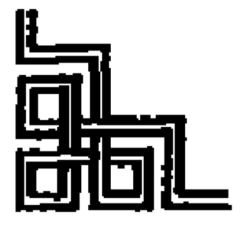
﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ

= وروي ابن جرير عن عبيد بن عمير قال : سئل النبي ﷺ عن السائحين فقال : هم الصائمون .

وروي هذا التفسير عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم وكذلك روي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وغيرهم – تفسير ابن كثير .

(٦٨) جاء مايدل علي أن السياحة الجهاد ، وهو ما يرويه أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة أن رجلا قال : يارسول الله ائذن لي في السياحة ، فقال النبي ﷺ : سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله .

اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (١١٦) ﴾ .



النهي عن الاستغفار للمشركين

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾روي : أنه ﷺ قال لأبي طالب لما حضرته الوفاة : «قل كلمة أحاجُّ لك بها عند الله» فأبي فقال ﷺ : «لا أزال أستغفر لك مالم أنه عنه» [٦٩] فنزلت : وقيل : لما افتتح مكة خرج إلي الأبواء فزار قبر أمه ثم قام مستعبراً فقال : «إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل علي الآيتين»[٧٠] . ﴿ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ بأن ماتوا علي الكفر ، وفيه دليل علي جواز الاستغفار لأحيائهم فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع النقيض باستغفار إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه الكافر فقال :

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾ وعدها إبراهيم أباه بقوله : ﴿ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [٧١] أي لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان فإنه يجب ما قبله ، ويدل عليه قراءة من قرأ أباه ، أو وعدها إبراهيم أبوه وهي الوعد بالإيمان ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ ﴾ بأن مات علي الكفر ، أو أوحي إليه بأنه لن يؤمن ﴿ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ قطع استغفاره . ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ ﴾ لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه . ﴿ حَلِيمٌ ﴾ صبور علي الأذي، والجملة لبيان ما حمله علي الاستغفار له مع شكاسته عليه .

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا ﴾ أي ليسميهم ضلالاً ويؤاخذهم مؤاخذتهم ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ ﴾ للإسلام . ﴿ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ حتي يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه، وكأنه بيان عذر الرسول ﷺ في قوله لعمه أولمن استغفر لأسلافه

---

(٦٩) رواه أحمد عن ابن المسيب عن أبيه ورواه الحاكم في المستدرك مع أنه في الصحيحين .

(٧٠) رواه السيوطي في لباب النقول وقال : أخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل وغيرهما عن ابن مسعود .

وأخرج أحمد وابن مردويه واللفظ له من حديث بريدة .

(٧١) الممتحنة ٤ .

المشركين قبل المنع ، وقيل: إنه في قوم مضوا علي الأمر الأول في القبلة والخمر(٧٢) ونحو ذلك ، وفي الجملة دليل علي أن الغافل غير مكلف ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فيعلم أمرهم في الحالين .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولي قربي وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم رأساً ، بين لهم أن الله مالك كل موجود ومتولي أمره والغالب عليه ولايتأتي لهم ولاية ولانصرة إلا منه ، ليتوجهوا بسرائرهم إليه ويتبرءوا مما عداه حتي لا يبقي لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه .

الآيات من ١١٧ : ١٢٠

﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) ﴾ .

(٧٢) أمر القبلة : أي الذين كانوا يصلون جهة بيت المقدس وماتوا قبل أن يؤمر النبي ﷺ بتحويل القبلة إلي الكعبة.
أمر الخمر : أي الذين ماتوا قبل أن تحرم الخمر وكانوا يشربونها .

توبة الله علي المتخلفين الصادقين

﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾ من إذن المنافقين في التخلف أو برأهم عن علقة الذنوب كقوله تعالي ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾(٧٣) وقيل : هو بعث علي التوبة والمعني : ما من أحد إلا وهو محتاج إلي التوبة حتي النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار لقوله تعالي ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾(٧٤) إذ ما من أحد إلا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي إليه توبة من تلك النقيصة وإظهار لفضلها بأنها مقام الأنبياء والصالحين من عباده .

﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ في وقتها هي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة علي بعير واحد والزاد حتي قيل إن الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتي شربوا القيظ ﴿ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ عن الثبات علي الإيمان أو اتباع الرسول ﷺ وفي كاد ضمير الشأن أو ضمير القوم والعائد إليه الضمير في منهم ، وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لأن تأنيث القلوب غير حقيقي ، وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين . ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ تكرير للتأكيد وتنبيه علي أنه تاب عليهم من أجل ماكابدوا من العسرة ، أوالمراد أنه تاب عليهم لكيدودتهم . ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ ﴾ وتاب علي الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع .، ﴿ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ تخلفوا عن الغزو أو خلف أمرهم فإنهم المرجئون .
﴿ حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ أي برحبها لإعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة. ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لايسعها أنس ولاسرور ،﴿ وَظَنُّوا ﴾ وعلموا . ﴿ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ ﴾ من سخطه . ﴿ إِلاَّ إِلَيْهِ ﴾ إلا إلي استغفاره . ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ بالتوفيق للتوبة . ﴿ لِيَتُوبُوا ﴾ أو أنزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التائبين ، أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخري ليستقيموا علي توبتهم . ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ

---

(٧٣) الفتح ٢

(٧٤) النور ٣١ .

التَّوَّابُ ﴾ لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة. ﴿ الرَّحِيم ﴾المتفضل عليهم بالنعم(٧٥) .

---

(٧٥)ذكر الزمخشري في تفسيره الكشاف قائلاً روي أن ناساً من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله ﷺ منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به . عن الحسن قال بلغني أنه كان لأحدهم حائط كان خيرا من مائة ألف درهم ، فقال : يا حائطاه ماخلفني إلا ظلك وانتظار ثمرك ، اذهب فانت في سبيل الله.

ولم يكن لآخر إلا أهله فقال : يا أهلاه ما بطأني ولاخلفني إلا الضن بك لاجرم ، والله لأكابد ن المفاوز حتي ألحق برسول الله ﷺ فركب ولحق به . ولم يكن لآخر إلا نفسه ولا أهل ولا مال ، فقال : يانفس ما خلفني إلا حب الحياة لك ، والله لأكابدن الشدائد حتي ألحق برسول الله ﷺ ، فتأبط زاده ولحق به .

قال الحسن : كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولايصر عليها .

وعن أبي ذر الغفاري : أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه علي ظهره واتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً ، فقال رسول الله ﷺ لما رأي سواده : كن أبا ذر فقال الناس : هو ذاك ، فقال : رحم الله أبا ذر يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده ، أخرجه ابن إسحاق في المغازي والحاكم والبيهقي في الدلائل .

وعن أبي خيثمة أنه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل ، وبسطت له الحصير ، وقربت إليه الرطب والماء البارد ، فنظر فقال : ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله ﷺ في الضح والريح ، ما هذا بخير ، فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومركالريح ، فمد رسول الله ﷺ طرفه إلي الطريق فإذا براكب يزهاه السراب، فقال: كن أبا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله ﷺ واستغفر له .

ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة...

قال كعب : لما قفل رسول الله ﷺ سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني ، وقال : ليت شعري ما خلف كعبا؟

فقيل له: ما خلفه إلا حسن برديه والنظر في عطفيه .

فقال : معاذ الله ، ما أعلم إلا فضلا وإسلاماً

ونهي عن كلامنا أيها الثلاثة ، فتنكر لنا الناس ، ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد حتي مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولانقربهم ، فلما تمت خمسون ليلة إذا أنا بنداء من ذروة سلع – جبل بالمدينة– : أبشر ياكعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي ﴿ وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ وتتابعت =

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فيما لايرضاه . ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ في إيمانهم وعهودهم ، أو في دين الله نية وقولاً وعملاً وقرئ من الصادقين أي في توبتهم وإنابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة وأضرابهم .

عتاب للمتخلفين ووعد صادق للمجاهدين

﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ ﴾ نهي عبر به بصيغة النفي للمبالغة ﴿ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾ ولايصونوا أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الأهوال روي : (أن أبا خيثمة بلغ بستانه ، وكانت له زوجة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد ، فنظر فقال : ظل ظليل ، ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله ﷺ في الضح والريح ماهذا بخير ، فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله ﷺ طرفه إلي الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال: كن أبا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله ﷺ واستغفر له) وفي لايرغبوا يجوز النصب والجزم.

= البشارة فلبست ثوبي وانطلقت إلي رسول الله ﷺ فإذا هو جالس في المسجد حوله المسلمون فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتي صافحني وقال : لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله ﷺ وهو يستنير استنارة القمر : أبشر ياكعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، ثم تلا علينا الآية .

وفي بقية هذه القصة من تفسير بن كثير : فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلي الله ورسوله قال : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك .

قال : فقلت : فإني أمسك سهمي الذي بخيبر ، وقلت : يارسول الله إنما نجاني الله بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت قال : فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني الله تعالي . والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلي يومي هذا ، وإني لأرجو الله أن يحفظني عز وجل فيما بقي .

اقرأ قصة توبة كعب بن مالك كاملة في تفسير ابن كثير .

﴿ ذَلكَ ﴾ إشارة إلي ما دل عليه قوله ماكان من النهي عن التخلف أو وجوب المشايعة. ﴿ بأَنَّهُمْ ﴾بسبب أنهم . ﴿ لا يُصيبهُمْ ظَمأٌ ﴾ شئ من العطش . ﴿ولا نَصَبٌ ﴾ تعب ، ﴿ولا مَخْمَصَةٌ ﴾ مجاعة. ﴿في سَبِيلِ اللَّه ولا يَطَئُونَ ﴾ولا يدوسون ﴿ مَوْطئًا ﴾مكانًا ﴿ يَغِيظُ الْكُفَّارَ ﴾يغضبهم وطؤه﴿ ولا يَنالُونَ منْ عَدُوٍّ نَّيْلاً ﴾ كالقتل والأسر والنهب . ﴿ إلاَّ كُتبَ لَهُم به عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ إلا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة. ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾علي إحسانهم ، وهو تعليل لكتب وتنبيه علي أن الجهاد إحسان أما في حق الكفار فلأنه سعي في [التنكيل بهم] (٧٦) بأقصي ما يمكن كضرب المداوي للمجنون ، وأما في حق المؤمنين فلأنه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم .

الآيات من ١٢١ : ١٢٥

﴿ وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣) وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) ﴾.

﴿ وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً ﴾ ولو علاقة .﴿وَلا كَبِيرَةً ﴾ مثل ما أنفق عثمان رضي الله تعالي عنه في جيش العسرة. ﴿ولا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ في مسيرهم وهو

(٧٦) هذه الكلمة التي جاءت بين القوسين وردت في الأصل هكذا «تكميلهم» .

كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودي إذا سال فشاع بمعني الأرض ، ﴿ إلاَّ كُتِبَ لَهُمْ﴾ أثبت لهم ذلك ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ بذلك ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ جزاء أحسن أعمالهم أوأحسن جزاء أعمالهم .

النفير في طلب العلم

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ﴾ وماستقام لهم أن ينفروا جميعاً لنحو غزو أو طلب علم كما لايستقيم لهم أن يتثبطوا جميعاً فإنه يخل بأمر المعاش ، ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾ فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة . ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها . ﴿ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة إرشاد القوم وإنذار هم ، وتخصيصه بالذكر لأنه أهم وفيه دليل علي أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية وأنه ينبغي أن يكون غرض المتعلم فيه أن يستقيم ويقيم لا الترفع علي الناس والتبسط في البلاد . ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ إرادة أن يحذروا عما ينذرون منه ، واستدل به علي أن أخبار الآحاد حجة لأن عموم كل فرقة يقتضي أن ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة إلي التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا ، فلو لم يعتبر الأخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك ، وقد أشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي « المرصاد » .

وقد قيل للآية معني آخر وهو أنه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون إلي النفير وانقطعوا عن التفقه ، فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلي الجهاد ويبقي أعقابهم يتفقهون حتي لاينقطع التفقه الذي هو الجهاد الأكبر ، لأن الجدال بالحجة هو الأصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو ، وفي رجعوا للطوائف أي ولينذروا لبواقي قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم (٧٧) .

---

(٧٧) في هذه الآية إشارة إلي الهدف من طلب العلم وهو الإنذار والتفقيه في الدين وإرشاد الناس والنصيحة لهم ، والعمل بما يتعلمونه وليس الهدف كما يقول الزمخشري في تفسيره : التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم =

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِيـنَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ ﴾ أمروا بقتال الأقرب منهم فالأقرب كما أمر رسول الله ﷺ أولاً بإنذار عشيرته الأقربين ، فإن الأقرب أحق بالشفقة والاستصلاح، وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر ، وقيل الروم فإنهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة ، ﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾شدة وصبراً علي القتال ، وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها ، ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ بالحراسة والإعانة.

من تصرفات المنافقين

﴿ وَإِذَا مَا أُنـزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم ﴾ فمن المناقين ﴿ مَّن يَقُولُ ﴾ انكارا واستهزاء ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ﴾ السورة ﴿ إِيمَانًا ﴾ وقرئ أيكم بالنصب علي إضمار فعل يفسره زادته ﴿ فَأَمَّا الَّذِيـــنَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضام الإيمان بها وبما فيها إلي إيمانهم ﴿ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ بنزولها لأنه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم .

﴿ وَأَمَّا الَّذِيـــنَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ كفر ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ كفراً بها مضموماً إلي الكفر بغيرها ﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ واستحكم ذلك فيهم حتي ماتوا عليه .

الآيات من ١٢٦ : ١٢٩

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) وَإِذَا مَا أُنـــزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٢٧) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنـفُسِكُمْ عَزِيـزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيـصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيـمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩) ﴾

= ومنافسة بعضهم بعضاً كما يشاهد في كثير من الأحيان.

وقد جاء في الآثار : العلماء أمناء الرسل علي عباد الله مالم يخالطوا السلطان ويدخلوا في الدنيا ، فإذا دخلوا في الدنيا فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم واحذروهم ـ تنبيه الغافلين لأبي الليث السمرقندي ص ٣٣٩ .

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ ﴾ يعني المنافقين وقرئ بالتاء . ﴿ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ ﴾يبتلون بأصناف البليات ، أوبالجهاد مع رسول الله ﷺ فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات ﴿ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ ﴾ لا ينتهون ولايتوبون من نفاقهم ﴿ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ولا يعتبرون .

﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ تغمزوا بالعيون إنكاراً لها وسخرية، أوغيظاً لما فيها من عيوبهم . ﴿ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ أي يقولون هل يراكم أحد إن قمتم من حضرة الرسول ﷺ ، فإن لم يرهم أحد قاموا وإن يرهم أحد أقاموا . ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا ﴾ عن حضرته مخافة الفضيحة. ﴿ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ عن الإيمان وهو يحتمل الإخبار والدعاء . ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ بسبب أنهم ﴿ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ لسوء فهمهم أولعدم تدبرهم .

رحمة الرسول بأمته وحرصه عليهم

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من أنفسكم أي من أشرفكم ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ﴾شديد شاق ﴿ مَا عَنِتُّمْ ﴾ عنتكم ولقاؤكم المكروه . ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾أي علي إيمانكم وصلاح شأنكم ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ منكم ومن غيركم ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ قدم الأبلغ منهما وهو الرءوف لأن الرأفة شدة الرحمة محافظة علي الفواصل .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ عن الإيمان بك . ﴿ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ فإنه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم . ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ كالدليل عليه . ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ فلا أرجو ولا أخاف إلا منه ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ الملك العظيم ، أو الجسم العظيم المحيط الذي تنزل منه الأحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع ، وعن أبي بن كعب رضي الله تعالي عنه : أن آخر ما نزل هاتان الآيتان(٧٨) .

---

(٧٨) رواه الإمام أحمد عن أبي بن كعب .

فضل سورة التوبة

وعن النبي ﷺ : «ما نزل القرآن علي إلا آية آية ، وحرفًا حرفاً ماخلا سورة براءة وقل هو الله أحد ، فإنهما أنزلتا علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة» (٧٩) والله أعلم .

---

(٧٩) قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف : أخرجه الثعلبي من حديث عائشة بإسناد واه .

سورة يونس مكية
وآياتها تسع ومائة
بسم الله الرحمن الرحيم
الآيات من ١ : ٣

﴿ الـــر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنـــذِرِ الـــنَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِيـــنَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنـــدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ (٢) إِنَّ رَبَّكُمُ الـلَّهُ الَّذِي خَلَقَ الـسَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٣) ﴾ .

عجب الكفار من بعثة رجل منهم إليهم

﴿ الـر ﴾ فخمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وقرأورش بين اللفظين ، وأمالَهَا الباقون إجراء لألف الراء مجري المنقلبة من الياء ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ إشارة إلي ما تضمنته السورة أوالقرآن من الآي والمراد من الكتاب أحدهما ، ووصفه بالحكيم لاشتماله علي الحكم أو لأنه كلام حكيم ، أو محكم آياته لم ينسخ شئ منها ، ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾ استفهام إنكار للتعجب وعجباً خبر كان واسمه : ﴿ أَنْ أَوْحَيْنَا ﴾ وقرئ بالرفع علي أن الأمر بالعكس أوعلي أن كان تامة وأن أوحينا بدل من عجباً ، واللام للدلالة علي أنهم جعلوه أعجوبة لهم يوجهون نحوه إنكارهم واستهزاءهم ﴿ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ من أفناء [1] رجالهم دون عظيم من عظمائهم ، قيل: كانوا يقولون العجب أن الله تعالي لم يجد رسولاً يرسله إلي الناس إلا يتيم أبي طالب ، وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم علي الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة، هذا وأنه ﷺ لم يكن يَقْصُرُ عن عظمائهم فيما يعتبرونه إلا في المال وخفة الحال أعون شئ في هذا الباب ، ولذلك

---

(١) أفناء الناس : عامة الناس .

كان أكثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك ، وقيل: تعجبوا من أنه بعث بشراً رسولاً كما سبق ذكره في سورة الأنعام .

﴿ أَنْ أَنذِرِ النَّاس ﴾أن هي المفسرة أو المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول أوحينا .

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ عمم الإنذار إذ قلما من أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه ، وخصص البشارة بالمؤمنين إذ ليس للكفار ما يصح أن يبشروا به حقيقة.

﴿ أَنَّ لَهُمْ ﴾ بأن لهم ﴿ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ سابقة ومنزلة رفيعة ،سميت قدماً لأن السبق بها كما سميت النعمة يدا لأنها تعطي باليد ، وإضافتها إلي الصدق لتحققها والتنبيه علي أنهم إنما ينالونها بصدق القول والنية.

﴿ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا ﴾ يعنون الكتاب وما جاء به الرسول ﷺ ﴿ لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر علي أن الإشارة إلي الرسول ﷺ ، وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول ﷺأموراً خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة، وقرئ ما هذا إلا سحرٌ مبين .

من مظاهر قدرة الله تعالي

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ التي هي أصول الممكنات ﴿ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾ يقدر أمر الكائنات علي ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه أسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في أدبار الأمور لتجئ محمودة العاقبة ، ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ تقرير لعظمته وعز جلالهٌ ورد علي من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن له ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ ﴾ أي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للألوهية والربوبية ﴿ رَبُّكُمْ ﴾ لا غير إذ لا يشاركه أحد في شئ من ذلك ﴿ فَاعْبُدُوهُ ﴾ وحدوه بالعبادة ﴿ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾تتفكرون أدني تفكر فينبهكم علي أنه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه .

الآيات من ٤ : ٦

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

التذكير بيوم القيامة

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ بالموت أوالنشور لا إلي غيره فاستعدوا للقائه ، ﴿ وَعْدَ اللَّهِ ﴾ مصدر مؤكد لنفسه لأن قوله إليه مرجعكم وعد من الله ﴿ حَقًّا ﴾مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله ﴿ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ بعد بدئه وإهلاكه ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ﴾ أي بعدله أو بعدالتهم وقيامهم علي العدل في أمورهم أو بإيمانهم لأنه العدل القويم كما أن الشرك ظلم عظيم وهو الأوجه لمقابلة قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ فإن معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب إليم بسبب كفرهم ، لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه علي أن المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة والعقاب واقع بالعرض ، وأنه تعالي يتولي إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه ، وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم، والآية كالتعليل لقوله تعالي ﴿ إليه مرجعكم جميعاً ﴾ فإنه لما كان المقصود من الإبداء والإعادة مجازاة الله المكلفين علي أعمالهم كان مرجع الجميع إليه لا محالة ، ويؤيده قراءة من قرأ أنه يبدأ بالفتح أي لأنه ويجوز أن يكون منصوباً أو مرفوعاً بما نصب وعد الله أو بما نصب حقاً .

التذكير بدلائل القدرة ليؤمنوا

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً ﴾ أي ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع

* الإعجاز العلمي

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً ﴾

من نعم الله تعالى علينا الشمس وهي آية من آيات الله في خلق الكون سخرها المولى عز وجل منذ بدء الخليقة لتكون مصدرا دائماً للطاقة للأرض وما عليها من مخلوقات وطاقة لكل أعضاء المجموعة الشمسية .

وعن هذه النعمة يحدثنا الدكتور مسلم شلتوت رئيس قسم بحوث الشمس والفضاء بالمعهد القومي للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية بحلوان فيقول :

الطاقة الشمسية هي مصدر جميع الطاقات على الأرض فطاقة الفحم والبترول والغاز الطبيعي هي في الأصل طاقة شمسية مخزونة تحت سطح الأرض نتيجة لطمي الغابات والحيوانات الأولية ملايين السنين تحت سطح الأرض .

والأشجار تتكون نتيجة لأمتصاص أشعة الشمس بالكلورفيل الموجود بأوراق الأشجار وإحداث عملية التمثيل الضوئي لبناء الخلايا النباتية الحية من ثاني أكسيد الكربون الممتص من الجو كما أن الشمس هي مصدر جميع الطاقات المتجددة الآن فهي مصدر طاقة الرياح وطاقة أمواج البحر وطاقة باطن المحيطات والمساقط المائية كما أنها المصدر المباشر لأهم وأنظف طاقة مرشحه للجنس البشري للقرون القادمة وهي الطاقة الشمسية .

وتقدر كمية الطاقة الشمسية المتدفقة الي الأرض بمقدار ١٧٧ مليار كيلو وات بمعدل ١٣٦٧ وات للمتر المربع خارج الغلاف الجوي للكرة الأرضية ونتيجة لعمليات الأمتصاص والتشتت للإشعاع الشمسي في الغلاف الجوي للأرض فإن مايصل الي سطح الأرض هو في المتوسط ٧٥٠ وات للمتر المربع فقط وتشكل الأشعة المرئية منه ٤٢٪ والأشعة البنفسيجية ٢٪ بينما معظم الإشعاع الواصل لسطح الأرض إشعاع حراري تحت الأحمر بمقدار ٥٦٪ ويفوق ماتستقبله الأرض من طاقة شمسية في اليوم الواحد احتياج الجنس البشري من الطاقة لعام بكثير .

أما الشمس نفسها فهي كما يصف الدكتور شلتوت نجم متوسط وهي أم ومركز مجموعتنا الشمسية إذ تفوق كتلتها وحدها مجموع كتلة الكواكب السيارة التي تدور حولها فعلى سبيل المثال تبلغ كتلة الشمس ٣٣٣ مرة كتلة كوكب الأرض وهي كرة هائلة من الغازات الساخنة يبلغ قطرها ١٠٩ مرات قطر الكرة الأرضية وكثافتها ١٫٤ جرام لكل سنتيمتر مكعب ومدة دورانها حول نفسها نحو ٢٦ يوما عند خط الأستواء للشمس .

ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو ، وقرأ ابن كثير برواية قنبل هنا ، وفي الأنبياء (٢) وفي القصص (٣) ضئاء بهمزتين علي القلب بتقديم اللام علي العين ، ﴿ وَالْقَمَرَ نُوراً ﴾ أي ذا نور أو سمي نوراً للمبالغة وهو أعم من الضوء كما عرفت،

(٢) الأنبياء آية : ٤٨ وهي ﴿ ولقد آتينا موسي وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين ﴾.
(٣) القصص آية : ٧١ وهي ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلي يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ﴾

* الإعجاز العلمى

وتبلغ كمية الطاقة التى تشعها الشمس فى الفضاء ٣٫٩ ألف مليون مليون مليون مليون أرج وهى ما توازى ٥٢٣ ألف مليون مليون مليون حصان ميكانيكى .

هذه الطاقة الهائلة ناتجة من اندماج الهيدروجين الذى الشمس الى غاز الهليوم نتيجة لاندماج نووى داخل باطن الشمس حيث تبلغ درجة حرارة مركز باطن الشمس ١٥ مليون درجة بجانب الضغط والكثافة المرتفعة فى باطنها وسطح الشمس تبلغ درجة حرارته نحو ستة آلاف درجة ولكن هناك عند السطح دوامات حمل لنقل الحرارة العالية أسفل السطح لأعلى السطح هذه الدوامات ينتج عنها فرقعة صوتية وفوق صوتية كتلك التى تسمعها عند تجاوز الطائرات الحربية لحاجز الصوت وزيادة سرعتها على واحد ماخ فما أكثر .

وتسرى هذه الفرقعات داخل الغلاف الجوى للشمس كموجات صوتية ذات طاقة ميكانيكية ثم تنكسر هذه الموجات فى طبقة إكليل الشمس (الكورونا) وتتحول طاقتها الى طاقة حرارية ترفع درجة حرارة الإكليل الى أكثر من مليون درجة ليصبح الإكليل مصدرا للأشعة الراديوية على الأطوال الموجية المختلفة ابتداء من الموجات المليمترية حتى الموجات الكيلومترية بمافيها أشعة الميكروويف .

ويصبح هذا الإكليل كذلك مصدرا لأشعة إكس والأشعة فوق البنفسجية ذات الطاقة العالية وهى أشعة مهلكة وقاتلة إلا أن الله سبحانه خلق لنا طبقة الأيوتونوسفير فوق سطح الأرض بنحو مائة كيلو متر لامتصاص أشعة إكس القادمة من الشمس .

كذلك خلق الله لنا طبقة الأوزونوسفير فى طبقات الجو العليا حيث يقوم الأوزون بامتصاص الأشعة فوق البنفسجية ذات الطاقة العالية ولولا الأيوتونوسفير لهلكت الكائنات على الأرض فى دقائق كما أن وجود ثقب فى هذه الطبقة المهمة سيؤدى الى عواقب وخيمة لكل المخلوقات الأرضية .

وقيل: ما بالذات ضوء وما بالعرض نور(٤)

وقد نبه سبحانه وتعالي بذلك علي أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيراً بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها .

﴿ وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾ الضمير لكل واحد أي قَدَّر مسير كل واحد منهما منازل ، أو قدره ذا منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله وإناطة أحكام الشرع به ولذلك علله بقوله :﴿ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ حساب الأوقات من الأشهر والأيام في معاملاتكم وتصرفاتكم .

﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ إلا ملتبساً بالحق مراعياً فيه مقتضي الحكمة البالغة. ﴿ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فإنهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء.

﴿ إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ من أنواع الكائنات ﴿ لآيَاتٍ ﴾ علي وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته ﴿ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾العواقب فإنه يحملهم علي التفكر والتدبر .

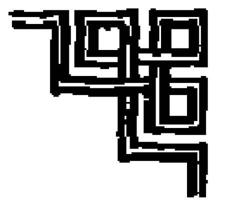
---

(٤) يعني أن النور الذي ينبعث بذاته يقال له ضوء والذي ينبعث بواسطة غيره يقال له نور، والجملة التي بعد ذلك توضيح لهذا المعني .

جاء في كتاب معجزة القرآن لنعمت صدقي :

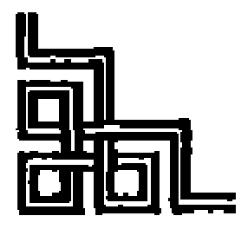
الضياء : اسم مصدر من أضاء يضيء وهو جمع ضوء كسياط وسوط وحياض وحوض وثياب وثوب وفي جمع كلمة ضياء ـ كما بين فضيلة الشيخ رشيد رضا يدل علي أن شعاع الشمس مركب من ألوان النور السبعة التي يراها الناس في قوس السحاب فهو سبعة أضواء لاضوء واحد ، ومما يدل علي التفرقة بين الشمس والقمر في نورهما قوله تعالي ﴿ وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ﴾ وقوله ﴿ وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا ﴾.

شبه سبحانه الشمس بالسراج لأن السراج مشتعل نوره من ذاته كالشمس تضئ بنارها الوهاجة، أما القمر فإن نوره بلانار لأنه نشأ عن انعكاس شعاع الشمس عليه ، فما أروع هذا الإعجاز في القرآن حيث أشار إلي تعدد ألوان أشعة الشمس ، كما أكد أن القمر نور بلا نار ، أما الشمس فإنها سراج وهاج أي شعلة متقدة تتأجج وتتوهج فتبعث بالنور والحرارة والحياة إلي الأرض بل تبعث بالماء كما تبعث بالضياء فلولاها ما كانت حياة علي وجه الأرض. معجزة القرآن ـ نعمت صدقي ص ٣٥ دار الاعتصام القاهرة.



الآيات من ٧ : ١١

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .



وعيد المنكرين للبعث

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ لايتوقعونه لإنكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ، ﴿ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ من الآخرة لغفلتهم عنها . ﴿ وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ﴾ وسكنوا إليها مقصرين هممهم علي لذائذها وزخارفها ، أوسكنوا فيها سكون من لايزعج عنها . ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ لايتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها ،والعطف إما لتغاير الوصفين والتنبيه علي أن الوعيد علي الجمع بين الذهول عن الآيات رأساً والانهماك في الشهوات بحيث لاتخطر الآخرة ببالهم أصلاً ، وإما لتغاير الفريقين ، والمراد بالأولين من أنكر البعث ولم ير إلا الحياة الدنيا ، وبالآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والإعداد له .

﴿ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي .

وعد المؤمنين

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ بسبب إيمانهم إلي سلوك سبيل يؤدي إلي الجنة ، أو لإدراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام، « **من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم** »(٥) أو لما يريدونه في

---

(٥) هذا قول مأثور ويبدو أنه من كلام الحكماء فقد نسبه أبو الليث السمرقندي إلي =

الجنة (٦) ومفهوم الترتيب وإن دل علي أن سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله :﴿ بإيمانهم ﴾ علي استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف له .

﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ ﴾استئناف أو خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب علي المعني الأخير ، وقوله : ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾خبر أوحال أخري منه ، أو من الأنهار أو متعلق بتجري أو بيهدي .

﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا ﴾ أي دعاؤهم . ﴿ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ﴾ اللهم إنا نسبحك تسبيحاً . ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ ما يحيي به بعضهم بعضاً أوتحية الملائكة إياهم ﴿ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾وآخر دعائهم . ﴿ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾أي أن يقولوا ذلك ، ولعل المعني أنهم إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ، ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز بأصناف الكرامات ، أو الله تعالي فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الإكرام ، وأن هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد (٧)

استعجال الكفار العذاب

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ ﴾ ولو يسرعه إليهم . ﴿اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ﴾ وضع موضع تعجيله لهم بالخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم في الخير حتي كأن

= الأوزاعي بلفظ :من عمل بما يعلم وفق لما لايعلم ، وأثر عن عيسي عليه السلام أنه قال : من علم وعمل وعلّم فذلك الذي يدعي في ملكوت السماوات عظيما – تنبية الغافلين للسمرقندي ص ٣٣٩ .

(٦) جاء في التعليق علي ذلك في تفسير الكشاف وابن كثير : يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة إذا قام من قبره ، يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له : من أنت؟ فيقول : أنا عملك ، فيجعل له نوره بين يديه حتي يدخله الجنة فذلك قوله تعالي ﴿ يهديهم ربهم بإيمانهم ﴾ .
والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلزم صاحبه ويلادُّه حتي يقذفه في النار.

(٧) بنصب الحمد علي أنه اسم لأن المخففة من الثقيلة.

استعجالهم به تعجيل لهم أو بأن المراد شر استعجلوه كقولهم « فأمطر علينا حجارة من السماء (٨) .

وتقدير الكلام ، ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير ، فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه . ﴿ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ لأميتوا وأهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضي علي البناء للفاعل وهو الله تعالي وقرئ لقضينا . ﴿ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(٩) عطف علي فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل : ولكن لا نعجل ولانقضي فنذرهم إمهالاً لهم واستدراجاً (١٠) .

---

(٨) الأنفال ٣٢ .

(٩) يعمهون : يترددون متحيرين .

(١٠) وفي النهي عن الاستعجال في الدعاء بما يضر جاء توجيه النبي ﷺ لأمته فيما يرويه البزار عن جابر قال قال رسول الله ﷺ « لاتدعوا علي أنفسكم ، لاتدعو علي أولادكم ، لاتدعوا علي أموالكم ، لاتوافقوا من الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم »
وهذا كقوله تعالي ﴿ ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا ﴾ الإسراء ١١

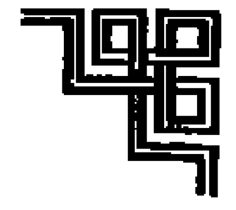
تعليق بلاغي علي هذه الآية

يحسن أن نورد هنا ما ذكره الاستاذ محمد عبد الله دراز في كتابه « النبأ العظيم » حول هذه الآية قال في صدر التدليل علي دقة التعبير القرآني ومتانة نظمه وإيجازه في بعض الأحيان دون إخلال بالمعني .

جاءت هذه الآية ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لايرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ﴾ في جواب قولهم: ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ الأنفال ٣٢.

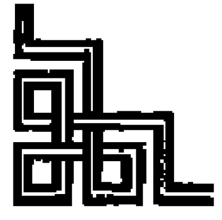
ثم طغيانهم واستعجالهم بالعذاب غرورا وتحديا وقد حذف في الآية جملة مقدرة وهي: « ولكنه قد جرت سنته التي لاتتبدل بأن يمهل الظالمين ويؤخر حسابهم إلي أجل مسمي ، وعلي وفق هذا النظام المسنون : نذر ... الخ» .

والذي ساعد علي هذا الحذف مع بقاء مفهومه « لو » الامتناعية في صدر الآية و« فاء » التفريغ التي جاءت قبل الفعل « نذر » لكي تنم عن أن لهذا الفرع أصلا من جنسه . =



الآيات من ١٢ : ١٥

﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ
مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا
كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ
لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا
مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾



= وقد عزز الفاء بقوتين أخريين خوفا من أن تلتبس بالعاطفة ، فقد استعمل بعدها المضارع بعد استعماله الماضي « قضي » ثم الالتفات من ضمير الغيبة إلي ضمير المتكلم « نذر » بعد أن قال « يعجل الله » ليشعر بالانقطاع عن العطف ، وكان مع ذلك الافتنان في الأسلوب تجديدا لنشاط السامع وإيراد الوعيد الإرهاب، ولما حذف طرفين من الأطراف الأربعة في الآية أبقي من كل منهما واحدا هو نظير ما حذفه من صاحبه لينبه بالمذكور علي المحذوف، فكانت كلمة التعجيل منبهة علي نظيرتها في المشبه به ، وكلمة الاستعجال منبهة علي مقابلتها في المشبه .

وبين سر الإمهال ، وهو عدم استجابته للاستفزاز ، وإجراؤه الأمور كما يريد ويقدر .

وقد استعمل المضارع بعد لو مكان الماضي ليدل علي التكرار والاستمرار .

ولم يستعمل « لعجله » في جواب لو « أي: لو عجل الشر » ولكنه عدل إلي ما هو أفخم وأهول ، أي لعجل منه نوعا خاصا هم له أهل ، وهو العذاب المستأصل الذي تقضي به آجالهم . .

ولم يقل « فنذرهم » بل قال : « فنذر الذين لايرجون لقاءنا » لغرضين :

١ ــ بيان أن سبب استعجالهم هو عدم إيمانهم بالبعث .

٢ ــ بيان أن قاعدة الإمهال من الله قاعدة عامة . .

انظر كتاب « فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتي عصرنا الحاضر » ــ لنعيم الحمصي ص ٣٨٠ ط مؤسسة الرسالة بيروت .

حالةالإنسان بين الشدة والرخاء

﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا ﴾ لإزالته مخلصاً فيه ، ﴿ لِجَنْبِهِ ﴾ ملقي لجنبه أي مضطجعاً ﴿ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً ﴾ وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضار ، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ يعني مضي علي طريقته واستمر علي كفره ، أو مر عن موقف الدعاء لايرجع إليه ، ﴿ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا ﴾كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال :

ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان (١١)

﴿إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ﴾ إلي كشف ضر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التزيين ﴿ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الانهماك في الشهوات والإعراض عن العبادات .

الاعتبار بمصير السابقين

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ياأهل مكة . ﴿ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوي والجوارح لا علي ما ينبغي ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الدالة علي صدقهم وهو حال من الواو بإضمار قد أو عطف علي ظلموا .

﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ وماستقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون علي كفرهم ، واللام لتأكيد النفي .

﴿كَذَٰلِكَ ﴾ مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل وإصرارهم عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة في إمهالهم ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ نجزي كل

---

(١١) هذا البيت من شواهد النحو ولم ينسب لقائل ويروي : وصدر مشرق اللون ، ويروي أيضاً : ووجه مشرق اللون ، ولكنه لامعني له مع عجزه .

والأجمل : وصدر مشرق اللون .

وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ، ويروي : كأن ثدييه علي إعمال كأن المخففة من الثقيلة ، وثدييه اسمها والحقان مثني حق وهو ما يصنع من العاج لحفظ الأشياء الثمينة .

مجرم أو نجزيكم ، فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة علي كمال جرمهم وأنهم أعلام فيه .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِم ﴾ استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يُخْتَبَر ﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾أتعملون خيراً أوشراً فنعاملكم علي مقتضي أعمالكم ، وكيف معمول تعملون ، فإن معني الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ما قبله ، وفائدته الدلالة علي أن المعتبر في الجزاء جهات الأفعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح أخري .

إصرار الكافرين على الكفر

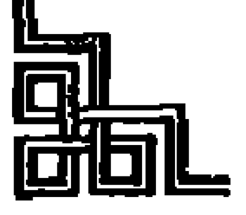
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ يعني المشركين ﴿ ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا ﴾بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت ، أو ما نكرهه من معايب آلهتنا ﴿ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ بأن تجعل مكان الآية المشتملة علي ذلك آية أخري ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم إليه فيلزموه . ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي ﴾ ما يصح لي . ﴿ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ﴾ من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفاً ، وإنما اكتفي بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الإتيان بقرآن آخر .

﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ تعليل لما يكون فإن المتبع لغيره في أمر لا يستبد بالتصرف فيه ، وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من أن القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصياناً فقال : ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي ﴾ أي بالتبديل ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ وفيه إيماء بأنهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح.

الآيات من ١٦ : ٢٠

﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (١٧) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ

شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩) وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٢٠) ﴾.



﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ ﴾غير ذلك ﴿ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ ﴾ ولا أعلمكم به علي لساني ، وعن ابن كثير ولأدراكم بلام التأكيد أي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به علي لسان غيري ، والمعني أنه الحق الذي لامحيص عنه لو لم أرسل به لأرسل به غيري وقرئ ولا أدرأكم ولا أدرأتكم بالهمز فيهما علي لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة ، أو علي أنه من الدرء بمعني الدفع أي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرءونني بالجدال ، والمعني أن الأمر بمشيئة الله تعالي لابمشيئتي حتي أجعله علي نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله :.﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمراً ﴾ مقداراً عمر أربعين سنة ﴿ مِّن قَبْلِهِ ﴾ من قبل القرآن لا أتلوه ولا أعلمه ، فإنه إشارة إلي أن القرآن معجز خارق للعادة فإن من عاش بين أظهرهم أربعين سنة لم يمارس فيها علماً ولم يشاهد عالماً ولم ينشئ قريضاً (١٢) ولا خطبة ، ثم قرأ عليهم كتابا بزت(١٣) فصاحته فصاحة كل منطيق (١٤) وعلا عن كل منثور ومنظوم واحتوي علي قواعد علمي الأصول والفروع وأعرب عن أقاصيص الأولين وأحاديث الآخرين علي ما هي عليه علم أنه معلم به من الله تعالي ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾أي أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا أنه ليس إلا من الله.

ضلال الكفار في عبادتهم مالايضر ولاينفع

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ تفاد مما أضافوه إليه كناية ،أو تظليم للمشركين بافترائهم علي الله تعالي في قولهم إنه لذو شريك وذو ولد ، ﴿ أَوْ

---

(١٢) قريضا :شعراً .

(١٣) بَزَّت : فاقت وسبقت .

(١٤) مِنْطيق : صيغة مبالغة من نطق ، تعني : الفصيح البالغ الفصاحة .

كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ فكفر بها ﴿ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ ﴾فإنه جماد لايقدر علي نفع ولا ضر ، والمعبود ينبغي أن يكون مثيباً ومعاقباً حتي تعود عبادته بجلب نفع أو دفع ضر ، ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ ﴾ الأوثان ﴿ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا أو في الآخرة إن يكن بعث ، وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع إلي عبادة ما يعلم قطعاً أنه لايضر ولاينفع علي توهم أنه ربما يشفع لهم عنده ،

﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ ﴾ أتخبرونه ﴿ بِمَا لا يَعْلَمُ ﴾ هو أن له شريكاً أو هؤلاء شفعاء عنده ومالايعلمه العالم بجميع المعلومات لايكون له تحقق ما ، وفيه تقريع وتهكم بهم ﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ ﴾ حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة علي أن ما يعبدون من دون الله إما سماوي وإما أرضي ، ولاشئ من الموجودات فيهما إلا وهو حادث مقهور مثلهم لايليق أن يشرك به ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ عن إشراكهم أو عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في أول النحل(١٥) والروم (١٦) بالتاء .

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ موحدين علي الفطرة أو متفقين علي الحق ، وذلك في عهد آدم عليه السلام إلي أن قتل قابيل هابيل ، أو بعد الطوفان ، أو علي الضلال في فترة من الرسل ﴿ فَاخْتَلَفُوا ﴾ باتباع الهوي والأباطيل ، أو ببعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فتبعتهم طائفة وأصرت أخري ﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بتأخير الحكم بينهم أو العذاب الفاصل بينهم إلي يوم القيامة فإنه يوم الفصل والجزاء . ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ عاجلاً ﴿ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ بإهلاك المبطل وإبقاء المحق .

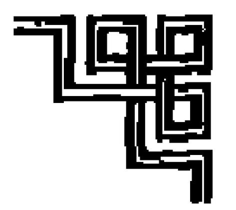
---

(١٥) أول النحل في قوله تعالي ﴿ أتي أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالي عما يشركون ﴾ الآية رقم ١ .

(١٦) آية الروم ﴿ سبحانه وتعالي عما يشركون ﴾ الآية رقم ٤٠ .

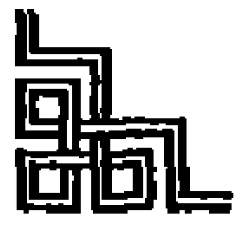
طلب الآيات

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ أي من الآيات التي اقترحوها ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ هو المختص بعلمه فلعله يعلم في إنزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن إنزالها ﴿ فَانتَظِرُوا ﴾ لنزول ما اقترحتموه ﴿ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره .



الآيات من ٢١ : ٢٣

﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١) هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣) ﴾ .



مكر الكفار وبغيهم

﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً ﴾ صحة وسعة . ﴿ مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ ﴾ كقحط ومرض . ﴿ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾ بالطعن فيها والاحتيال فى دفعها . قيل قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا (١٧) فطفقوا يقدحون فى آيات الله ويكيدون رسوله . ﴿ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾ منكم ، قد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم ، وإنما دل على سرعتهم المفصل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابًا لإذا الشرطية ، والمكر إخفاء الكيد ، وهو من الله تعالي إما

---

(١٧) الحيا : المطر .

الاستدراج أو الجزاء علي المكر . ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ تحقيق للانتقام وتنبيه على أن ما دبروا في إخفائه لم يخف على الحفظة فضلا أن يخفى علي الله تعالى ، وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله .

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ ﴾ يحملكم على السير ويمكنكم منه .وقرأ ابن عامر

* الإعجاز العلمي

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾

لم ينزل القرآن الكريم للناس قديما فحسب كما ظن الذين لم يؤمنوا ولكنه نزل لكل عصر وزمان ومكان إلى يوم القيامة ، والعلماء فى كل فرع من فروع العلم يجدون أن الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق فى كل العصور والأزمان ٠٠ وفيها الحلول المثلى لكل أمور حياة الإنسان ومايصادفه من مشكلات ٠٠ كما يجدون فى الحقائق العلمية فى القرآن الكريم مادة غزيرة يتحدثون فيها ٠٠ ويتبين لهم تماما أن القرآن العظيم رسالة من الله تعالى للناس متجددة إلى يوم القيامة ٠

حول هذه الحقيقة التى لاتقبل الشك يقول الدكتور أحمد شوقى إبراهيم عضو كلية الأطباء الملكية بلندن إن فى القرآن الكريم آيات نزلت تخاطبنا فى عصرنا الحالى والعصور المستقبلية ٠ ولم تخاطب الناس قبل عصرنا هذا وحدهم ، ويطرح عدة أمثلة كثيرة على ذلك منها :

تطور وسائل المواصلات من الدواب قديما إلى السيارات والقطارات حديثا ٠٠ ولاندرى ماذا ستكون عليه سبل المواصلات الأرضية مستقبلا ، وإذا نظرنا إلى قول الله عز وجل فى سورة النحل :

" والخيل والبغال والحمير لتركوبها وزينة ويخلق مالاتعلمون نجد أن الآية الكريمة لم تذكر السيارات والقطارات وغيرها ٠٠ لأنها نزلت فى عصر كان الناس فيه ينتقلون من مكان إلى مكان على ظهور الدواب ، ولو ذكرت ذلك ماصدق الناس قديما ولأثر عدم تصديقهم للآية على تصديقهم للرسالة ككل ٠٠ لأنه يكفى الإنسان كفرا وخروجا عن الإسلام ألا يصدق كلمة واحدة أو حرفا واحدا فى القرآن الكريم ٠٠ ونجد وسائل المواصلات الحديثة وفى المستقبل أيضا فى قوله تعالى " ويخلق ما لاتعلمون " إنها آية تخاطب كل عصر من العصور وإلى نهاية الزمن ٠

ويشير إلى أن الفلك قديما كانت تدفعها الرياح وصارت اليوم سفنا عملاقة تدفعها =

ينشركم بالنون والشين من النشر . ﴿ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ ﴾

* الإعجاز العلمي

الآلات .. ولاتشترك مع السفن القديمة إلا فى السباحة فى الماء .. وفى سورة يس قوله تعالى :

﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله مايركبون ﴾

ونجد السفن العملاقة اليوم فى قوله تعالى " وخلقنا لهم من مثله مايركبون " فهى من مثل السفن الشراعية قديما .. ولكنها ليست مثلها .. بل من مثلها كما أشارت الآية الكريمة.

وعن الفضاء الكونى المظلم يقول الدكتور أحمد شوقى : إن الناس قديما لم يعلموا أن الفضاء الكونى مظلم تماما .. وماعلموا ذلك إلا فى عصر العلم الحالى الذى وصل الإنسان فيه الى الفضاء فرآه مظلما .. ولقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة التى لم يعرفها الناس إلا فى وقتنا الحاضر مما يدل على أن القرآن يخاطب الناس فى كل عصر وإلى يوم القيامة .

ولما كانت حقيقة ظلمة السماء غائبة عن تخيل العلماء قديما فقد حرفوا المعنى إلى ليل الأرض مع رجوع الضمير صراحة إلى السماء فى الآية الكريمة .. فقد استعصى عليهم فهم الكلمة على ظاهر لفظها ففسروها على المجاز ولو فسروا اللفظ على حقيقته لوصلوا إلى الحقيقة فالآية الكريمة تخاطب الناس فى عصرنا هذا بما اكتشفوه وفهموه ونزلت آية سورة الشورى ٣١ تخاطب الناس فى كل العصور ﴿وما أنتم بمعجزين فى الأرض ومالكم من دون الله من ولى ولانصير ﴾، وفى العصور الماضية ذكر بعض المفسرين قال : نحن مخلوقات أرضية فما لنا للسماء وكيف نكون غير معجزين لله فيها ؟ وما علموا أن هذه الآية لم تنزل تخاطبهم وإنما تخاطب الناس فى عصر الوصول إلى السماء وتعلنهم أنهم لن يعجزوا الله فى الأرض ولافى السماء التى وصلوا إليها ، إن الآيات التى نزلت تخاطب الناس فى عصر العلم الحالى كثيرة جدا . كما يقول الدكتور أحمد شوقى وكذلك الأحاديث النبوية ، والإنسان المؤمن حقا يرى ببصيرته .

﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾

من مقال الشيخ / محمد كامل عبدالصمد فى كتاب «الإعجاز العلمى فى الإسلام» يقول :
أنواع الرياح
قال تعالى ﴿ إن يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ﴾.

فى السفن . ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ بمن فيها ، عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة

* الإعجاز العلمى

وقـــال : ﴿ حتى إذا كنتم فى الفلك ، وجـــرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصـــف ﴾ .

وقـال : ﴿ ولسليمان الريح عاصفــة تجرى بأمــره ﴾

وقـال : ﴿ أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾

وقـال : ﴿ وأما عاد فأهلكـوا بريح صرصر عاتيـــة ﴾

وقـال : ﴿ فأرسلنا عليهم ريحـا صرصـــرا ﴾

وقـال : ﴿ فأصابها إعصـــار فيــه نـار ﴾

ويقسم العلماء فى هذا العصر الرياح ، بعد دراسة مستفيضة ، إلى أقسام مختلفة لفائده الطيران والملاحة البحرية عموما ، وجعلوا لتلك الأقسام أسماء اتفق عليها دوليا .. ونحن نسوق هنا هذه الأسماء كما نقلت أو ترجمت إلى اللغة العربية وكذلك وصف القرآن لتلك الرياح لترى وتلمس أنه دين الفطرة كما يتبين من الجدول الآتى الذى يتناول أسماء الرياح وآثارها

القياس	الاسم الحديث	الاسم فى في القرآن	التأثير على الأجسام	متوسط السرعة ميل فى الساعة
صفر	ساكنة	ساكنة	يتصاعد الدخان رأسيا	أقل من ١
١	نسيم خفيف	طيبة	يتعين اتجاه الريح بحركة الدخان	١ ـ ٣
٢	رياح خفيفة	طيبة	يشعر المرء بحركة الرياح علي وجهه	٤ ـ ٧
٣	رياح لطيفة	طيبة	تنشر الرياح الأعلام الصغيرة	٨ ـ ١٢
٤	رياح معتدلة	طيبة	ترفرف الأعلام	١٣ـ١٨
٥	رياح نشيطة	طيبة	تهتز الشجيرات	١٩ ـ ٢٤
٦	شديدة	شديدة	يسمع صفير أسلاك البرق	٢٥ ـ ٣١
٧	عاصفة غير مكتملة	عاصف	يصعب السير ضد الرياح	٣٢ ـ ٣٨
٨	عاصفة	حاصبا	تثير الرمال والحصى وتعوق الحركة	٣٩ ـ ٤٦
٩	عاصفة شديدة	صرصر	شديدة العصف تكسر المداخن	٤٧ ـ ٥٤
١٠	زوبعة	قاصف	تقصف أو تكسر ما يعترضها	٥٥ ـ ٦٣
١١	زوبعة هوجاء	عاتية	تتلف مساحات برمتها	٦٤ ـ ٧٢
١٢	إعصار	إعصار	كاسحة يندر وجودها علي غير البحار	أكثر من ٧٢

كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم . ﴿ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ لينة الهبوب . ﴿ وَفَرِحُوا بِهَا ﴾ بتلك الريح . ﴿ جَاءَتْهَا ﴾ جواب إذا والضمير للفلك أو للريح الطيبة ، بمعنى تلقتها . ﴿ رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ ذات عصف شديدة الهبوب . ﴿ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ يجئ الموج منه . ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ أهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط به العدو . ﴿ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ من غير إشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف، وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لأن دعاءهم من لوازم ظنهم .﴿ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ علي إرادة القول أو مفعول دعوا لأنه من جملة القول .

﴿ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ ﴾ إجابة لدعائهم . ﴿ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ فاجذوا بالفساد فيها وسارعوا إلى ما كانوا عليه . ﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة وإحتراق زروعهم وقلع أشجارهم فإنها إفساد بحق . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ﴾ فإن وباله عليكم أو أنه على أمثالكم أبناء جنسكم (١٨) ﴿ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ منفعة الحياة الدنيا لا تبقى

---

(١٨) من الآثار الواردة في عاقبة البغي وعوده علي صاحبه قوله ﷺ : « ثلاث من كن فيه فهي راجعه علي صاحبها : البغي والمكر والنكث » رواه أبو الشيخ وابن مردويه معاً في التفسير ، ورواه الخطيب عن أنس رضي الله عنه وهو في الجامع الصغير للسيوطي ١/١٣٨ .

ويروي هذا الأثر من كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بلفظ « ثلاث من كن فيه كن عليه » والدليل علي أن البغي عائد علي صاحبه هذه الآية التي بين أيدينا والدليل علي أن المكر يعود علي صاحبه قوله تعالي ﴿ ولايحيق المكر السيء إلا بأهله ﴾ والدليل علي أن النكث يعود علي صاحبه قوله تعالي ﴿ فمن نكث فإنما ينكث علي نفسه ﴾

واستشهد الزمخشري علي عاقبة البغي السيئة بما كان المأمون يتمثل به في أخيه الأمين :

يا صاحب البغي إن البغي مصرعة ... فاربع فخير فعال المرء أعدله

فلو بغي جبل يوماً علي جبلٍ ... لاندك منه أعاليه وأسفله

ويبقى عقابها ، ورفعه على أنه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته ، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بغيكم ، ونَصَبَه حفص على أنه مصدر مؤكد أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا ، أو مفعول البغى لأنه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور أو ضلال ، أو مفعول فعل دل عليه البغى وعلى أنفسكم خبره . ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ ﴾ فى القيامة . ﴿ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بالجزاء عليه .

الآيات من ٢٤ : ٢٧

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) ﴾

مثل الحياة الدنيا

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بها . ﴿ كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ

*** الإعجاز العلمى**

﴿ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ﴾

يقول الدكتور : عبدالرازق نوفل فى كتابه دنيا الزراعـة :

ليس من تشريف لعمل • قدر ماشرف القرآن الكريم الزراعة • • وليس من تكريم لعالم

الأَرْضِ﴾ فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضًا . ﴿ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ

* الإعجاز العلمي

قدر ماكرم القرآن العظيم علماء علوم الزراعة ومايلحق بها . . ومايتفرع عنها . . أو يعتمد عليها . . فالقرآن الكريم يقرر أن الزراعة من عمل الله جل شأنه . . فالإنسان يحرث الأرض ويلقي الحب فيزرعه الرب سبحانه وتعالى . . وذلك بنص قوله الحكيم :

﴿ أفرايتم ماتحرثون . . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ .

ويحرص القرآن الكريم فى مختلف آياته الشريفه التى أوردت الزرع والإنبات على التأكيد أن الله جل شأنه . . لاغيره . . هو الذى ينبته ولاسواه تبارك وتعالى وذلك بمثل القول الحكيم من النص الكريم :

﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ ﴾ .

والزراعة تعتبر أروع الآيات وأوضح الشاهدات وأقرب الدالات على مايفرضه الدين من عقائد وأصول فهى تدل على وجود الله ووحدانيته . . فالله وحده . . لاغيره . . ولاشريك له هو الذى خلق السماوات . . وأنزل منها الماء . . وخلق الأرض . . وأنبت فيها بالماء الزروع والنبات التى لايمكن لغير الله أن ينبتها وهو أمر لاشك فيه . . ولاخلاف عليه . . ولاجدال عنه . . لانه مشاهد من كل إنسان . . فى أى مكان وكل زمان . . وفى ذلك يقول الحق سبحانه أصدق القائلين :

﴿ أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون ﴾ .

كما أنها تشير الى بعض قدرته فى الخلق . . وحكمته فى التقدير . . وعظمته فى التدبير . . إذ يقول النص الكريم :

﴿ وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون ﴾ .

إذ يخرج من الأرض النباتات مختلفة الآلوان . . فى مذاقها . . وفى شكلها . . وفى رائحتها . . وفى لونها إلا يقول الشاهد المتأمل سبحان الله .. لا إله إلا هو . . القادر . . العظيم . . الخالق الحكيم . . المدبر العليم . .ومن عظيم قدرته --- وبالغ عظمته . . أن الأرض الواحدة . . تسقى بماء واحد . . فتخرج من القطع المتجاورة النباتات المختلفة . . متفاضلة فى الأكل . . متباينة فى الشكل سبحانه وتعالى القادر . . وفى ذلك يقول النص الكريم :

﴿ وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ .

والزراعة عملية يشاهد الإنسان بنفسه كيف يحيى الله سبحانه وتعالى الأرض بالماء بعد

من الزروع والبقول والحشيش . ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾ حسنها

* الإعجاز العلمي

موتها إذ كانت جرداء .. فأصبحت تفيض بالحياة والأحياء فيقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآية لقوم يسمعون ﴾ .

وهكذا يرى الإنسان بعينه .. بعض مظاهر قدرة الله فى خلق الحياة فى الأرض الميتة .. والإنسان نفسه .. إنما خلق من تراب الأرض .. كما قال الله جل شأنه :

﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ .

وكما أثبت العلم بتحليل جسم الإنسان فوجده يتكون من نفس عناصر التراب تماما .. ولذلك فإن من يحيى الأرض بعد موتها .. لاشك سيحيى الموتى يوم القيامة .. وهكذا تقوم الزراعة دليلا ماديا على مايفرضه الدين من البعث فى اليوم الآخر ويقول قرآن ربنا الكريم فى نصه العظيم :

﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شئ قدير ﴾ .

والزراعة بما يشاهد منها وعليها تقدم المثل الصادق والواضح والمؤكد للحياة نفسها فكما يشاهد على النبات من نمو وازدهار .. ثم يبدأ فى الذبول والاصفرار وينتهى بعد ذلك عندما يصبح طعاما .. وقشا لينا هينا ..

ثم ينتهى .. هكذا الحياة الدنيا تماما وفى ذلك يقول الله وهو أصدق القائلين :

﴿ إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ .

ويشرف القرآن الكريم الزراعة تشريفا كريما .. عندما تقرر آياته أن الله سبحانه وتعالى قد ضرب المثل لنوره جل شأنه بمصباح فى زجاجة يوقد من شجرة مباركة زيتونة .. زيتها على درجة عالية من النقاء والتركيز بحيث يجعله وكأنه يكاد يضئ .. وتقول الآيات الشريفة :

﴿ الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم ﴾ .

فضرب القرآن الكريم المثل لنور الله بالشجرة .. إنما هو تشريف .. وأى تشريف .. لكل ما يتصل بالشجر من عمل .. ويتكرر ذكر الشجر فى القرآن ستا وعشرين مرة =

وبهجتها ﴿ وَازَّيَّنَتْ ﴾ تزينت بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة كعروس

* الإعجاز العلمي

.. وعندما أراد القرآن أن يضرب المثل للكلمة الطيبة أورد الشجرة الطيبة فقال :

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبه أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ .

وعندما دعا الله سبحانه وتعالى سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم لإعلان رسالته إلى قـومه ناداه جل شأنه حينما كان موسى على مقربة من شجرة وبجوارها وذلك بالنص الكريم :

﴿ فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إنى أنا الله رب العالمين ﴾ .

وكذلك يقرر القرآن الكريم أنه تحت شجرة تمت البيعة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد رضى الله سبحانه وتعالى عن المؤمنين إذ بايعوه تحتها وذلك بالنص الشريف :

﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ﴾ .

وتأكيدا لتشريف الشجرة فعندما أراد الله جل شأنه أن يضرب المثل للكلمة الخبيثة أورد الشجرة الخبيثة والتى أوجب على الإنسان أن يقطعها وينزعها ويبعدها من الأرض حتى لايكون لها أى قرار وذلك بنص قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قـرار ﴾ .

وشرف القرآن الكريم الزراعة .. بأن جعل ناتجها من الثمار .. هو رزق المؤمنين فى الجنة كما كان رزقهم فى الحياة الدنيا وذلك بالنص الكريم :

﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ .

وكل مايخرج من الأرض من زروع .. إنما يسجدون لله سبحانه وتعالى سجود الولاء والطاعة .. والعبودية والاستجابة .. سواء أكان مايخرج منها هو النجم وهى النباتات التى لاساق لها .. أو الشجر .. وهى النباتات ذات الساق .. وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريـم :

﴿ والنجـم والشجـر يسجـدان ﴾ .

ويعود القرآن الكريم ليكرر مؤكدا أن الشجر جميعه بأنواعه وأصنافه وفى كافة مراحله يسجد لله سبحانه وتعالى بينما كثير من الناس هم الذين يسجدون وكثير منهم حق عليهم العذاب حيث لايسجدون .

أخذت من ألوان الثياب والزينة فتزينت بها ، وازينت أصله تزينت فأدغم وقد قرئ

* الإعجاز العلمي

كما يسجد الشجر كله ومن فى السماوات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال وذلك بالنص الكريم :

﴿ ألم تر أن الله يسجد له من فى السماوات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل مايشاء ﴾ .

والمتدبر لكل الآيات الكريمة التى ورد فيها الشجر وقد تكرر ستا وعشرين مرة .. والزرع وقد تكرر أربع عشرة مرة .. والنبات الذى تكرر اثنتين وعشرين مرة .. والثمر وتكرر أربع عشرة مرة .. والمرعى وتكرر أربع مرات .. والفاكهة وقد تكررت أربع عشرة مرة والنخيل عشرين مرة والعنب إحدى عشرة مرة .. والزيتون ست مرات والرمان ثلاثا وكذلك لفظ الأرض الذى ذكر وإحدى وستين وأربعمائه مرة .

ويعنى الزرع والنبات أو يتضمنها فى مثل النص الشريف :

﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ﴾ .

وأيضاً ألفاظ الجنة وقد تكررت سبعا وأربعين ومائة مرة .

وهى تشير إلى الزراعات والنباتات والحدائق فى الدنيا أو الآخرة .. ليجد فى تدبره أن كل هذه الآيات تحمل أوجها عديدة من تشريف القرآن الكريم للزراعة ..

وأما تكريم القرآن الكريم لعلماء الزراعة .. فبداية لقد كرم القرآن العلم تكريما يتضح بعضه مما قررته آياته الشريفة من أنه بالعلم .. والعلم وحده .. فلقد ميز الله آدم على الملائكة وذلك بالنص الشريف :

﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين .. قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم .. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون ﴾ .

﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾

هكذا فإن العلم من عطاء الله وحده وهكذا تميز آدم على الملائكة بما علمه الله .. وهكذا أمر الملائكة بسجود الطاعة لآدم .. بعد أن وهبه للعلم والمعرفة واستمرارا لتكريم الله للإنسان بالعلم ..

على الأصل وأزينت علي أفعلت من غير إعلال كأغيلت ، والمعنى صارت ذات زينة وازْيانَّت كابياضت . ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾ متمكنون (١٩) من

---

(١٩) لعل هذه الآية تشير إلي ما يكون من غلبة أهل الدنيا وتسخيرهم الماديات واختراعهم لكل ما يمكن من اختراعات تمكن للإنسان من القدرة والغلبة والعلو حتي يظن أنه لايغلبه شئ وأنه يمكنه السيطرة علي كل شئ ،وفي ذلك من دواعي الفتنة والغرور ما فيه حتى ليظن الإنسان أن بمقدوره التحكم في مصير الأمور . . وينسى خالقه الذي منحه هذا العقل الذي اخترع به ، والقدرة التي تمكن بها . .

ويعلق صاحب كتاب إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان فيقول ملخصاً :

تؤكد الآية تحطيم الحضارات المادية بعد أن تصل إلي قمة الغرور والصلف ، ولقد بدأنا نسمع صيحات الجهالة التي تدعي بأن عصر الإيمان قد انتهي وبدأ عصر العلم ، وبلغ الإنسان في الغرب والشرق متاع الغرور والكبرياء مبتعداً عن الدين ، بعد أن كشف الله له بعض أسرار كونه فظن أنه قادر علي تسيير الحياة وفق مشيئته وتدبيره ويتباهي بأنه سيصل بعلمه إلي إنزال المطر أو التحكم في قوي الطبيعة زوراً وبهتانا ، وأنه يملك الصواريخ عابرة القارات والقنابل والرءوس النووية والأقمار الصناعية التي تمكنه من قذف الغيب من مكان بعيد وغير ذلك من وسائل المنهج الدهري المؤدي بأصحابه للكفر وعبادة الشيطان وتقديس النفس بعيداً عن منهج الله ، وقد وعد الله سبحانه بأنه سيطلع هؤلاء الكفار علي الحقيقة قاذفاً أرضهم بأمر كوني خطير في صورة دخان أو إشعاع ذري كما في قوله تعالي ﴿ أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ﴾

ويعتقد معظم المفسرين أن الأمر المدمر هنا سيقذف كوكب الأرض كله ، ولكني لا أؤيد هذا الرأي للأسباب الآتية :

١–لفظ الأرض المذكور في الآية لايعني الكوكب بدليل ورود عبارة ﴿ وظن أهلها أنهم قادرون عليها ﴾ أي أن الأرض هنا هي أرض الكفار المغرورين والمنتشرين حاليا علي مساحة واسعة تجعل بعضهم لحظة نفاذ الأمر الإلهي في نهار والبعض الآخر في ليل كما في قوله تعالي ﴿ ليلا أونهارا ﴾ مثل روسيا وأوروبا من جهة وأمريكا من جهة أخري، حيث تزخرفت أرضهم وازينت وظنوا أنهم قادرون عليها وبذلك رسبوا في الامتحان مصداقا لقوله تعالي ﴿ إنا جعلنا ما علي الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ، وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً ﴾ الكهف ٧ ، ٨ وبذلك يؤكد القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالي سيجعل أرض الكفار المغرورين حصيدا كأن لم تغن بالأمس . . .

حصدها ورفع غلتها . ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا ﴾ ضرب زرعها بما يجتاحه . ﴿ لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا ﴾ فجعلنا زرعها . ﴿ حَصِيداً ﴾ شبيها بما حصد من أصله . ﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ ﴾ كأن لم يغن زرعها أى لم يلبث ، والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة ، وقرئ بالياء على الأصل . ﴿ بِالأَمْسِ ﴾ فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكايةوهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعدما كان غضاً والتف ، وزين الأرض حتى طمع فيه أهله وظنوا أنه قد سلم من الجوائح لا الماء وإن وليه حرف التشبيه لأنه من التشبيه المركب . ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فإنهم المنتفعون به .

الله يدعو إلى الجنة

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ﴾ دار السلام من التقضى (٢٠) والآفة ، أو دار الله ، وتخصيص هذا الاسم أيضاً للتنبيه على ذلك ، أو دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة . ﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ بالتوفيق . ﴿ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ هو طريقها ، وذلك الإسلام والتدرع بلباس التقوى ، وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الأمر غير الإرادة وأن المصرّ على الضلالة لم يرد الله رشده .

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ ﴾ المثوبة الحسنى . ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ وما يزيد على

٢- سكان الأرض المتواضعون الذين يؤمنون بالشهادة والغيب معا ويجمعون بين القرآن والعلم، أي بين الوحي والوجود في معرفة إسلامية متكاملة فهؤلاء لن يصيبهم عندئذ مكروه. وخلاصة القول أن التحطيم الإلهي للحضارة سيكون مقصوراً علي الكفار المغرورين .. وربما كان التحطيم هو الذي يشير إليه قولة تعالي ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين، يغشي الناس هذا عذاب أليم ، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ، أني لهم الذكري وقد جاءهم رسول مبين ، ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون، إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون ، يوم نبطش البطشة الكبري إنا منتقمون ﴾ الدخان ١٠ – ١٦ . راجع كتاب إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان – د/ منصور حسب النبي .

(٢٠) التقضي : الفناء .

المثوبة تفضلاً لقوله ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ (٢١) وقيل : الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر ، وقيل : الزيادة مغفرة من الله ورضوان ، وقيل : الحسنى الجنة والزيادة هي اللقاء (٢٢) .

﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ ﴾ لا يغشاها . ﴿ قَتَرٌ ﴾ غبرة فيها سواد . ﴿ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ هوان ، والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار أو لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال . ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها .

مصير المكذبين

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ عطف على قوله للذين أحسنوا الحسنى على مذهب من يجوز : في الدار زيد والحجرة عمرو ، أو الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة بمثلها على تقدير : وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ، أي أن تجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها ، وفيه تنبيه على أن الزيادة هي الفضل أو التضعيف أو كأنما أغشيت وجوههم ، أو أولئك أصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ وخبره محذوف أي فجزاء سيئة بمثلها واقع ، أو بمثلها على زيادة الباء أو تقدير مقدر بمثلها .

﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ وقرئ بالياء . ﴿ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ ما من أحد يعصمهم من سخط الله ، أو من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين . ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ ﴾ غطيت . ﴿ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ لفرط سوادها وظلمتها ومظلمًا حال من الليل والعامل فيه أغشيت لأنه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور ، والعامل في الموصوف عامل في الصفة أو معنى الفعل في من الليل . وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطْعًا بالسكون فعلى هذا يصح أن يكون مظلمًا صفة له أو حالاً منه . ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ مما يحتج به الوعيدية . والجواب أن الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولأن الذين أحسنو يتناول أصحاب الكبيرة من أهل القبلة فلا يتناولهم قسيمة .

---

(٢١) النساء ١٧٣ .　　(٢٢) اللقاء : أي رؤية الله

الآيات من ٢٨ : ٣١

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠) قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) ﴾

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ يعنى الفريقين جميعًا . ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ ﴾ الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم . ﴿ أَنتُمْ ﴾ تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله . ﴿ وَشُرَكَاؤُكُمْ ﴾ عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه . ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم . ﴿ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم إنما عبدوا فى الحقيقة أهواءهم لأنها الآمرة بالإشراك لا ما أشركوا به . وقيل : ينطق الله الأصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها . وقيل : المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين .

تبرؤ الأصنام من عابديها

﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ فإنه العالم بكنه الحال . ﴿ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة . ﴿ هُنَالِكَ ﴾ فى ذلك المقام . ﴿ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾ تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره . وقرأ حمزة والكسائى تتلوا من التلاوة أي تقرأ ذكر ما قدمت ، أو من التلو أي تتبع عملها فيقودها إلى الجنة أو إلى النار . وقرئ نبلوا بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعني نختبرها أى نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما أسلفت من أعمالها ، ويجوز أن يراد به نصيب بالبلاء أى

بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الحافض . ﴿ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ إلي جزائه إياهم بما أسلفوا .﴿ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ ﴾ ربهم ومتولى أمرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولي ، وقرئ الحق بالنصب على المدح ، أو المصدر المؤكد . ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم ﴾ وضاع عنهم . ﴿ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم ، أو ما كانوا يدعون أنها آلهة .

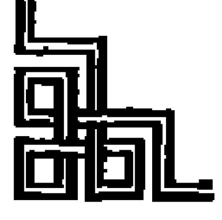
تذكير بنعمة الله الخالق وقدرته

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ أى منهما جميعًا فإن الأرزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو من كل واحد منهما توسعة عليكم . وقيل من لبيان من على حذف المضاف أى من أهل السماء والأرض . ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ ﴾ أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما ، أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنى شيء . ﴿ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ومن يحيى ويميت ، أو من ينشيء الحيوان من النطفة والنطفة منه . ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾ ومن يلى تدبير أمر العالم وهو تعميم بعد تخصيص . ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ إذ لا يقدرون على المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه . ﴿ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ أنفسكم عقابه بإشراككم إياه ما لا يشاركه فى شيء من ذلك .

الآيات من ٣٢ : ٣٧

﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٣) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَمَا

كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) ﴾.



﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ﴾ أى المتولي لهذه الأمور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لأنه الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم . ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ ﴾ استفهام إنكار أي ليس بعد الحق إلا الضلال فمن تخطي الحق الذي هو عبادة الله تعالي وقع في الضلال ﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ عن الحق إلي الضلال.

﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي كما حقت الربوبية لله أو أن الحق بعده الضلال ، أو أنهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه ، وقرأ نافع وابن عامر كلمات هنا وفي آخر السورة (٢٣) وفي غافر (٢٤) ﴿ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا ﴾ تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح. ﴿ أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ بدل من الكلمة ، أو تعليل لحقيتها والمراد بها العدَةُ بالعذاب .

تنبيه المشركين إلي عجز آلهتهم

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾جعل الإعادة كالإبداء في الإلزام بها لظهور برهانها وإن لم يساعدوا عليها ، ولذلك أمر الرسول ﷺ أن يَنُوبَ عنهم في الجواب فقال : ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ لأن لجاجهم لايدعهم أن يعترفوا بها . ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ تصرفون عن قصد السبيل .

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ﴾ بنصب الحجج وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام والتوفيق للنظر والتدبر وهدي كما يُعدَّي بإلي لتضمنه معني الانتهاء يُعدَّي باللام للدلالة علي أن المنتهي غاية الهداية وأنها لم تتوجه نحوه علي سبيل الاتفاق ولذلك عُدِّيَ بها ما أسند إلي الله تعالي . ﴿ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ

(٢٣) في الآية رقم ٩٦ من سورة يونس ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ﴾

(٢٤) في الآية رقم ٦ من سورة غافر ﴿ وكذلك حقت كلمة ربك علي الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾.

﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ ﴾ أم الذي لايهتدي إلا أن يهدي من قولهم :أهدي بنفسه إذا اهتدي ، أولا يهدي غيره إلا أن يهديه الله، وهذا حال أشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير ، وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ، ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والأصل يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وروي أبو بكر يهدي باتباع الياء الهاء، وقرأ أبو عمرو بالإدغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لأن المدغم في حكم المتحرك ،وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ إلا أن يهدي للمبالغة ، ﴿ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ بما يقتضي صريح العقل بطلانه ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ ﴾ فيما يعتقدونه ﴿ إِلاَّ ظَنًّا ﴾ مستنداً إلي خيالات فارغة وأقيسة فاسدة كقياس الغائب علي الشاهد والخالق علي المخلوق بأدني مشاركة موهومة، والمراد بالأكثر الجميع أو من ينتمي منهم إلي تمييز ونظر ولايرضي بالتقليد الصرف ، ﴿ إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ من العلم والاعتقاد الحق ، ﴿ شَيْئًا ﴾ من الإغناء ويجوز أن يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه، وفيه دليل علي أن تحصيل العلم في الأصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ وعيد علي اتباعهم للظن وإعراضهم عن البرهان .

القرآن حق من عند الله

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ افتراء من الخلق ﴿ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ مطابقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية المشهود علي صدقها ولايكون كذباً كيف وهو لكونه معجزاً دونها عيار (٢٥) عليها شاهد علي صحتها، ونصبه بأنه خبر لكان مقدراً أوعلة لفعل محذوف تقديره ، ولكن أنزله الله تصديق الذي ، وقرئ بالرفع علي تقدير ولكن هو تصديق ﴿ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ ﴾ وتفصيل ما حقق وأثبت من العقائد والشرائع، ﴿ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ منتفياً عنه الريب(٢٦) وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز أن يكون حالا من الكتاب فإنه مفعول في المعني وأن يكون استئنافا . ﴿ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ خبر آخر تقديره كائناً

---

(٢٥) عبار عليها : مهيمن عليها .

(٢٦) الريب : الشك .

من رب العالمين أو متعلق بتصديق أو تفصيل ، ولاريب فيه اعتراض أو بالفعل المعلل بهما ويجوز أن يكون حالاً من الكتاب أو من الضمير في فيه ،ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه .

الآيات من ٣٨ : ٤٢

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩) وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (٤٠) وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٤١) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ (٤٢) ﴾ .

نفي الافتراء عن القرآن

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾بل أيقولون . ﴿افْتَرَاهُ﴾ محمد ﷺ ومعني الهمزة فيه للإنكار . ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ في البلاغة وحسن النظم وقوة المعني علي وجه الافتراء فإنكم مثلي في العربية والفصاحة وأشد تمرناً في النظم والعبارة ، ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم ﴾ ومع ذلك فاستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا به ، ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾سوي الله تعالي فإنه وحده قادر علي ذلك ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه اختلقه . ﴿ بَلْ كَذَّبُوا ﴾ بل سارعوا إلي التكذيب ﴿ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه ، أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علماً من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم . ﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ ولم يقفوا بعد علي تأويله ولم تبلغ أذهانهم معانيه ، أو ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب حتي يتبين لهم أنه صدق أم كذب ، والمعني أن القرآن معجز من جهة اللفظ والمعني ثم إنهم فاجئوا بتكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ، ومعني التوقع في لما أنه قد ظهر لهم بالآخرة إعجازه لما كرر عليهم التحدي فزادوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها ، أو لما شاهدوا وقوع ما

أخبر به طبقاً لأخباره مراراً فلم يقلعوا عن التكذيب تمرداً وعناداً . ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أنبياءهم . ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم .

﴿ وَمِنْهُم ﴾ ومن المكذبين . ﴿ مَّن يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ من يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند ، أو من سيؤمن به ويتوب عن الكفر ، ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره ، أو فيما يستقبل بل يموت علي الكفر ، ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾بالمعاندين أو المصرين .

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ ﴾ وإن أصروا علي تكذيبك بعد إلزام الحجة ، ﴿ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ فتبرأ منهم فقد أعذرت ، والمعني لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقًا كان أو باطلاً . ﴿ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم ولما فيه من إيهام الإعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل : إنه منسوخ بآية السيف .

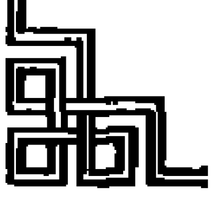
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لايقبلون كالأصم الذي لايسمع أصلاً . ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ ﴾ تقدر علي إسماعهم .﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ولو انضم إلي صممهم عدم تعقلهم ، وفيه تنبيه علي أن حقيقة استماع الكلام فهم المعني المقصود منه ولذلك لاتوصف به البهائم ، وهو لا يتأتي إلا باستعمال العقل السليم في تدبره، وعقولهم لما كانت مشغوفة بمعارضة الوهم ومشايعة الإلف والتقليد ، تعذر إفهامهم الحكم والمعاني الدقيقة، فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق(٢٧) .

الآيات من ٤٣ : ٤٨

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن

(٢٧) الناعق : الصائح

لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .



﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴾ يعاينون دلائل نبوتك ولكن لايصدقونك ﴿ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ ﴾ تقدر علي هدايتهم . ﴿ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ ﴾ وإن انضم إلي عدم البصر عدم البصيرة فإن المقصود من الأبصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ، ولذلك يحدس الأعمي المستبصر ويتفطن لما لايدركه البصير الأحمق ، والآية كالتعليل للأمر بالتبرى والإعراض عنهم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ﴾ بسلب حواسهم وعقولهم ﴿ وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بافسادها وتفويت منافعها عليهم ، وفيه دليل علي أن للعبد كسباً وأنه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ، ويجوز أن يكون وعيداً لهم بمعني أن ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لايظلمهم به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف أسبابه (٢٨) وقرأ أبو عمرو والكسائي بالتخفيف ورفع الناس .

خسرانهم يوم القيامة

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو في القبور لهول مايرون ، والجملة التشبيهية في موضع الحال أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة، أو صفة ليوم والعائد محذوف تقديره :

---

(٢٨) أظلم الظالمين من ظلم نفسه ، وقد ورد في التنفير من الظلم مايرويه أبو ذر الغفاري عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه جل وعلا : « يا عبادي إني حرمت الظلم علي نفسي وجعلته بينكم محرما فلاتظالموا ... رواه مسلم في باب تحريم الظلم ١٠ / ص٨ وفي الأحاديث القدسية ص ١٨٩ ط دار الكتاب العربي .

كأن لم يلبثوا قبله أولمصدر محذوف ، أي : حشراً كأن لم يلبثوا قبله . ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً ، وهذا أول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الأمر عليهم وهي حال أخري مقدرة ، أو بيان لقوله : ﴿ كَأَن لَّم يلبثوا ﴾ أو متعلق بالظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ استئناف للشهادة علي خسرانهم والتعجب منه ، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في يتعارفون علي إرادة القول . ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ لطرق استعمال ما منحوا من المعاون (٢٩) في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات أدت بهم إلي الردي والعذاب الدائم .

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ﴾ نبصرنك . ﴿ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر (٣٠) ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل أن نريك ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك . ﴿ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ مجاز عليه ، ذَكَر الشهادة وأراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها علي الرجوع بثم ، أو مؤد شهادته علي أفعالهم يوم القيامة .

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ من الأمم الماضية . ﴿ رَّسُولٌ ﴾ يبعث إليهم ليدعوهم إلي الحق ، ﴿ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ ﴾ بالبينات فكذبوه . ﴿ قُضِيَ بَيْنَهُم ﴾ بين الرسول ومكذبيه . ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل فأنجي الرسول وأهلك المكذبون . ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ وقيل معناه لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب إليه فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قضى بينهم بإنجاء المؤمنين وعقاب الكفار لقوله ﴿ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم ﴾(٣١)

---

(٢٩) المعاون : لعله يقصد الوسائل المعينة علي تحصيل المعارف من عقل وسمع وبصر وفكر . .
(٣٠) مما يشير إلي ذلك ما رواه الطبراني من حديث حذيفة بن أسيد أن النبي ﷺ قال : « عرضت علي أمتي البارحة لدي هذه الحجرة أولها وآخرها فقال رجل يارسول الله عرض عليك من خلق فكيف من لم يخلق ؟ فقال صُوِّروا لي في الطين حتي إني لأعرف بالإنسان منهم من أحدكم بصاحبه » . مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ٤٠٩
(٣١) الزمر ٦٩ .

استبعاد الكفار ليوم القيامة

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ ﴾ استبعاداً له واستهزاء به . ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ خطاب منهم للنبي ﷺ والمؤمنين.

الآيات من ٤٩ : ٥٤

﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٥٢) وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٥٣) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٥٤) ﴾ .

﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا ﴾فكيف أملك لكم فأستعجل في جلب العذاب إليكم . ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أن أملكه أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن . ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ مضروب لهلاكهم . ﴿ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾لا يتأخرون ولايتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ ﴾ الذي تستعجلون به . ﴿ بَيَاتًا ﴾ وقت بيات واشتغال بالنوم . ﴿ أَوْ نَهَارًا ﴾(٣٢) حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم . ﴿ مَّاذَا

= ومن فضائل هذه الأمة أن الله تعالي يبعثها يوم القيامة أول الأمم ، مع أنها هي في الدنيا كانت آخر الأمم جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق ».

(٣٢) بياتا أونهارا : أو هنا ليست للشك ، ولكن لإثبات حقيقة علمية هي أن مجيئ الساعة يصادف بياتا عند قوم ونهارا عند قوم آخرين ،وذلك لكروية الأرض ودورانها ، وهذا هو المشاهد الآن فقد يكون الصبح في بلادنا موافقا للمساء في بلاد أخري وبالعكس .

يستعجل منه المجرمون ﴾ أي شئ من العذاب يستعجلونه ، وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بأرأيتم لأنه بمعني أخبروني ، والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة علي أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجئ العذاب لا أن يستعجلوه ، وجواب الشرط محذوف وهو تندموا علي الاستعجال أو تعرفوا خطأه، ويجوز أن يكون الجواب ماذا كقولك : إن أتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بأرأيتم أو بقوله :

﴿ أثم إذا ما وقع آمنتم به ﴾ بمعني إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لاينفعكم الإيمان ، وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام علي ثم لإنكار التأخير، ﴿ آلآن ﴾ علي إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به ، وعن نافع آلان بحذف الهمزة وإلقاء حركتها علي اللام . ﴿ وقد كنتم به تستعجلون ﴾ تكذيباً واستهزاء.

﴿ ثم قيل للذين ظلموا ﴾ عطف علي قيل المقدر . ﴿ ذوقوا عذاب الخلد ﴾ المؤلم علي الدوام . ﴿ هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ﴾ من الكفر والمعاصي.

تأكيد مجئ هذا اليوم ووقوع الندامة للكافرين

﴿ ويستنبئونك ﴾ ويستخبرونك . ﴿ أحق هو ﴾ أحق ما تقول من الوعد أوادعاء النبوة تقوله بجد أم باطل تهزل به قاله حيي بن أخطب لما قدم مكة، والأظهر أن الاستفهام فيه علي أصله لقوله ﴿ ويستنبئونك ﴾ وقيل إنه للإنكار ويؤيده أنه قرئ آلحق هو فان فيه تعريضاً بأنه باطل، وأحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر أوخبر مقدم والجملة في موضع النصب يستنبئونك . ﴿ قل إي وربي إنه لحق ﴾ إن العذاب لكائن أو ما ادعيته لثابت ، وقيل كلا الضميرين للقرآن ، وإي بمعني نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال إي والله ولايقال إي وحده . ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ بفائتين العذاب .

﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ﴾ بالشرك أوالتعدي علي الغير ﴿ ما في الأرض ﴾ من خزائنها وأموالها . ﴿ لافتدت به ﴾ لجعلته فدية لها من العذاب ، من قولهم افتداه بمعني فداه . ﴿ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ﴾ لأنهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الأمر وهوله فلم يقدروا أن ينطقوا ، وقيل: أسروا الندامة

أخلصوها لأن إخفاءها إخلاصها ، أو لأنه يقال سر الشئ لخالصته من حيث إنهاتخفي ويضن بها ، وقيل أظهروها من قولهم أسر الشئ وأسره إذاأظهره .

﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ ليس تكريراً لأن الأول قضاء بين الأنبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين علي الشرك أوالحكومة بين الظالمين والمظلومين ، والضمير إنما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم .

الآيات من ٥٥ : ٥٩

﴿ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٥٥) هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) ﴾ .

﴿ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾تقرير لقدرته تعالي علي الإثابة والعقاب . ﴿ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه . ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾لأنهم لايعلمون ـ لقصور عقولهم ـ إلا ظاهراً من الحياة الدنيا .

﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبي لأن القادر لذاته لاتزول قدرته ، والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما أبداً . ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ بالموت أوالنشور.

القرآن وأثره الروحي والنفسي والاجتماعي :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العلمية الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح ، والحكمة النظرية

التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدي إلي الحق واليقين ورحمة للمؤمنين ، حيث أنزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال إلي نور الإيمان، وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان ، والتنكير فيها للتعظيم .

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾ بإنزال القرآن ، والباء متعلقة بفعل يفسره قوله : ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ فإن اسم الإشارة بمنزلة الضمير ، تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أو فليفرحوا فبذلك فليفرحوا، وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الإجمال ، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح أو بفعل دل عليه قد جاءتكم، وذلك إشارة إلي مصدره أي فبمجيئهما فليفرحوا ، والفاء بمعني الشرط كأنه قيل : إن فرحوا بشئ فبهما فليفرحوا ، أو للربط بما قبلها ، والدلالة علي أن مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح ، وتكريرها للتأكيد كقوله :

وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي (٣٣) .

وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء علي الأصل المرفوض (٣٤) ، وقد روي مرفوعاً(٣٥) ويؤيده أنه قرئ فافرحوا .﴿ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾من حطام الدنيا فإنها إلي الزوال قريب وهو ضمير ذلك ، وقرأ ابن عامر تجمعون بالتاء علي معني فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون (٣٦)

الحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ جعل الرزق منزلاً لأنه مقدر في السماء محصل بأسباب منها ، وما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم فإنه بمعني

---

(٣٣) تكررت الفاء في هذا الشطر بعد إذا للتأكيد أي فعند الهلك فاجزعي .

(٣٤) المرفوض : أي الملتفت عنه .

(٣٥) قرئ مرفوعا : أي في قراءة عن رسول الله ﷺ .

(٣٦) روي أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ تلا ﴿ قل بفضل الله وبرحمته ﴾ فقال بكتاب الله والإسلام .

أخرجه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل : فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه .

أخبروني ، ولكم دل علي أن المراد منه ما حل ولذلك وبخ علي التبعيض فقال ﴿ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً ﴾ مثل ﴿ هذه أنعام وحرث حجر ﴾ (٣٤) ﴿ ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم علي أزواجنا ﴾(٣٥) ﴿ قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ، ﴿ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ في نسبة ذلك إليه ؟ ويجوز أن تكون المنفصلة متصلة بأرأيتم ، وقل مكرر للتأكيد وأن يكون الاستفهام للإنكار ، وأم منقطعة ومعني الهمزة فيها تقرير لافترائهم علي الله(٣٦) .

الآيات من ٦٠ : ٦٤

﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ (٦٠) وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١) أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) ﴾

(٣٤) الأنعام ١٣٨ .

(٣٥) الأنعام ١٦٩ .

(٣٦) نزلت هذه الآية إنكاراً علي المشركين فيما كانوا يحللون ويحرمون من البحائر والسوائب والوصايل كقوله تعالي ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ﴾ روي الإمام أحمد عن مالك بن نضلة قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا رث الهيئة فقال: هل لك من مال ؟ قلت نعم ، قال : من أي المال ؟ قال قلت : من كل المال من الإبل والرقيق والخيل والغنم ، فقال : « إذا آتاك الله مالا فليُر عليك » وقال : هل تنتج إبلك صحاحاً آذانها فتعمد إلي موسي فتقطع آذانها فتقول : هذه بحر ، وتشق جلودها وتقول : هذه صرم ،وتحرمها عليك وعلي أهلك ؟ قال : نعم، قال : فإن ما آتاك الله حل ، ساعدُ الله أشد من ساعدك وموسى الله أحد من موساك » تفسير ابن كثير .

﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ أي شيء ظنهم . ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أيحسبون أن لا يجازوا عليه ، وهو منصوب بالظن ويدل عليه أنه قرئ بلفظ الماضي لأنه كائن ، وفي إبهام الوعيد تهديد عظيم ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ حيث أنعم عليهم بالعقل وهداهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب . ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ ﴾ هذه النعمة .

الله عالم كل شئ ولا يعزب عن علمه شيء

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾ ولا تكون في أمر ، وأصله الهمز من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير في ﴿ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ ﴾ له لأن تلاوة القرآن معظم شأن الرسول ، أو لأن القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من أجله ومفعول تتلو ﴿ مِن قُرْآنٍ ﴾ علي أن من تبعيضية أو مزيدة لتأكيد النفي أو للقرآن ، وإضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له أو لله .

﴿ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾ تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ، ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير . ﴿ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾ رقباء مطلعين عليه . ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ تخوضون فيه وتندفعون . ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ ﴾ ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه ، وقرأ الكسائي بكسر الزاي هنا وفي سبأ .[٣٧] ﴿ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ موازن نملة صغيرة أو هباء . ﴿ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ أى في الوجود والإمكان فإن العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما ، وتقديم الأرض لأن الكلام في حال أهلها والمقصود منه البرهان علي إحاطة علمه بها . ﴿ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ كلام برأسه مقرر لما قبله ، ولا نافية وأصغر اسمها وفي كتاب خبرها . وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع علي الابتداء والخبر ، ومن عطف علي لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف أو علي محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا ، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ .

---

(٣٧) في آية رقم ٣ من سورة سبأ .

صفة أولياء الله وجزاؤهم

﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ﴾ الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة . ﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من لحوق مكروه . ﴿ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ لفوات مأمول . والآية كمجمل فسره قوله :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ وقيل : الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم إياه . (٣٨)

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلي لسان نبيه ﷺ وما يريهم من الرؤيا الصالحة (٣٩) وما يسنح لهم من المكاشفات وبشري الملائكة عند النزع . ﴿ وَفِي الآخِرَةِ ﴾ بتلقي الملائكة إياهم مُسَلِّمين مُبَشِّرِين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ، ومحل الذين آمنوا النصب أو الرفع علي المدح أو علي وصف الأولياء أو علي الابتداء وخبره لهم البشري .

﴿ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ أي لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده . ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلي كونهم مُبَشَّرين في الدارين .

﴿ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه ، وليس من شرطه أن يقع بعده كلام يتصل بما قبله .

---

(٣٨) جاء من أوصافهم في الآثار مارواه عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول :« إن من عباد الله عبادا ما هم بأنبياء ولاشهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم؟ وما أعمالهم ؟ فلعلنا نحبهم قال : هم قوم تحابوا في الله علي غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلي منابر من نور لايخافون إذا خاف الناس ولايحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ الآية .

أخرجه اسحاق بن راهويه والطبري وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب ورواه ابن جرير أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣٩) جاء في ذلك حديث عن الرسول ﷺ رواه الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت قال : سألت النبي ﷺ يارسول الله ﷺ أرأيت قول الله تعالي ﴿ لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ فقال : لقد سألتني عن شئ ما سألني عنه أحد من أمتي – أوقال أحد قبلك – تلك الرؤيا الصالحة يراها الرجل أوتُري له »

الآيات من ٦٥ : ٦٩

﴿ وَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٥) أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (٦٦) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧) قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (٦٩) ﴾

تسليته للنبي ﷺ

﴿ وَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ إشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم . وقرأ نافع يحزنك من أحزنه وكلاهما بمعني . ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ استئناف بمعني التعليل ، ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل : لا تحزن ولا تبال بهم لأن الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم . ﴿ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوالهم . ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بعزماتهم فيكافئهم عليها .

﴿ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ ﴾ ومن الملائكة والثقلين ، وإذا كان هؤلاء الذين هم أشرف الممكنات عبيدا لا يصلح أحد منهم للربوبية ، فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له ندا أو شريكا ، فهو كالدليل علي قوله : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ أي شركاء علي الحقيقة وإن كانوا يسمونها شركاء ، ويجوز أن يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه. ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ﴾ أي ما يتبعون يقينا وإنما يتبعون ظنهم أنها شركاء ، ويجوز أن تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع ، أو موصولة معطوفة علي من.

وقرئ تدعون بالتاء الخطابية والمعني : أي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين ، أي أنهم لا يتبعون إلا الله ولا يعبدون غيره فمالكم لا تتبعونهم

فيه ؟ كقوله ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ (٤٠) فيكون إلزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم .
﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يكذبون فيما ينسبون إلي الله أو يحزرون ويقدرون أنها شركاء تقديرا باطلا .

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ تنبيه علي كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم علي تفرده باستحقاق العبادة ، وإنما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تدبر واعتبار .

عدم فلاح المفتري علي الله الكذب

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ أي تبناه . ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ تنزيه له عن التبني فإنه لا يصح إلا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء ﴿ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ علة لتنزيهه فإن اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة . ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ تقرير لغناه . ﴿ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ﴾ نفي لمعارض ما أقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم ، وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له أو بعندكم كأنه قيل : إن عندكم في هذا من سلطان . ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ توبيخ وتقريع علي اختلاقهم وجهلهم . وفيه دليل علي أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وأن العقائد لا بد لها من قاطع وأن التقليد فيها غير سائغ .

﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ باتخاذ الولد وإضافة الشريك إليه . ﴿ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة .

الآيات من ٧٠ : ٧٤

﴿ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي

---

(٤٠) الإسراء ٥٧

وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٤) ﴾



﴿ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رئاستهم في الكفر أو حياتهم نقلبهم ، متاع مبتدأ خبره محذوف أي لهم تمتع في الدنيا . ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ بالموت فيلقون الشقاء المؤبد . ﴿ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ بسبب كفرهم .

قصة نوح عليه السلام

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ﴾ خبره مع قومه . ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم ﴾ عظم عليكم وشق . ﴿ مَّقَامِي ﴾ نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان، أو كوني وإقامتي بينكم مدة مديدة أو قيامي علي الدعوة . ﴿ وَتَذْكِيرِي ﴾ إياكم . ﴿ بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ وثقت به . ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ ﴾ فاعزموا عليه . ﴿ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ أي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا علي الضمير المتصل ، وجاز من غير أن يؤكد للفصل وقيل : إنه معطوف علي أمركم بحذف المضاف أي وأمر شركائكم . وقيل : إنه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به ، وعن نافع فاجمعوا من الجمع ، والمعني أمرهم بالعزم أو الاجتماع علي قصده والسعي في إهلاكه علي أي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم . ﴿ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ ﴾ في قصدي . ﴿ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا ، من غمه إذا ستره ، أو ثم لا يكن حالكم غما إذا أهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري . ﴿ ثُمَّ اقْضُوا ﴾ أدوا . ﴿ إِلَيَّ ﴾

ذلك الأمر الذي تريدون بي ، وقرئ ثم أفضوا إلي بالفاء أي انتهوا إلي بشركم أو ابرزوا إلي ، من أفضي إذا خرج إلي الفضاء ﴿ ولا تنظرون ﴾ ولا تمهلوني .

﴿ فإن توليتم ﴾ أعرضتم عن تذكيري . ﴿ فما سألتكم من أجر ﴾ يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم إياي لأجله ، أو يفوتني لتوليكم . ﴿ إن أجري ﴾ ما ثوابي علي الدعوة والتذكير . ﴿ إلا على الله ﴾ لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم أو توليتم . ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ المنقادين لحكمه لا أخالف أمره ولا أرجو غيره . (٤١)

﴿ فكذبوه ﴾ فأصروا علي تكذيبه بعد ما ألزمهم الحجة وبين أن توليهم ليس إلا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب . ﴿ فنجيناه ﴾ من الغرق . ﴿ ومن معه في الفلك ﴾ وكانوا ثمانين . ﴿ وجعلناهم خلائف ﴾ من الهالكين به . ﴿ وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ﴾ بالطوفان . ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ تعظيم لما جري عليهم وتحذير لمن كذب الرسول ﷺ وتسلية له.

﴿ ثم بعثنا ﴾ أرسلنا . ﴿ من بعده ﴾ من بعد نوح ﴿ رسلاً إلى قومهم ﴾ كل رسول إلي قومه . ﴿ فجاءوهم بالبينات ﴾ بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم . ﴿ فما كانوا ليؤمنوا ﴾ فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة شكيمتهم (٤٢) في الكفر وخذلان الله إياهم . ﴿ بما كذبوا به من قبل ﴾ أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام . ﴿ كذلك نطبع على قلوب

---

(٤١) الإسلام في حقيقة الأمر هو دين الأنبياء جميعا من لدن آدم – عليه السلام – حتي خاتم الرسل والأنبياء سيدنا محمد ﷺ وقد قال الله تعالي ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ وقال تعالي مخاطبا نبيه ﷺ ﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل علي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسي وعيسي والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ آل عمران ٨٤ ، ٨٥ .

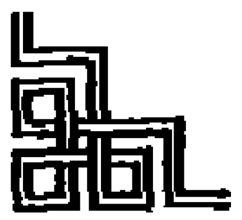
وقال النبي ﷺ « نحن معاشر الأنبياء أولاد علاّت وديننا واحد » أي هو الإسلام .

(٤٢) شكيمتهم : قوتهم وأنفتهم .

الْمُعْتَدِينَ ﴾ بخذلانهم لا نهماكهم في الضلال واتباع المألوف ، وفي أمثال ذلك دليل علي أن الأفعال واقعة بقدرة الله تعالي وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك .

الآيات من ٧٥ : ٨٢

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢) ﴾



رسالة موسي وهارون إلي فرعون :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم ﴾ من بعد هؤلاء الرسل . ﴿ مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا ﴾ بالآيات التسع . ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾ عن اتباعهما . ﴿ وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ معتادين الإجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترءوا علي ردها .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا ﴾ وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيلة للشك . ﴿ قَالُوا ﴾ من فرط تمردهم . ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر أنه سحر ، أو فائق في فنه واضح فيما بين إخوانه .

﴿ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ﴾ إنه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ، ولا يجوز أن يكون . ﴿ أَسِحْرٌ هَذَا ﴾ لأنهم بتوا القول بل هو استئناف بإنكار ما قالوه ، اللهم إلا أن يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ، ويجوز أن يكون معني أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان

يخاف القالة كقوله تعالي : ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُم ﴾ (٤٣) فيستغني عن المفعول .

﴿ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ من تمام كلام موسي عليه السلام للدلالة علي أنه ليس بسحر فإنه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ، ولأن العالم بأنه لا يفلح الساحر لا يسحر ، أو من تمام قولهم إن جعل أسحر هذا محكيا كأنهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون .

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا ﴾ لتصرفنا ، واللفت والفتل أخوان . ﴿ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ من عبادة الأصنام . ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ ﴾ الملك فيها سمي بها لا تصاف الملوك بالكبر ، أو التكبر علي الناس باستتباعهم ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ بمصدقين فيما جئتما به .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بكل سحَّار . ﴿ عَلِيمٍ ﴾ حاذق فيه .

﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾

﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ﴾ أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا . وقرأ أبو عمرو آلسحر علي أن ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر ، أو مبتدأ خبره محذوف أى آلسحر هو . ويجوز أن ينتصب «ما» بفعل يفسره ما بعده وتقديره أي شيء أتيتم . ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ﴾ سيمحقه أو سيظهر بطلانه . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل علي أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له .

﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ ﴾ ويثبته . ﴿ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته . ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ذلك .

---

(٤٣) الأنبياء ٦٠

الآيات من ٨٣ : ٨٨

﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٨٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٨٨) ﴾

﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ ﴾أي في مبدأ أمره ، ﴿ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ ﴾ إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفاً من فرعون إلا طائفة من شبانهم ، وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به ،أو مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته ﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ ﴾أي مع خوف منهم، والضمير لفرعون وجمعه علي ما هو المعتاد في ضمير العظماء ،أوعلي أن المراد بفرعون آله كما يقال : ربيعة ومضر ، أو للذرية أو للقوم ﴿ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ أن يعذبهم فرعون ، وهو بدل منه أومفعول خوف وإفراده بالضمير للدلالة علي أن الخوف من الملأ كان بسببه . ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ ﴾ لغالب فيها ، ﴿ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾في الكبر والعتو حتي ادعي الربوبية واسترق أسباط الأنبياء.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ لما رأي تخوف المؤمنين به . ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ﴾فثقوا به واعتمدوا عليه ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ مستسلمين لقضاء الله مخلصين له ، وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين ، فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل فإنه المقتضي له ، والمشروط بالإسلام حصوله فإنه لايوجد مع التخليط ونظيره إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت .

﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك أجيبت دعوتهم . ﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً ﴾ موضع فتنة ﴿ لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا .

﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم ، وفي تقديم التوكل علي الدعاء تنبيه علي أن الداعي ينبغي له أن يتوكل أولاً لتجاب دعوته . ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا ﴾ أي اتخذا مباءة . ﴿ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ تسكنون فيها أو ترجعون إليها للعبادة . ﴿ وَاجْعَلُوا ﴾ أنتما وقومكما . ﴿ بُيُوتَكُمْ ﴾ تلك البيوت ﴿ قِبْلَةً ﴾ مصلي وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة ، وكان موسي عليه السلام يصلي إليها . ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ فيها ، أمروا بذلك أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم . ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبي ، وإنما ثني الضمير أولاً لأن التبوؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رءوس القوم بتشاور ، ثم جمع لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما ينبغي أن يفعله كل أحد ، ثم وحد لأن البشارة في الأصل وظيفة صاحب الشريعة .

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً ﴾ ما يتزين به من الملابس والمراكب ونحوهما . ﴿ وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وأنواعاً من المال . ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ﴾ دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك : لعن الله إبليس.وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل أن تكون للعلة لأن إيتاء النعم علي الكفر استدراج وتثبيت علي الضلال ، ولأنهم لما جعلوها سبباً للضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريراً للأول تأكيداً وتنبيهاً علي أن المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ ﴾ أى أهلكها ، والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم . ﴿ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أى وأقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان . ﴿ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهى ، أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض .

الآيات من ٨٩ : ٩٢

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (٨٩) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢) ﴾

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ يعني موسى وهارون لأنه كان يؤمن (٤٤) . ﴿ فَاسْتَقِيمَا ﴾ فاثبتا علي ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام الحجة ، ولا تستعجلا فإن ما طلبتما كائن ولكن في وقته . روى : أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة . ﴿ وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ طريق الجهلة في الاستعجال أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله تعالي ، وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لا لتقاء الساكنين ، ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان أيضاً .

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ﴾ أي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم ، وقريء جوَّزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف ، ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ ﴾ فأدركهم يقال اتبعته حتى أتبعته . ﴿ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ﴾ باغين وعادين ، أو للبغي والعدو وقرىء وعدوا ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ ﴾ لحقه، ﴿ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ ﴾ أي بأنه ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ وقرأ حمزة والكسائى إنه بالكسر على إضمار القول أو الاستئناف بدلاً وتفسيراً لآمنت فنكب عن الإيمان أوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل .

﴿ آلآنَ ﴾ أتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار . ﴿ وَقَدْ

---

(٤٤) قال أبو العالية وابو صالح وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والربيع بن أنس : دعا موسى وأمن هارون ، أي قد أجبناكما فيما سالتما من تدمير آل فرعون ، وقد يحتج بهذه الآية من يقول : إن تامين المامون على قراءةالفاتحة ينزل منزلة قراءتها ، لان موسى دعا وهارون أمّن .

عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ قبل ذلك مدة عمرك . ﴿ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ الضالين المضلين عن الإيمان .

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ﴾ ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافياً ، أو نلقيك على نجوة (٤٥) من الأرض ليراك بنو إسرائيل ، وقرأ يعقوب ننجيك من أنجي، وقرأ ننحيك بالحاء أي نلقيك بناحية من الساحل .﴿ ببدَنكَ ﴾ في موضع الحال أي ببدنك عارياً عن الروح ، أو كاملاً سوياً أو عرياناً من غير لباس . أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها . وقرىء بأبدانك أي بأجزاء البدن كلها كقولهم هوى بأجرامه ، أو بدروعك كأنه كان مظاهراً بينها . ﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل إليهم أنه لا يهلك ، حتى كذبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلي أن عاينوه مُطَّرَحاً على ممرهم من الساحل ، أو لمن يأتى بعدك من القرون إذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك عبرة ونكالاً عن الطغيان ، أو حجة تدلهم على أن الإنسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية . وقريء لمن خلقك أى لخالقك آية أى كسائر الآيات فإن إفراده إياك بالإلقاء إلى الساحل دليل علي أنه تَعَمُّدٌ منه لكشف تزويرك وإماطة الشبهة في أمرك . وذلك دليل علي كمال قدرته وعلمه وإرادته ، وهذا الوجه أيضاً محتمل على المشهور . ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها .

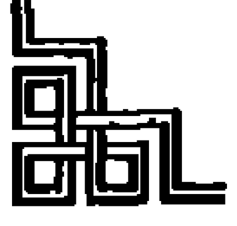
الآيات من ٩٣ : ٩٨

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣) فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا

---

(٤٥) نجوة : مكان مرتفع .

يؤْمِنُونَ (٩٦) ولَوْ جاءتْهُمْ كُلُّ آيةٍ حتَّىٰ يروا الْعذاب الأليم (٩٧) فلوْلا كانتْ قرْيةٌ آمنتْ فنفعها إيمانُها إلاَّ قوْم يُونُس لمَّا آمنُوا كشفْنا عنْهُمْ عذاب الْخِزْيِ فِي الْحياة الدُّنْيا ومتَّعْناهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (٩٨) ﴾



اختلاف بني إسرائيل

﴿ **ولقدْ بوَّأْنا** ﴾ أنزلنا .﴿ **بني إسْرائِيل مُبوَّأ صِدْقٍ** ﴾ منزلاً صالحاً مرضياً وهو الشأم ومصر .﴿ **ورزقْناهُم مِّن الطَّيِّبات** ﴾ من اللذائذ . ﴿ **فما اخْتلفُوا حتَّىٰ جاءهُمُ الْعِلْمُ** ﴾ فما اختلفوا في أمر دينهم إلا من بعد ما قرءوا التوراة وعلموا أحكامها ، أو في أمر محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته . ﴿ **إنَّ ربَّك يقْضِي بيْنهُمْ يوْم الْقِيامةِ فِيما كانُوا فِيهِ يخْتلِفُون** ﴾ فيميز المحق من المبطل بالإنجاء والإهلاك .

﴿ **فإن كُنت فِي شكٍّ مِّمَّا أنزلْنا إِليْك** ﴾ من القصص علي سبيل الفرض والتقدير . ﴿ **فاسْألِ الَّذِين يقْرءُون الْكِتاب مِن قبْلِك** ﴾ فإنه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما ألقينا إليك ، والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وأن القرآن مصدق لما فيها ، أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إليه ، أو تهييج الرسول ﷺ وزيادة تثبيته لا إمكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : «**لا أشك ولا أسأل**» .وقيل الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته أو لكل من يسمع أي إن كنت أيها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا إليك ، وفيه تنبيه على أن كل من خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم . ﴿ **لقدْ جاءك الْحقُّ مِن رَّبِّك** ﴾ واضحاً أنه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة . ﴿ **فلا تكُوننَّ مِن الْمُمْترِين** ﴾ بالتزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين .

﴿ **ولا تكُوننَّ مِن الَّذِين كذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ فتكُون مِن الْخاسِرِين** ﴾ أيضاً من باب التهييج والتثبيت وقطع الأطماع عنه كقوله ﴿ **فلا تكُوننَّ ظهِيراً لِّلْكافِرِين** ﴾(٤٦) .

---

(٤٦) القصص :٨٦ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ ﴾ ثبتت عليهم .﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب . ﴿ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ إذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه .

﴿ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ ﴾ فإن السبب الأصلي لإيمانهم وهو تعلق إرادة الله تعالي به مفقود . ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون .

الإيمان ينفع أصحابه ويرفع عنهم العذاب

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ ﴾ فهلا كانت قرية من القرى التي أهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ، ولم تؤخر إليها كما أخر فرعون . ﴿ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا ﴾ بأن يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها . ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ لكن قوم يونس عليه السلام . ﴿ لَمَّا آمَنُوا ﴾ أول ما رأوا أمارة العذاب ولم يؤخروه إلى حلوله . ﴿ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ويجوز أن تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه ، فيكون الاستثناء متصلاً لأن المراد من القرى أهاليها كأنه قال : ما آمن أهل قرية من القرى العاصية فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس، ويؤيده قراءة الرفع على البدل . ﴿ وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ إلى آجالهم . روى : **«أن يونس عليه السلام بعث إلى أهل نينوى من الموصل ، فكذبوه وأصروا عليه فوعدهم بالعذاب إلى ثلاث . وقيل إلى ثلاثين . وقيل إلي أربعين ، فلما دنا الموعد أغامت السماء غيماً أسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم ، فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه ، فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ، وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات والعجيج وأخلصوا التوبة وأظهروا الإيمان وتضرعوا إلى الله تعالى ، فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة»** .

الآيات من ٩٩ : ١٠٥

﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (٩٩) وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون (١٠٠) قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (١٠١) فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين (١٠٢) ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقًا علينا ننج المؤمنين (١٠٣) قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين (١٠٤) وأن أقم وجهك للدين حنيفًا ولا تكونن من المشركين (١٠٥) ﴾



الإيمان بمشيئة الله وإذنه

﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم ﴾ بحيث لا يشذ منهم أحد . ﴿ جميعا ﴾ مجتمعين علي الإيمان لا يختلفون فيه ، وهو دليل على القدرية في أنه تعالى لم يشأ إيمانهم أجمعين وأن من شاء إيمانه يؤمن لا محالة ، والتقييد بمشيئة الإلجاء خلاف الظاهر . ﴿ أفأنت تكره الناس ﴾ بما لم يشأ الله منهم . ﴿ حتى يكونوا مؤمنين ﴾ وترتيب الإكراه على المشيئة بالفاء وإيلاؤها حرف الاستفهام للإنكار ، وتقديم الضمير علي الفعل للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكن تحصيله بالإكراه عليه فضلاً عن الحث والتحريض عليه ؛ إذ روي أنه كان حريصاً علي إيمان قومه شديد الأهتمام به فنزلت . ولذلك قرره بقوله :

﴿ وما كان لنفس أن تؤمن ﴾ بالله ﴿ إلا بإذن الله ﴾ إلا بإرادته وألطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فإنه إلي الله . ﴿ ويجعل الرجس ﴾ العذاب أو الخذلان فإنه سببه . وقريء بالزاي وقرأ أبو بكر ونجعل بالنون . ﴿ على الذين لا يعقلون ﴾ لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات ، أو لا يعقلون دلائله وأحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الأول قوله:

﴿ قُلِ انظُرُوا ﴾ أي تفكروا . ﴿ مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ من عجائب صنعه لتدلكم علي وحدته وكمال قدرته ، وماذا إن جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل ﴿ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ في علم الله وحكمه وما نافية أو استفهامية في موضع النصب .

﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ﴾ مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم إذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعها . ﴿ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ لذلك أو فانتظروا هلاكى إنى معكم من المنتظرين هلاككم .

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ عطف علي محذوف دل عليه إلا مثل أيام الذين خلوا كأنه قيل : نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم ، على حكاية الحال الماضية . ﴿ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ كذلك الإنجاء أو إنجاء كذلك ننجي محمداً وصحبه حين نهلك المشركين ، وحقاً علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر . وقيل بدل من كذلك . وقرأ حفص والكسائي ننجي مخففاً .

تبرؤ من الشرك وأهله

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ خطاب لأهل مكة . ﴿ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي ﴾ وصحته . ﴿ فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ فهذا خلاصة ديني اعتقاداً وعملاً فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الإنصاف لتعلموا صحتها وهو أنى لا أعبد ما تخلقونه وتعبدونه ، ولكن أعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم . وإنما خص التوفي بالذكر للتهديد .

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بما دل عليه العقل ونطق به الوحي ، وحذف الجار من أن يجور أن يكون من المطرد مع أن وأن يكون من غيره كقوله :

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ۔ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ (٤٧)

﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ عطف علي أن أكون غير أن صلة أن محكية

---

(٤٧) يقصد : أمرتك بالخير ، وقد حذف الجار ، وهو حذف غير مطرد . والنشب معناه المال والعقار . وفي رواية : وذا نسب : يعني أنك صاحب حسب ومجد .

بصيغة الأمر ، ولا فرق بينهما في الغرض لأن المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه ، وصيغ الأفعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب ، والمعنى وأمرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه بأداء الفرائض ، والانتهاء عن القبائح ، أو في الصلاة باستقبال القبلة . ﴿ حَنِيفًا ﴾ حال من الدين أو الوجه . ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

الآيات من ١٠٦ : ١٠٩

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩) ﴾

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ بنفسه إن دعوته أو خذلته . ﴿ فَإِن فَعَلْتَ ﴾ فإن دعوته ﴿ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء .

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ وإن يصبك به . ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُ ﴾ يرفعه . ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ إلا الله ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ ﴾ فلا دافع ، ﴿ لِفَضْلِهِ ﴾ الذي أرادك به ولعله ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للتنبيه علي أن الخير مراد بالذات وأن الضر إنما مسهم لا بالقصد الأول ، ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة علي أنه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ، ولم يستثن لأن مراد الله لا يمكن رده . ﴿ يُصِيبُ بِهِ ﴾ بالخير . ﴿ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية(٤٨) .

---

(٤٨) روي الحافظ ابن عساكر عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « اطلبوا الخير

﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ** ﴾ رسوله أو القرآن ولم يبق لكم عذر . ﴿ **فَمَنِ اهْتَدَىٰ** ﴾ بالإيمان والمتابعة . ﴿ **فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ** ﴾ لأن نفعه لها . ﴿ **وَمَن ضَلَّ** ﴾ بالكفر بهما . ﴿ **فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا** ﴾ لأن وبال الضلالة عليها . ﴿ **وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ** ﴾ بحفيظ موكول إلى أمركم ، وإنما أنا بشير ونذير .

﴿ **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ** ﴾ بالامتثال والتبليغ . ﴿ **وَاصْبِرْ** ﴾ على دعوتهم وتحمل أذيتهم ﴿ **حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ** ﴾ بالنصرة أو بالأمر بالقتال . ﴿ **وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ إد لا يمكن الخطأ في حكمه لا طلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر(٤٩) .

فضائل سورة يونس

عن النبي ﷺ «**من قرأ سورة يونس أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون**»(٥٠) .

دهركم كله وتعرضوا لنفحات ربكم فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده واسألوه أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم » تفسير ابن كثير .

(٤٩) روي أنه لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال : « إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتي تلقوني » قال أنس : فلم نصبر . وروي أن أبا قتادة تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الأنصار ، ثم دخل عليه من بعد ، فقال له : ما لك لم تتلقنا ؟ قال : لم تكن عندنا دواب . قال : فأين النواضح ؟ قال : قطعناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر ، وقد قال ﷺ : يا معشر الأنصار إنكم ستلقون بعدي أثرة . قال معاوية : فماذا قال ؟ قال : قال « فاصبروا حتى تلقوني » قال : فاصبر . قال : إذن نصبر . فقال عبد الرحمن بن حسان :

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... أمير الظالمين نثا كلامي

بأنا صابرون فمنظروكم ... إلى يوم التغابن والخصام .

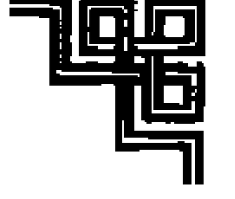
والنثا : للشر ـ أما الثناء فقد يكون للخير وللشر ـ والتغابن : يوم القيامة ـ . .

(٥٠) ذكره الزمخشري في تفسير الكشاف .

(١١) سورة هود مكية (١)

وآياتها ثلاث وعشرون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم



الآيات من ١ : ٤

﴿ الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤) ﴾



حديث عن القرآن

﴿ الٓر كِتَابٌ ﴾ مبتدأ وخبر ، أو كتاب خبر مبتدأ محذوف . ﴿ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ نظمت نظاما محكما لا يعتريه إخلال من جهة اللفظ والمعني ، أو منعت من الفساد والنسخ فإن المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ ، أو أحكمت بالحجج والدلائل أو جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم إذ صار حكيما لأنها مشتملة علي أمهات الحكم النظرية والعملية ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ بالفوائد من العقائد والأحكام والمواعظ والأخبار ، أو بجعلها سورا أو بالإنزال نجما نجما (٢) ، أو فصل

---

(١) في تفسير ابن كثير : مكية إلا الآيات ١٢ ، ١٧ ، ١١٤ فمدنية ، وقد نزلت بعد يونس.

وكذلك جاء في تفسير الكشاف .

وجاء في تفسير ابن كثير : روي الحافظ أبو يعلي عن أبي بكر رضي الله عنه : سألت رسول الله ﷺ : ما شَيَّبك ؟ قال : شَيبتني هود والواقعة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت .

وروى الترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه قال : يا رسول الله قد شيبت فقال « شَيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت » وفي رواية : هود وأخواتها .

(٢) نجما نجمًا : جزءاً جزءاً ـ يعني لم ينزل القرآن جملة واحدة .

فيها ولخص ما يحتاج إليه . وقرئ ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل ، وأحكمت آياته ثم فصلت علي البناء للمتكلم ، وثم للتفاوت في الحكم أو للتراخي في الأخبار . ﴿ من لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ صفة أخري لكتاب ، أو خبر بعد خبر أو صلة لأحكمت أو فصلت ، وهو تقرير لأحكامها وتفصيلها علي أكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر أمره وما خفي .

﴿ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّه ﴾ لأن لا تعبدوا . وقيل : أن مفسرة لأن في تفصيل الآيات معني القول ، ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ للإغراء علي التوحيد أو الأمر بالتبري من عبادة الغير كأنه قيل : ترك عبادة غير الله بمعني الزموه أو اتركوها تركا . ﴿ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ ﴾ من الله . ﴿ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ بالعقاب علي الشرك والثواب علي التوحيد . (٣) ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ عطف علي ألا تعبدوا . ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ ثم توسلوا إلي مطلوبكم بالتوبة فإن المعرض عن طريق الحق لا بد له من الرجوع . وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا إلي الله بالطاعة ، ويجوز أن يكون ثم لتفاوت ما بين الأمرين . ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا ﴾ يعيشكم في أمن ودعة . ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ هو آخر أعماركم المقدرة ، أو لا يهلككم بعذاب الاستئصال والأرزاق والآجال ، وإن كانت متعلقة بالأعمار لكنها مسماة بالإضافة إلي كل أحد فلا تتغير . ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة ، وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين . ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا ﴾ وإن تتولوا . ﴿ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ يوم القيامة ، وقيل : يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتي أكلوا الجيف . وقرئ وإن تولوا من ولي .

﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس . ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدر علي تعذيبكم أشد عذاب وكأنه تقدير لكبر اليوم .

(٣) جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ صعد الصفا فدعا بطون قريش الأقرب ثم الأقرب، فاجتمعوا ، فقال : يا معشر قريش ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تصبحكم ألستم مصدقيَّ ؟ فقالوا : ما جربنا عليك كذبًا . قال : فإني لكم بين يدي عذاب شديد .

الآيات من ٥ : ٧

﴿ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٥) وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) ﴾

حال الكفار حين يواجهون بالحق :

﴿ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ يثنونها عن الحق وينحرفون عنه ، ، أو يعطفونها علي الكفر وعداوة النبي ﷺ ، أو يولون ظهورهم . وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنوني ، وهو بناء مبالغة ، وتثنون ، وأصله تثنونن من الثن وهو الكلأ (٤) الضعيف أراد به ضعف قلوبهم ، أو مطاوعة صدورهم للثني ، وتثنئن من اثنأن كأبياض بالهمزة وتثنوي . ﴿ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ﴾ من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه .

قيل : إنها نزلت في طائفة من المشركين قالوا : إذا أرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا علي عداوة محمد كيف يعلم . وقيل : نزلت في المنافقين وفيه نظر إذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة .

﴿ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾ الا حين يأوون إلي فراشهم ويتغطون بثيابهم . ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ في قلوبهم . ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ بأفواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفي عليه ما عسي يظهرونه . ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ بالأسرار ذات الصدور أو بالقلوب وأحوالها . (٥)

---

(٤) الثِنّ : الحشيش اليابس بكسر الثاء وتشديد النون ، وهو أيضا ضعيف النبات وحشُه وإن لم يكن يابسا ، ويجمع على ثنان . ـ المعجم الوسيط ـ

(٥) مما ورد في أسباب نزول الآية ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كانوا يكرهون

تكفل الله بأرزاق المخلوقين

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ غذاؤها ومعاشها لتكفله إياه تفضلا ورحمة ، وإنما أتي بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا علي التوكل فيه . ﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ أماكنها في الحياة والممات ، أو الأصلاب والأرحام أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة . ﴿ كُلٌّ ﴾ كل واحد من الدواب وأحوالها . ﴿ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ مذكور في اللوح المحفوظ ، وكأنه أريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا علي الممكنات بأسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد .

من مظاهر قدرة الله تعالي

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الأعراف ، أو ما في جهتي العلو والسفل ، وجمع السموات دون الأرض لاختلاف العلويات بالأصل والذات دون السفليات . ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ قبل خلقهما لم يكن حائلا بينهما لأنه كان موضوعاً علي متن الماء ، واستدل به علي إمكان الخلاء وأن الماء أول حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم . وقيل : كان الماء علي متن الريح والله أعلم بذلك . (٦)

أن يستقبلوا السماء بفروجهم ، وحال وقاعهم فأنزل الله هذه الآية ، وروى البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيها .

ـ تفسير ابن كثير ـ .

وروي أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله ﷺ المحبة ، وله منطق حلو وحسن سياق للحديث ، فكان يعجب رسول الله ﷺ مجالسته ومحادثته ، وهو يضمر خلاف ذلك . ـ تفسير الكشاف .

وأخرج ابن جرير وغيره عن عبد الله بن شداد قال : كان أحدهم إذا مر بالنبي ﷺ استغشى بثوبه لكي لا يراه .

(٦) جاء في الآثار : جاء في الصحيحين : جاء قوم من أهل اليمن . قالوا : جئناك نسألك

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ متعلق بخلق أي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لأحوالكم كيف تعملون ، فإن جملة ذلك أسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج إليه أعمالكم ودلائل وأمارات تستدلون بها وتستنبطون منها .

وإنما جاز تعليق فعل البلوي لما فيه من معني العلم من حيث إنه طريق إليه كالنظر والاستماع ، وإنما ذكر صيغة التفضيل والاختبار شامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض علي أحاسن المحاسن ، والتحضيض علي الترقي دائما في مراتب العلم والعمل : فإن المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ، ولذلك قال النبي ﷺ « **أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله**»(٧) . والمعني أيكم أكمل علما وعملا .

﴿ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي ما البعث أو القول به أو القرآن المتضمن لذكره إلا كالسحر في الخديعة أو البطلان .

وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر علي أن الإشارة إلي القائل . وقرئ أنكم بالفتح، علي تضمن قلت معني ذكرت ، أو أن يكون أن بمعني علي أي ولئن قلت علكم مبعوثون ، بمعني توقعوا بعثكم ولا تبتوا بإنكاره لعدوه من قبيل مالا حقيقة له مبالغة في إنكاره .

عن أول هذا الأمر فقال : كان الله ولم يكن شيء قبله ـ وفي رواية : غيره ـ وفي رواية : معه ، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض » .

وجاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء » .

(٧) قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف : أخرجه داود بن المجبر في كتاب العقل والحرث في مسنده ، وأخرجه الطبري في تفسيره ، وابن مردويه في مسنده عن عبد الواحد بن زيد عن كليب بن وائل عن ابن عمر . . ـ من تعليق تفسير الكشاف ـ .

الآيات من ٨ : ١٢

﴿ ولَئِنْ أَخَّرْنا عنْهمُ الْعذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودةٍ لَّيَقُولُنَّ ما يحْبسُهُ أَلا يوْمَ يأْتِيهِمْ لَيْس مَصْرُوفًا عنْهُمْ وحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ⑧ ولَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ⑨ ولَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ⑩ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وأَجْرٌ كَبِيرٌ ⑪ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ⑫ ﴾

﴿ ولَئِنْ أَخَّرْنَا عنْهمُ الْعَذَابَ ﴾ الموعود . ﴿ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ إلي جماعة من الأوقات قليلة . ﴿ لَّيَقُولُنَّ ﴾ استهزاء . ﴿ مَا يَحْبِسُهُ ﴾ ما يمنعه من الوقوع. ﴿ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ ﴾ كيوم بدر . ﴿ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ ليس العذاب مدفوعا عنهم ، ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل علي جواز تقديم خبرها عليها. ﴿ وحَاقَ بِهِم ﴾ وأحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد . ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي العذاب الذي كانوا به يستعجلون، فوضع يستهزءون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان استهزاء.

حال الإنسان بين الشدة والرخاء

﴿ ولَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ ولئن أعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها . ﴿ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ﴾ ثم سلبنا تلك النعمة منه . ﴿ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ ﴾ قطوع رجاءه من فضل الله تعالي لقلة صبره وعدم ثقته به . ﴿ كَفُورٌ ﴾ مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة .

﴿ ولَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ﴾ كصحة بعد سقم وغني بعد عُدْمٍ، وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفي . ﴿ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ﴾ أي المصائب التي ساءتني . ﴿ إِنَّهُ لَفَرِحٌ ﴾ بطر بالنعم مغتر بها . ﴿ فَخُورٌ ﴾ علي

الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها ، وفي لفظ الإذاقة والمس تنبيه علي أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما يجده في الآخرة ، وأنه يقع في الكفران والبطر بأدني شيء لأن الذوق إدراك الطعم والمس مبتدأ الموصول .

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ علي الضراء إيمانا بالله تعالي واستسلاما لقضائه . ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ شكرا لآلائه سابقها ولاحقها . ﴿ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم . ﴿ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ أقله الجنة والاستثناء من الإنسان لأن المراد به الجنس فإذا كان محلي باللام أفاد الاستغراق ومن حمله علي الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا .

تسلية النبي ﷺ عما يلقاه من قومه

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ تترك تبليغ بعض ما يوحي إليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ، ولا يلزم من توقع الشئ لوجود ما يدعو إليه وقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ ها هنا . ﴿ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ وعارض لك أحيانا ضيق صدرك بأن تتلوه عليهم مخافة . ﴿ أَن يَقُولُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ ﴾ ينفقه في الاستتباع كالملوك . ﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره أن يقولوا . ﴿ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ﴾ ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي إليك ولا عليك ردوا أو اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك . ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ فتوكل عليه فإنه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم .

الآيات من ١٣ : ١٦

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٤) مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) ﴾

تحديهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ أم منقطعة والهاء عائد لما يوحي . ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ ﴾ في البيان وحسن النظم تحداهم أولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الأمر عليهم وتحداهم بسورة ، وتوحيد المثل باعتبار كل واحدة . ﴿ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ مختلقات من عند أنفسكم ، إن صح أني اختلقته من عند نفسي فإنكم عرب فصحاء مثلي تقدرون علي مثل ما أقدر عليه بل أنتم أقدر لتعلمكم القصص والأشعار وتعودكم القريض والنظم ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ إلي المعاونة علي المعارضة . ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنه مفتري ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾ بإتيان ما دعوتم إليه ، وجمع الضمير إما لتعظيم الرسول ﷺ ، أو لأن المؤمنين كانوا أيضا يتحدونهم ، وكان أمر الرسول ﷺ متناولا لهم من حيث أنه يجب اتباعه عليهم في كل أمر إلا ما خصه الدليل ، وللتنبيه علي أن التحدي مما يوجب رسوخ إيمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه سواه . ﴿ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ واعلموا أن لا إله إلا الله لأنه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه بإعجازه عليه ، وفيه تهديد وإقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم . ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ثابتون علي الإسلام راسخون فيه مخلصون إذا تحقق عندكم إعجازه مطلقا ، ويجوز أن يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم ، أي فإن لم يستجيبوا لكم إلي المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعاوضة فاعلموا أنه نظم لا يعلمه إلا الله ، وأنه منزل من عنده وأن ما دعاكم إليه من التوحيد حق ، فهل أنتم داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة القاطعة؟

وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معني الطلب والتنبيه علي قيام الموجب وزوال العذر .

طالب الدنيا ليس له في الآخرة من نصيب

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ بإحسانه وبره . ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ

أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة والرئاسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد . . وقرئ يوف بالياء أي يوف الله وتوف علي البناء للمفعول ونوف بالتخفيف والرفع لأن الشرط ماض كقوله :

وَ إِنْ أَتَاهُ كَرِيمٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ يَقُولُ لاَ غَائِبٌ مَالِي وَلاَ حَرَمُ (٨)

﴿ وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴾ لا ينقصون شيئا من أجورهم . والآية في أهل الرياء. وقيل في المنافقين . وقيل في الكفرة وغرضهم وبرهم .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ ﴾ مطلقا في مقابلة ما عملوا لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة . ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا ﴾ لأنه لم يبق لهم ثواب في الآخرة ، أو لم يكن لأنهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الإخلاص ، ويجوز تعليق الظرف بصنعوا علي أن الضمير للدنيا .

﴿ وَبَاطِلٌ ﴾ في نفسه . ﴿ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ لأنه لم يعمل علي ما ينبغي ، وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها . وقرئ باطلا علي أنه مفعول يعملون وما إبهامية ، أو في معني المصدر كقوله :

وَلاَ خَارِجاً مِنْ فِيَّ زُورُ كَلاَمٍ (٩)

وبطل علي الفعل (١٠) .

---

(٨) مر الحديث عن هذا الشاهد ـ ويروي : وان أتاه خليل .. والمسغبة : الجوع الشديد .
والمعنى أنه لا يتعلل إن جاءه المحتاج بغياب ماله وعدم حضوره ، ولا يحرمه من العطاء .

(٩) خارجا في الشطر منصوب على أنه فى معني المصدر « خروج »كأنه قال : ماخرج خروجاً من فمي زور الكلام .
وفيَّ : فمي .

(١٠) أى وقرئُ : بطل بالفعل .

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
دعوة إلى استعمال العقل في التفكر والهداية	١٨٦
الآيات من ٨١ : ٨٩	١٩٢
الأمان الحقيقي يكون في ظل الإيمان	١٩٢
البركة في ذرية إبراهيم عليه السلام	١٩٣
الآيات من ٩٠ : ٩٣	١٩٥
فضل القرآن	١٩٧
من أشد أنواع الظلم	١٩٨
الآيات من ٩٤ : ٩٨	١٩٩
حال الناس يوم البعث	١٩٩
من مظاهر قدرة الله	٢٠٠
الآيات من ٩٩ : ١٠٠	٢٠٣
توبيخ للمشركين الذين يغفلون عن مظاهر القدرة والوحدانية	٢١٢
الآيات من ١٠١ : ١٠٥	٢١٢
استحقاق الله وحدة بالعبادة	٢١٣
وجوب النظر في الدلائل	٢١٤
الآيات من ١٠٦ : ١١٠	٢١٦
عَودهم إلى طلب الآيات	٢١٧
القلوب بيد الله	٢١٨
الآيات من ١١١ : ١١٤	٢١٩
ابتلاء الأنبياء بعداوة أهل الباطل	٢١٩
الآيات من ١١٥ : ١١٩	٢٢١
غلبة الباطل	٢٢٢
النهي عن أكل ذبائح المشركين التي لا يذكر اسم الله عليها	٢٢٢
الآيات من ١٢٠ : ١٢٣	٢٢٣
الإيمان حياة والكفر موت	٢٢٥
الآيات من ١٢٤ : ١٢٦	٢٢٦
عود إلى طلب الآيات مرة أخرى	٢٢٦
الآيات من ١٢٧ : ١٣٠	٢٢٩
جزاء المهتدين	٢٢٩
حشر الخلائق جميعًا ودرجاتهم يوم القيامة ومساكنهم	٢٢٩
الآيات من ١٣١ : ١٣٥	٢٣١
الآيات من ١٣٦ : ١٣٩	٢٣٢

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
سؤالهم عن الساعة	٣٤٨
تذكير بخلق الإنسان ووسوسة الشيطان وإضلاله	٣٤٩
الآيات من ١٩٠ : ١٩٥	٣٥٠
الأصنام لا تغني عن عابديها شيئًا	٣٥٠
الآيات من ١٩٦ : ٢٠٢	٣٥٢
الله يتولى الصالحين من عباده	٣٥٢
الأمر بالمعروف	٣٥٢
الاستعاذة بالله من وسوسة الشيطان	٣٥٣
الآيات من ٢٠٣ : ٢٠٦	٣٥٤
وجوب الإنصات عند سماع القرآن	٣٥٤
ذكر الله وكيفيته	٣٥٥
من فضائل سورة الأعراف	٣٥٦
سورة الأنفال	٣٥٧
الآيات من ١ : ٤	٣٥٧
سبب نزول الآية	٣٥٧
الآيات من ٥ : ٧	٣٦٠
رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب	٣٦٠
الآيات من ٨ : ١١	٣٦٢
الآيات من ١٢ : ١٥	٣٦٦
الآيات من ١٦ : ١٩	٣٦٨
الآيات من ٢٠ : ٢٤	٣٧٠
الأمر بطاعة الله ورسوله	٣٧١
الآيات من ٢٥ : ٢٨	٣٧٣
البلوى تعم والرحمة تخص	٣٧٣
سبب نزول الآية	٣٧٤
الآيات من ٢٩ : ٣٢	٣٧٥
إحباط مكر الكافرين	٣٧٦
الكفار يتحدون ويطلبون العذاب	٣٧٧
الآيات من ٣٣ : ٣٥	٣٧٨
رحمة النبي ﷺ في قومه	٣٧٨
ولاية البيت لأهل الإيمان	٣٧٨
الآيات من ٣٦ : ٣٩	٣٧٩

رقم الصفحة	الموضوع

يطلب من مكتبات الأهرام
وسائر مكتبات الجمهورية

رقم الإيداع بدار الكتب

٩٧/١١٤٢٠

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لـ أ.د / حمزة النشرتى

تم بحمد الله المجلد الثانى

ويليه المجلد الثالث



Bibliotheca Alexandrina
0581550